

الجيش المصري

في القرن التاسع عشر

مكتبة
مدينة الطالب
كلية الطب

الدكتور محمد محمود اليزبي
أستاذ تاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

م	ر	ت
٣٤	٢	٢٢٩



١٩٦٧

مكتبة
مدينة الطالب
كلية الطب



دار المعارف بمصر

إهداء

إلى جنودنا البواسل الذين جادوا بأرواحهم فداء لهذا الوطن
وإعلاء لكلمة الحق ...

إلى شهدائنا الذين بذلوا فكانوا مثلاً في السخاء ...

إلى أبطالنا المغمورين ...

إلى الجندي المجهول أهدي هذه الدراسة ...

المؤلف

تصديـر

ظهرت الكثير من الكتب التي تعالج النواحي المختلفة من تاريخ مصر في القرن التاسع عشر كالأزمة المالية ، وتدخل النفوذ الأجنبي ، والمحاكم المختلطة ، وقنساء السويس ، والتعليم ... ولم تلق الناحية الحربية من العناية ما تستحقه . ولهذا عازمت على أن أتناول هذا الموضوع بالبحث لأجلو صفحة من صفحات الجيش المصري في ذلك الوقت ، ولأسد ثغرة من ثغرات تاريخ مصر الحديث .

وركزت اهتمامي بصفة خاصة على الجيش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وإن كنت قد تعرضت لأوضاعه في النصف الأول استكمالاً للصورة :

واعتمدت في بحثي هذا على ما أتيج لي الإطلاع عليه من وثائق عربية وتركية وفرنسية وأمريكية من دار الوثائق التاريخية القومية . ووضعت نصب عيني ما كتبه المؤرخ الكبير الأستاذ محمد شفيق غربال عن "الجيش المصري حيث يقول" « إن دفترآ من دفاتر المحفوظات يدلنا على أرزاق الحنند وطعامهم ولباسهم ، وهو وثيقة لها خطر ها . ولا يستطيع كتابة تاريخ الجيش المصري إلا بها وبمثيلاتها » .

ويعترض الباحث في دار الوثائق التاريخية بعابدين صعوبات جملة . فثلاً نجد بالدار مجموعة ضخمة من دفاتر ومحافظ المعية تركي ، ودفاتر عابدين تضم مقداراً كبيراً من الوثائق يتناول في العدد من دفتر إلى آخر . فبعضها يشتمل على المئات والآخر يتجاوز الألف ، وتجمع شتات المراسلات التي تتناول النواحي المختلفة من الحياة المصرية في ذلك العصر من نظم حكم ، وإدارة ، وزراعة ، وتجارة ، وتعليم وحرب ... وعلى الباحث أن يطالع على جميع هذه الوثائق ليستخلص منها ما يتعلق بموضوع بحثه . وقد يخرج من

الدفتر الذى يضم المئات منها بعدد قليل من الوثائق قد لا يتجاوز العشرة . وفى بعض الأحيان قد لا يخرج منه بشئ . وعلى ذلك فكل وثيقة فى هذا البحث تخفى وراءها مجهوداً كبيراً لا يحس به إلا كل من أتاحت له الظروف البحث فى تلك الوثائق .

ومن هذه الصعاب أيضاً البحث فى دفاتر « أوامر الجهادية » أى السجلات التى كان يدون فيها الكتاب العسكريون المراسلات المختلفة المتبادلة بين ديوان الجهادية وفروعه ووحدات الجيش . وهذه الدفاتر ما زالت على حالتها الأصلية ، لم تمتد إليها حركة النقل التى يقوم بها موظفو قلم الترجمة بقسم المحفوظات ، والتى يبذلون فى سبيلها جهوداً مشكورة تستحق الثناء . وقد دونت فى هذه الدفاتر جميع المراسلات الصادرة والواردة لديوان الجهادية باللغة العربية وبخط ردىء جداً تكثر به الأخطاء النحوية واللغوية ، كما أن تركيب الجمل غير سليم ، وتشتمل على الكثير من العبارات التركيبية . فلغة هذه الوثائق ليست عربية صحيحة ، ولا تركيبة سليمة ، بل هى تمثل فترة انتقال بين التركية والعربية . وتدل دلالة واضحة على روح العصر . ولهذا فانى أثرت نقلها كما هى فى هذا الكتاب بما تشتمل عليه من أخطاء فى التركيب واللغة والنحو حرصاً منى على إظهار روح العصر إلى جانب الحقائق العلمية التى تتضمنها تلك الوثائق .

وقد رأيت أن يقتصر بحثى على الجيش المصرى البرى فقط ، ولم أتعرض للبحرية لأن هذا موضوع كتاب آخر . وكذلك لم أتناول الحروب التى قام بها الجيش فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، لأن هذا أيضاً يعتبر موضوع بحث آخر ، تناولتها فى كتاب « مصر والمسألة الشرقية » . ولم أذكر

إلا العمليات الحربية الى اتصلت بمقاومة تجارة الرقيق التي أخذ الجيش المصرى على عاتقه القضاء عليها في السودان . وكذلك مقاومة العراقيين للتدخل الأجنبي . فالبحت إذا في مجموعة ينصب على كيان الجيش .

وقسمت الموضوع إلى مقدمة يتبعها خمسة عشر فصلا . بدأت في المقدمة بعرض عام للجيش المصرى الحديث في عصر محمد على من حيث نشأته ونظام التجنيد ، إلى انشاء المدارس الحربية ، والاستعانة بالخبراء الأجانب ، وارسال البعث العسكرية إلى أوروبا ، وعدد قوات الجيش ، ومصانعه الحربية ، وموجز لما قام به من حروب . وانتهت عند تسوية سنة ١٨٤١ التي حددت عدد قوات الجيش المصرى بثمانية عشر ألف رجل في أوقات السلم ، وتحديد مدة الخدمة وملابس الجنود ورتبهم وأعلام الجيش ...

ثم انتقلت إلى الفصل الأول ، فعرضت لحالة مصر في عهد عباس وسعيد ، وبيئت الأسباب التي حالت بين كل منهما وبين التخلص من القيود الحربية التي فرضها فرمان سنة ١٨٤١ . ثم انتقلت إلى اسماعيل وقسمت علاقته بالباب العالي إلى أربع مراحل . وهذه النقطة - ولو أنها بحثت من قبل - إلا أنني قد عالجتها من زاوية الجيش . فبحثت كل مرحلة من هذه المراحل ، مبينا ما ناله فيها الخديو من امتيازات تطلق يده في الجيش ، إلى أن وصلت إلى فرمان الشامل سنة ١٨٧٣ ، الذي منح اسماعيل السلطة المطلقة في زيادة عدد قوات الجيش إلى الحد الذي يريده . ثم تطرقت إلى استحكام الأزمة المالية في أواخر عصر اسماعيل ، وتدخل الدول الأوروبية في شؤون مصر ، وعجز اسماعيل عن الوقوف في وجهه هذا التدخل ، وتسببه وراء الحركة الوطنية ، مما دفع هذه الدول إلى الضغط على الباب العالي لعزله ،

ورضوخه لهذا الضم، وعزله للخديو اسماعيل في يونيه سنة ١٨٧٩ ،
وتعيين ابنه الخديو محمد توفيق خلفا له . وقد نص فرمان تولية الخديو
الجديد على الرجوع بقوة الجيش المصرى إلى ١٨ ألف جندي كما نص بذلك
فرمان سنة ١٨٤١ . وتولية توفيق أمر بخفض قوة الجيش إلى ١٢ ألف
جندي ، فاضمحت قوته . وكان لهذا التخفيض أثره السيء في حوادث
سنة ١٨٨٢ .

وفي الفصل الثانى (التجنيد) تعرضت لمحاولة محمد على تجنيد المصريين
ونجاح تلك المحاولة . ثم بينت طريقة جمع الجنود في ذلك العصر ، وكل ما
يتعلق بالتجنيد بصفة عامة في عصر محمد على وعباس وسعيد . وانتقلت
بعد ذلك إلى عصر اسماعيل وتبعت تطور نظام التجنيد في عهده ، وحددت
الفئات التي كان يقع على كاهلها عبء الخدمة ، ومن له حق الاعفاء ،
والشروط الواجب توافرها . ثم أثبت تطور نظام البديل « البديلية » من بدل
شخصي قبل إلغاء الرق إلى بدل نقدي بعده . وتناوت مدة الخدمة بأسلحة
الجيش المختلفة ، ومدة الامدادية (الرديف) ، وما يقوم به الجنود في كلتا
المدتين ، ويعتبر هذا أول بحث من نوعه في تلك الناحية .

أما الفصل الثالث فخاص بالاستعانة بالخبراء العسكريين من الأجانب
في الجيش المصرى . فبدأت باستقدام البعثة العسكرية الفرنسية تحت رئاسة
ميرشير بك سنة ١٨٦٤ ، وكتبت نبذة عن تاريخ حياة كل ضابط من
ضباطها ، وعن المدة التي قضاها في مصر ، والمهام التي أسندت اليه .
ثم تعرضت لاستعانة اسماعيل بالضباط الأمريكين في الجيش المصرى منذ
أواخر سنة ١٨٦٩ وأثبتت بأنموزج من عقد أحد هؤلاء الضباط . ثم أشرت

إلى عدم ارتياح انجلترا للاستعانة بضباط أمريكيين واعتراضها على ذلك . وحرص الحكومة الأمريكية على إعتبار هؤلاء الضباط أفراداً من الرعايا الأمريكيين انضموا بمحض إرادتهم إلى الجيش المصرى ، وليست لهم أية صفة رسمية ، خشية إغضاب الباب العالى . ثم ذكرت نبذة عن كل منهم تتضمن ثقافته العسكرية ، وخدمته السابقة ، وما أداه من خدمات للجيش المصرى ، وما كان يتقاضاه من مرتب . وهذا أول ثبت شامل باللغة العربية لهؤلاء الضباط ، ثم ذكرت الضباط الآخرين الذين استخدموا في الجيش وتطرقت إلى الأزمة المالية والاستغناء عن خدماتهم .

أما عن البعوث العسكرية فقد اطلعت على ما كتبه الأمير السابق عمر طوسون وأمين ساسى (باشا) فيما يختص بهذا الموضوع وعلى أحدث ما كتب عنه في كتاب « تاريخ التعليم في مصر » للاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم . بالإضافة إلى ما أمكننى جمعه من وثائق .

وفي الفصل الخامس الخالص (المدارس الحربية) استعنت في كتابته بالبحث القيم الذى كتبه حضرة الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عن المدارس الحربية في كتابه « تاريخ التعليم في مصر » فيما يتعلق بالناحية التعليمية ، وبما كتبه اسماعيل سرهنك (باشا) في حقائق الأخبار بالإضافة إلى الوثائق المختلفة التى تتعلق بالناحيتين العسكرية والتعليمية . فتعرضت لما وضع لهذه المدارس من لوائح ، وما وجه إليها من نقد ، وما أدخل عليها من إصلاحات مختلفة .

ثم تطرقت إلى الكلام عن المجلات العسكرية في الفصل السادس فتتبع نشأتها بمصر ، وبدأت بـ « الجريدة العسكرية المصرية » فذكرت أبوابها وما تناولته من موضوعات ، وعن الغرض من إنشائها وإدارة تحريرها .

ثم تكلمت عن « مجلة أركان حرب » التي قامت بإصدارها هيئة أركان حرب الجيش المصرى بعد تكوينها ، والغرض من انشاء هذه الجريدة ، ومن يقومون بالاشراف على إدارة تحريرها ، والموضوعات التي تناوولها ، وصبغتها العسكرية البحثية « وقرنت بينها وبين الجريدة العسكرية . ثم تناوات جريدة الوقائع المصرية ، وأثبتت بأنها قد ساهمت أيضاً في نشر المعلومات التي تتعلق بالجيش ، مثل مباريات السباق التي كانت تقام أسبوعياً لسلاح الفرسان ، وكذلك أخبار تنقلات الجيش ، والبحوث الكشفية . وما توصلت اليه من نتائج .

وفي الفصل السابع من البحث تناولت المصانع الحربية بشيء غير قليل من التفصيل ، ويكاد يعتمد هذا الفصل كلية على الوثائق التي لم تنشر من قبل ، وفيه تفصيل للمصانع الحربية المختلفة ، وأسمائها وعدد الصناعات العساكر المشتغلين بها ، وما ينتجه كل مصنع من الأسلحة . ثم أوضحت بأن هذه المصانع كانت تنتج أنواعاً من الأسلحة ثقيل الجودة وانتقانا ، وأغلى ثمننا من نظيرتها المستوردة من الخارج . ولهذا فقد اقتصر عملها في أواخر أيامها على اصلاح المعدات الحربية ، وعمل قطع الغيار . واعتمد الخديو اعتماداً يكاد يكون كلياً على ما يستورده من الخارج من أسلحة ، وبيان أنواعها . وما كان يستخدم من الوسائل لاستيرادها سرراً دون علم السباب العالى . والدول التي كانت تمد مصر بالسلاح ، وبيان بعض المبالغ التي صرفت على التسليح وأخيراً أوضحت أثر الأزمة المالية في تعطيل معظم تلك المصانع إن لم يكن جميعها نظراً لحاجتها إلى المال .

ويشتمل الفصل الثامن على ديوان الجهادية وفروعه المختلفة ، وإدارة

الجيش المصري ، ومدى تعاون كل منها مع الأخرى ، ثم تطرقت إلى الكلام عن ميراثية ديوان الجهادية ، وهل كانت الميراثية كافية لسد مطالب الجيش المتزايدة في السنوات المختلفة ؟ ثم انتقلت منها إلى أرزاق الجنود ، وبدأت بها من عصر محمد علي ، وتبعت تطورها إلى أوائل عصر اسماعيل ، وما طرأ عليها من تعديل بعد ذلك ، وقارنت هذه المراتب بمراتب رجال الجيش في البلاد الأجنبية . وأوضحت المراتب في أثناء السفر ، وفي الاجازات المرضية والاعتيادية ، وفي حالة الاستدعاء . ثم تعرضت للضمانات التي منحت لرجال الجيش ، كالمعاشات والقواعد التي سارت عليها ، ونسبة المعاش للمرتب ، وعدد سنى الخدمة . وبعد أن فرغت من هذه النقطة ، تكلمت عن تعيينات الجنود ، ومقدار تعيين كل فرد والأنواع المختلفة من الأطعمة التي كان يتناولها الضباط والجنود . ويكاد يكون كل ما نشر عن هذا الموضوع جديدا في نوعه .

أما الفصل التاسع فيتناول هيئة أركان حرب الجيش المصري بالبحث فتكلمت عن دخول هذه الهيئة الجيش لأول مرة في عصر محمد علي ، ثم استمرارها بعد وفاته في عصر عباس والصف الأول من عصر سعيد ، ثم إلغاؤها وبعثها مرة أخرى في عصر اسماعيل في سنة ١٨٧٠ على يد الجنرال استون Stone الذي عين رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصري . وذكرت الأقسام المختلفة التي أنشئت في بداية تكوين الهيئة ، ثم ازديادها إلى أن أصبح عددها سبعة أقسام ، وأوضحت اختصاص كل قسم منها وعدد أفرادها ، ومدى تعاون هذه الأقسام بعضها مع بعض . ثم تكلمت عن هيئة أركان حرب سلاح المدفعية واختصاصاتها ، ومدى تعاونها مع

عموم هيئة أركان حرب . ثم أثبت بأن الهيئة لم تمارس اختصاصاتها ، إلا فيما ليست له صلة مباشرة بالجيش كحركة الكشوف الجغرافية ، وذلك لوقوف كبار رجال الجيش القدامى في وجه الهيئة ، ووضعهم العراقيين المختلفة في سبيلها . واستخلصت من هذا كله بأن هذه العقبات قد وجهت جهود الهيئة إلى ناحية أخرى ، لا تقل خطراً عن الناحية الحربية ، ألا وهي حركة الكشوف الجغرافية التي تعد مفخرة من مفاخر الجيش المصري ، وخصوصاً هيئة أركان حرب التي قامت بها وأشرفت عليها .

وخصص الفصل العاشر لقوات الجيش المصري ، فبدأت بذكر عدد قوات الجيش منذ تولية اسماعيل سنة ١٨٦٣ إلى قيام الثورة العرابية في سنة ١٨٨٢ . واخترت سنوات معينة لإبراز تطور هذه القوات وزيادتها ، فأوضحت عدد قواته في السنوات ١٨٦٣ و ١٨٦٦ و ١٨٧٠ و ١٨٧٤ و ١٨٧٦ و ١٨٧٨ و ١٨٧٩ . وفي كل سنة من هذه السنوات ذكرت عدد قوات الأسلحة المختلفة : وما تضمنه من ضباط وجنود وعتاد حربي . ثم أتيت بثبت لعدد قوات الجيش جميعها من برية وبحرية من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ .

وانتقلت من هذه النقطة إلى الكلام عن القوات غير النظامية : ويعتبر كل ما كتب عنها جديد وفريد في نوعه . وإذا كانت القوات النظامية لم تلق العناية التي تستحقها ، فلا غرابة إذا ما أهملت القوات غير النظامية إجمالاً يكاد يكون تاماً : فأثبت بذكر عدد هذه القوات ، والشروط الواجب توافرها في أفرادها ، والمهام التي كانت تسند إليها ، وتوزيعها وعدد أفراد (أوردى) الباشبوزقي (الجنود غير النظامية) ، وتعيين الجندي النفر ...

ثم تعرضت لإدارة القوات غير النظامية (ديوان السرجشمة) بمصر والسودان .

ثم تناوالت بالبحث عدد قوات الجيش المصرى بالسودان من جنود نظامية وغير نظامية ، وتوزعها على المديريات المختلفة بنسب معينة . وانتقلت بعد ذلك إلى التحالف العسكرية ، وتطورها ، وأسلحة الجيش ومعداته وأعلامه ، وملابسه .

وفي الفصل الحادى عشر تطرقت إلى حالة القوات المصرية بمصر والسودان ، وأوجه القوة والضعف فيها . وتنازلت الفلاح المصرى ، ومدى صلاحيته للجنودية ، وقارنت بينه وبين ضباطه من الأتراك ، وبينه وبين الجنود الأخرى من أتراك وسودانيين وعرب .

وفي الفصلين الثانى عشر والثالث عشر أبرزت المهام التى قام بها الجيش المصرى بالسودان ، فتناولت فى الفصل الثانى عشر الدور الذى لعبه الجيش المصرى فى القضاء على تجارة الرقيق : وقد سبقنى الكثيرون فى بحث هذا الموضوع ، ولكننى عالجت من زاوية خاصة ، فأظهرت بوضوح أثر الجيش فى القضاء على تلك التجارة الشائنة : فتكلمت عن حملة السير صحويل بيكر لأعلى النيل والغرض منها ، وما أنشأته من محطات عسكرية ، وذكرت كل محطة من تلك المحطات ، وأهميتها بالنسبة للاقليم الواقعة فيه . وعدد حاميتها من جنود مصريين وغير مصريين . ثم انتقلت إلى الكلام عن تعيين الجنرال غردون حاكماً عاماً للمديرية بخط الاستواء بإيعاز من إنجلترا لإتمام ما بدأه بيكر وللقضاء على تجارة الرقيق ، وفتح منطقة البحيرات للتجارة المشروعة . وأبرزت المخططات العسكرية التى أنشأها غردون فى هذه المناطق النائية ، وموقع كل محطة من الناحية الاستراتيجية ، وعدد حامياتها

من مصريين وغير مصريين ، ومن جنود نظامية وغير نظامية . ورسمت لكل هذه المخططات خرائط عدة ، تحدد مواقعها وتبين للتأريخ أن تلك المخططات كانت تكون شبكة من النقاط العسكرية التي ربطت أجزاء السودان بعضها ببعض ، ويفصل بين كل محطة وأخرى ، مسيرة يوم أو بعض يوم . فهذه السلسلة المتشابكة الحلقات ، كانت من دعائم النظام والاستقرار في تلك البقاع . ثم تطرقت للحديث عن تعيين غردون حكاماً عاماً للسودان ، والسياسة التعسفية التي سار عليها في القضاء على تجارة الرقيق ، والتي أدت إلى اشتعال نيران الثورة في أنحاء السودان ، وذلك تنفيذاً لمعاهدة إلغاء الرق التي أبرمتها إنجلترا مع الخديو اسماعيل . وأوضحت أن حركة التوسع في السودان كانت تملأ اعتبارات خاصة تتعلق بالقضاء على تلك التجارة الشائنة . ثم تكلمت عن تدخل إنجلترا لوقف التقدم المصري على الساحل الشرقي لأفريقيا ، وعن إخلاء غردون لبعض المخططات العسكرية في الجنوب في أواخر حكمه لإبريقته ، بحجة الاقتصاد في النفقات ، ولعدم وجود جنود كافية لحمايتها ، وأثر ذلك في اتساع الحركة المهدية .

وفي الفصل الثالث عشر تكلمت عن غزو الأقاليم السودانية غزوا علمياً من ضباط وجنود هيئة أركان حرب الجيش المصري . إذ تباع حركة التوسع في السودان ، حركة كشوف جغرافية واسعة النطاق ، امتدت من شمال الوادي إلى جنوبه . وأشرفت على هذه الحركة هيئة أركان حرب الجيش . وذكرت البعثات الكشفية المختلفة ، وغرض كل بعثة ، وخط سيرها وما قامت به من أعمال مع رسم صور من الخرائط التي قام بوضعها رجال الهيئة . وأبرزت بصفة خاصة ما قام به الضباط المصريون من أعمال جليلة ،

وما خلفوه من آثار. وقد اعتمدت كثيراً على ما نشرته هيئة أركان حرب في ذلك الوقت من نشرات عن تلك البعث.

وانتقل إلى الفصل الرابع عشر وهو الخاص بالأزمة المالية وأثرها في الجيش المصري. وهنا تبرز للقارئ صفحة قائمة من صفحات الجيش المصري. فالمرقبة الثنائية على مالبة البلاد جعلت كل ههما الإستيلاء على الجزء الأكبر من الميراثية لمصلحة الدائنين ، ولم تترك إلا جزءاً ضئيلاً لمرافق البلاد العامة ، ومنها الجيش. فكان من أثر هذه السياسة أن تأخرت مرتبات الضباط والجنود ما يقرب من ثلاث سنوات. فساءت حالتهم ، وانحطت روحهم المعنوية. ولم يقتصر الخطب على المرتبات فحسب ، بل شمل تعيينات (غذاء) الجنود، وملا بسهم وأسلة صهم: وأخيراً اضطرت نظارة نوبار (باشا) إلى الاستغناء عن عدد كبير من الضباط دون أن تصرف لهم متأخر استحقاقهم. فثار هؤلاء الضباط ثورتهم المعروفة ضد الوزارة ، ولم ينجل الموقف إلا بعد حضور الخديو اسماعيل. ثم يعقب ذلك تدخل الدول الأوروبية لدى الباب العالي لعزل اسماعيل ونجاحها في هذا المسعى ، وتولية الخديو توفيق ، وتحديد عدد قوات الجيش المصري بثمانية عشر ألف جندي في أوقات السلم. أى الرجوع مرة ثانية إلى أحكام فرمان سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بتحديد قوة الجيش. وبذلك تذهب جميع الجهود التي بذلت في سبيل ترقية الجيش ورفع شأنه ، أدراج الرياح.

وفي ختام الكتاب بينت حالة الجيش المصري عند قيام الثورة العربية ، ومدى قوته العسكرية ، ودوره في قيام الثورة ، وكيف انتزع زمام المبادرة من العناصر الرجعية التي كانت تريد أن توجه الثورة إلى غير وجهتها

الصحيحة . ووضحت كيف تم الصدام بين الجيش المصرى والقوات
الانجليزية ، وكيف صفت الثورة ، وحوكم زعماءها ، وسرحت قوات
الجيش المصرى ، وأصبحت مصر تحت رحمة قوات الاحتلال .

وبعد هذا العرض الشامل للجوانب المختلفة للجيش فى القرن التاسع عشر ،
ولاسيا النصف الثانى منه ، أرجو أن أكون قد وفقت فى إبراز الصورة
الحقيقية التى كان عليها ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

مقدمة

نشأة الجيش المصرى الحديث

نشأة الجيش المصرى الحديث

استبدت بكوات المماليك بأمر مصر فى العصر العثمانى ، فخفضت البلاد لسيطرتهم العسكرية ، وأخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عنها وحمايتها من أى إعتداء خارجى . واستمر الحال على هذا النحو إلى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر فى سنة ١٧٩٨ . فقاومها الأهالى والمماليك مقاومة شديدة ، ولكنها استطاعت التغلب عليهم بعد معارك عنيفة . فاعتصم بعض المماليك بالصعيد ، يناوئون الفرنسيين طوال مدة إقامتهم بمصر إلى خروجهم منها فى سنة ١٨٠١ . فظهرت قوة المماليك من جديد بجانب الحامية العثمانية : وحينما استتب ل محمد على الأمر فى ولاية مصر سنة ١٨٠٥ ، وجد أن قوة مصر الحربية تتكون من شذمة من الرجال جمعوا من أماكن متفرقة ، لا تربطهم بمصر صلة ، فهم مزيج من الترك والألبانيين والمغاربية والدلاة ، ولم يكن لدى هؤلاء الجنود وطينة أو مثل عليا يعتزون بها : بل كان يجمعهم حب السلب واقتسام الغنائم ، أكثر مما يجمعهم راية واحدة .

فلم يكن مصر إذاً فى ذلك الوقت بجيش بالمعنى الصحيح . ورغم ما أحرزه هؤلاء الجنود من انتصارات ، فلم يكن محمد على راضياً عنهم لأنهم كانوا كثيرى التردد والعصيان . فحدث أن تأخر محمد على مرة فى صرف مرتباتهم . فما كان منهم إلا أن اصطفوا أمام قصره وأطلقوا النار عليه ، فأمر محمد على جاميته ، ألا تقابل عملهم هذا بالمثل ، وحذى جنودهم

الدلاة ، وساد الرعب والمرج والمرج أنحاء القاهرة مدة ثمانية أيام : ولم يستتب الأمن إلا بعد أن دفع محمد على رواتبهم المتأخرة .

وذلك وطد محمد على العزم على التخلص من هؤلاء الجنود وتكوين جيش آخر من السود على النظام الأوربي الحديث . وكانت الحرب الوهابية التي استمرت من سنة ١٨١١ إلى ١٨١٩ فرصة نادرة انتزها محمد على للقضاء على هذه العناصر المشاغبة ، فسيرها إلى الحجاز ، حيث قضى على معظمها في صحراء بلاد العرب .

واتجه محمد على إلى الفرنسيين للاستعانة بهم في تزويده بالضباط اللازمين لتدريب جيشه الجديد . فوفد إلى مصر ضباط عدديدون ، أقدرهم وأعظمهم شأنًا الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرناوى فيما بعد) الذى يعتبر بحق مؤسس جيش مصر الحديث .

وقد خشى والى مصر من إثارة شكوك تركيا ، فبعث بالجنرال سيف إلى أسوان ، وزوده بألف من مماليكه ليتولى تدريبهم هناك على النظم الحربية الحديثة بعيداً عن أعين الساب العالى ورجاله . وقد خضع هؤلاء للنظام الجديد لأنهم كانوا ملكاً خاصاً لمحمد على . ولكنه عندما حاول تطبيقه على المماليك الآخرين ناروا ضده ، ولم يستقر لهم حال إلا بعد أن وعدهم محمد على بعدم التعرض لنظمهم الحربية التى نشأوا عليها . ومن ثم فكر والى مصر فى استخدام الجنود السود فى الجيش ، وكانت هذه الفكرة من اللواقع الأساسية لفتح السودان . ونتيجة لحركة التوسع فى السودان ، أن تدفقت أعداد كبيرة من الزنوج على اسوان فى جماعات ضخمة ، حيث أقيمت لهم المعسكرات ، واتخذت

الطبية اللازمة لوقايتهم . واكنهم رغم ذلك قد خيبيوا الآمال التي عقدها عليهم ، فمع كونهم على جانب عظيم من الشجاعة والاستعداد لقبول النظام الحديد ، وخضوعهم التام للنظام والتدريب العسكري ، فان طبيعتهم لم تستطع مقاومة المرض منها كان تافها . ولهذا كانوا يموتون بالعشرات ولم تحمل جميع الاحتياطات التي اتخذها الى مصر دون وقوعهم في براثن المرض وموتهم في النهاية . فاضطر امام هذه النتيجة السيئة الى الإلتجاء لتجنيد الفلاحين المصريين في الجيش . ولقد صادفته عقبات حمة في سبيل تحقيق هذا الغرض ، منها أن المصريين لم يستخدموا للدفاع عن أراضيهم منذ عهد الفراعنة ، ولهذا لجأ البعض الى تشويه أجسادهم هربا من الخدمة . فاضطر محمد على الى قبول المشوئين بالجيش وإسناد أعمال الحفر ، ومد الخطوط الحديدية اليهم ليكونوا عبءة لغيرهم . واشددة كراهية الفلاحين للجندية كانت تاجاً الحكومة الى أخذهم بالقوة مكبلين بالحديد ، ولهذا كثرت حوادث الفرار من الجندية في السنوات الأولى من استخدامهم في الجيش . وقد سلك والى مصر مختلف الطرق لترغيب الفلاحين في الجندية عن طريق الوعاظ ورجال الدين والمرتببات .

وقد وجد الجنرال سيف في بادئ الأمر صعوبات حمة أقامها هؤلاء المماليك في وجهه ، لأنهم جباوا على عدم الخضوع لنظم عسكرية دقيقة . فحاولوا اغتياله ، وأولا شجاعته ومقدرته ، وحسن سياسته ، لما نجح في مهمته ، حتى أنه اضطر الى اعتناق الإسلام تسهلا لهذه المهمة . ونظرا لشدة الحرارة بأسوان وبعدها عن العاصمة ، وصعوبة المواصلات بينها وبين القاهرة ، وتعرض معظم الجنود للمرض ، أن نقلت المدرسة الحربية الى اسنا ، واستمرت (٢)

بها بعض الوقت ، ثم نقلت مرة ثانية إلى إخميم ومنها إلى الدخيلة بجوار أسيوط ،
ثم استقرت في الخانقاة قرب القاهرة .

وفي سنتي ١٨٢١ - ١٨٢٢ أنشأ محمد علي ديوان الجهادية للنظر في
أمور الجيش والإشراف على تدريبه وتزويده بالأسلحة والمهمات وبناء
الكتكات العسكرية .

كما استعان والى مصر بالبعثة الفرنسية برياسة البارون بوايه Boyer لتنظيم
الجيش المصرى على النمط الفرنسى . ومعظم رجال البعثة كانوا ممن خدموا تحت
إمرة نابليون . كما استخدم بعثة عسكرية بولندية من ضباط الجيش البولندى
بعد استيلاء روسيا على بولندا بمقتضى قرارات مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ في
تنظيم الجيش وتدريبه .

إنشاء المدارس الحربية

أنشأ والى مصر في قرية جهاد أباد (قرب القاهرة) في سنة ١٨٢٥
مدرسة أركان حرب ، وقام بتأسيسها الضابط الفرنسى بلانا Planat
ثم انشئت مدرسة البيادة في سبتمبر سنة ١٨٣٢ لتخريج ضباط لفرق المشاة .
وتأسست مدرسة السوارى في أبريل سنة ١٨٣١ لتخريج ضباط ل سلاح
الفرسان . ومدرسة الطوبجية (المدفعية) بطرة في سنة ١٨٣١ لإعداد ضباط
مدفعيين . كما انشئت في سنة ١٨٢٧ مدرسة للموسيقى العسكرية لامداد
آلات (اوائت) الجيش بالفرق الموسيقية .

البعثات العسكرية

واهتم والى مصر بايفاد البعثات العسكرية إلى مختلف الأقطار الأوربية

مثل الدويلات الايطالية ودول فرنسا والنمسا وانجلترا ، ليتلقى هؤلاء المبعوثون مختلف الفنون العسكرية ، ليحلوا محل الضباط الأجانب بعد عودتهم إلى مصر حيث يقومون بتدريب بنى وطنهم على ما أكتسبوه من علم ومعرفة . وقد بلغ عدد مبعوثى البعثات العلمية المختلفة التى ارسلت إلى الدول الأوروبية ٣٣٩ تلميذا فى الفترة ما بين ١٨١٣ وسنة ١٨٤٨ . ومعظم هؤلاء ارسلوا للتخصص فى الفنون الحربية والعلوم التى لها صلة بالجيش .

عدد قوات الجيش

أراد الوالى أن يكون لمصر جيش كبير يعتمد عليه فى تحقيق أطباعه الواسعة ، ولئلا لم يدخر وسعا فى زيادته زيادة كبيرة . وقد ذكر دوهاميل Duhamel قنصل روسيا العام بمصر (من يناير ١٨٣٤ إلى نوفمبر ١٨٣٧) بأن عدد قوات الجيش المصرى فى سنة ١٨٣٧ كانت تتكون من « ثلاثة آلايات (لواءات) من المشاة - منها آلايان كاملان من السود أرسلتا من سنار إلى البن عن طريق مصوح ، كما يتألف من آلايين من فرسان الحرس ، وأربعة عشر آلايا من الفرسان المقاتلة ، وآلايين من المدفعية المشاة ، ومثلها من المدفعية الراكبة ، وأروطين (كيتبتين) من المهندسين ، وعدد كبير من البلطجية (حملة البلط) يظنون فى المدين للقيام بشئون الحراسة» (١) وبلغت عدد قوات الأسلحة الثلاثة ما يلى :

(١) تقرير دوهاميل المترجم فى كتاب بناء دولة مصر عهد على محمد فؤاد شكرى وآخرين ص . ٣٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١ .

المشاة	٢٩ آلايا	٩٢ر٨٠٠	رجل
الفرسان	» ١٦	١٣ر٤٤٠	»
المدفعية	» ٣٦	٦ر٩١٢	»
المهندسون	(اورطنان)	١ر٦٠٠	»
المجموع		١١٤ر٧٥٢	»

وقدرالمستر جون بورنج John Bowering مبعوث انجلترا إلى مصر عدد قوات الجيش فيا بين سنة ١٨٣٧ و ١٨٣٨ بحوالى ١٥٠ر١٢٧رجلا(١) وقد نشرت مجلة (٢) Revue Britannique مقالا عن قوات الجيش المصرى فى عصر محمد على . واعتمدت المجلة على الوثائق الرسمية فى إحصاء عدد جنود الجيش ، جاء به ما يلى :

قوات المشاة : وتتكون من :

١٠٨ر٠٠٠	رجل ٣٤ آلايا (لواء)
٣ر٤٠٠	» أركان حرب (بمعدل ١٠٠ رجل لكل الآى مشاة)
٢٠٠	» قائد الجيش (ابراهيم باشا) ومعاونيه
١١١ر٦٠٠	» مجموع قوات المشاة

(١) تقرير بورنج الذى رفعه إلى حكومته فى مارس سنة ١٨٣٩ عن مصر وكريت ص ٤٧٦ معرب فى كتاب بناء دولة مصر مجد على لفؤاد شكرى وآخرين .
(٢) هذه المقالة مستخرجة من عدد المجلة المذكورة . ومسجلة بدارالكتب المصرية تحت رقم ولم يذكر فى هذا المستخرج رقم العدد الذى نشر فيه ولا سنة الطبع . كما لم تنشر المجلة قيسه إلى سنة الاحصاء .

قوات الفرسان : وتشتمل على :

١٥ آلايا (ويتألف كل الآي من ٨٦٠ رجلا)	رجل	١٢٩٠٠
بلوكين (ضابط القيادة)	رجل	٢٨٠
تقريبا	رجل	١٣١٨٠
(مجموع قوات المشاة والفرسان)		١٢٤,٧٨٠

قوات المدفعية : وتتألف من :

عدد		
٦ آلايات مشاة (مدفعية مشاة)	}	رجل ٢٥٨٩٠
٢ آلاي مدفعية فرسان		
٣ أورط (كتيبة) حرس		
١٨ بطارية		
٤ أورط (كتيبة) محارين قدامى		
٩ أورط « لسلاح خدمة الجيش أورطه « بلطجية		
٢ بلوك (فرقة) بلطجية		
من البدو	رجل	٥٠٠٠
من الالبانيين	رجل	١٠٠٠
من المغاربة	رجل	١٥٠٠
المجموع الكلي لقوات الأسلحة الثلاثة	رجل	١٥٨٩٧٠

المرتبات

أما من حيث المرتبات فكان يصرف للعسكري النفر مبلغ ١٥ قرشا شهريا . ثم تتدرج المرتبات في الزيادة إلى أن تصل إلى ٢٥٠ كيسة في السنة لمرتب المير لواء (١) .

ملابس الجيش

وكان زي الجنود وسطا بين الزي الشرقي والزي الأوربي، ويتكون من سترة تحتها صديري وسررال فضفاض مشدود إلى ما تحت الركبتين (٢) .

حروبه

خاض جيش مصر في عهد محمد علي معارك كبيرة ، فحارب الوهابيين من سنة ١٨١١ - ١٨١٩ وتغلب عليهم . ثم وجه إلى مصر اهتمامه إلى السودان ، فأرسل ابنه اسماعيل على رأس قوة حربية في سنة ١٨٢٠ لفتح تلك البلاد، فتمكن بمساعدة صهره الدفتر دار (بك) من فتح الأراضى السودانية وإلحاقها بمصر . ثم ظهرت قوة مصر الحربية مرة أخرى في حرب المورة سنة ١٨٢٤ حيث استعان السلطان محمد علي في إخضاع ثوار شبه الجزيرة بعد أن فشلت أربع حملات تركية في إخضاعهم . وتمكنت الحملة من النزول إلى شواطئ اليونان والاستيلاء على مدينتها الرئيسية مثل تريبولتار وتراس ومسولونجى وأثينا ولم يعق تقدم القوات المصرية سوى تدخل الدول الأوربية لوضع تسوية للنزاع القائم بعد وقعة نوارين . وبذلك جلت القوات المصرية عن اليونان في أكتوبر سنة ١٨٢٨ .

(١) تقرير بورنج بعرب في كتاب بناء دولة مصر عهد علي ص ٤٧٧

(٢) المصدر السابق .

ثم ساءت العلاقات بعد ذلك بين محمد علي والباب العالي لتولى خورشيد (باشا) عدو محمد علي اللود مقاليد السياسة في تركيا ، ولعدم مكافأة محمد علي مكافأة طيبة نظير مساعداته الحربية للسلطان ، فاضطر محمد علي إلى الزحف على الشام في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨١٣ بجيش كبير يتراوح عدده بين ٣٠ و ٤٠ ألف جندي تحت قيادة ابنه ابراهيم (باشا) . فاستولى على غزة وريافا وعكا، ثم تقدم إلى دمشق فاستولى عليها، وهزم الجيش التركي في موقعة بيلان في ٢٩ يوليه سنة ١٨٣٢ . ثم في موقعة قونية في ٢١ ديسمبر حيث قضى على الجيش العثماني . وعقدت معاهدة كوتاهية في مايو ١٨٣٢ ، ففتح محمد علي ولاية مصر والشام، وعين ابنه ابراهيم باشا واليا على اذنه. ولم يكن صالح كوتاهية إلا هدنة لاستئناف القتال من جديد . فهزم الجيش العثماني أمام محمد علي في موقعة نصيبين في ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ .

وعندئذ تدخلت الدول الأوروبية لفض النزاع بين مصر والباب العالي خشية تدخل روسيا في أمور تركيا ، خصوصا بعد أن عقدت معها معاهدة أنكيار اسكسبي في ٨ يوليه سنة ١٨٣٣ . فأرسلت كل من بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا وفرنسا مذكرة مشتركة إلى الباب العالي في ٢٧ يوليه سنة ١٨٣٩ تنص على أن أى اتفاق بين محمد علي وبينه مباشرة دون علم الدول الموقعة على المذكرة يعد لاغيا . ثم تعارضت السياستين الفرنسية والانجليزية بشأن الممتلكات التي تمنح لمحمد علي ، وأدى هذا التعارض إلى اتفاق الدول الأربع الأخرى وهي النمسا وبروسيا والروسيا وانجلترا دون إشراك فرنسا في معاهدة لنساند ١٥ يولية ١٨٤٠ . ثم تلا ذلك تدخل الدول الموقعة على المعاهدة بالقوة لإجلاء جيش مصر عن الشام . فاضطر محمد

على نتيجة للهزائم التي منيت بها جيوشه إلى سحقها . وحينئذ توسطت هذه الدول لدى الباب العالي لفض النزاع ، فأصدر إلى محمد علي فرمانين أحدهما في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، والثاني في غرة يونيه من نفس السنة . وقد وضع هذان فرمانان الأساس الذي قامت عليه المسالمة التركية المصرية . وينص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ فيما يختص بالجيش المصرى على ما يلى : « حيث أن ثمانية عشر ألفا من الرجال يكفون لإتارة ولاية مصر الداخلية ، فلا يسوغ أن تتعدوا هذا المقدار من العساكر بأي سبب كان . ولكن لما كانت قوات مصر البرية والبحرية معدة بنوع خاص لخدمة الباب العالي ، فلا بأس من ازدياد هذا العدد في أوقات الخرب بما تراه حكومتنا مناسبة ، وبمقتضى أحكام إحدى النظمات الجارية العمل بموجبه تستخدم العساكر المجموعة جديدا في سائر ممالكننا المحروسة خمس سنوات . فإذا مضت يستبدلون بسواهم . بناء على ذلك صار من اللازم أن يتبع نفس هذا النظام في ولاية مصر ، مع مراعاة عوايد المصريين فيما كان متعلقاً بمدة الخدمة العسكرية ، واستعمال قصارى العدل في معاملة الجنود . وكون الواجب أن ترسل ولاية مصر ٤٠٠ رجل سنويا إلى الآستانة ، على أنه يقتضى أن لا يكون فرق بين النشانات والرايات المستعملة في جنديّة مصر وبين ما تستعمله عساكرنا في سائر الممالك العثمانية . وأن يلبس ضابطان (ضباط) البحرية المصرية نفس العلامات التي يلبسها ضابطان البحرية الأتراك ، وأن تكون رايات السفن المصرية مماثلة لنفس السفن التركية . ومن ثم لوالى مصر أن يرقي ضباطه البرية والبحرية حتى رتبة اميرالاي (عميد) . أما الترقى لما فوق هذه الرتبة كرتبة الميرلواء والفريق فن اللازم ضرورة أن تطلبوا رضانا الملوكى ، وتحصلوا على

أوامرنا الشاهانية بشأنه . وليس لولاية مصر في المستقبل أن ينشئوا ولا سفينة واحدة قبل حصولهم على رضا الباب العالي ، وعلى رخصة صريحة منه في ذلك . وهذه الشروط جميعها مرتبطة كل الارتباط بالامتياز الوراثي . فإذا لم ينفذ منها شرط واحد يبطل حينئذ الامتياز الوراثي المذكور ويزول للحال (١) ... »

قيد هذا الفرمان خلفاء محمد علي بقيود ثقيلة فلم يستطع كل من عباس وسعيد التخلص من هذه القيود ، رغم ما بذلاه من جهود ضخمة في هذا السبيل ، إلى أن ولي اسماعيل الحكيم فأخذ في تحطيم هذه القيود قيادا قيادا كما سنرى في الفصول القادمة .

ويمكننا القول أنه رغم الانتصارات التي أحرزها جيش مصر في عصر محمد علي ، يذكر القنصل الانجليزي العام بمصر وقتئذ المستر باتريك كامبل Patrick Campbell في رسالة (٢) بعث بها إلى اللورد بلمرستون في ٦ يونية سنة ١٨٤٠ حيث يقول « ومع أن الجيش المصري ليس في مركز يمكنه من أن يوازن بينه وبين الجيوش الأوروبية التي نظمت تنظيمًا راقيا إلا أنه يخيل إلى بأنه يفوق أي جيش آخر كونته حكومية شرقية . كما أنه في حالة تجعله قادرا على أن يقهر أية قوة عسكرية يواجهها الباب العالي أو أية دولة اسلامية أخرى . »

(١) قاسوس الادارة والقضاء ص ٦٧٥ .

(٢) تقرير المستر باتريك كامبل معرب في كتاب بناء دولة مصر مجد علي

من هذا القول نستدل على أن تجربة استخدام المصريين في الجيش المصري في العصر الحديث قد أثبتت نجاحها ، وقضت على الادعاء الذي ظل يردده الكثيرون بأن المصري لا يصلح للجنسية . وبأن بعده عن الجيش مئات السنين جعلته مرتبطاً بأرضه وبحقله ، لا يود مفارقتها أو الابتعاد عنه . ومن ثم فهو غير صالح لأعمال الحرب . وإذا كانت قوة الجيش المصري قد أصبحت - حسب تقدير - قنصل إنجلترا الجنرال بمصر قادرة على قهر أى عدوان يقع عليها من الدولة العثمانية أو أية دولة اسلامية ، وذلك بعد سنوات قليلة من التدريب والإعداد ، فان دل ذلك على شيء فأنما يدل على قدرة الفلاح المصري الذى كان عماد الجيش فى ذلك الوقت واستعداده لأن يكون جندياً ممتازاً إذا ما اتاحت له الظروف لتلقى تدريباً عسكرياً راقياً (١) .

(١) وخير مثل على ذلك ما وصل اليه الجيش المصري من قوة وسنعة في عهد الثورة ، وذلك بفضل الجهود الصادقة التي يبذلها المسئولون عنه للارتقاء بمستواه عسكرياً وثقافياً قوميّاً .

الفصل الأول

علاقات مصر بالباب العالي والخطوات التي اتبعتها
في سبيل استقلالها وإطلاق يدها في الجيش

علاقة مصر بالباب العالي والخطوات
التي اتبعتها في سبيل استقلالها واطلاق
يدها في الخليج

لتتبع الخطوات التي مرت بالعلاقة بين الخديو اسماعيل والباب العالي ، لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلا لمعرفة ما بذله كل من عباس وسعيد من جهود في هذا السبيل . فبالنسبة لعباس فقد ورث حكم مصر طبقا لنصوص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ وما اشتمل عليه من قيود ، ومنها ما يتعلق بالخليش وتحديد عدده بثمانية عشر ألف جندي في أوقات السلم . على أن يزداد هذا العدد في أوقات الحرب طبقاً لما يراه الباب العالي . كذلك حدد فرمان مدة الخدمة بخمس سنوات ، على أن ترسل مصر أربعائة جندي سنويا إلى الاستانة على سبيل العون العسكري ، وكذلك نص فرمان على وجوب مطابقة زي الضباط والجنود ونياشينهم ورايات السفن لما هو مستعمل بالدولة العثمانية . ومنح الوالي حق الترقية إلى رتبة أميرالاي (عميد) وأما ما فوقها من الرتب فلا بد من أخذ موافقة الباب العالي عليها . كما حظر فرمان على الوالي بناء سفن حربية من أى نوع . وجعل حق الوراثة مرهون بتنفيذ تلك الشروط .

فعباس الأول كان إذاً مقيدا بهذه الشروط التي وردت بالفرمان المذكور ، ولم يكن في استطاعته خرق هذه النصوص ، لأن وراثة حكم مصر كانت مرهونة بضمان تنفيذ تلك النصوص . وفي نفس الوقت نجد أن الباب العالي كان يعمل جاهدا على الانتقاص من حقوق وامتيازات عباس التي حددها فرمان السابق ، فاستغل الشرط الوارد بفرمان سنة ١٨٤١ الذي

يحتّم على رالى مصر قبول جميع المعاهدات والاتفاقيات التى يعتمدها السلطان مع الدول الأوروبية ، وتنفيذ القوانين والتنظيمات السائدة فى الدولة العثمانية وممتلكاتها فى إرغام الوالى على قبول « التنظيمات الخيرية العثمانية » وتطبيقها فى مصر . فقبول هذا الطلب معناه تخلى مصر عن مركزها الممتاز الذى كفلته لها الفرمانات ، واعتبارها مجرد ولاية عثمانية تتبع تركيا فى أنظمتها وقوانينها . ولكن والى مصر لم يرضخ لطلب الباب العالى الذى كانت تؤيده فرنسا ، ورأى بعد تجربة محمد على الفاشلة فى الاعتماد على تأييد فرنسا فى صراعه مع السلطان أن مصالحةته تحتّم عليه الانضمام إلى جانب إنجلترا . وقد رحبت إنجلترا بهذه الخطوة ، وكانت على استعداد لتأييد عباس للاحتفاظ بكامل حقوقه وامتيازاته فى مقابل تدعيم نفوذها فى مصر على حساب النفوذ الفرنسى . وبفضل تأييدها له ، تمكن عباس من الخروج من هذا الصراع محتفظاً بحقوقه من الناحية النظرية ، بينما إتاحت له لإنجلترا فرصة التدخل فى شؤون مصر قد قضى من الناحية الفعلية على سلطانه ، ومهد السبيل لمزيد من التدخل مما سيكون له أوجم العواقب .

وفى نفس الوقت كان أقارب عباس بالاستانة يوقعون بينه وبين الباب العالى لإبعاده عن الحكم ، وقد شغلت تلك المشاكل وقت عباس .

فكان عباس إذاً يعيش فى خوف دائم من السلطان ومن أعدائه ، فلا عجب إذا ما احتفظ بقوة حربية كبيرة تبلغ ٨٠٠٠٠ جندى نظامى و ٢٠٠٠٠ من جنود الباشبورق (١) . أى أن قوته الحربية بلغت فى وقت معين ما يقرب من المائة ألف جندى (٢) . وهذا العدد يخالف بطبيعة الحال - ما هو

1. Malortie, Native Rulers & Foreign Interference P.

2. Leon; The Khedive's Egypt. P. 374.

منصوص عليه في فرمان يونيه سنة ١٨٤١ .

وقد دفعه خووفه هذا إلى العناية الفائقة بتحصين السواحل المصرية ، فأمر « بترميم الاستحكامات والطوابق والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جليس بك ... وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخالها في النقط الميمنة ، ومن ذلك قلعة مقابر اليهود ، وقلعة أبي قير ، وقلعة المعجمي . ولم يزل ملتفتا إلى الاستحكامات والقلاع والحصون ، عازما على إتمامها ، فكان يباحق بها ما يلزم من الورش ، والبطاريات الطوبجية ، وقشلاقات العساكر الخادطين ، والاستياليات وغير ذلك ، حتى انتظم أكثر القلاع التي كان يجده وعمه يهتمين بها ، وبنيت ورشة للطوبجية في وسط المدينة ، (الاسكندرية) في شرق الخمل المعروف بكوم الناضورة .. مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك» (١) .

كذلك اهتم اتماما بالغا بالدفاع عن الاسكندرية في حالة مهاجمتها « فكشف سواحل البحر الاحمر من الاسكندرية إلى العريش ومنها إلى مطروح ، وكشف بحيرة مريوط إلى حدود المزارع من مايرية البحيرة إلى حدود الأرض المرتفعة من جهة وادي النطرون وسيوه وجميع الجزائر التي بالبحيرة . وعمل اكل ذلك رسوم وظنرت الآبار والسواقي القديمة المكشوفة وغيرها ... والطرق التي كانت تصل إلى الاسكندرية من كل جهة . واهتم أيضا بكشف الصهاريج التي بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل عليه وقدر ما تسعه من الماء» (٢) . وذلك لمعرفة مدى ما تحتمله المدينة من حصار . كما

(١) على مبارك باشا . الخطة التوفيقية ج ٧ ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البحر المتوسط [البحر] بحر اللام كذا في

أصدر أمره في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠ « بإنشاء ثمانية أبراج و٢٧
متراسا بين أدكو وبوغاز رشيد... بشرط ألا يتجاوز عدد الشغالة اليومي
ثلاث الآف » (١).

وانقضت مدة حكم عباس دون أن يحدث تغيير ما في نصوص فرمان
سنة ١٨٤١، وبخاصة ما يتعلق منها بالحيشن. ومع أن عباس احتفظ بعدد
من الجنود أكبر مما نص عليه فرمان المذكور، إلا أن هذا الإجراء لم
يكن خروجاً على الباب العالى ونصوص فرمان. بل إن عباس قد استغل
حالة الحرب القائمة بين الباب العالى وروسيا في الاحتفاظ بهذا العدد الكبير.
ويرجع السبب في عدم حدوث تغيير في نصوص فرمان يونيه سنة ١٨٤١
إلى أن عباساً « لم يكن يرضى وجهة جده الغربية، ولا نزعة الاستقلالية
الامبراطورية » (٢).

ثانياً أن عباس اعتقد « أنه يستطيع أن يحقق أغراضه بمساعدة إنجلترا وحدها،
دون أن يحسب للباب العالى أى حساب. ولهذا لم ينجح في تحقيقها » (٣).

(١) مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمفعول له عباس (باشا) الأول. جمعها
الأمير السابق محمد على. (إدارة إلى الكتيختا في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠).
(٢) اسماعيل (باشا) بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته. مقالة الأستاذ الدكتور
محمد مصطفى صفوت « موقف مصر السياسى » ص ٩٢.

3. Sammarco, Le Règne du Khedive Ismail T. III p. 129.

علاقة سعيد بالباب العالي (فيما يتعلق بالجيش)

واجتهت سعيد عند ولايته لمصر مشاكل متعددة نشأت في الفترة السابقة لحكمه ، لا سيما ما يتعلق منها بالضرائب ، ومقاومة الرق ، وإعادة تقسيم النظام الإداري بالسودان ، والبناء الاحتكار وقد حاول سعيد أن يظهر اهتمامه بالجيش ، ولكنه كان اهتماماً سطحياً لم يمس جوهر النظام ، وإنما اقتصر على تغيير ملابس الجيش بأخرى روعى فيها الترف والإسراف أكثر مما روعى فيها ملاءمتها لظروف مصر وطبيعة مناخها .

فنجده يشتري ٢٠,٠٠٠ سترة عسكرية بأزرار من الفضة الكبيرة الحجم حتى ستر الأنفار (١) . وغير لباس العساكر الأستانبولي أو الفرانك Frank الذي اختاره عباس بلباس شرقي . فألبس المشاة سراويل منشفة وفوقها جاكينات بيضاء بأزرار معدنية ، كما ألبس عدة بلوكات من السوارى لباساً غير مألوف . كذلك كان للأوزة السودانية ملابس خاصة ، فكان يرتدى الجندي السوداني سترة من الزرد تكس جسده من رأسه إلى قدميه - مثل الصليبيين الأوائل - وكانت لهم حتى سوداء ونظارات مخيفة وعيون شديدة البياض غير مستقرة . وكانوا مسلحين تسليحاً (٢) كاملاً . فهذه النفقات الباهظة التي صرفت على الملابس أربكت مالية البلاد حتى اضطرت في أواخر أيامه إلى الاستدانة . وما ذلك إلا لإرضاء غروره وحبه للباهة والعظمة . والتعديلات الوحيد الذي أدخل على نظام الجيش هو تقصير مدة الخدمة إلى سنة ، وجعلها اجبارية .

(١) Abdin Amr. Vol. 3 despt. No. 28 in June, 27, 1863.

(٢) Edwine de Leon; Khedive's Egypt P. 69.

(٣)

وبلغ عدد الجنود في أوائل حكمه ٣٥,٧٤٢ رجلا . وفي سنة ١٢٧٧ هـ (٦٠-١٨٦١) بلغ عددهم ٦٤,٠٠٠ رجل . ولكن سعيد لم يكن يستقر عند رأى معين « فهو دائم التغير ففي يوم نجد عدد الجنود ٥٠,٠٠٠ ، وفي يوم آخر ربما نجد نصف هذا العدد فقط . وكان يتبع في ذلك وحى ساعته » (١) . وفي أواخر أيامه انخفض عدد الجيش المصرى إلى ٣,٠٠٠ جندى وقت السلم و ١٥,٠٠٠ جندى وقت الحرب . فحاكم هذه صغامة لا يستطيع أن يعتنق سياسة معينة يسير عليها لتحقيق أغراضه .

وفي عهد سعيد يتفوق النفوذ الفرنسى على النفوذ الانجليزى في مصر بحكم ميله إلى فرنسا ، وصادقته لبعض الشخصيات الفرنسية ، فنجح فرنسا امتياز القناة بشروط مجحفة بمصر ، إذ اعتقد أن بمساعدة فرنسا وحدها يستطيع تحقيق ماآربه دون أن يجعل للباب العالى في تقديره أى حساب . وفي نفس الوقت كانت إنجلترا تسعى لدى السلطان بمحاولة إساءة العلاقات بينه وبين سعيد لمولاه الفرنسية .

ويذكر الأستاذ محمد شفيق غربال بهذا الخصوص قوله : « بأن خلفاء محمد على لم يكونوا مطلقى السيد ليختطوا لهم في حكم مصر وسياستها خطة جديدة ، ولكنهم كانوا مقيدين - سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا به . وسواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا فيه - بالتسوية التى انتهى إليها محمد على في

Malortie : Native Rulers & Foreign Interference P. 96 (١)

Mc. Coan : Egypt as it is. p. 99 (٢)

تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية وتوضيح إصلاحاتها بأهم الغرب « (١) .
والكنى أضيف إلى ذلك أن هؤلاء الولاة كانوا يعلمون علم اليقين أن بقاءهم
في حكم مصر مرهون أولا وقبل كل شيء برضاء الدول الأوروبية
عليهم ، لا سيما إنجلترا وفرنسا . وأن هذه الدول قد حفظت لهم حكم مصر ،
وكان في مقدورها - لو أرادت - بعد هزيمة قوات محمد علي في الشام أمام
القوات الإنجليزية في سنة ١٨٤٠ أن تعزل محمد علي من ولاية مصر وأن
تعيدها لحكم الباب العالي المباشر .

علاقة اسماعيل بالباب العالي (فيما يختص بالجيش)

لم تكن المهمة التي ألقيت على عاتق الخديو اسماعيل عندما ولي حكم
مصر هينة ، فقد كانت البلاد في أشد الحاجة إلى الإصلاح الداخلي من جهة
والى تنظيم علاقتها بالباب العالي على أساس التخلص من قيود فرمان يونيه
سنة ١٨٤١ من جهة أخرى . فوضع اسماعيل برنامجاً يتفق ونزعه الاستقلالية
ويتلخص في ثلاث نقط أساسية هي (٢) :

أولا - العمل على أن تساير مصر ركب الحضارة الأوروبية وذلك بتنمية
مواردها الاقتصادية . وترقية مستوى السكان بها عن طريق
نشر التعليم ، وإن كان اسماعيل قد اهتم بالمظاهر التي كلفت
مصر أموالا طائلة ، والتي لا تحقق أى عائد تفيد منه البلاد . مما
أربك مصر في الديون .

(١) اسماعيل بمناسبة سرور . ه . عاماً على وفاته . شفيق غربال بك « نظام
الحكم » ص ٢٨٨ .
(٢) ١. Sammarco, Le Règne du Khedive Ismail. p. 28.

ثانياً - تخليص البلاد من قيود التبعية والسير بها خطوات واسعة لنيل استقلالها : وقد اعترض طريقه عقبات ثلاث هي : الامتيازات التي منحت لشركة قنساء السويس ، وتبعية البساب العالي مع ما تنطوي عليه من قيود ، والامتيازات الأجنبية .

ثالثاً - جعل مصر القوة الحربية الأولى في القارة الأفريقية . ويتوقف تحقيق هذه النقطة على تحقيق النقطتين السالفتين .

أما عن علاقته بالباب العالي وخاصة فيما يتعلق بالجيش ، فيمكننا القول بأنها مرت بأربع مراحل متميزة هي :

المرحلة الأولى

مرحلة العلاقات الودية مع الباب العالي ، وقد حصلت مصر في خلالها على فرماني ١٨٦٦ و ١٨٦٧ .

المرحلة الثانية

وتتميز بعلاقات متوترة في خلال سنتي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ .

المرحلة الثالثة

وهي المرحلة التي عادت فيها العلاقات الطيبة إلى مجراها الطبيعي مرة أخرى ، وحصل فيها الخديو على فرمان شامل سنة ١٨٧٣ .

المرحلة الرابعة

وفي خلالها لم يكن الخديو حرّاً في علاقاته مع الباب العالي لأنها خضعت للتدخل والضغط الأوربي ، لاسيما من دولتي إنجلترا

وفرنسا (١) وليس معنى ذلك أن المراحل السابقة قد دخلت من تدخلها ، بل كانت كلتا الدولتين « تتدخل من حين لآخر لدى الباب العالي للزيادة من حقوق مصر أو الانتقاص منها حسبما تسمح مصالحها» (٢) ولكن سياسة فرنسا وإنجلترا حينئذ كانت ترمى إلى عدم تمكين مصر من الاستقلال استقلالاً تاماً عن تركيا . وفي نفس الوقت لا توافقان على خضوعها خضوعاً كلياً للسيادة العثمانية .

بدأ اسماعيل بتوجيه جهوده إلى تغيير نظام الوراثة الوارد بالفرمان المذكور ، وذلك بحصرها في ذريته ، لأنه رأى أن استقلال مصر لا يكون مؤكداً إلا إذا قامت على حكمها أسرة تسير على النمط الأوربي (٣) . وكان يقاوم هذه الفكرة الخطيرة الأمير مصطفى فاضل أخوه من غير أمه ، والذي كان ولياً للعهد بحكم فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، وعمه (الأمير) حلیم الذي كان يطمع في الولاية كذلك :

أراد والى مصر إذاً أن يكمل سياسة جده بعد سنة ١٨٤١ ، لكنه لم يعتمد إلى طريق الحرب كوسيلة للوصول إلى أغراضه ، لأن التجربة القاسية التي مرت بمحمد على كانت لا تزال ماثلة أمامه . ولذا فضل أن يشترى - إن صح هذا التعبير - من الباب العالي الاستقلال الذي فشل

(١) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail T. 3 p. 128.

(٢) اسماعيل بمناسبة سرور . ه . عابا على وفاته . مقالة الدكتور صفوت «سوقف مصر السياسي» ص ٩٣ .

(٣) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail. T. 3 p. 128.

محمد علي في الحصول عليه بقوة السلاح، مستغلاً حب السلطان للمال، وسوء الحالة المالية في الامبراطورية العثمانية، واشتباك المصالح الأوروبية وقتئذ.

بدأ والى مصر في تنفيذ خطته بالسفر إلى الأستانة في ١٩ فبراير سنة ١٨٦٣ لحس نبض الباب العالي، فلم يجد الطريق أمامه ممهداً فرجع إلى مصر. ثم تبع ذلك زيارة السلطان عبد العزيز لمصر في ٧ أبريل من نفس السنة، تلك الزيارة التي أتاحت لاسماعيل فرصة التحدث مع السلطان مباشرة فيما بينهم مصر والدولة العثمانية. وفي نفس الوقت استأجر الوالى عدداً غير قليل من الجرائد التركية مثل جريدة الحوادث، وقد اشترك في مائة نسخة (١)، وجريدة تركيا « La Turquie »، وتشير إحدى الوثائق إلى صرف مبلغ ثلاثة آلاف فرنك إلى هذه الجريدة في سنة ١٨٦٦ (٢). ومن هذه الجرائد أيضاً جريدة « ولد الحوائب » وعدد النسخ المشترك فيها خمس عشرة نسخة (٣)، وجرائد أخرى مثل « الحوائب »، « والخبر »، و«تصوير أفكار»، و«أبنية الوطن» (٤)، وجريدة « فاردي بوسنور» (٥)، وجريدة « استانبول

-
- (١) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ١٦٦ في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦)
 - (٢) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٢٠٤ من الديوان الخديوي إلى القيوكتخدا في ١٦ شعبان سنة ١٢٨٣ (دئسمبر ١٨٦٦).
 - (٣) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٣٠٤ من الديوان الخديوي إلى القيوكتخدا في ٨ رجب سنة ١٢٨٤ (نوفمبر ١٨٦٧).
 - (٤) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٢٣٣ من الديوان الخديوي إلى القيوكتخدا في ٢٨ شوال سنة ١٢٨٣.
 - (٥) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٥٥٦ من الديوان الخديوي إلى رياض باشا بالأستانة في ١٨ رمضان سنة ١٢٨٧ (أواخر سنة ١٨٧٠).

المصورة» (١)، وجريدة «بصيرت» (٢)، وجريدة «كورييه دوريان» (٣).
وقد منح اسماعيل جميع هذه الجرائد مكافآت مالية سخية ، وذلك
لما تقوم به من تهيئة الرأى العام التركى لقبول مطالبه . وفى بعض الأحيان
كانت تقوم بنشر مقالات من وضع والى مصر نفسه للرد على الجرائد
المعارضة (٤) التى يمدّها بالمال كل من أخيه وعمه .

المساعدات الحربية للسلطان

كان اسماعيل ينتهز كل مناسبة لإظهار ولائه للسلطان العثماني
لنيل أغراضه ، فعندما ذهب إلى الأستانة عقب توليه الحكم مباشرة لتسلم
فرمان الولاية ، طلب منه السلطان ان يعزز جيوش الامبراطورية العثمانية
فى الروملى بجنود من مصر ، وذلك للاضطرابات السائدة فى تلك المنطقة .
فأسرع اسماعيل إلى اجابة طلبه « فأرسل فرقة مركبة من آلايين تحت قيادة
اللواء المرحوم على غالب (باشا) .. وكان على الآلاى الأول حسين (بك) عاصم

-
- (١) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٤٢٠ من الديوان الخديوى إلى القبوكتخدا فى
١٠ رجب سنة ١٢٨٥ .
- (٢) دفتر ٢٥ عابدين وثيقة رقم (بدون) من الخناب الخديوى إلى حسن راسم
باشا بالأستانة فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (١٨٧١)
- (٣) دفتر ٢٥ عابدين وثيقة رقم ٢٧٥ من الديوان الخديوى إلى القبوكتخدا
فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .
- (٤) دفتر ٢٣ عابدين وثيقة رقم ٢٢٩ من الديوان الخديوى إلى حسن راسم
باشا فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ (مارس سنة ١٨٦٧) .

وعلى الثاني خورشيد (بك) عاكف (١). وعند وصولها الآستانة استعرضها السلطان ثم أرسلت إلى جهات مناسير .

كذلك عندما قام أمسير عسير محمد بن عائض بشق عصا الطاعة على الباب العالي ، أرسل اسماعيل إليه كتاباً يحضه على طاعة ولي نعمته ، ويتوعده بارسال الجيوش المصرية لاختصاصه إذا لم يرجع عن غيه (٢) ، ثم أرسل إليه قوة عسكرية على رأسها الأمير الای (العميد) صادق (بك) لارهابه (٣) . فأذعن الأمير ودخل في طاعة السلطان . وقد سر الباب العالي لموقف اسماعيل فأرسل إليه في شعبان سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) خطاً هيايونيا ، يعرب له فيه عن رضائه التام عنه . (٤) .

وعندما شعرت الدولة العثمانية بأن قواتها المقيمة في ولايات الدانوب لا تكفي للدفاع عنها وذلك لاشتداد حركة الثوار بجزيرة كريت والرغبة في التخلص من السيادة العثمانية . طلب السلطان من اسماعيل أن يمده ببعض الفرق لاختاد الثورة . فوافق اسماعيل على ارسال نحو أربع عشرة (٥) اورطة

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٢) دفتر ٢٢ عابدين وثيقة رقم ٩٠ ص ٢٥ من الخديو الأعظم إلى محمد بن عائض أمير عسير في ١٤ ربيع ثانی سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) .

(٣) دفتر ٢ عابدين وثيقة رقم ٥٣٧ من الجناب العالي إلى الأمير الای اسماعيل صادق بك قائد العساكر المصرية المرسله إلى الحجاز في ١٣ صفر سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) .

(٤) فيليب جلاد بك . قاموس الإدارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٨ .

(٥) تقويم النييل . المجلد الثاني ج ٣ ص ٦٤٤ ارادة إلى ناظر الداخلية في غرة المحرم سنة ١٢٨٣ (١٦ ما یو ١٨٦٦) .

لتعزيز القدرات العثمانية في الجزيرة . ولم يكن يمتلك في ذلك الوقت سوى الإذعان (١) لهذا الطلب ، خصوصاً وأن فرمان تعديل الوراثة وزيادة عدد الجيش كان على وشك الصدور . فبعث إلى جزيرة كريت بأربعة آلايات (لواءات) وهى : الآلاى الحادى عشر ويقوده خالد (بك) ، والآلاى الثالث ويقوده اسماعيل (بك) ، والآلاى السابع ويقوده راشد حسنى (بك) ، والآلاى السادس ويقوده راشد راقب (بك) ، وأربع بطاريات جبلية بذخائرها ، وكان يقود هذه القوة الفريق شاهين (باشا) ويعاونه اللواء اسماعيل صادق (باشا) . وكان على فرقة اركان الحرب القائم مقام (عقيد) على (بك) البحرى ، والبيكباشى (مقدم) عبد القادر (افندى) والملازمين عمر (أفندى) رشدى ، وصلاح طاهر (أفندى) . (٢) وأبحرت على عشر بواخر فوصلت الجزيرة في ٢٥ يولييه سنة ١٨٦٦ (٣) وقد أحاط قنصل اليونان الجنرال بمصر الميسيو زيجومالاس Zygomas حكومته في ٢٤ يولييه سنة ١٨٦٦ (٤) بنبأ ارسال هذه القوات المصرية إلى كريت ، وتعرض فى خطابه إلى مقابلته للخديو اسماعيل لمعرفة أسباب ارسال تلك القوات . فأقنعه اسماعيل بأنه لا يستطيع منع مساعداته للسلطان . ولكنه أصدر أوامره إلى شاهين كنج قائد الحامية المصرية بالجزيرة ، باحترام الكنائس المسيحية ،

(١) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail R. III p. 150.

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٩٦

(٣) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail T. III P. 153.

(٤) Politis A.G.; Un projet d'alliance entre l'Egypte et le Grece en 1867 p. 20 .

وعدم التعرض لسكان الجزيرة بسوء . وبالفعل فما أن هبط شاهين أرض الجزيرة إلا وقام بتوزيع هبات مالية على الكنائس والمؤسسات الدينية بها (١) كما أصدر إليه اسماعيل أمراً بمساعدة حكومة الجزيرة على جباية الضرائب : إذ لا تستطيع أية حكومة أن تؤدى واجبها ، دون أن يكون لديها المال اللازم لهذا الغرض . وبهذه التعليمات التى أصدرها والى مصر إلى قائده حاول أن يخفف الأثر السىء الذى أحدثته إرسال القوات المصرية فى نفوس اليونانيين وسكان الجزيرة (٢) . ومما يدل على سياسة اسماعيل تجاه مسألة كريت ، الخطاب الذى أرسله إلى شاهين فى ٢٨ يوليه سنة ١٨٦٦ حيث يوجه إليه الحديث قائلاً : « لا تنس أنه بالرغم من ارتباط سياستنا بالسياسة العثمانية نجد أنفسنا فى بعض الأوقات مضطرين إلى التوفيق بين سياستنا وبين الموقف الحالى : وأن جدارتك وذكاءك لخير دليل على أنك ستوفق بين الحالتين مهمة وعزم وحذر » (٣) . فلم يكن إذأ من مصلحة مصر الدخول فى حرب ضد كريت ولكنها أرغمت على دخولها إرغاماً . ولذا نجد والى مصر يحاول التخلص من هذه المساعدة بعد حصوله على فرمان ٨ يونيو ١٨٦٧ .

استطاع اسماعيل إذأ بمساعداته الحربية ، وبمنحه وهداياه أن يحصل من السلطان على فرمان (٤) ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ (١٢ المحرم سنة ١٢٨٣) الذى

Sammarco; Le Règne du P. 153.

Politis; Un projet d'alliance ... p. 21

Politis ; Un projet d'alliance .. p. 21.

• (٤) فيليب جلاذ بك . قاموس الإدارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٩ .

نص على انتقال حكم ولاية مصر إلى أكبر أولاد الخديو المذكور بطريق التوارث . والسماح لاسماعيل بسك عملة مصرية مع إبقاء اسم السلطان عليها. والبند الهام في هذا الفرمان هو رفع عدد قوات الجيش المصرى من ١٨ ألف جندى إلى ٣٠ ألف جندى فى وقت السلم- ولو أنه فى الواقع كان يزيد عن هذا العدد من قبل، (١) إذ بلغ فى سنة ١٨٦٥ حوالى ١٨٤,٣٥ جندياً (٢)- مع إعطاء الخديو الحق فى منح الرتب إلى الرتبة الثانية نظير رفع الجزية من ٨٠ ألف كيسة إلى ١٥٠ ألف كيسة .

ويعتبر صدور هذا الفرمان نصراً عظيماً بالنسبة لمصر ، إذ سمح السلطان العثماني لأول مرة بعد فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بزيادة عدد قوات الجيش المصرى فى وقت السلم إلى ما يزيد عن ١٨ ألف جندى . أى أنه يعتبر نقطة البداية فى إطلاق يد مصر فى الجيش .

وفى ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ (٥ صفر سنة ١٢٨٤) أصدر السلطان فرماناً آخر بمنح اسماعيل لقب خديو مع إعطائه الحق فى عقد اتفاقات جمركية . ولم يتعرض هذا الفرمان لشئون الجيش . لذلك عزم الخديو اسماعيل على مواصلة جهوده للتخلص من حظر بناء السفن الحربية . فانهز فرصة وجوده مع السلطان عبد العزيز بمعرض باريس الذى اشتركت فيه مصر عام ١٨٦٧ ،

(١) عبد الرحمن الراقى بك . تاريخ الحركة القومية (عصر اسماعيل)

ج ١ ص ٨٠ .

(٢) محفظة ٣٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ إلى ناظر الجهادية فى ٢٨

ربيع الأول سنة ١٢٨٢ (أغسطس ١٨٦٥) .

وأوصى المصانع الفرنسية بعمل ثلاث بوارج مدرعة من الطراز الحديث و برر هذا العمل أمام السلطان بأنه تقوية للقوات العثمانية ، فما الجيش المصرى فى حقيقة الأمر إلا جزء من جيش الامبراطورية العثمانية . ولكن هذا التبرير لم يرق فى عين السلطان إلا بعد أن بذل اسماعيل المال الوفير ، فصدر فرمان سبتمبر سنة ١٨٦٧ يفسر ما تمحض والتبس فيه من عبارات فرمان ٨ يونية السالف الذكر (١) .

ومن الرجال الذين اعتمد عليهم الخديو اسماعيل فى تنفيذ سياسته لدى الباب العالى فى تلك الفترة ابراهيم بك ، وكان رجلا واسع الخيلة ، عظيم الدهاء ، اتخذ من القسطنطينية مقاما له . وقد حشد الخديو فى خدمته المال والصحافة « فكانت له سلطة عظيمة الشأن فى الآستانة فى السنوات التى تلت سنة ١٨٦٦ (٢) » إذ كان مسيطراً على سياسة الباب العالى سيطرة تكاد تكون تامة .

ورغم ما ناله اسماعيل من امتيازات لم يكن يأمن بجانب السلطان ، ففى أواخر سنة ١٨٦٦ أصدر أوامره بتسليح الطوائى الساحلية بالمدافع على أن توضع فى كل طابية من طوائى بوغاز دمياط الشرقية والغربية ، وكذلك طابيتى الأزاريطة والعجمية فى غرب الاسكندرية خمسة مدافع ،

(١) الباس الأيوى . تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣٩٠

Crabités : Ismail the Maligned Khedive P. 161. (٢)

وأن يوضع في قلعة أبي قير ثمانية عشر مدفعا (١). كذلك أصدر الخديو أمره (٢) إلى ناظر الجهادية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٣ (ابريل ١٨٦٧) بالإسراع في شراء ما يقرب من خمسين ألف إلى ستين ألف بندقية حديثة من البنادق التي تعبأ من الخلف . وحذره من ضياع الوقت الطويل في تجربة البنادق المختلفة لاختيار أصحابها في الوقت الذي يفتقر فيه الجيش المصرى إلى السلاح وأوصاه أيضاً بأنه في حالة عدم توفر هذا العدد في الوقت الحاضر بأوروبا يوفد افلاطون (باشا) - الذي كان يقوم بعمليات شراء الأسلحة للجيش المصرى بأوروبا - إلى أمريكا لشراء بنادق من النوع المطلوب ، على أن يراعى فيها السرعة ، وبعد المرعى ، وقوة الاحتمال في الحرب .

المرحلة الثانية

ذكرنا من قبل أن الخديو اسماعيل أرسل قواته إلى جزيرة كريت مكرها وذلك قبل صدور فرمان ٨ يونية ١٨٦٧ الخاص بالوراثة وزيادة عدد الجيش . فلما حصل الخديو على فرمان المذكور حاول أن يضع حدا للحرب الناشبة في الجزيرة .. فاستغل خصومه هذه المحاولة لإساءة العلاقة بينه وبين السلطان ، وخصوصاً بعد أن عين الأمير مصطفي فاضل - أخو الخديو - الذي كان ولياً للعهد بحكم فرمان سنة ١٨٤١ ، ناظراً للعدل بالحكومة

(١) مخطوطة . ٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٥ من داود فهمى وكيل الجهادية إلى المعية السننية في ٣ رجب سنة ١٣٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦) .
(٢) دفتر ٥٥٨ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٣٧ أمر إلى شاهين باشا في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٣ .

العثمانية . فتعقدت الأمور بين البلدين تعقيدا شديدا . ويذكر محمود فهمي (١) أن من أسباب توتر العلاقة بين الخديو والباب العالي أن الخديو اسماعيل طلب من السلطان « أن يكون لمصر سفراء ونواب في جميع دواوين الممالك الأجنبية ، فرأى الباب العالي أن مقصده الأصلي هو الاستقلال عن الممالك التركية العثمانية ، فرفض طلبه هذا ولم يقبله ، فأوغر اسماعيل باشا في صدره الغضب ، وهدد ديوان الأستانة بأخذ عساكره من كريت ، أو يستحوذ على جزيرة كريت إن لم تمنح طلباته » . وأوعز الخديو إلى شاهين باشا قائد الحامية المصرية بكريت بالعمل على ترغيب الأهالي على الانضمام إلى مصر (٢) . واكن نوبار ناظر الخارجية المصرية لم يكن من رأيه منذ البداية ارسال قوات مصرية إلى جزيرة كريت ، كما أنه كان يرى أن إعطاء مصر جزيرة كريت كهدية لها نظير ما قدمته من خدمات « سيكون من سوء حظ مصر إذ سيبعدها أكثر مما هو مرغوب فيه » (٣) . أي أنه سيقحم مصر في مشاكل أوروبا دون أن يكون لها مصلحة في ذلك . وفعلا فقد كان الخديو اسماعيل يحاول استغلال رضاء الدول الأوروبية عليه ، وخصوصاً فرنسا في أن يعلن استقلاله عن تركيا في حفل افتتاح قناة السويس . وقد اتخذ اسماعيل لهذا اليوم عدته ، « فشرع في إجراء الاستعدادات الحربية ، فأنشأ على السواحل من اسكندرية إلى بور سعيد عدة طوابق وقلاع ، ورمم القديم

(١) محمود فهمي باشا . البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ج ١ ص ١٩٩ وحقائق الأخبار ج ٣ ص ٣٤١ .
(٢) د . محمد محمود السروجي : مصر والمسألة الشرقية ص ٥٣ .
(٣) Polites ; Un projet d'alliance P. 30

منها . وابتاع نحو مائتي مدفع ضخيم من معمل أرمسترانغ وسلح بها تلك القلاع . استخدم عدة من الضباط الأمريكان لقيادة الجيش المصرى عند اللزوم . وابتاع أيضاً نحو مائتي مدفع من معمل كروب . كل ذلك كان يأتى إلى مصر سرّاً . وعين بعض الضباط لتعيين نقط حصارون تقام على ساحل خليج السويس «(١)» وأمر أيضاً بترميم قلعة العريش أو بناء غيرها من جديد (٢) .

وأوصى أحد المصانع الفرنسية بصنع سفن حربية مدرعة ومائتي ألف من البنادق ذات الابرة . فلما علم الباب العالي بهذا النبأ أبلغ الخديو بما فى هذا العمل من مخالفة صريحة لأحكام فرمان الأخير ، وطالبه بعرض ميرانية البلاد عليه لمعرفة أوجه الإيرادات والمصروفات . فأجاب الخديو على هذا الطلب بأنه أوصى على صنع المدرعات الحربية لخدمة الدولة العلية ، وأوضح بأنه لم يشتري سوى مئة ألف بندقية فقط « وأنه مستعد لتسليم السفن وما زاد عن حاجة الثلاثين ألف جندي من الأسلحة (٣) » . واعترض على عرض ميرانية مصر على الباب العالي ، بحجة ان فى هذ العمل استرداد لبعض الامتيازات الممنوحة لمصر بموجب فرمان الأخير . ولكن الاستعداد

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٤١ .

(٢) دفتر ١٩٢٧ أسرجهادية وثيقة رقم ١٢٦ ص ١٢٧ اسر إلى المالية فى ١٢ ربيع أول سنة ١٢٦٨ (يوليو ١٨٦٩) .

(٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٥١٢ من الجنب العالي إلى الباب العالي فى ٢٧ جادى الأولى سنة ١٢٨٦ (١٨٩٦) ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٢٥ من الجنب العالي إلى كاسل بك فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٨٦ (فبراير سنة ١٨٧٠) .

الذى أبداه الخديوي في تسليم السفن وما يزيد من البنادق قبل أرضى الباب العالي بعض الشيء . واستند السلطان (١) في طلبه عرض الميرانية المصرية عليه أن مصر جزء من الامبراطورية العثمانية يهيمه معرفة حالتها المالية ، وليس في هذا افتئات على امتيازات الخديوي .

وقد وصلت حالة التوتر في العلاقات بين الباب العالي والخديوي درجة كبيرة ، جعلت السلطان يفكر جدياً في استرداد ما منحه للخديوي من امتيازات بمقتضى فرمانات السابقة . ولكن الدول الأوربية - جريا على سياستها في ألا تخضع مصر خصوصاً كلياً للسيادة العثمانية - نصحوها الباب العالي بالألا يقدم على أى عمل يسيء إلى مركز الخديوي ، فكتب لورد (كلارندون) وزير خارجية إنجلترا إلى سفيره في القسطنطينية يقول « إن حكومة الملكة تنصح السلطان بالألا يفكر في إلغاء فرمان سنة ١٨٦٧ ، لأن مثل هذا العمل الجريء سيعرض السلطان إلى غضب الدولة وعدائها » (٢) .

وقد بدا غضب الباب العالي في عدم حضور حفل افتتاح القناة ، فأتاب عنه السير اليوت سفير بريطانيا العظمى . وما أن انتهى الحفل حتى أصدرت الدولة العثمانية فرماناً (٣) في ٢٤ شعبان سنة ١٢٨٦ (نوفمبر سنة ١٨٦٩) أنذرت فيه والى مصر وأمرته بأن يعمل على « تخفيض الجيش المصرى إلى

(١) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ١٠٦ من كامل بك إلى الخناب المالى في ٣ جادى الآخرة سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩) .
(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته . مقاله الاستاذ محمد رفعت « مكاتبة مصر الدولية » ص ١٠٣ .
(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٤١ .

٣٠.٠٠٠ عسكري ، وأن يبطل التجهيزات الحربية والطوابق والاستحكامات ، ويكف عن مشتري الأسلحة ، ويلغى الشروط التي عقدها مع إنجلترا وأمريكا ، ويهمل صناعة المدرعات الحربية التي كان أوصى عليها بدور صناعات أوروبا . وطلب منه السلطان أيضا تسليم المدرعات التي أوصى عليها من فرنسا ، وكذلك الماتني ألف بندقية .

وفكر الخديوي في عدم الإستجابة لماورد بهذا الفرمان ، ولكن سفراء كل من فرنسا وإنجلترا والنمسا أشاروا عليه بالخضوع والامتثال مؤقتا لإرادة السلطان^(١) . فأذعن الخديوي لمشورتهم وأرسل نوبار إلى الأستانة لإزالة أسباب الخلاف الناشب بينه وبين الباب العالي ، وتمسك من تصفية جو العلاقات بينها .

ولكن الخديوي لإسماعيل ام يامن جانب الباب العالي ، فأخذ يوالى لاستعداده الحربى ، منتهزا أية فرصة مناسبة لإعلان الاستقلال الذى أخذ يهدد له السبيل . فأصدر فى ٦ شوال سنة ١٢٨٦ (٩ يناير ١٨٧٠) أمرا^(٢) بمجمل اللغة العربية اللغة المتداولة فى جميع المكاتب المتبادلة بين كافة الدواوين والمصالح الحكومية . ولكن ناظر الجهادية والبحرية وقتئذ - شاهين كنج - وجد صعوبة كبيرة فى تنفيذ هذا الأمر بالنسبة لنظارته ، نظراً لأن جميع قومندانات الأولوية وميرالاياتها وأكثر ضباطها لا يعرفون العربية لأنهم من الاتراك والشراكسة . فطلب^(٣) من الخديوي أن يسمح له بتنفيذ أمره السابق فيما يتعلق بالمراسلات المتبادلة بين نظارة الجهادية وجميع دواوين الحكومة ، أما فيما يختص بالخطابات

(١) الياس الإيوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديوي إسماعيل ج ا ص ٤٤٥ .

(٢) دتر ١٩٢٠ أوامر مرسى إلى ناظر الجهادية وثيقة بدون رقم فى ٦ شوال سنة ١٢٨٦

(٩ يناير سنة ١٨٧٠) .

(٣) محظفة ٤٦ (ممية تركى) وثيقة رقم ٤١١ من شاهين كنج ناظر الجهادية والبحرية إلى الملية فى ٢١ شوال سنة ١٢٨٦ (يناير سنة ١٨٧٠) .

والتقارير التي ترسل إلى القواد والضباط فتكتب باللغة التركية . فوافق^(١) الخديو على هذا الطلب . وفي تلك الفترة ترجمت القوانين العسكرية إلى اللغة العربية^(٢) .

وقد أمارت الاستعدادات الحربية التي كانت قائمة على قدم وساق بمصر شكوك الباب العالي ، خصوصا وأن الخديو إسماعيل كان على اتصال مستمر برجال السلك السياسي اليوناني . هذا فضلا عن قدوم الأميرالاي قورنيوس - زعيم الثورة الكريتية - إلى مصر في ذلك الوقت . فظن الباب العالي أن هناك إتفاقا سابقا بين مصر واليونان ، فأرسل^(٣) إلى الخديو يستفسر منه عن السر في هذه الاستعدادات . فأبلغه الخديو بأنها اتخذت لخدمة الدولة العثمانية وتقويتها ، ولم يقصد بها شيء غير ذلك^(٤) .

المرحلة الثالثة

كان لإنتهاء الحرب الفرنسية البروسية بهزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، أعمق الأثر في نفس إسماعيل ، فبدأ يتراجع عن سياسته العدائية ، ويحسن علاقته

(١) محظفة ١٩ جهاوية وثيقة تركية رقم ٢٠٠ من الجناح العالي إلى ناظر الجهادية في ٢٨ شوال سنة ١٢٨٦ . وتقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٨٤٩ .
(٢) محظفة ٤٦ (ممية تركي) وثيقة رقم ٤١١ مت شاهين كنج إلى المية في ٢١ شوال سنة ١٢٨٦ (يناير سنة ١٨٧٠)

(٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ١٧٢ من الجناح العالي إلى القبروكتخدا في ٧ شوال ١٢٨٥ ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٥٦ من الجناح العالي إلى إبراهيم بك في ٢٨ شوال ١٢٨٦ ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٤٣ من إبراهيم إلى الجناح العالي في ٢٥ شوال سنة ١٢٨٦ .
(٤) المصدر الأخيرة .

بالباب العالى ، ويميل إلى جانب إنجلترا، فخص شركاتها بمشروع توسيع ميناء الاسكندرية . وذكر المستر جورج بتلر - قنصل أمريكا الجنرال بمصر حينئذ - أن جميع أعمال التحصينات قد أوقفت وشحنت المدافع الساحلية إلى القسطنطينية بناء على أمر السلطان . ولكنها لم تكن في الواقع من المدافع الحديثة ، بل كانت من المدافع القديمة من عهد محمد على^(١) . وذكر أيضا بأن أعمال التحصينات ستستأنف ثانية عندما يصفو الجو وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي .

كذلك صدرت الأوامر إلى المستر كنياب Ch. Knap مدير المصانع الأمريكية The American Rodman Gun بمغادرة الديار المصرية ، لأن وجوده بها وقتئذ غير مرغوب فيه ، ويدعوا إلى إثارة الشبهات^(٢) .

تمت إذا حركة التراجع من جانب الخديو إسماعيل بسرعة كبيرة لأن سياسة فرنسا إزاء مصر بعد هزيمتها في سنة ١٨٧٠ كانت ترمى إلى إستياب الأمن في داخلية البلاد مع إبداء النصح للخديو بالتعقل والاعتدال ، وعدم إثارة مشاكل بينه وبين الباب العالى ، لأن فرنسا لاتستطيع تأييده إلا في حدود فرمانات الممنوحة له^(٣) . كما أنها ستحاشى تشجيع كل حركة ترمى إلى التسليح غير المجدى والذي يسبب الذعر للباب العالى^(٤) .

1 - Abdin, Amr. Vol. 6 despt. No. 60. Alex. in May 7, 1871
(٢) المصدر السابق .

3 - Documents Diplomatiques Française (1871 - 1914) .
1er serie (1870 - 1900) . T. Premier (10 Mai 1871 - 30 Juin
1875) . P . 32

(٤) المصدر السابق .

فسياسة فرنسا إذاً بعد سنة ١٨٧٠ كانت ترمى إلى المحافظة على حقوق الخديو مع إقناعه بمراعاة حدود فرمانات دون إثارة منازعات جديدة. فلم يجد الخديو لإسماعيل بداً من الخضوع للسلطان والعودة إلى سياسته الأولى بعد أن تخلت الدول الأوروبية عن مناصرتهم^(١). فقبل سنة ١٨٧٠ كانت العلاقة وطيدة بين نابليون الثالث والملك فيكتوريا « وتعاونت حكومتاهما في حماية الدولة العثمانية فلم تسمحوا لإسماعيل باستقلال تام عن تركيا^(٢) ». وبعد سنة ١٨٧٠ لم يصبح لفرنسا من النفوذ ما يستطيع لإسماعيل الاعتقاد عليه^(٣). ولهذا نجد الخديو يلجأ إلى سياسة المال والهدايا . فيرسل^(٤) إلى الباب العالي في ١٨ ربيع ثانياً ١٢٨٨ (١٨٧١) مجموعة كبيرة من الحيوانات والطيور الغريبة التي كان السلطان مغرماً بها إلى حد كبير . وفي شهر يونيه سنة ١٨٧٢ غادر الخديو لإسماعيل الاسكندرية قاصداً الاستانة وبصحبه والدته ، ليقوم كل منها بدوره في تحطيم ما سبق من قيود التبعية العثمانية . وفي رحلته هذه أنفق عن سعة لإرضاء السلطان ورجال حكومته ، كما أهدت والدته إلى حريم السلطان وكبار رجال حكومته الكثير من الهدايا الثمينة ، وكان من نتيجة هذه الزيارة صدور فرمانين في سنة ١٨٧٢ . الأول في ٧ رجب سنة ١٢٨٩^(٥) (١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢) وقد ألغى هذا فرمان قيود

1 - Sammarco; Le Règne du Khedive T. 3. P. 128.

(٢) إسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته . « مقالة الدكتور صفرت » ص ٩٤

3 - Documents Diplomatiques Française 1er serie T.1 P.32

(٤) دقر ٢٥ عاردين وثيقة تركية رقم ٧٨ من الجواب الخديو إلى سعادة نوس باشا

كبير الأمراء في ١٨ ربيع ثانياً سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) .

(٥) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٣ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٨٤ .

فرمان ٢٤ شعبان سنة ١٢٧٦ (١٨٦٩) . (١) والثاني في ٢٢ رجب سنة ١٢٧٩ (٢٥ سبتمبر ١٨٧٢) وقد خول الخديو الحق في عقد قروض من الدول الاجنبية دون موافقة السلطان . وكان لهذا الفرمان أو ختم العواقب على مصر ؛ إذ أطلق يد الخديو في الاستدانة من الدول الاوروبية- دو تما قيد أو حدود .

رأى الخديو لإسماعيل جمع هذه الفرمانات المختلفة في فرمان واحد تتولى الدول الاوربية التصديق عليه ، حتى لا يعود السلطان مرة أخرى إلى محاولة سجنه . فسافر في مايو سنة ١٨٧٣ إلى الأستانة بعد أن جمع ما يقرب من أربعة ملايين من الجنيهات ، كانت عدته وسلاحه في الحصول على ما يريد . وبعد أن مهد السبيل في الأستانة رجع إلى مصر حيث لحق به الفرمان الشامل (٢) في غرفة جـ - ادى الأولى سنة ١٢٩٠ (٨ يونيو سنة ١٨٧٣) الذي أطلق يد لإسماعيل في الادارة انداخلية ، وفي عهد المعاهدات التجارية بين مصر والبلاط الخارجية وكنا في تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تحديد على حسب الإيجاب والوزوم ، وكذلك احتفظ لوالى مصر د بالامتياز في حق إعطاء رتبة اميرالاي من الرتب العسكرية وإعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية ... وأن تكون أعلام وسناجق العساكر البرية والبحرية المرجدة في الخطة المصرية كأعلام وسناجق سائر العساكر البرية والبحرية ، بلا فرق وبشرط عدم إنشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون إستئذان ، وأن تراعى لإجراء الشروط المتررة في هذا الفرمان الجديد ، وأداء المائة وخمسين ألف كيسة التي هي ويركو مصر المقطوع سنويا (٣) .»

(١) المصدر السابق ص ٦٨٤ .

(٢) فيليب جلاذ بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٤ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق .

أطلق هذا الفرمان يد الخديو إسماعيل في الجيش ، وأعطاه الحق في زيادة قوات مصر العسكرية إلى أى عدد يشاء . ولذا يعتبر هذا الفرمان بحق أهم تطور حدث في العلاقات المصرية العثمانية منذ معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . وبمقتضاه أصبح لايربط مصر بالباب العالى سوى الجزية التى تدفعها السنويا ، بل كان والى مصر يعنى نفسه باليوم الذى يستطيع فيه قطع هذا المال الذى يعتبر آخر رباط يشده بالدولة العثمانية . ولكنه لم يستطيع ذلك نتيجة لندفاعه وتهوره فى الاستدانة من الأجانب مما أدى إلى الارتباك المالى الشديد ، وتدخل النفوذ الأجنبي فى إدارة البلاد . فى نفس الوقت الذى ألقى على كاهل الحكومة المصرية عبء مساعدة الباب العالى حربيا رغم الضيق المالى الشديد . فى سنة ١٨٧٦ أرسل الخديو إلى الباب العالى قوة حربية تتراوح بين سبعة وثمانية آلاف جندي لمساعدته فى حرب الصرب (١) . كذلك عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا فى سنة ١٨٧٧ شدد الباب العالى فى طلب مساعدة أخرى رغم إعتذار الخديو عن تقديمها بسبب الأزمة المالية التى تعانيها البلاد (٢) . ولكن الباب العالى لم يقتنع بهذا ، فاضطر الخديو إسماعيل إلى جمع مجلس شورى النواب للمشاور معه فى فرض ضريبة جديدة على الأراضى الزراعية ، لتدبير الأموال اللازمة للقوة العسكرية المزمع إرسالها لمساعدة الباب العالى ، فقرر المجلس فرض ضريبة خاصة على الأراضى قيمتها ٤٨٠.٠٠٠ جنيها بمعدل نصف دولار على الفدان الواحد الصالح للزراعة فى مصر ويعادل ١/٣ من الدخل السنوى (٣) . وبذلك تمكن الخديو

1 - . Abdin. Amr. Vol. 13 Desp. No. in May 30, 1877

وأمين سامى باشا . تقويم للتبيل . المجلد الثالث ج ٣ من ١٣٦١ .

(٢) بعض وثائق تاريخية من عهدى إسماعيل (باشا) وتوفيق (باشا) لتفقاها وأمر بترجمتها وطبعا الأمير السابق محمد على من مجموعتين بخط المرحوم محمد شكرى (باشا) من ٢١ .

3 - Abdin' Amr. Vol. 13 in despt. No. in May 30, 1877 .

إسماعيل من زيادة عدد الجنود المصريين المخصصين لمساعدة الدولة العثمانية إلى ١٢٠٠٠ جندي .

المرحلة الرابعة

تدخلت الدول الأوروبية الدائمة ، وخصوصا إنجلترا وفرنسا في شئون مصر الداخلية نتيجة عجز الحكومة المصرية عن سداد الديون . وحينما أراد الخديو أن يقف في سبيل تدخلها في إدارة البلاد طلبا من الباب العالي عزله وتعيين لإنه توفيق بدلا منه . فإكان منه إلا أن لبي طلبها منتهزا هذه الفرصة لسحب الامتيازات التي حصلت عليها مصر بمقتضى فرمانات السابقة . ولكن الدول الأوروبية أصرت على ألا تمس هذه الامتيازات بسوء تحقيقا لمصالحها في مصر . فصدر فرمان تعيين الخديو توفيق واليا على مصر وبه بعض القيود ، فقد نص على ألا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألف لأن هذا القدر كاف لمحافظة أمنية لمباله مصر الداخلية في وقت الصلح . وإنما حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية ، يجوز أن يزداد مقدار العساكر بالصورة التي تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة ، وتكون رايات العساكر البحرية والبرية ، والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم . ويباح للخديو مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية إلى غاية رتبة أميرالاي وعميد . . ولا يرخص للخديو مصر أن ينشئ سفنا مدرجة إلا بعد الإذن وحصوله على رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية .

وبصدور هذا فرمان تذهب جهود الخديو إسماعيل التي بذلها لرفع القيد عن قوة مصر الحربية أدراج الرياح ، ويعود الجيش المصرى إلى ماكان عليه بعد صدور فرمان سنة ١٨٤١ مباشرة .

الفصل الثاني

التجنية

التجنيد

- عرف المصريون في القرن الماضي نظام التجنيد حينما شرع محمد علي في تكوين جيش مصر الجديد على النظام الأوربي الحديث . وكانت قوة مصر الحربية عند توليه الحكم عبارة عن شرذمة من الرجال استجلبوا من أماكن متفرقة من تركيا وألبانيا وسوريا وبلاد المغرب ، يجمعهم حب السلب والنهب أكثر مما يجمعهم نظام حربي واحد . فقوة حربية تضم هذه المجموعة المتسافرة لا يمكن الاعتماد عليها بحال من الأحوال . ولذا فقد استقر رأى محمد علي - من أول الأمر - على تجنيد السودانيين . فأرسل البعوث إلى السودان لجليهم إلى مصر ، ليتولى تدريبهم الكولونيل سيف على النظم الحربية الحديثة . ولكن فشلت هذه التجربة لأن معظمهم مات إما أثناء الطريق نتيجة للجهد والتعب أو بعد وصوله لعدم احتياله جو مصر . فحاول محمد علي تطبيق النظم الأوربية على ممالئكه وأتباعه من الأرنؤوط والألبانيين فلم يفلح لمقاومتهم لها . ففكر أخيرا في أن يجند المصريين ، إلا أن هؤلاء لم يرغبوا في الجندية في أول الأمر ، وذلك لتعلقهم بأرضهم وقراهم ، ذلك التعلق القوي الذي يقارب العبادة قد دفعهم من ناحية إلى مقاومة التجنيد لأنه يباعد بينهم وبين الأمانة التي نشأوا فيها^(١) .

وظهرت آثار المقاومة التي أبدتها الأهالي في تشويه أعضائهم . وكانت الآلام التي يلاقونها فرارا من الجندية كبيرة إلى درجة لا يكاد يصدقها العقل^(٢) .

(١) تقرير بورنج ، معرب في كتابه بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٤ .

(٢) المصدر السابق .

واجه محمد على هذه المقاومة بقبول المشركين بالجيش ، وأنشأ آلايا كاملا يتألف
« من مجندين مشركين فقد كل منهم عينة أو أصبعه أو أسنانه الامامية (١) » . على
أن محمد على قد اتخذ سبيلا آخر غير الشدة في ترغيب الاهالى فى التجنيد ، وهو
الاستمارة بالوعاظ فى « تلقين الفلاحين وملء آذانهم واستدراك أذهانهم (٢) » .
كما أوعز إلى لابنه إبراهيم أن يذكرهم بالانقياد الذين لبرا نداء الفرنسيين إبان
الاحتلال الفرنسى ، فاستخدموهم فى الجيش لغيرتهم على دينهم . فالأولى « بالفلاحين
الذين شرفوا بالايمن (أن) تأخذهم الغيرة على ذلك (٣) » .

وقد صادفت محمد على صعوبات أخرى غير المقاومة من جانب الاهالى ،
فالزراعة قد تحول بينه وبين مشروعاته فى التجنيد ، وخصوصا فى المراسم التى
تحتاج إلى أيد عاملة كثيرة . ولذا فقد حاول محمد على فى خطابه لابنه ابراهيم
أن يوفق بين ما تستلزمه الزراعة من أيد عاملة وبين ما يتطلبه التجنيد فيقول:
« ومن البديهي أنه لا يستطيع والحالة هذه تجنيد العساكر وقتنا لاصول الجهادية
المقررة . وعليه فان من الجلى الواضح أن الواجب يقتضى علينا أن نجد العساكر

(١) تقرير يوريج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٤

(٢) المصدر السابق

(٣) دفتر ١٠ (معية ترقى) وثيقة رقم ١٦٨ من مجلد على إلى لابنه ابراهيم فى ٦ رجب سنة
١٢٣٧ عن كتاب ذكرى الوطن ابراهيم باشا ص ١٢٧

(٤) المصدر السابق

(٥) دفتر ١٦ (معية ترقى) وثيقة رقم ٢٠ ص ١٩ من مجلد على إلى ابراهيم باشا فى ٨
شوال سنة ١٢٣٨

حينما يتيسر لنا ، وأن نستخدمهم على نحو ما يستوجبه المرقف وأن نوفق بين مصالحنا وحالتنا^(١) .

- طريقة جمع الجنود -

كانت إذا اقتضت الضرورة تجنيد عدد من الجنود ، كلف محمد على مدير كل مديرية بجمع العدد المطلوب ، وهذا يوزع العدد بدوره على القرى السكّانة في دائرة اختصاصه ، فيقوم العمدة والمشايخ بمعاونة الجنود بالانتقاض « على القرى فجأة فلا يلبث أهلها أن يروا أبناء هذه القرى المذكورة جميعاً قد سبقوا وهم مصفدون في الأغلال إلى عاصمة المديرية^(٢) » ، مراعين في ذلك أن يكون العدد أكبر من المطلوب دون تمييز بين من تقدمت بهم السن ومن لم يشبوا بعد عن الطوق ، أو من الأصحاء المفاين وغيرهم من المرضى وذوى العاهات . وكان هذا الحشد يجمع وتوضع في أيدي أفراده الأغلال حتى لا يتمكنوا من الهرب تبيهم أغاربهم من النساء والأطفال إلى المسكن المعد لفرزهم ، ويكون هذا في أغلب الأحيان بربدا عن قراهم . أى أن التجنيد لم يكن يسير على نظام معين أو ترتيب أو تسجيل للأسماء أو اقتراع^(٣) . دبل القوة الغشوم التي هي أشد عمى من الحظوظ والمصادفات هي وحدها التي تلقى بالجنود في أحضان الجيش . وهي في مصر من أشد ما عرف عسفاً ووحشية^(٤) . بل كان يؤخذ للجنودية في

(١) دفتر ١٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٠ من ١٩ من محمد على إلى ابراهيم باشا، في ٨ سوال سنة ١٢٣٨ .

(٢) عمر طوسون ، صنعة من تاريخ مصر في عهد محمد على من ١١٩

(٣) تقرير بورنج في كتاب بناء دولة مصر محمد على من ٤٧٨

(٤) صنعة من تاريخ مصر في عصر محمد على « الجيش المصرى البرى والبحرى » من ١١٩ .

بعض الأحيان - وذلك نتيجة لعدم التمييز - المسيحيون المعفون منها . وفي سنة ١٨٣٠ بعد أن نظم كلوت «بك» الخدمة الطيبة ، أصبح الكشف الطبي يوقع على المطلوبين للجنديّة حيث يجمعون ، وبذلك تخلصوا من المشاق التي كانوا يلاقونها في سيرهم الطويل إلى مقر الفرز .

وقد أمر محمد علي مشايخ القرى بتدوين أسماء الشبان من سن ١٨ إلى ٢٢ عاماً ، ثم يأخذ منهم ما يحتاج إليه بطريق الاقتراع . ولكن بالرغم من ذلك كان يفر جزء كبير من هؤلاء الشبان تاركين قراهم عندما يعلون بقبأ التجنيد . ولذا استمرت طريقة الجمع بالقوة سائدة إلى نهاية عصر محمد علي .

وعندما ولي عباس الحكم احتفظ بعدد كبير من الجنود أكثر مما حدده فرمان سنة ١٨٤١ ، وذلك لمحاولة الباب العالي سحب الإمتيازات التي حصل عليها محمد علي بمقتضى فرمان المذكور . فلا غرو إذأ أن نجده بأمر بتجنيد كل من بلغ سن الجنديّة من الشبان الذين تراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٢ عاماً «بطريقة تشبه القرعة النظامية (١)» .

وكان ينتخب من بين هؤلاء العدد الذي يحتاج إليه في الخدمة ، ثم يطلق سراح الباقين . وذلك لكي يواجه الخطر الذي يتهدده من قبل السلطان . فعباس إذأ قد هذب عملية التجنيد بعض الشيء عما كانت عليه في أيام محمد علي .

وفي أوائل عصر سعيد « لم تكن لطريقة جمع الجنود نظام وقوانين مرعية (٢) » بل كان يلجأ سعيد إلى جمع الجنود كلما أريد زيادة عدد الجيش أو

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٢

لاستكمال النقص الذى يحدث فى صفوف الفرق دون التقييد بمدة معينة . وكان المختصون يستخدمون طرقاً « وقتية كما يترامى لهم (١) ، فيفرض الوالى على كل مديرية عدد معين لاستحضاره . ويتولى هذه العملية عمد ومشايخ البلاد « الذين يستعملون طرقاً وأساليب بأبها العدل . فمن ذلك أنهم كانوا كثيراً ما يقبضون على المارة أو الزوار لادخالهم ضمن العدد المطلوب (٢) . وإلى غير ذلك من أعمال الغش والاحتيال والرشوة والانتقام من الأعداء .»

وظلت الجندية من الأمور المكروهة لدى أبناء البلاد حتى قيام ثورتنا المباركة . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب غير ما ذكرناه منها بقاء الجندي فى الخدمة طول حياته تقريباً وكثرة ما يناله من المماق والتسخير (٣) . هذا فضلاً عن أن الدول التى غزت مصر منذ عهد الفراعنة كانت تستبقى فيها حامية من أبنائها ليس فيها أحد من أبناء البلاد ولهذا يمد عهدهم بالمسكينة (٤) .

وإذا نظرنا إلى المجندين فى ذلك العصر وجدناهم جميعاً من الطبقات الفقيرة المستضفة . وقد استرعت هذه الظاهرة نظر الحكومة المصرية فأمرت « بجمع أولاد العمدة والمشايخ وأقاربهم سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦/٥٥) ليتساوى الكل فى الخدمة العسكرية والاحتياجات (٥) .» وسمى هذا الإجراء « بلبه العمدة . وتلا هذا الأمر أوامر أخرى لجمع الجنود فى السنوات ١٢٧٤ (١٨٥٨/٥٧) و ١٢٧٥

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٤

(١٨٥٩/٥٨) و١٢٧٦ (١٨٦٠/٥٩) . أى أن نظام التجنيد لم يكن محمداً بفترة معينة ، واستمر الحال على هذا المنوال إلى عصر اسماعيل . على أن هذه الفترة لم تخل مما كان متبعاً في عصر محمد على من تشويه الاجسام بغية التخلص من الجندية . ولهذا نجد الحكومة المصرية تصدر أوامرها المشددة إلى المديرين بأن يتفقدوا الأفراد الذين ينقصهم أصابع أو فاقدى العين والتحقق من قدم هذه العاهة أو حداتها . فاذا لاحظوا أنها حديثة متممة ، يجب محاكمة هؤلاء ومجازاتهم بأقصى العقوبات (١) .

ومن الاصلاحات التي أدخلتها الحكومة وقتئذ على نظام التجنيد قصر مدة الخدمة على سنة واحدة ليستجيب جميع الشبان الذين يصلحون للجندية من خدمة بلادهم .

كذلك أصدرت في آخر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ (مارس سنة ١٨٥٣) قانوناً جديداً للقرعة العسكرية . تنص المادة الخامسة منه على ما يأتي :

« كل من اقتضى الحال أخذه العسكرية بحسب أوراق القرعة التي يحسن لإجرائها ، ثم يشتري بدلا عنه من العبيد السود أو من المولدين يكون معافى من القرعة العسكرية (٢) . » أى أن أى فرد يطلب للجندية يستطيع أن يقدم

(١) تقوم النيل - المجلد الأول ج ٣ « إرادة لاراهيم بك مدير أسيوط » في ١٦ رجب سنة ١٢٨٤ .

(٢) دفتر ٦٨٦ قيد اللوائح والأوامر للمستديعة بدوان الخديو من (٢٦ ذى الحجة ١٢٦٨ إلى ٢٥ جاد أول سنة ١٢٧١) وثيقة عربية من ٨٣ أسرا إلى وكيل أمور الخارجية في ٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٠ . ودفتر ٧٢١ قيدا اللوائح والأوامر المستديعة بدوان الخديو وثيقة عربية رقم ١ من في ٢٩ شوال سنة ١٢٧٠

بدله من العبيد أو الأرقام لاستيفاء مدة خدمته بالجيش . وإذا التحق الفرد بالصفوف ثم رغب في تقديم بدل عنه يصرح له بذلك ، على شرط ألا يكون قد مضى على التحاقه بالجيش أكثر من ١٥ يوماً .

وقد شددت الحكومة على المديرين ألا يقوم المشايخ بتجنيد من لهم حق في الإعفاء من الجندية . فإذا حدث أن قدم أحد المشايخ فردا المجندين عن ينطبق عليهم قانون الاعفاء ، فعلى المديرية لإطلاق سراحه بعد الاطلاع على ما لديها من سجلات ، و يطلب بدله من أولاد الشيخ الذي يكون ضبط النفر أو من أقاربه . وإن لم يكن له أولاد أو أقارب فيضبط البدل من الناحية كالأصول . ويجرى مجازاة الشيخ بتطبيق البند رقم ٣٠ من لائحة العسكرية، أى بالإرسال إلى الميكان لمدة سنة واحدة فقط « (١) .

التجنيد في عصر اسماعيل

وقع عبء التجنيد على طبقة الفلاحين الفقيرة الكادحة ، لأن الطبقة الغنية تستطيع الخلاص من الجندية عن طريق إدخال أبنائها المدارس الحربية المختلفة أو تقديم البدل اللازم عنهم . كما أن لها من قوتها ومالها ونفوذها ما يعفيها من هذا الواجب . وكذلك تستطيع الطبقة المتوسطة أن تدفع البدل التقدي لأولادها، أما الطبقة الفقيرة التي لا تملك غير قوت يومها ، فلا تستطيع الفرار منه . مع أنه من المفروض أن التجنيد كان يشمل جميع المصريين على السواء دون تفرقة بين طبقة أو دين (٢). وفي ذلك الوقت أصدرت الحكومة أمرا بأخذ جنود من

(١) المصدران السابقان :

المسيحيين ، وذلك في ١٦ رجب سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) (١) . وبالرغم مما في هذا الاجراء من مساواة بين الاقباط والمسلمين في خدمة بلادهم ؛ فان الاقباط لم يرحبوا به لانهم قوم مبالون بطبيعتهم الى أعمال السلم ولا يرغبون في الحرب . هذا بالاضافة الى أن عدم تجنيد المسيحيين في مصر منذ الفتح العربي لها - باستثناء المحاولة التي قام بها نابليون في مصر أثناء الحملة الفرنسية - قد أبعدت بينهم وبين الحرب . واستمر تجنيد المسلمين والمسيحيين على قدم المساواة في عصر إسماعيل كذلك . بل نجد أن الجيش المصري ضم المسلمين والمسيحيين (أرثوذكس وكاثوليك وبرتستنت) واليهود تحت لواء واحد . وبذلك استطاعت مصر أن تحل مشكلة تعدد الديانات في مصر حلا عمليا . هذه المشكلة التي طالما حيرت الباب العالي (٣) . وكان عرض الحكومة المصرية من ذلك هو ألا يبقى على إمتياز يوجد الجسد والبغضاء بين رعاياها (٤) .

المفون من الجندية

ولقد أعنى من الخدمة في الجيش كثيرون من سكان مصر ؛ فالعربان المقيمون على حدود مصر الشرقية والغربية في الوجهين البحري والقبلي كانوا معفين . وصدر هذا الاعفاء في عهد محمد علي مصحوبا بتخليصهم الاراضي الزراعية التي يقومون على فلاحتها بأنفسهم ؛ مع إعفاءهم من الضريبة المقررة

(١) تقويم النيل . المجلد الأول ج ٣ (ارادة الى إبراهيم بك . مدير أسبوط في ١٦ رجب ١٣٨٤)

2 - Edwin de Leon : The Khedive's Egypt P. 70 .

2 - Mc Coan : Egypt as it is . P. 101

(٤) قاموس الادارة والقضاء ج ١ ص ٢٩

عليها: وكذلك كانوا معفين من السخرة . وكانت الحكومة المصرية تبغى من وراء ذلك « تحبيب الحضارة لأفهام عاشوا حتى ذلك الوقت في النهب والسلب والسرقات (١) » : فهؤلاء العربان كانوا مصدر قلق لا يستقرون على حال ؛ يقومون بشن الغارات على الأراضى الزراعية من حين لآخر طوال تاريخ مصر الطويل منذ عهد الفراعنة ، فربط هؤلاء بالأرض يحد من نشاطهم في التجول - ولا نقول بمنهم تماما - لأن هؤلاء القوم لم يقوموا بزراعة هذه الأراضى بأنفسهم كما أمرت الحكومة . بل كانوا يؤجرونها إلى الفلاحين ليستطيعوا التنقل . وقد أصدر محمد على ومن خلفه من الولاة عدة تهديدات يندرونهم فيها بتزع ملكية هذه الأراضى منهم إذا لم يقوموا على زراعتها بأنفسهم . ولكن هذه التهديدات لم تأت بنتيجة ما ؛ واستمر الحال على هذا النحو حتى أواخر عصر سعيد . إذ أصدرت الحكومة أمرا بتجنيدهم (٢) . بل فرض على العربان المقيمين بمديرتى قنا واسنا « إعطاء أنصار للجهادية فى مقابل إعطائهم أظيانا للزراعة (٣) » : ولكن الخديو إسماعيل كان يحرص على ألا يمس الإمتيازات التى سبق أن منحها جده محمد على لطائفة من الطوائف . فأمر بمراعاة أحكام الإمتياز المعطى لهؤلاء العربان ، وعدم أخذ أفراد منهم للتجنيد ، وذلك فى ٩ شعبان سنة ١٢٧٩ (٤) (أوائل سنة ١٨٦٣) .

ومن المعفين من الخدمة كذلك طلبة الأزهر ، فإذا أصابت القرعة العسكرية بعض هؤلاء ، يجرى لهم إمتحان فى مواد الدراسة التى يدرسونها ، على أن تشكل

1 - Edwin de Leon : The Khedive's Egypt . P . 370 .

(٢) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٣٠ أمر إلى راغب باشا مفتش عام

وجه بجرى فى ٩ شعبان سنة ١٢٧٩ .

(٣ و ٤) المصدر السابق :

لجنة الامتحان « من قاضى مصر ومفتيها وأفندية الدرس العام (١) »: وتختلف درجة الإمتحان باختلاف السن (٢) :

فالطلبة من سن ٢٠ و ٢١ عاما يمتحنون فى الإظهار
والذين من سن ٢٢ و ٢٣ عاما يمتحنون فى الكافية
والذين من سن ٢٤ و ٢٥ عاما فى الملاجمى والفنارى

فاذا أجاب الطالب ممتحنة لإجابه مرضية أعنى من الخدمة ، وإلا أخذ للعسكرية . وإذا ألتينا نظرة عامة على عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية فى سنتى ١٨٧٥ و ١٨٧٧ ؛ وجدناه يبلغ ١٥١٧١ طالبا و ١١١٧٤٩ طالبا على التوالى (٣) . ومنه يتضح العدد الكبير المعنى من الجندية من طلبة المعاهد الدينية . كذلك أعنى تلاميذ المدارس من الإلتحاق بالجيش كجنود ، وقد بلغ عدد هؤلاء فى سنة ١٨٧٨ بنحو ١٣٧٥٤٥ (٤) تلميذا . نفس الوقت الذى قدر فيه عدد سكان مصر من الوطنيين فى نهاية سنة ١٨٧٨ بنحو ٢٨٣٠٥١٠٠ نسمة (٥) .

(١) دفتر ٥٥٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ١٨٦ ص ٩٣ من المعية إلى محافظ مصر فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) .

(٢) المصدر السابق (الإظهار والملاجمى والفنارى عبارة عن كتب دراسية)

3 - Ministère de L'interieure - Bureau De La statistique . Essai de statistique Generale de L.Egypt .Deuxième Vol. Imprimerie de L'Etat Major Generale Egyptien P . 226 . Le Caire 1879 .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦٦ . وايس معنى ذلك أنهم حرموا من الخدمة بالجيش بل التحقوا به كضباط بعد تخرجهم من المدارس الحربية .
(٥) المصدر السابق .

ذكرنا من قبل أن الحكومة المصرية في عهد ولاية سعيد قد أصدرت أمرا في سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ - ١٨٥٦) بتجنيد أولاد العمدة والمشايخ . واستمر هذا الأمر قائما حتى ولى إسماعيل الحكم ، فأمر (١) في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ (أوائل ١٨٦٣) - أي بعد توليته بأيام - بأن يقبل البدل من أولاد العمدة الذين ألحقوا بخدمة الجيش ويطلق سراحم على أن « يجرى ذلك بصورة دائمة » . أي صرح لأولاد العمدة بدفع البدل المالي أسوة بغيرهم .

كذلك أصدرت الحكومة أمرا في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ (أوائل ١٨٥٣) « بالألا يؤخذ للجهادية أحد من أهل مصر وبوالباق ومصر القديمة والإسكندرية (٢) » . وشمل هذا الأمر كذلك إطلاق سبيل كل من أخذ من أهالي هاتين المدينتين في الجيش أسوة بسكان القسطنطينية . وقد كما كون Mc Coon بأن هذا الامتياز قديم ولكنه لم يستطع الكشف عن السبب الذي من أجله منح هذا الإستثناء ، ولكن في بلد كندا وبين أناس اتخذت العادات والتقاليد قوة القانون ؛ فإن قدم هذا العرف يكفي لإستمراره حتى تحت حكم الخديو المطلق (٢) ؛ فلا غرابة إذا أن نشاهد في القاهرة والاسكندرية أفرادا من مختلف الاجناس والأديان ، من السوريين ، والقبط ، والأرمن ، واليهود ، والنوبيين ، والاحباش واليونانيين ، والأتراك « يبلغ عددهم ١٥٠ ألف نسمة مرفين من الخدمة

(١) محظفة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٢١٤ أمر من إسماعيل باشا إلى ناظر الجهادية في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

العسكرية (١) ، الى غير ذلك من الاوربيين الذين لا يخضعون لنظام التجنيد ، نتيجة تمتعهم بالامتيازات الاجنبية . وقد بلغ عدد سكان مدينتي القاهرة والاسكندرية من الاجانب حتى آخر ديسمبر سنة ١٨٧٨ نحو ٥٨٦٤٢ (٢) نسمة وهكذا ، أصبح عشر السكان نتيجة لهذا الامتياز الغريب معينين من الخدمة (٣) .

كذلك أعفى من التجنيد الافراد الموجودون بالخدمة في الجيش نتيجة فقد من يعول أسرهم ، دون أن يكون لهم من يحمل مقامهم في ادارة معاش العائلة (٤) ، وذلك في ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) . وكان أيضا اذا اتضح أن أحد أنصار الجهادية قد أصبح وحيد والديه بسبب وفاة أخوته ، وتمت لتظارة الجهادية ذلك وأراد هذا الفرد دفع البدل فيقبل منه ، ويعفى من الخدمة العسكرية (٥) . وقد كانت الحكومة تصرف معاشا لاهالي الجندي الذي يعول أسرته ، ولكنه ألغى في بدء حكم اسماعيل (٥) .

1 - Leon : The Khedive , s Egypt . P . 371 .

2 - Essai de Statistique Generale de l' Egypte .

3 - Leon : The Khedive's Egypt . p . 371 .

(٤) دفتر ٧ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٧٩ من الجناح العالي إلى ناظر لجهادية في ٢٤ ذى القعدة لسنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

(٥) محظية ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٦٩ من الجناح العالي إلى ناظر الجهادية في ٢٥ رمضان سنة ١٢٨٤ (١٨٦٨) .

(٦) دفتر ٢٥٩ (معية تركي) وثيقة رقم ٩ من ٧٧ أمر الى نظارة المالية في ٩ ربيع ثلث ١٢٨١ .

طريقة جمع الجنود

يصف المستر جورج بتلر - قنصل أمريكا الجنرال بمصر سنة ١٨٧٠ - طريقة جمع الجنود بالبساطة ، وقلة التكاليف . فتتلخص في أن يصدر الوالى أو امره إلى المدير أو المحافظ في كل مديرية أو محافظة بطلب أنفسار للجهادية ، فيقوم هؤلاء بتكليف العمدة والمشايخ ، بجمعهم من الحقول ، ويصبحون جنودا بأسرع ما يمكن دون مراعاة لميولهم أو مصالحهم^(١) . ولم يكن التجنيد يجرى طبقاً لافتراع سنوى ، ولكنه تجنيد غير منظم يحدث كل سنتين أو ثلاث سنوات إذا دعت الحاجة إليه^(٢) . ويحدث عادة بأمر عال ، سواء أكان الدافع إليه رغبة الحديوي أو الضرورة إلى زيادة عدد الجيش^(٣) . وكان العمدة والمشايخ يجمعون أكثر من العدد المطلوب بحجة ما قد يسفر عنه الكشف من وجود مرضى أو ممن لا يصلحون للخدمة . ويمكن لأى فرد من هؤلاء الذين يراد تجنيدهم الخلاص من التجنيدية نظير دفع مبلغ معين للشيخ أو العمدة^(٤) . وكان هؤلاء العمدة يعمدون ، إلى جمع الفقراء والضعفاء ويلتزمون جانب الأغنياء ، وبالأخص أقاربهم وذوى تملقاتهم^(٥) . ونتيجة لهذه التصرفات كثرت الشكاوى للديريين

1 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 32 Butler to Hamilton Fish. 30, Dec. 1870.

2 - Mc Coan : Egypt as it is. P. 101.

3 - Leon : The Khedive's Egypt. P. 375.

4 - Dye : Moslem Egypt ... P. 57.

(٥) محظلة رقم ٣٥ (ممية تركى) وثيقة رقم ٩٢ من اسماعيل صديق ، مقتنى العالم الوجه البحرى الى المية في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

والمحافظين، فقد أرسل اسماعيل صديق مفتش أقاليم الوجه البحرى إلى الخديو فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (اكتوبر ١٨٦٥) خطابا يوضح له هذه الإجراءات ، ويرجو سموه الموافقة « على جمع العسكر حسب الأرقام أو على حسب الاسم والسن والقربة^(١) » من واقع دفاتر الأرقام الموجودة فى نظارة الجهادية ، وذلك لتستقيم الأمور. وقد استعملت هذه الطريقة الجديدة ، ولكن نظرا لإسناد تنفيذها إلى العمدة والمشايخ فقد ساروا سيرتهم الأولى .

كذلك كان يجمع المشردون « الذين لا صناعة لهم خلاف التجول فى الطرقات لإحداث الغوغاء والعريضة^(٢) » ، ثم يجرى فرزهم وإرسال من يلىق منهم الخدمة وضمين العساكر التى سترسل إلى جهة السودان^(٣) . وكانت هذه السياسة تفتقر إلى الحكمة وبمد النظر ، فتخلص الحكومة المصرية من المشردين بإرسالهم إلى السودان ، واعتبار تلك البلاد كمنفى لذرى السلوك السيء قد أضر بمصلحة مصر ضررا بليغا .

ورغم أن القانون (قانون القرعة العسكرية) ينص على وجوب تجنيد الشبان الذين فى سن ١٨ إلى ٢٢ عاما ، إلا أنه قد دخل فى صفوف الجيش من يقلون سنا عن ذلك . فاستخدم فى حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ جنود لا تزيد سن أحدهم عن خمس عشر سنة^(٤) .

(١) محفظة رقم ٣٥ (ممية تركى) وثيقة رقم ٩٢ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٥٣٠ (ممية تركى) وثيقة رقم ٧٥ س ١١٤ الى محافظ مصر بتاريخ ١٩

شوال ١٢٧٩ .

(٣) دفتر ٥٣٠ (ممية تركى) وثيقة رقم ٤٣ س ١٥٨ الى ديوان الجهادية فى ٣ ذى

الحجة ١٢٧٩ .

(٤) كشف الصغار عن سر الاسرار ج ١ س ٢٧ .

كذلك كان يجمع لآلايات الجرحجية شبان من سن ١٥ - ١٦ سنة^(١) .
أما في السودان ، فنظرا لقسوة المناخ في بعض أجزائه ، وعدم ملاءمته للجنود
المصريين لكثرة ما يفتكهم من أمراض المناطق الحارة التي تذهب بالكثير منهم ،
رؤى استخدام جنود من السودانيين أنفسهم . فكانوا يجمعون من السودان ، ثم
يدربون على التدريبات العسكرية الأولية ، ويحدها يرسلون إلى مصر لاستكمال
تدريبهم وتعليمهم ، على أن يعودوا ثمانية إلى بلادهم بعد إتمام التدريب . وطريقة
جمع هؤلاء السودانيين متعددة ، منها أن الحكومة المصرية تلجأ إلى التنازل لكل شيخ
من مشايخ قبائل فنج وججات شاك ودينكة عن مبلغ خمسمائة قرش نظير كل نفر
يرسلونه للجهادية^(٢) ، وذلك من قيمة الضرائب المفروضة عليهم سنويا . أى
أن الحكومة المصرية لم تلجأ إلى تجنيد هؤلاء بالقوة ، بل نظير تنازلها عن جزء
من إيراداتها برضاء مشايخ القبائل أنفسهم .

كذلك وافقت الحكومة المصرية على ما اتخذته حكمدار السودان من إجراءات
في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) بشأن تجنيد من يرغب من
أهالى مديرية البحر الأبيض ، وباطلاع كبار المشايخ المشهورين في تلك الجهة^(٣) ،
على أن يمنح لأسرهم مبلغ مائتان وخمسون قرشا ، على سبيل الترغيب

(١) دفتر ٤٨٠ (ممية تركي) وثيقة بدون رقم ٢٤٣ ص ٣٣ من المعية الى ديوان
الجهادية في ١٩ ربيع أول سنة ١٢٨١ (أغسطس ١٨٦٤) .
(٢) دفتر ٢٦٠ (ممية تركي) وثيقة بدون رقم ص ٩٨ قسم ثابى أمر الى موسى باها
حكمدار السودان في ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٧٩ .
(٣) تقويم النيل المجلد الثامن ج ٣ ص ٥٦٤ من حكمدار السودان الى المعية السنية في
جمادى آخر سنة ١٢٨٠ .

وذلك لصفها في إصلاح شؤونهم^(١) .

وقد استخدمت الحكومة ألفا من العربان المقيمين بحكمدارية هرو كعساكر على و ألانطى لهم أسلحة نارية من الحكومة ، بل يسكنونهم المتأدين عليها مثل الحرب والنبال^(٢) ، وترتب لهم ماهيات وتصرف لهم أقمشة ، بالإضافة الى التجهيزات المخصصة لهم . وكذلك يصرف لمشايخهم مرتبات شهرية . وكان الغرض من هذا الإجراء اقناعهم بأن الحكومة لا تبغى إلا د منفعتهم بواسطة لدخالهم في خدماتها وبذلك يحصل تأليفهم وإصلاح حالهم وتنذب أخلاقهم^(٣) .

كذلك كانت تحصل حكمدارية السودان على ما يلزمها من جنود لتزويد الجيش المصرى بالسودان من د أسرى المصادمات التي حصلت بين قبائل العربان ، أو من الرقيق الذى يجرى ضبطه عند وجوده عرضة للبيع^(٤) . على أن تدرب هذه العناصر بالسودان تدريبا أوليا ، ثم ترسل الى مصر لإتمام تعاليمها العسكرية على أن تقوم الحكومة المصرية بإرسال بدلهم من العساكر السودانيين الذين تم تدريبهم . وفكرة تجنيد الأرقاء فى الجيش فكرة سليمة ، فهى الى جانب تزويدها الحكومة بطاقات جديدة ، فهى تمىء لهم حياة جديدة منظمة ، يتمتعون فى ظلها بحياة شريفة تهيئهم لمستقبل حر .

(١) المصدر السابق .

(٢) دفتر ١٠ (مبية تركى) امر كرم رقم ٥ س ٣٣ من المية الدنية الى حكمدارية هرو وملاحقاتها فى ٩ ربيع أول سنة ١٣٩٣ هـ ٤ ابريل سنة ١٨٧١ هـ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق . والوقائع المصرية العدد ٥٧٢ فى ١٣ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ أغسطس سنة ١٨٧٤ هـ . والمودان بين يدى غردون وكشتتر س ٢٧ .

فرز المتبرد

تجرى عملية جمع الجنود على النحو الذى أشرنا اليه سابقا ، ثم يسير هؤلاء المجندون الى مكان الفرز يحف بهم النساء والأطفال من كل جانب حيث يعرضون على لجنة الفرز التى تتكون من أطباء عسكريين ، فمن وجد منهم ملامما ضم الى الجيش إذا لم يقدم بدلا عنه . أما الذين لا يقوون على حمل السلاح فيباحقون فى الخدمات الخارجة عن حمل السلاح كسقاين وطباخين^(١) . ويبقى المقبولون تحت الطاب ولا يسمح لهم بمغادرة الديار المصرية إلا لأداء فريضة الحج ، بشرط أن تؤخذ ضمانات قوية من الأفراد المفروزين المجاهدية لأجل عودتهم^(٢) . ويمر هؤلاء المفروزون بأباد كثيرة من باشوات وبسكوات قبل أن يصرضوا على ناظر الجهادية الذى يوقع عليهم الاختبار النهائى ، وإه الحق فى إعفاء أى فرد يرى عدم صلاحيته للمجنديّة^(٣) .

بدل الجنديّة (البدلية)

الأصل فى البدل أن يقدم الفرد المطلوب تجنيده بدلا شخصيا عنه . وعندما أعفى الخديو اسماعيل أولاد العمدة والمشايخ من الخدمة نظير بدل شخصى ، ذكر السيد احمد الشريف عضو مجلس شورى النواب فى جلسته المنعقدة فى ٢٨ ذى القعدة

(١) دتر ١٧٨٦ ج ١ أوامر وبيقة رقم ٦ ص ١١٦ من ديوان عموم الجهادية الى وجاتى الموزقات فى ٢٣ ربيع أول سنة ١٢٩٢ .
(٢) دتر ٥٢٦ (معية تركى) وبيقة بدون رقم ص ٦٣ أمر الى مفتش وجه قبل فى ١٣ شوال سنة ١٢٧٩ وبيقة بدون رقم ص ٧١ امر الى شاكر باشا مفتش وجه بهرى فى ١٣ شوال سنة ١٢٧٩ .

سنة ١٢٨٤ (مارس سنة ١٨٦٨) بأن هذا الإجراء ميسور بالنسبة لاولاد المشايخ ووجوه القوم . أما بالنسبة للأهالي « فليس في وسعهم ترغيب بعضهم بضا في مثل ذلك (١) » وطالب الحكومة بتحويل بدل نقدي تقرره « وهي بمعرفتها تستحصل على من يرغب (٢) » . فأجل هذا الاقتراح لجلسة أخرى لسماح رأى الحكومة فيه . وقد وافقت الحكومة على المبدأ (٣) ، ولكنها لم تحدد البديل المطلوب . وأحيل الموضوع الى قومسيون التعداد للاستشارة بمض البيانات الخاصة بها يدفع من البديل في البلدان الأخرى .

وقبل أن توافق الحكومة على البديل النقدي كان تقديم البديل الشخصي ميسورا بالنسبة للأغنياء وأهل الصنعة والتجارة : عندما كان الرق مباحا . فاذا طلب أحد من الطبقة الغنية أو المتوسطة للجندي بادر بتقديم عبد بدلا منه قد بلغ السن القانونية . ومن طريف ما روته الوثائق شكوى قدمها أحد أهالي المحلة الكبرى ويدعى « على بن احمد الصائغ » ، فقد طلب للتجنيد فقدم عبدا بدلا منه ، واستمر هذا العبد تحت السلاح حتى مات . ثم طلب الشاكي للامدادية (الرديف) ، فأخبر ديوان الجهادية بأنه سبق أن قدم عبدا بدلا منه ، فلم يأخذ الديوان بأقواله . فقدم عبدا آخر ، إلا أنها لم تقبله أيضا . ثم قبضت على والد هذا الشخص وعمره ٩٥ عاما وحبسته كرهينة

(١) الوثائق المصرية العدد ١٩٣ في ٢٤ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ (١٧ ابريل سنة ١٨٦٨) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوثائق المصرية العدد ١٩٤ في ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ (٢٠ ابريل سنة

١٨٦٨) .

الى أن يحضر صاحب الدعوى^(١) . فالبدل اذاً لا يعنى الشخص المطلوب من الإمدادية (الرديف)؛ ولو أنه يعفيه من الخدمة في الجيش عندما يطلب الجهادية عند بلوغه السن القانونية .

ولكن بعد الغاء الرق أصبح موضوع البدل أكثر تعقيداً عن ذي قبل . فقد رفضت الحكومة قبول الأرقاء بدلاً من أولاد الاغنياء والتجار وأهل الصنعة ؛ ولأن الرق أصبح منبراً عنه في هذه البلاد^(٢) (مصر) . فلندليل هذه العقبة رفع ناظر الجهادية مذكرة الى الخديو اسماعيل يوضح له فيها ما تتخذه الدول الاوربية - خصوصاً فرنسا - من قبول بدل نقدي لتعسر إحضار بدلات شخصية^(٣) ، فتأخذ عن كل فرد يريد إعفاء من الخدمة ٣٣٠٠٠ فرنك . كما تأخذ من كل فرد يرغب الخروج من الخدمة ٥٠٠ فرنك عن كل سنة بقيت له^(٤) . وبناء عليه ووفق على أخذ بدل نقدي . فجاء في (لائحة الاجراءات المتعلقة بالسكرية) بالبند الثالث والعشرين بأن الشبان الذين يطالبون بالخدمة العسكرية «يجوز أن ينالوا عدم الحاقهم بالسكرية بواسطة دفع قيمة البداية الى صندوق العسكرية»^(٥) . وقد فسر الغرض من أخذ البدل النقدي بأنه «استبدال الشبان المذكورين بجهاديين

-
- (١) محظفة ٤٠ (معية تركي) وثيقة رقم ٢٦٩ من كاتب ديوان الخديو الى وكيل الجهادية في ٣٩ رمضان سنة ١٢٨٣ .
- (٢) محظفة ٣٠ (معية تركي) وثيقة رقم ٣٠٧ من اسماعيل سليم باشا ناظر الجهادية الى باشماون الخديو في غرة ذي الحجة سنة ١٢٧٩ .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) تقويم النيل - المجلد الثاني ج ٣ من ٦٥١ .

من الذين أوفوا مددهم بالخدمة (الخدمة) ثم يصير إلحاقهم ثانياً بالعسكرية برسم البدلية إذا أرادوا ، أو من الأشخاص المسافين من الدخول بالعسكرية (١) .

والم تسمح الحكومة للدينين من دفع البدل خشية أن يلجأوا إلى اقتراض المبلغ بالأرباح أو بيع أى شيء من أطيئانهم (٢) . وبعرض هذا الموضوع على مجلس شورى النواب نص على أن المدنيين الذين تدانوا بحسب مقتضيات مصالحتهم ، وعند تسويتها واطبوا على تسديد التسييط، وإذا أرادوا تقديم البدلية لم يتكفروا أخذها بالدين ؛ ولا يبيع أطيئانهم لايكونوا كالذين صار استثنائهم من البدلية (٣) .

فالبديل كما رأينا قد تطور طبقا لمقتضيات الظروف من بدل شخصى إلى بدل نقدى ، وهو ما يسمى (بالبدلية) ، وكانت تدفع عند أول طلب قبل أن يُلحق بالمقترح بالجيش . ولم يقتصر دفع البدلية على الذين تقع عليهم القرعة فحسب ، بل شمل هذا النظام الذين التحقوا بالجيش وامتضوا فيه مدة قصيرة كانت أم طويلة ، من رتبة النفر إلى الصف ضابط ، سواء منهم من كان موجودا تحت السلاح أو من كان منهم بالامدادية (٤) (الرديف) . فكان على كل راغب فى الخروج من الخدمة أن يدفع مبلغا معينا عن كل سنة بقيت له فى الخدمة .

(١) المصدر السابق .

(٢) الوقائع المصرية العدد ١٩٧ نى ٧ محرم سنة ١٢٨٠ (٣ ابريل سنة ١٨٦٨) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) دفتر ٢٨٣٢ أوا. وثيقة رقم ١٨ من الملية إلى ديوان الجهادية فى ٤ صفر

وتفاوتت هذه المبالغ بتفاوت الرتب العسكرية؛ فالمبلغ الذى يدفعه النفر غير الذى يدفعه الانباشى غير ما يدفعه الجساويش . وهكذا فكما ارتفعت الرتب- كما كبر البدل والعكس صحيح .

وكانت الدولة العثمانية- تتبع نظاما مشابها لهذا النظام فتقوم بجمع العساكر بالقرعة- ثم تأخذ البدل من يتقدمون على دفعه ، ثم يخلى سبيلهم ويؤخذ من جديد عساكر آخرون بالقرعة- من مناطق أخرى بقدر عدد العساكر الذين دفعوا البدل(١) . وخصصت المبالغ المتحصلة من البدل فى شراء الاسلحة- اللازمه- للجيش(٢) .

وفى ٢٣ شعبان سنة- ١٢٩٧ (٣١ يولييه سنة- ١٨٨٠) صدر قانون آخر المقرعه- العسكرية- المصرية- اشتمل على ٣٧ بنداً (٣) . ثم صدر قانون القرعه- العسكريه- فى ١٣ مايو سنة- ١٨٨٥ بتعديل مادتي ١٥ و ٣٣ من قانون القرعه- العسكريه- السابق ؛ وينص على أنه يجوز لمن تصيبه القرعه-العسكريه- أن يتخلص منها بدفع بدل نقدي قدره ١٠٠ جنيهها مصرياً فى ميعاد ١٥ يوماً من تاريخ الطلب . ثم عدلت مرة أخرى فى ١٢ يونيه سنة- ١٨٨٦ بأن يدفع مبلغ ٤٠ جنيهها مصرياً للمقترع قبل حضور طلب المعافاة أمام مجلس القرعه- و ٥٠ جنيهها

(١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة رقم ٤٥٦ من الباشمماون الى خورشيد باشا بالاستانة فى آخر محرم سنة ١٢٨١ .
(٢) محظلة ٤٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٣٨٠ من شاهين كنج الى مهرداد الحيو فى ١٧ صفر سنة ١٢٨٥ (يونيه ١٨٦٨) .
(٣) ديوان الجهادية المصرية . قانون القرعه العسكرية المصرية . مطبقة أركان حرب الجهادية سنة ١٢٩٧ (س ٣ - ٣٩) .

مصريا بعد أن تصيبه القرعة- و ١٠٠ جنيتها مصرياً بعد غلبه للانتظام فى سلك الجيش وفى أى وقت من مدة الخدمة- العسكرية- (١) .

ومن هذا نرى أن نظام البديل التقدى الذى ساد فى مصر ، قد أخذت به بعض الدول الاوربية- مثل فرنسا ، كما سبق الاشارة اليه . وعلى أى حال فقد كان هذا النظام بغيضا لدى المصريين ، لا سيما الطائفة- السكادحة- التى كانت تشعر فى ظله بتلك التفرقة- فى خدمه- الوطن بين القادرين وغير القادرين ؛ بين الذين يملكون والذين لا يملكون .

التهرب من الجندية

لما كان عبء الخدمة- العسكرية- يقع فى الواقع على كاهل الطبقات الفقيرة من الفلاحين دون سواهم ؛ ونظرا لـ كراهية- هؤلاء لها لطول مدة الخدمة- ، ولتعارضها مع مصالحهم الخاصة- ، لجأوا الى ما كان يلجأ اليه آباؤهم من قبل فى عصر محمد على من بتر أصابع أرجلهم وأيديهم وتشويه وجوههم للتخلص منها ، وازاء هذه المشكله- اضطر محمد على الى مقاومه- هذه الظاهرة بانشاء فرقه- من المشوهين ، استخدمها فى غير الاغراض الحربية- . وقد عاجلت الحكومه- فى عهد الخديو اسماعيل هذا الموضوع بنفس الطريقة- ، فاصدرت أمراً الى ناظر الجهادية- بأن كل فرد تسبب فى إتلاف عضو من أعضاء جسده ؛ بغيه- التخلص من الخدمة العسكرية « يؤخذ للجندية- بالحالة التى وجد عليها ، سواء كان مقطوع الأصبع ، تالف العين ، ويؤخذ المعمل بالسكة الحديد (٢) » . وقد يضم للجيش

(١) مجموعة التوائين والقرارات بدار المحفوظات التاريخية لسراى هابدين العامرة .

(٢) محفظة ٧ جهادية وثيقة عربية رقم ٢٧١ من الجناح العالى الى ناظر الجهادية فى ٨

ذى القعدة سنة ١٢٧٩ .

أيضا . فكما يذكر الضابط الامريكى داي Dye - من هيئة أركان حرب - بأن من الأشياء العسادية أن يرى المرء جنودا فاقدى الابهام أو أحد الاصابع بين صفوف الجيش^(١) .

وكان العمدة والمشايخ يعمدون بطارق الغش والاحتتيال إلى تخليص أبنائهم من الجهادية أو الإمدادية . ولذا فقد أصدر الخديو اسماعيل مذكورا إلى جميع المديرين في ١٩ رجب سنة ١٢٨٠ (أو آخر ١٨٦٣) يبلغهم فيه بأن كل من يحاول من المشايخ أو العمدة تخليص ابنه من الجهادية أو الإمدادية ويؤخذ هو رأسا إلى الجهادية^(٢) . . ولكن نظرا لعدم إجراء عملية جمع الجنود طبقا لتقواعد دقيقة منظمة كانت هناك فرص كثيرة للهروب من الجندية ، وذلك برشوة المشايخ والعمدة^(٣) .

مدة الخدمة بالجيش

لم تكن مدة الخدمة واحدة في جميع أسلحة الجيش ، ففي سلاح المشاة يبقى الجندي في الخدمة خمس سنوات ، وفي سلاح الفرسان ست سنوات ،

1 - Dye ; Moslem Egypt p. 57

(٤) دفتر ٥٣٣ (ممية تركى) وثيقة رقم ٣٦ ص ١٩ من المية إلى مدير المنوفية في ١٩ رجب سنة ١٢٨٠ . ودفتر ٣٣ (ممية تركى) وثيقة تركية رقم ١٦ من المية إلى مدير أسيوط في ١٩ رجب سنة ١٢٨٠

3 - Dye, Moslem Egypt..... p. 57.

وفى سلاح المدفعية سبع سنوات^(١) . أما مدة الإمدادية (الرديف) فهي سبع سنين . وفى خلالها لا يدعون مطلقا للتمرين ، ولكن للتعبئة والتجنيذ فقط^(٢) . وقد عثرت على وثيقة تحدد مدة الخدمة تحت السلاح بست سنوات دون تمييز بين سلاح وآخر . وكذلك مدة الإمدادية بست سنوات كذلك^(٣) ، إذا لم يرتكب الجندي سابقة فرار أو جنائية^(٤) . وتحسب مدة الخدمة بالزمن الذى يقضيه الجندي تحت السلاح . ففي عصر سعيد مثلا ، نظرا لعدم وضعه نظاما مئينا لذلك كان يقوم بجمع الجنود ، ثم لا يلبث أن يسرحهم ، ثم يعيدهم من جديد وهكذا . فكانت تحسب مدة هؤلاء بمجموع المسدد التى قضوها بالجيش أو الإمدادية مع حذف مدة تسريحهم منها . فمن أوفى المدتين تحت السلاح ويربط له يومية على مقدار اكتسابه بمماثلة لأقرانه من أولاد البلد^(٥) .

وفى سنة ١٨٦٦ صدر فرمان من الباب العالى يمنح الخديو الحق فى زيادة عدد قوات الجيش المصرى إلى ثلاثين ألفا فى وقت السلم . فلكى يصل الخديو بالجيش

1 — Ahdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/1 Article de Hans Wachenhusen en 1870.

Mc Coan : Egypt as it is p. 100.

(٢) المصدران السابقان .

(٣) دفتر ٩٨٧ ج ٢ أوامر جهادية وثيقة رقم ٩٩٦ من ناظر الجهادية الى مهمات

عسكرية فى ٢٢ جادى الاخرة ١٢٨٢

(٤) المصدر السابق

(٥) دفتر ٩٨٧ ج ٢ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ٩٩٦ من ناظر الجهادية الى مهمات

عسكرية فى ٢٣ جادى الاخرة ١٢٨٢ .

إلى هذا العدد اتبع نظام الخدمة القصيرة الأمد التي بمقتضاها أصبح ما يزيد عن نصف عدد رجال الجيش - بعد استكمال تمرينهم - يرسلون إلى ديارهم في أجازات غير محدودة الأجل ليحل محلهم جنود جدد . وهؤلاء بعد تمضية مدة تراوح بين سنة وثمانية عشر شهرا يسرحون ليحل محلهم آخرون وهكذا (١) . وهذه الطريقة مكنت الحديو من الاحتفاظ بقوة فعالة تبلغ الثلاثين ألفا . وفي نفس الوقت أتاحت الفرصة أمام الجنود المتفرغ إلى مزارعهم والاهتمام بها بمض الوقت .

إلا أنه بالرغم من ذلك يمكننا القول أن الجندي كان يمكنه أكثر مما حدد له دون أن يكون له رغبة في ذلك . وهذه المدة الطويلة كانت في بعض الأحيان تفقده ورحة المعنوي وطموحه كذلك (٢) . وقد غالى بعض الذين تساؤلوا هذه الناحية بالكتابة ، فذكر الضابط الأمريكي داي بأنه وعندما يقبل أحد في الخدمة يصبح جنديا عاملا إلى الأبد أو من الجنود المتقاعدين (٣) .

الفرار من الخدمة

كره المصريون الخدمة العسكرية لما ذكرناه سابقا ، فلجأ البعض إلى التهرب من الخدمة بطريق الرشوة أو التشويه . أما الفريق الآخر فقد دخل الخدمة مكرها . إلا أننا نجد أن أغلبهم حينما ينخرطون في الجيش ينسجمون مع حياتهم

(1) Mc Coan : Egypt as it p, 99

(2) « « « p. 57

(3) Dye ; Moslem Egypt p, 57

الجديدة . أما البعض الآخر ففسد ينهزون أية فرصة للفرار . ولفرار الجندي أسباب عديدة منها : ارتكابه أمرا يخالف التعليمات العسكرية فيخشى عقابه فيهرب ، أو يمنح أجازة لقضاءها بين أهله وعشيرته فتسول له نفسه التخلف فيختفى عن الأنظار ، أو لطول المدة التي قضاها في العسكرية، وكثرة ما ناله من تعب .

عقوبة الفرار

لذلك فقد لجأت الحكومة - أو ديوان الجهادية بصفة خاصة - إلى تشديد العقوبة على هؤلاء الفارين . واختلفت العقوبة من وقت لآخر ، ففي عهد سعيد كان يطبق على الفارين أفسى العقوبات . فبالإضافة إلى ما ينالهم من عقاب بناء على أحكام المجلس السكري ينقلون إلى السودان مع بيع ممتلكاتهم وتوريد أثمانها للديوان (١) . ولكن الحكومة المصرية عدلت عن هذا الأسلوب القاسي ولم توافق على هذه الاجراءات التي لا تقبلها الطبيعة البشرية (٢) ، واكتفى بمعاقبتهم طبقا للأئحة العسكرية : ثم أمرت باحصاء الاطيان والمواشي التي يبعث للسبب المذكور مع بيان أثمانها وأسما البائعين والمشتريين لارجاعها إلى أصحابها(٣)

-
- (١) دقت ٢٦٠٠٠ (مبية تركي) وثيقة تركية بدون رقم س ٢٣ أمرا إلى على شكرى باشا مدير البحرية في آخر رجب سنة ١٢٧٩
- (٢) المصدر السابق ، والوثائق المصرية العدد رقم ٥ في ٢ شعبان سنة ١٢٨٢ (٢١ ديسمبر ١٨٦٠) وقاموس الادارة والقضاء ج ١ ص ١٥٧
- (٣) المصدر السابق

وفي ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) أصدرت الحكومة أمرا (١) بالموافقة على ما حدده المجلس العسكري فيما يتعلق بمقوبة الفارين من الجندية . وتنص هذه العقوبة على « تقييدهم بالأغلال في أرجلهم لمدة ستة شهور واستخدامهم بالخدمات السفلية (٢) » ، وعدم صرف مرتبات أو ملابس لهم ، بل يعطون خبزا فقط . وبعد إلتضاء مدة العقوبة يقيدون من جديد على أنهم مستجدون مع عدم احتساب مدة الخدمة السابقة المعقوبة .

كذلك كان كل من يتأخر عن نهاية أجازته من الصف ضباط والعساكر يحرم من أجازته مدة سنة ، ثم خفضت هذه العقوبة إلى ستة أشهر فقط (٣) .

ولم تقتصر العقوبة على الفارين فحسب ، بل شملت ذوى قراهم وكل من عاونهم على الفرار . فوجد مثلا أحد الجنود قد فر من الجيش بعد ارتكاب جريمة سرقة ، فقبض عليه وعلى « الرجل الذى أخفاه عنده ، وكذلك شيخ الحصة التى وجد فيها الهارب (٤) » ، وألحقوا جميعا بالعسكرة « ضمن جماعة

(١) محظلة ٧ جهادية وثيقة تركية رقم ٢٧٧ من الجناح العالى إلى ناظر الجهادية في ١٧ ذى القعدة سنة ١٨٧٩ . ودفتر ٥٢٦ (معية تركي) وثيقة تركية بدون رقم س ٨٥ قسم ثان أسر إلى الباشا قائد البحرية في ١٧ ذى القعدة سنة ١٤٧٩ . ودفتر ٥٢٥ معية تركي وثيقة تركية رقم ٥٦ س ٨٣ أسر إلى ناظر الجهادية الفريق اسماعيل باشا في ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصادر السابقة

(٣) دفتر ١٥١٣ أوامر جهادية (وثيقة رقم ١١٦) س ١٠٦ من ديوان عموم الجهادية إلى ٣ بيادة ٢ جى فرقة في ٢١ شوال سنة ١٢٨٨ .

(٤) محظلة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٣٦٨ من الجناح العالى إلى ناظر الجهادية في ١٦ جادى الاخرة ١٢٨٠ .

الحفارين بحسب لياقتهم (١) .

وفي ذى القعدة سنة ١٢٨٧ (أوائل سنة ١٨٧١) صدر أمر لنظارة الجهادية بشأن سدّ النقص الذى حدث فى صفوف الجيش من جراء فرار الجنود و بأخذ بدل هؤلاء الانفار من أخص أقاربهم وإلحاقهم بالمسكينة لاستكمال الآليات (٢) ، مع تشديد البحث عن الفارين . وأصدرت الحكومة أمرا كذلك بأن كل جندى من الوجه البحرى بمنح أجازة ثم يتخلف عن الحضور ومدة شهر من الأجازة يصير أخذ بدله من أحد أقاربه ويلحق بالمسكينة (٣) . أى أن الاسرة متضامنة تعتبر مسؤولة عن كل فرد من أفرادها تسول له نفسه الهروب من الخدمة (٤) . وليبيان عدد الذين ارتكبوا هذه الجريمة نذكر على سبيل المثال أن عددهم بلغ و بعد استئزال الذين مسكوا وأتى بهم بلغ لغاية جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ (أواخر ١٨٦٥) ألف وثمانية وأربعين جندى (٣) . كما بلغ عدد الفارين والمتأخرين بالأجازة فى سنة ١٢٨٧ (أوائل ١٨٧١) ٢٠٧١ نفر (٦) جهادية من الوجهين القبلى والبحرى .

(١) المصدر السابق

(٢) أمين سامى باشا . تهويم النيل : المجلد الثانى ج ٣ ص ٩٠٠ (أمر كريم الجهادية فى

ذى القعدة ١٢٨٧) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) Dye, Moslem Egypt p. 57

(٥) حفظة ٣٥ (معيه تركى) وثيقة رقم ٢٣٤ من اسماعيل سليم ناظر الجهادية الى حضرة

صاحب السعادة كاتب ديوان حناب الخديو فى ٢١ جمادى الآخرة ١٢٨٢

(٦) أمين سامى باشا . تهويم النيل . المجلد الثانى ج ٣ ص ٩٠٠ [أمر كريم الجهادية

فى ذى القعدة سنة ١٢٧٨ .

فاذا نظرنا إلى هذا العدد الكبير من الفارين لا نعيب للتسوية التي عوقب بها الهارب .

كذلك تنص اللائحة العسكرية على ألا يقوم الجندي طوال مدة خدمته بأى عمل يوقعه تحت طائلة العقاب ، فالجنود الذين يرتكبون جرائم خفيفة « يصير معاقبتهم بتزيل الرتب والحبس البسيط في محل خدمتهم^(١) » . أما الذين يأتون بجرائم كبيرة « كالرشوة والسرقة والتطاول على رؤسائهم^(٢) » ، فيلحقون بأورطة الاصلاحية ، حيث يمضون فيها مدتهم الجزائية . وفي ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) أصدرت الحكومة أمرا بالغاء أورطة الاصلاحية على أن يرسل الذين لم تنته مدتهم « إلى لبنان اسكندرية لاستيفائهما^(٣) » .

أعمال الجنود في مدة الخدمة والامدادية

كانت المهمة الأولى للجيش هي الدفاع عن كيان البلاد ضد أى عدوان يقع عليها ، وشن الحملات التأديبية ضد أعدائها . فاذا نظرنا إلى الجيش المصرى وجدناه دائم السهر على حماية حدود مصر ضد الغارات التي يقوم بها بدو الصحراء من جهة ، وضد إغارات الاحباش من جهة أخرى ، وكلاهما يميل ميلا شديدا إلى الإغارة ويحتاج إلى مداومة صده والاستعداد له^(٤) .

(١) محظفة ٨ « جهادية » وثيقة رقم ٨٧ من الجناح العالى إلى ناظر الجهادية في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٩٧١ « أوامر جهادية » أمر إلى ديوان عموم الجهادية في ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ .

4 + Leon : The Khedive's Egypt P. 377.

إلى جانب هذه الناحية الحربية كان يساهم الجنود في النواحي العمرانية والإنشائية . وهذه الأعمال كان يؤديها الأهالي عن طريق السخرة منذ عهد محمد علي . فلما ولي اسماعيل الحكم عزم على محو السخرة لخشيته من ازدياد سخط الأهالي عليه نتيجة إعداد ستين ألف (١) رجلا شهريا لأعمال الحفر في قناة السويس . فقال في حديث له : إنى أنوى أن أستبدل السخرة بفرق الجيش ، إذ يمكنني المحافظة على الأمن بجزء منه وأستندم باقيه في الأعمال العسامة (٢) ، . أى أن اسماعيل عندما أراد أن يرفع السخرة عن كاهل الأهالي ألقاها على عاتق الجنود .

وعلى هذه السياسة سار اسماعيل طوال مدة حكمه ، فحفر الترعة وتطهيرها ، وإقامة القصور الملكية ، وتجديد العاصمة وتنسيقها ، كل هذه الأعمال قام بها رجال الجيش سواء كانوا في الخدمة أم في الإمدادية . فمثلا استلزم حفر ترعة الاسماعيلية آلافا من الجنود ، ففرض اسماعيل على مديري الوجه القبلى ارسال لثني عشر ألف نسر ، والوجه البحرى ستة آلاف نفر مع « تقسيمهم على أشغال الترعة ، و صرف المؤونه اللازمة لهم ، وتعيين الضباط لإدارتهم في الأعمال (٣) » . ونظرا لما يذله هؤلاء الجنود من جهد كبير رأيت نظارة الجهادية أن يعطى لهم « شورية أرز أو عدس صباحا ، وعدس أو فول وقت الظهر ،

(١) جورج جندي بك و جاك زاجر ، اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٥٣٩ « معيه تركى » ، وثيقه رقم ٨٤ أمرالى ناظر الجهاديه فى ٢٤ محرم

سنه ١٢٨٢ .

ولحم أو أرز بدفينه مساء (١) . مع صرف تعيين إضافي لهم (٢) .
كذلك استخدم أنفار الامدادية في أشغال الكراكات التي تقوم بتطهير الترع،
فكان يقدر عدد الانفار الذين سيقومون بهذا العمل ، ثم يجرى تقسيمهم على
المديريات ، وتتولى كل مديرية تقديم العدد المطلوب منها إلى ديوان الجهادية (٣) .
وفي السودان كذلك تولى الجنود بناء دار الحكومة وأربع مكينات لإقامتهم ،
وعدة منازل للموظفين ، « ولم يسخر أحد من الأهالي في إقامة هذه المباني (٤) .
واستخدم الجنود أيضا في بناء مساكن الاهالي بيندر سواكن نظرا لأن «الجنادين
والتجارين والبنائين وما اليهم موجودون بكثرة بين العساكر (٥) » المتقيمة بتلك
المنطقة ، وذلك لتجميل البلدة والعمل على تنسيقها وتنظيمها .
وفي عهد حكمدارية جعفر مظهر (باشا) « أنشئت بلوكات عمارة من العساكر
السودانية المتقدمين في السن بالخرطوم والتاكة وكردفان ومصوع (٦) » ، على
أن يقوم بتعليمهم فن العمارة بنامون ونجارون وحدادون من مصر ، وذلك
ليكون لهم نصيب في ترقية بلادهم .

-
- (١) دفتر ٣٥٩ « معيه تركي » وثيقه رقم ٣٨ س ٤١ أمر الى ناظر الجهادية في غاية
رجب سنة ١٨٢١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) دفتر ٥٤٠ « معيه تركي » وثيقه رقم ٣٠ س ٥٩ . أ. ر. كرم الى مدير النوبة في
٢٩ شوال سنة ١٢٨٠ .
(٤) الحركة القومية « هصر اسماعيل » ج ١ س ١٤٤ .
(٥) دفتر ٥٥٨ « معيه تركي » وثيقه رقم ٢٧ س ٥٩ ارادة سنه الى حكمدار السودان
« جعفر مظهر باشا » في ٢٨ صفر ١٢٨٣ « ١٤ يوليه ١٨٦٦ » تقلا عن الحكم المصري
في السودان س ٣٦٠ .
(٦) دفتر ١٨٣٦ « معيه تركي » وثيقه رقم ٤ من حكمداريه السودان الى المعيه السنه
في ٤ محرم سنة ١٢٨٧ تقلا عن الحكم المصري في السودان س ٣٦٠ .

كذلك نجد في محافظة مصرح أن العساكر كانوا يقومون « بغرس الأشجار ووزع الخضار وما إليها في أطراف الجهة التي يقيمون فيها (١) » ، ليتخذ منهم الأهالي أنموذجاً يعملون على منواله . كما وافقت الحكومة المصرية على الإجراءات التي وضعها حكام السودان في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠ بشأن تكليف العساكر المصريين المقيمين بمديرية البحر الأبيض بتعليم وإرشاد الأهالي فنون الزراعة والمجار والتجارة ... حيث أن الهدف « هو تأسيس وتمكين عمارة تلك الجهة وتكسب أهلها ودخولهم تحت تناول المنافع والتمدن شيئاً فشيئاً (٢) » .

ولكن هذه الحالة لم ترض الجنود فأخذوا يتدمرون من قسلة الطعام ورداءته وشدة التعب « فيما كان يحملون عليه من العمل في إقامة القصور الخديوية وتحسين العاصمة وتنظيمها ، وفي الشؤون المدنية المحضنة الأخرى (٣) » . ويذكر ما كون بأن الخديوي إسماعيل خشى أن يستغل الأمر فقبض على رؤوس الحركة وأعدمهم رمياً بالرصاص (٤) .

(١) دفتر ٥٥٨ (ممية تركي) وثيقة رقم ٣ ص ٣ قسم ثاني أمر إلى محافظ مصر في ١٣ شوال سنة ١٢٨٣ (٢٨ فبراير سنة ١٨٦٧) .

(٢) دفتر ٥٥٨ (ممية تركي) وثيقة تركية رقم ٢٧ ص ٥٩ إرادة سنية إلى حكام السودان مظهر باشا في ٢٨ صفر سنة ١٢٨٣ (١٢ بوليه سنة ١٨٦٦) أفلا عن العسكر المصري في السودان ص ٦٣٠ .

3 - Mc Coan : Egypt under the Khedive Ismail P. 90 & 91

والياس الأيوبي في تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل ص ٤٠٥ .

(٤) المصنوع السابق.

أجازات الجنود

كان الجندي يمنح خلال مدة خدمته أجازات كثيرة، ولمدد طويلة في نفس الوقت. ففي أواخر سنة ١٨٦٥ أصدر الخديو أمره إلى ناظر الجهادية بشأن إعطى لثلك العسكر من كل آلاى بصورة دور دائم شهران يذهبون فيه لقراهم وبلادهم ويقضون حاجاتهم (١) . وبناء على هذا الأمر كان يمنح الجنود أربعة أشهر في السنة أجازة . إلا أن هذا الإجراء قد أفاد العساكر المتتمسين بالوجه البحرى نظرا لقصر أسفارهم وسهولة مواصلاتهم. أما زملائهم من سكان مديرية أسيوط إلى أفصى الصعيد فلم يستفيدوا من هذه الأجازة الفاتمة المطلوبة لبعد الشقة و حيث يقضون في الطريق ٢٠ يوما أو أكثر ذهابا ومثلهم إيابا (٢) . ولذا فقد منح هؤلاء الجنود أجازاتهن السنوية ومدتها أربعة شهور دفعة واحدة.

إلا أن هذا النظام قد عدل بعد ذلك ، فأصبحت الأجازات دورية تمنح للجنود من رتبة النفر إلى رتبة الصف ضابط لمدة ثلاثة أو ستة أشهر كل سنة (٣) . على أن يسمح لهم كذلك بأجازة قصيرة لمدة عشرة أيام إلى ثلاثين يوما ، علاوة على الأجازة السابقة ، بناء على طلبهم (٤) . على ألا يصرف لهم إستحقاق عن هذه الأجازات ماعدا الأجازات القصيرة (من عشرة إلى خمسة عشرة يوما) -

(١) عنظلة رقم ٣٥ [معية تركى] وثيقه رقم ١٦٦ من إسمايل سايم ناظر الجهادية إلى مهردار الخديوى ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٨٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٥١٣ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ١٢٢ س ١١٤ من ديوان عموم الجهادية إلى ٣ بياده ٢ جى فرقة ق ٢٤ شوال سنة ١٢٨٨ .

(٤) المصدر السابق .

بمكس ما كان متبعا مع ضباط الجيش إلى رتبة الأسيران (حامل العلم وهي رتبة أعلى من النول)، فكان يصرف لهم نصف المرتب « أسوة بخدمة الدواوين الملكية (١) ».

وكان الغرض من منح هذه الأجازات الطويلة للجنود هو التوفيق بين الخدمة العسكرية ومصالحهم الخاصة. أي التوفيق بين الجندي وبين فلاحه الأرض، لاسيما وأن معظمهم من الفلاحين. وهذه الطريقة عالجت الحكومة مشكلة فرار الجنود من الجيش، والتي يرجع سببها الأساسي إلى حيولة الخدمة العسكرية بينهم وبين أراضيهم التي أحبوا وبذلوا جهودهم في سبيلها.

الضمانات والكافات التي تمنح للجنود

نظرا لما يقوم به الجندي من خدمات جليلة للدولة مضجيا في ذلك بمصالحه الخاصة، رأت الحكومة أن من واجبها نحوه أن تحبوه ببعض الضمانات الخاصة بصيانة لمصالحه، وإعترافا منها بخدماته. فسمحت للجنود الموجودين بالخدمة بالتصرف في أطيابهم سواء « بالايجار أو المشاركة أو بزراعتها بمعرفة أقاربهم بحيث يبقى التكليف باسمهم عند عودتهم إلى بلدهم يستولون عليها بلا مزاحم (٢) ».

كذلك إذا فر أحد الجنود قبل وفاء مدة الخدمة « فلا يمد فراره تسجبا بل تبقى أطيابه باسمه تحت يد من أعطاهها له بمعرفته قبيل فراره إلى حين

(١) محظلة ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٨٣ أ.و.إل نائلر الجهادية في ٨ صفر سنة ١٢٧٥ .

(٢) الوقائع المصرية العدد رقم ٥ في ٤ شبان سنة ١٢٨٧ (٢١ ديسمبر سنة ١٨٦٥) وقاموس الإدارة والفضاء ج ١ ص ١٥٧ .

عودته (١) . . وإذا حاول المستأجر في أثناء غياب الجندى وضع يده عليها
مها بلغت المدة ولا يستقط حق العسكرى فيها أبداً (٢) . . هذا فضلاً عن
تخصيص ماشيات وتمويضات لهؤلاء الجنود، أو ضحاها في الفصل الخاص
بمرتبات رجال الجيش .

ولتخفيف الأعباء المالية عن كاهل رجال الجهادية الذين ليست لديهم
القدرة على تعليم أبنائهم أصدرت الحكومة أمراً في ١٠ محرم سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣)
بقبول أولاد كل من لا يستطيع تحمل نفقات تعليمهم، والحاقهم بالمدارس الملكية
للتعليم ومصاريفهم تكون على طرف الديوان (٣) . .

ملاحظات عامة عن التجنيد والخدمة العسكرية

مما يؤخذ على نظام التجنيد في ذلك الوقت أن القائم على أمره لم يعتمدوا
في طلب المرشحين المخدمة على السجلات الرسمية بل ترك الأمر للمعد والمشايخ
يجمعون الشباب تبعاً لأهوائهم وميولهم، فأخذوا الضعفاء وتجنّبوا الأقوياء، فعمت
الرشوة وطرق الغش والاحتيال، وكثرت الشكاوى إلى المديرين والمحافظين (٤) .

(١) المصدران السابقان ودفتر ٢٥٦ (مئة تركي) وثيقة بدون رقم أمر إلى علي
شكري باشا مدير البحيرة في آخر رجب سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ ص ١٠٥٩ (أمر كريم لديوان المدارس في ١٠
محرم سنة ١٢٩٠ .

(٤) محظظة: ٣٥ (مئة تركي) وثيقة رقم ٩٢ من لإسمايل صديق مفتش أقاليم الوجهة
البحري إلى المدير في ٢٠ جادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

وقد إستمر العمد والمشايخ يتمتعون بهذه الساطة المطلقة منذ ذلك الوقت إلى زمن قريب .

والعيب الثانى أن الخدمة العسكرية اقتصرت على الطبقات الفقيرة والمستضعفة التى لا تملك بدلا شخصيا أو تقديا . وكذلك اقتصرت أيضاً على طبقة الإرقاء الذين كان يقدمهم الأغنياء بدلا من أبنائهم . فأصبح عبء الدفاع عن البلاد يقع على كاهل هذه العناصر المستضعفة التى لا يصيبها من خير البلاد إلا النذر اليسير . ولإلى جانب هذه الفئة فئات أخرى أعفيت من الخدمة ، لا لسبب معقول سوى أنها من سكان مدينتى القاهرة والاسكندرية . فاذا كان هناك سبب لهذا الاعفاء فلا يخرج عن كونه تقليدا لما يتمتع به أهالى القسطنطينية . وإذا علمنا أن عدد سكان هاتين المدينتين يكون عشر (١) عدد السكان إزدادت دهشتنا لهذا الإجراء .

كذلك كانت طريقة جمع الجنود قاسية عنيفة ، ولا تتفق مع الغرض السامى الذى جمع من أجله الجنود . فقيدهم بالسلاسل ، وسير النساء فى ركابهم بصرخن ويولون أنارت اشمزاز الأجنب حتى قال عنها أدوين دى ليون Edwin de Leon (قنصل أمريكا الجنرال بمصر) بأنها « مناظر مؤذية لن تتمحى من أرض مصر طالما وجد التجنيد أو وجدت السخرة (٢) » .

كما أدى طول مدة الخدمة بالجيش ، واستخدام الجنود فى حفر قناة السويس وفى الأعمال المدنية إلى إهمال كاهلهم . فقد أخذوا على عاتقهم حماية البلاد ، ورفع السخرة عن أهلها . وفى نفس الوقت الذى أعفى من الخدمة العسكرية

1 - Leon : The Khedive's Egypt . . . P . 371

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٣ .

سكان القاهرة والاسكندرية ، وأيضا الأجانب المتمتعون بالإميازات الأجنبية .
كذلك لم تعرف مصر في ذلك الوقت نظام التجنيد الاجبارى الذى لا يقبل
البدل . ولانستطيع أن نلوم الحكومة المصرية وقتئذ لعدم تطبيقه ، وذلك لأن
نظام البدل كان موجودا بفرنسا (١) التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت - قبل سنة
١٨٧٠ - من أرقى دول العالم فى النظم الحربية ، وعنها أخذت مصر هذا النظام .
بل إن الدولة العثمانية فى ذلك الحين لم تكن تستخدم نظاما أفضل مما تتبعه
مصر (٢) .

والتجنيد بالنسبة للسودانيين حسناته العديدة . فقد أخرج الكثير من أفراد
القبائل الضاربة بدارفور وكردفان ومديرية خط الاستواء من حالتهم البدائية
الأولى ، حياة التوحش والهمجية ، إلى حياة الاستقرار والنظام . فثلا كان يسود بين
أهالى نيام نيام عادة أكل لحوم البشر ، فبادخال هؤلاء فى صفوف الجيش المصرى
وتعيينهم بالمحطات العسكرية المختلفة مع الجنود المصريين وجنود الباشبوزق ، جعلهم
يقلمون عن هذه العادة الذميمة بالقوة ، وأخذوا يقلدون زملاءهم من الجنود المصريين
وغيرهم فى عاداتهم وطباعهم ونظمهم . وكانت مدة خدمتهم الطويلة كافية لاستئصال الكثير
من العادات الخبيثة التى تعودوها فى حياتهم الأولى . فاذا عاد هؤلاء إلى أقوامهم بعد
قضاء خدمتهم فى الجندية كانوا رسل نور ومدنية . هذا من جهة ومن جهة أخرى
فالجندية قد قامت باستغلال طبيعتهم الحربية وهذبتها وأخضعتها للنظم العسكرية

(١) دفتر ٥٣٤ (معية تركى) وثيقه رقم ٥٢ س ٨٨ من لإساعيل باشا ناظر الجهادية
إلى المعية السنية فى أول ذى الحجة سنة ١٣٧٩ .
(٢) دفتر ٣١ عابدين وثيقه رقم ٤٥٦ من الباشا الباشماوت إلى خورشيد باشا
بالاستانة فى آخر محرم سنة ١٣٧١ .

الحديثة . فأصبح هؤلاء من خيرة الجنود فى ميدان القتال .

كذلك نجد أن تجنيد السودانين كان لإشراكهم فى الدفاع عن بلادهم ، بل لقد وجدنا أن أغلب القوات الموجودة بالسودان كانت من الجنود السودانين أنفسهم . وقد نبغ منهم ضباط عديون مثل آدم باشا وغيره ... واستخدم هؤلاء فى مصر والسودان على السواء أسوة بالجنود المصريين .

ولم يقم الجنود السودانيون بمهمة الدفاع فقط ، بل إستخدموا فى بناء المرافق العامة بالسودان ، من بناء الاستحكامات ، ومد الخطوط الحديدية ، وإصلاح الأراضى البور ، واستغلال الأراضى الزراعية الموجودة فى حدود مراكزهم العسكرية . فكان يلاحق بكل محطة عسكرية أرض زراعية يتولى الجنود السود فلاحتها وإستثمارها . أى أن الجندي قد علمت هؤلاء فن العمارة والصناعة والزراعة . وكل هذه الصناعات جلبت لهم ثروة عن طريق كان مجهولا لديهم . بل لقد كان لهم فخر الاشتراك مع الجنود المصريين فى تعمير السودان وإصلاح أحواله .

كذلك قام الجيش بمجهود كبير فى محاولة القضاء على الرق بالسودان ، ولجأت حكمدارية السودان إلى إلحاق كل ما يضبط من الرقيق بصفوف الجيش ، ليستطيع هؤلاء أن يحيوا حياة شريفة ، وليكونوا حربا على تجار الرقيق الذين ساموهم وأهلبهم سوء العذاب .

كما اعتنت حكمدارية السودان بتعليم هؤلاء القراءة والكتابة فى مدارس الآليات .

الفصل الثالث
الاستعانة بالضباط الاجانب

الاستعانة بالضباط الاجانب في الجيش

سار الخديو اسماعيل على سياسة جده محمد علي في الاستعانة بالخبراء الاجانب في الجيش المصري . فولى وجهه شطر فرنسا كما فعل جده من قبل . فطلب منها في سنة ١٨٦٤ إيفاد بعثة عسكرية فرنسية لترتيب المدارس الحربية المصرية وفقاً للنظام الفرنسي . فأوفدت اليه بعض ضباط تحت رئاسة الكولونيل ميرشير Mircher ومعه ثلاثة ضباط آخرون هم رباتيل Rabatel ولارمى Larmée وبولار Polard ؛ وألحق بهم دى برناردى بك De Bernardi ، وكان مستخدماً بمصر من عهد سعيد باشا^(١) .

البعثة العسكرية الفرنسية

تولى ميرشير بك نظارة المدارس الحربية في فبراير سنة ١٨٦٥ ، فأظهر نشاطاً ملحوظاً في تنظيم المدارس الحربية ، ووضع الكتب اللازمة لها ، وترتيب مكنتها (كتيخانة المدارس الحربية) . ومن أعماله أيضاً إصدار « الجريدة العسكرية المصرية » ، La Revue Militaire Egyptienne . لتثقيف عقول الضباط وإطلاعهم على أحدث ما وصل اليه فن الحرب والقتال . وقد شغلت ميرشير بك بعض الوقت وظائف أخرى إلى جانب وظيفته الأصلية ، فكان ناظراً لمدرسة أركان الحرب في أوائل سنة ١٨٦٦ ، وقومنداناً لانجبال

(١) سرهنك باشا - حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧

الخدويو في سنة ١٨٦٨ . وفي سنة ١٨٦٩ عاد ميرشير بك إلى وطنه ، ولكنه ظل في خدمة الحكومة المصرية إذ تولى إدارة البعثة المدرسية بفرنسا^(١) .

أما البكباشي (المقدم) لارمى فقد عين في سنة ١٨٦٤ رئيسا للمبينة التعليمية بمدرسة المدفعية . ثم أصبح قومنداناً للمدرسة ثم ناظرا لها ، ومنح رتبة الأميرالاي (عميد) في أواخر سنة ١٨٦٨ . وقد تولى في فترات مختلفة إدارة مدرسة السوارى ، وإدارة مدرسة أركان حرب ، ورفق إلى رتبة اللواء في يناير سنة ١٨٧٩ . واستمر لارمى في خدمة الحكومة المصرية إلى أن أُلغيت المدارس الحربية ، وأنشئت بدلها مدرسة حربية واحدة جديدة في أوائل حكم الخديوي توفيق وعين ناظرا عليها^(٢) .

وقد اختص بولار بادارة مدرسة الفرسان ، وتولى نظارتها من سنة ١٨٦٤ إلى سنة ١٨٦٨^(٣) ، ثم رحل إلى فرنسا .

وعين دى برناردى ناظرا للمدرسة المشاة في مارس سنة ١٨٦٥ واستمر بها حتى أكتوبر سنة ١٨٦٧ . واستخدم الخديوي اسماعيل البكباشي (المقدم) المدفعي رباتيل في أعمال الاستحكامات ، ثم عينه ناظرا على مدرسة أركان حرب في يولييه سنة ١٨٦٨ . وفي مايو سنة ١٨٦٩ منح رباتيل أجازة مرضية وسافر إلى فرنسا . ويظهر أنه لم يعد بعد ذلك إلى مصر فقد عين في مارس سنة ١٨٧٠ وكيلا للمدرسة المصرية بباريس^(٤) .

-
- (١) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ١ ص ٦٢٨ .
 - (٢) المصدر السابق ص ٦٤٢ .
 - (٣) حقائق الأخبار ج ١ ص ٣٠٨ .
 - (٤) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٢ .

وقد استفدتم الخديو إسماعيل كثيراً غير هؤلاء المدرّس بالمدارس الحربية مثل المسيو فيدال والمسيو ليونار

وفي سنة ١٨٦٩ عهد الخديو إسماعيل إلى السير صمويل بيكر (١) « باكتشاف الجهات الكائنة قرب منابع النيل الأبيض وضمها إلى الحكومة المصرية » والقضاء على تجارة الرقيق بهذه المناطق . فاستطاع بما كان لديه من قوات تأسيس محطات عسكرية بالجهات التي فتحها . وقد ذكرت تفصيلات الحملة في الفصل الخاص بالقضاء على تجارة الرقيق .

ثم خلفه الأمير الالوي (العميد) غوردون في منصب مأمور جهات خط الاستواء بأمر عال في ٢ محرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنة ١٨٦٤) (٢) . وفي خلال حكمه داريته هذه التي استمرت من سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٦ أسس محطات عسكرية تمتد من فاشودة حتى بحيرة فيكتوريا لإتمام ما بدأه السير صمويل بيكر من قبل . ثم عاد غوردون إلى السودان مرة أخرى كحاكم عام له من سنة ١٨٧٧ إلى سنة ١٨٧٩ . وأهم ما قام به في تلك الفترة لإخماد الثورات التي انتشرت في أنحاء السودان المختلفة واستعمال الشدة في منع تجارة الرقيق .

البعثة الامريكية العسكرية

عندما توترت العلاقة بين مصر والباب العالي في الفترة ما بين أواخر سنة ١٨٦٨ و ١٨٧٠ توقع الخديو إسماعيل أن يؤدي هذا التوتر إلى احتمال وقوع

(١) حقائق الأخبار ج. ٢ ص ٣١٥ .

(٢) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء ج. ١ ص ١٠٨ .

حرب بين مصر والدولة العثمانية فى أى وقت من الأوقات . ففكر فى الاستعانة بخبراء من الضباط الأجانب لتدريب الجيش المصرى وتنظيمه ، حتى يستطيع القيام بدوره فى الحرب المتوقعة . وقد خشيت الحكومة المصرية الاستعانة باحدى الدول الأوربية الكبرى لاداء هذه المهمة خشية أن يمتد نفوذها إلى الشؤون الداخلية البلاد . فارتقاء سعيد مثلا فى أحضان فرنسا كان من نتيجته منح فرنسا إمتياز قناة السويس بشروط مجحفة بمصر كل الاجحاف . ولهذا استقر رأى الحكومة على الاستعانة باحدى الدول الاجنبية التى ليست لها مطامع فى مصر ، والتى لايربطها بالدول الأخرى محالفات متشابكة (١) . فاتجه صوب أمريكا لاستخدام الضباط الأمريكين فى تنظيم جيشه ، لأن أمريكا - فى ذلك الوقت - لم يكن لها أى مطمع فى مصر . هذا فضلا عن تبوأها مركزا يمتاز من الناحية الحربية لتغلبها على الفرنسيين وطردهم من المكسيك (٢) .

ونظرا لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تربطها بالدولة العثمانية علاقة طيبة فلم تتمكن الحكومة المصرية من أن تطلب بصفة رسمية من الولايات المتحدة أن تمددها بضباط من جيشها للقيام بمهمة التنظيم والتدريب ، فى نفس الوقت الذى يسود فيه التوتر جو العلاقات المصرية التركية . ولذا لجأت إلى إستخدام هؤلاء الضباط بصفتهم الشخصية وبعقود فردية . وقد حرصت حكومة الولايات المتحدة على إعتبار هؤلاء الأمريكين من المواطنين الأمريكين فقط . ولم تعتبرهم ضباطا من الجيش الأمريكى حتى لاتسبب إلى العلاقات الودية التى تربطها بالباب

Dye : Mosle n Egypt. P.1

(١)

Crabités : Americans in the Egyptian Army. P.5 (٢)

العالي . وحدث أن ذكر المستر بيردزلى Beardsley قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتئذ (سنة ١٨٧٥) في إحدى مكاتباته إلى وزارة الخارجية الأمريكية اسم الضباط الأمريكيين . فرد عليه وزير الشؤون الخارجية الأمريكية المستر هاملتون بخطاب آخر جاء فيه : بهذه المناسبة ألفت نظركم إلى الجزء الخاص من كتابكم الذى تشيرون فيه إلى (الضباط الأمريكيين) بمصر الآن ، فأصرح لكم بأنه لا يوجد ضباط أمريكيون فى مصر ، وأظن بأنكم تقصدون الإشارة إلى بعض المواطنين الأمريكيين الذين قبلوا الخدمة كضباط بالجيش المصرى . ولكن هؤلاء السادة لا يعتبرون ضباطا أمريكيين ، ولا يجب تسميتهم بهذا الاسم فى مكاتبات رسمية (١) .

وفى نوفمبر سنة ١٨٦٩ أُلحقت الحكومة المصرية الاميرالى (العميد) موط (وكان ضابطا بالجيش الأمريكى الاتحادى) بخدمه الجيش المصرى ، ثم أوفدته إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإختيار من يراه صالحا من الضباط الامريكيين لتعيينه بالجيش المصرى . وفوضه الخديو لإسما عيل فى توقيع عقودهم نيابة عن الحكومة المصرية . وقد استخدم موط ضباطا من كلا الفريقين المتحاربين : الاتحاديين Union Soldiers والاتلافيين Confederate Soldiers . وأغلب هؤلاء ممن تعلموا باحدى مدرستى وست بوينت West point وأنا بوليس (٢) AnnaPolis . وعند حضور هؤلاء الضباط الامريكيين إلى مصر عين كل منهم فى رتبة أقل مما اتفق عليه فى عقد استخدامه برتبة واحدة . ولما

1 - Abdin. Amr. Vol, 16 Instr. No. 237 Fish to Beardsley
Washington in Nov. 29,1875.
2 - Grapités : Ismail ,The Malignd Khedive P. 95

رفع هؤلاء الضباط عقيرتهم بالشكوى إلى الخديو إسماعيل اعتذر عن إجابه مطالبهم بحجة أن وكيله موط قد تعدى إختصاصه إلى أبعد حد ، واجترأ على تحديد رتبهم . وخبرهم بين قبول الرتب الجديدة وبين الاستغناء عن خدماتهم ، ومنحهم مرتب ستة شهور ونفقات العودة إلى الولايات المتحدة . وقد قبل جميعهم البقاء في الخدمة ، (١) .

ثم قدم هؤلاء الضباط إلى الخديو إسماعيل فأبدى ارتياحه لاتحاقهم بالجيش ، ثم وجه إليهم الحديث التالى الذى يشف عن أغراضه الأساسية من استخدامهم فقال . دأيها السادة أنى أرحب بقدموكم إلى بلادى وأود أن أعبر لكم عن تقديرى لتلبيتكم العاجلة لدعوتى . وأنى أقول لكم بكل ثقة بأنكم ستبشرون أعمالا عظيمة فى القريب العاجل ، وأن خبرتكم التى تجلت فى الحرب الامريكىة الاخيرة ، وعدم وجود أى مطمع لبلادكم فى مصر كانا من الدوافع التى أوحت إلى باستخدام الأمريكيين فى هذه الخدمات المقترحة . إنكم ستقاسون الشئ الكثير من غيرة الضباط الوطنيين وحسدهم ؛ وإنى أطلب إليكم أن تتحملوا هذا بصبر وثبات ، وإذا وجدتم - برغم ذلك - أن غيرتهم قد أصبحت غير محتملة فلا تترددوا فى المجئ إلى لآنصفكم . وإنى أعتمد على إخلاصكم وكتباتكم فى معاوتى على تحقيق إستقلال مصر . ومنى تم ذلك - وسيتم باذن الله - فسأجازيكم أحسن الجزاء (٢) .

(١) Ābdin. Amr. Vol.7 Despt. No.95 Beardsley to Fish in May 12. 1873.

(٢) Chaillé - Long, A Confederate Soldier in Egypt . P.32.

وحينما علمت كل من إنجلترا وفرنسا بالتحاق هؤلاء الضباط الأمريكيين بالجيش المصرى قدمت احتجاجات واعتراضات على هذا الإجراء عن طريق قنصلها الجنرالين بمصر ، وقد قوبلت هذه الاحتجاجات بالسخرية وعدم الاكتراث من جانب الحديو اسماعيل^(١) . لأن كلا من هاتين الدولتين كانت تطمع في أن يكون هؤلاء الضباط من رجالها ليتسنى لها عن هذا الطريق بسط نفوذها على مصر .

نموذج لعقد أحد الضباط الأمريكيين

رأيت لاستكمال البحث أن أعرض لأحد هذه العقود التي تمت بين ضابط أمريكي يدعى كورنيلوس هنت Cornelius E. Hunt من ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهو صورة للعقود الأخرى التي أبرمت بين الحكومة المصرية وبين زملائه الأمريكيين . وفيما يلي ترجمة لهذا العقد^(٢) :

(1) Abdin Amr. Vol. 6 Despt. No. 30 Buttler to Fish, Cairo in Dec . 30, 1870

(2) Abdin, Amr. Vol. 7 enclosure in despt. No. 112 Babbitt to Fish, Cairo in July 10, 1873.

اعلام بصورة عقد

في اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ألف وثمانمائة وسبعين تم الإتفاق بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية بين حكومة سمو خديو مصر ممثلة في الجنرال (الفريق) موط ممثل الطرف الاول ، وبين كورنيلوس هنت من ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية ممثل الطرف الثاني .

بما أن ممثل الطرف الثاني راغب في الإلتحاق بخدمة ممثل الطرف الاول في وظيفة حربية برتبة قائممقام (عقيد) في سلاح مدفعية السواحل . فانه يتعهد ويقر مع ممثل الطرف الاول على ما يلي :

أولاً : على ممثل الطرف الثاني أن يقوم بالخدمة العسكرية المظرف الاول بصدق وإخلاص خلال فترة خمس سنوات ابتداء من هذا التاريخ قابلة للامتداد خمس سنوات أخرى، بناء على رغبة ممثل الطرف الاول بنفس الشروط المبينة في هذا العتد .

ثانياً : في خلال مدة الخدمة يتنازل ممثل الطرف الثاني عن جميع حقوقه في الحماية الممنوحة إلى الرعايا الامريكيين عن طريق قناصل ووكلاء الولايات المتحدة الأمريكية . وأن يخضع بكل أمانة وشرف لأوامر الطرف الاول . وأن يشن الحرب بكل قوة وعزيمة ضد أى عدو أو أعداء الطرف الاول أينما كانوا . وأن يتبع الأوامر التي يصدرها مساعدة ناظر الجهادية أو فروع الجهادية التابعة لممثل الطرف الاول بكل دقة .

ثالثاً : على ممثل الطرف الثاني ألا ينضع لأى أمر أو قانون أو بلاغ تصدره حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تمنع ممثل الطرف الثاني من خدمة ممثل الطرف الاول .

ومها يكن من شيء فمن الواضح أن هذه الشروط لا تنص على إلزام ممثل الطرف الثاني على حمل السلاح أو شن حرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية .

وبناء على ما تقدم يقبل ممثل الطرف الاول خدمة ممثل الطرف الثاني برتبة قائمقام (عقيد) فى سلاح مدفعية السراجل والمدفعية الثقيلة طبقاً للشروط المشار إليها آنفاً .

وعلى ذلك يتمهد لممثل الطرف الثاني بما يلى :

أولاً : لممثل الطرف الثاني الحرية فى الاستقالة وترك الخدمة والعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى حالة الإصابة بمرض خطير بسبب الظروف المناخية . على أن يقوم ممثل الطرف الاول بدفع نفقات السفر ومرتب شهرين مقدماً على سبيل المنحة .

ثانياً : لممثل الطرف الاول الحق فى الاستغناء عن خدمات ممثل الطرف الثاني فى أى وقت شاء : على أن يقدم لممثل الطرف الثاني مرتب ستة شهور ونفقات السفر إلى الولايات المتحدة كما هو منصوص عليه بالعقد :

ثالثاً : إذا طلب ممثل الطرف الاول من ممثل الطرف الثاني شن حرب أو طلب إليه أداء مهمة ما فى أية جهة من مباحثات مصر أو أى مكان

آخر فعلى يمثل الطرف الثانى الطاعة التامة . على أن يقوم ممثل الطرف الاول بصرف مبلغ إضافى علاوة على المرتب يقدر بخمسة المرتب مع صرف جميع النفقات اللازمة للرحلة .

رابعاً : يتعهد ممثل الطرف الاول بتقديم الخيول والتميينات اللازمة إلى ممثل الطرف الثانى ، وبصرف مرتب أو مكافأة تعادل ما يصرف لزميله برتبة القائم تمام (العقيد) بمدفعية السواحل والمدفعية الثقيلة بجيش الولايات المتحدة الأمريكية . وأن يؤث له مسكناً لائقاً حسب رتبته .

خامساً : فى حالة التصريح لممثل الطرف الثانى بالتغيب يقوم ممثل الطرف الاول بصرف نصف المرتب لممثل الطرف الثانى عن هذه المدة .

سادساً : فى حالة وفاة ممثل الطرف الثانى أثناء قيامه بخدمة الطرف الاول أياً كان سبب الوفاة يعطى لورثته مرتب أو أجر سنة كاملة على سبيل التعويض . وفى حالة وفاته فى ميدان القتال أو حدثت الوفاة بسبب جرح أو عدة جروح أصيب بها أثناء القتال . فعلى ممثل الطرف الاول أن يدفع لورثته معاشاً يعادل نصف مرتب المتوفى من تاريخ وفاته وتوزع على النحو الآتى :

يصرف المعاش لأرملته إن كانت على قيد الحياة حتى زواجها أو وفاتها . ويصرف لأولاده القصر إذا لم تكن الأرملة على قيد الحياة أو تكون قد تزوجت أو عند وفاتها . ويصرف المعاش للذكور حتى يبلغوا سن الرشد ، والمفتيات إلى أن يتزوجن . على أن يقسم المعاش بينهم بالتساوى.

ومن المسائل الواضحة والمتفق عليها أن كل الموضوعات القانونية والخلافات من أى نوع التى تنشأ بين ممثل الطرف الثانى والمواطنين المصريين تتولى المحاكم المصرية الفصل فيها . وإن يسمح لحكومة الولايات المتحدة أو لتواصلها التدخل فى هذه الموضوعات بأى شكل من الأشكال . وكذلك أى مشكلة تقوم بين ممثل الطرف الثانى وبين مواطنى الدول الأخرى غير مصر تنظر بالطريقة المعتادة عن طريق القنصل أو المحاكم الوطنية للدعى عليه .

وقد وقع الطرفان بختميهما هذا العقد لإقراره فى اليوم والسنة المشار إليها أعلاه .

إمضاء

ثاديس موط

Thaddeus P. Mott Gen. Division

P. Henry A. Mott (Seal)

Atty .

وبحضور المستر بيند T. W. Bind

الولايات المتحدة الأمريكية

حكومة نيويورك - مقاطعة نيويورك

أنا الموقع على هذا العقد كورنيلوس هنت Cornelius E. Hunt أقسم بكل خضوع وإخلاص ، وأعاهد نفسى أمام الله أن أراعى مهمتى بكل دقة ، وأقوم بكل الالتزامات والتعهدات التى من بيانها بروحها وحرفيتها بكل أمانة

وإخلاص . وأن أودى واجبي كقائم مقام (عقيد) بمدفعية السواحل والمدفعية الثقيلة بكل ما أوتيت من قوة وجهد . وأن أحقق آمال ورغبات حكومة خديو مصر في كل ماله صلة برخائها وصيانة عرشها .

إمضاء

كورنيليوس هنت

وبالرغم من وضوح البنود الواردة بالعقد المذكور الذى يعتبر صورة طبق الاصل لسائر العقود الاخرى ، فقد طالب هؤلاء الضباط قنصلهم الجنرال بمصر - المستر جورج بتلر - بأن يتدخل لدى الحكومة المصرية لاقناعها بمنحهم الحماية التفضيلية التى يتمتع بها سائر الرعايا الامريكيين . مع أن البند الثانى من العقد قد نص صراحة على تنازل هؤلاء الضباط عن هذا الحق تنازلاً تاماً طوال مدة خدمتهم بالجيش المصرى . وقد رفع مستر جورج بتلر هذا الطلب^(١) إلى وزارة الخارجية الامريكية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧١ لإستشارتها فى الامر . وفى هذا الخطاب يذكر القنصل مقابلته للخديو إسماعيل ومناقشته فى هذا الموضوع ، ويشير إلى أن الخديو إسماعيل أجابه بقوله « مادام هؤلاء الضباط قد قبلوا الرتب والمرتبات التى منحتها لياهم فلا بد أيضاً من قبولهم حكمى قبولاً تاماً^(٢) » .

1 - American Documents Vol. 6 Despt. No. 86 Butler to Fish, Cairo in Sept. 15, 1871.

(١) المصدر السابق .

فتدارك القنصل الأمر وأبلغ الخديو بأن تدخله هذا بصفة شخصية وأن حكومة الولايات المتحدة لاترغب مطلقا التدخل في سلطته . وفي الحقيقة كانت حكومة الولايات المتحدة قد أصدرت تعليماتها إلى قنصلها الجنرال بمصر بضرورة مراعاة هؤلاء الضباط لشروط العقود التي أبرمها مع حكومة الخديو إسماعيل دون أى تعديل (١) . وقد عاود المستر بابت H.A. Babbitt قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتئذ (سنة ١٨٧٣) الكتابة (٢) في هذا الموضوع في ١٠ يولييه سنة ١٨٧٣ ، ولكن الحكومة المصرية لم تتنازل عن حقها في معاملة هؤلاء الجنود معاملة سائر ضباط جيشها .

عدد الضباط الأمريكيين بالجيش المصرى

بلغ عدد الضباط الأمريكيين الذين التحقوا بخدمة الجيش المصرى ٤٨ ضابطا حسب الاحصاء الذى أورده الجنرال الفريق الأمريكى داى Dye (٣) (ضابط أركان حرب بالجيش المصرى) . ولكن المستر كرابيتس Crabitès أثبت أن عدد هؤلاء الضباط بلغ الخمسين (٤) . وليس معنى هذا أن جميع هؤلاء الضباط كانوا في خدمة الخديو إسماعيل في وقت واحد ، فربما كان ثلاثون منهم أو أقل

(١) Abdin. Amr. Vol.7 Desp. No. 112 Babbitt to Fish. Cairo (١) in July 10. 1873 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Dye : Moslem Egypt . . . P.495 - 500 . (٣)

(٤) Crabitès, Americans in the Egyptian Army P. 16. (٤)

بمجمعين في وقت واحد^(١) .

وفيما يلي بيان بأسماء هؤلاء الضباط الذين التحقوا بخدمة الجيش فيما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٨ ، ونبذة عن تاريخ حياة كل منهم لبيان ثقافته ، والمناصب التي تولاها قبل مجيئه إلى مصر وبعد التحاقه بالجيش المصري . وجميع هؤلاء الضباط قد استغنى عن خدماتهم في سنة ١٨٧٨ فيما عدا الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري .

١ - اللواء ثاديوس موط Thadduis B.Mott وهو من مدينة نيويورك وأول من التحق بخدمة الحكومة المصرية بعقد لمدة خمس سنوات ، وكان ذلك في النصف الثاني من سنة ١٨٦٩ . وعمل في صفوف القوات الائتلافية ، ثم عينه الخديو اسماعيل ياورا خاصا له ، وأصدر مرسوما في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ بمنحه رتبة الفريق^(٢) . وكان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٠٠ ج م^(٣) . وهو الذي تولى اختيار الضباط الآخرين ، والتوقيع على عقودهم نيابة عن الحكومة المصرية . ثم حدث بينه وبين الجنرال (الفريق) استون رئيس هيئة أركان حرب احتكاك أدى إلى ترك موط الخدمة بعد أن أنعم عليه الخديو بوسام تقديرا لجهوده .

٢ - الأميرلواء تشارلز استون Charles B. Stone من مقاطعة مساشوستس

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(2) Crabités, Amerians in the Egyptian Army P.8.

(٣) Abdin. American, Vol. 6 enclosure in despt. No. 3
Butler to Fish Cairo in June, 4, 1870.

Massachusetts التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٧٠ جنياً فيها عدا التعيين والسكن (١) . وعين رئيساً لعموم أركان حرب الجيش المصرى ، ورقى لى رتبة فريق . وكانت هيئة أركان حرب فى عهده مركزاً للنشاط لا يتطوع سواه فى مصر أو السودان ، حيث أشرف على حركة الكشوف الجغرافية التى تعتبر من مآثر مصر . واستمر فى خدمة الحكومة المصرية مدة طويلة حتى بعد أن أعفى جميع زملائه من الخدمة فى ٣٠ يونيو سنة ١٨٧٨ (٢) . ولم تلتها مهمته بمصر إلا بدخول الإنجليز فى سنة ١٨٨٢ (٣) . وقد أنعم عليه بوسامين أثناء خدمته .

٣ - الأمير لواء لورنج W. W. Loring من مقاطعة فلوريدا التحق بخدمة الحكومة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٦٩ (٤) بمرتب قدره ٧٠ جنياً مصرياً - وهو وزميله سبلى H. C. Sibley قد سبقا الجنرال استون فى الخدمة - وقد أسندت اليه تحصينات منطقة الإسكندرية . وكان تحت قيادته فيلق عسكرى يطلق عليه اسم فيلق لورنج . ورقى لى رتبة (٥) فريق وأنعم عليه فى أثناء الخدمة بوسامين .

(١) المصدر السابق .

- 2 - Abdin. Amr. Vol. 16 Despt. No. 245 Farman to Evarts Cairo in July 3, 1878
- 3 - Crabités : Americans p. 20.
- 4 - Abdin. Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish. Cairo June 4, 1870
- 5 - Amr. Vol. 8 despt. No. 151 Beardsley to Fish Nov. 16, 1870.

٤ - الأمير لواء هنرى سبلي H. Sibley من سلاح المدفعية بمقاطعة بنسلفانيا ومن خريجي الأكاديمية الحربية الأمريكية U. S. Mil. Academy ، ثم حارب في صفوف القوات الائتلافية ، وهزم أمام الجنرال كانبى (١) Canby ، والتحق مع زميله لورنج في وقت واحد (١٧ ديسمبر سنة ١٨٦٩) وبنفس المرتب وقدره ٧٠ (٢) جنياً مصرياً . وقد رقى إلى رتبة فريق .

٥ - الأمير لواء كارول تيفيس Garrol Tevis من مقاطعة بنسلفانيا تخرج من مدرسة وست بوينت West Point الحربية في سنة ١٨٤٩ (٣) . وخدم في الجيش الأمريكى ، واشترك في حرب القرم إلى أن أصبح أميرالاً في سلاح الفرسان الثالث لميريلاند Third Maryland Cavalry قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية . وقد استقال (٤) من خدمة الحكومة المصرية قبل فصل زملائه سنة ١٨٧٨ . وقد أنعم عليه بوسام أثناء خدمته .

٦ - الأميرالاي (العميد) رينولد Alexander Reynold من مقاطعة فرجينيا ، وهو من خريجي أكاديمية وست بوينت . خدم عدة سنوات في

- 1 — Dye, Moslem Egypt....P.495
- 2 — Abdin, Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Buttler to Fish. Gairo June 4, 1870.
- 3 — Dye, Moslem Egypt....P.495
- 4 — Abdin. American Vol.7 enclosure No. 2 in despt.No. 112 Babbitt to Fish, Cairo, June 4, 1870.

الجيش الأمريكى وحارب فى صفوف القوات الائتلافية برتبة أمير لواء (١) .
ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتبة قدره ٤٦ (٢)
جنها مصريا . وقد توفى بمدينة الاسكندرية أثناء وجوده بالخدمة (٣) .

٧ - الأميرالاي (العميد) رت T. G. Rhett من جنوب كارولينا وتخرج
مع الجزائر استون سنة ١٨٤٥ من مدرسة وست بوينت ، واشترك فى حرب
المكسيك برتبة ضابط مدفعية ، ثم حارب فى صفوف القوات الاتحادية . وبعد
انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٢١ أبريل
سنة ١٨٧٠ بمرتبة قدره ٤٦ (٤) جنها . وفى أثناء خدمته أصيب بمرض
الفالج (٥) وفصل فى أواخر سنة ١٨٧٣ (٦) . ثم مات بعد عودته إلى
الولايات المتحدة .

٨ - الأميرالاي (العميد) ولتر جنيفر Walter H. Jenifer من ولاية
ماريلاند Maryland ، وكان ضابطا بالفرقة الثانية للفرسان . وحارب فى
صفوف القوات الائتلافية فى جيش شمال فرجينيا برتبة أميرالاي (عميد) ،

- 1 - Dye : Moslem Egypt P. 495.
- 2 - Abdin Amr. Vol.6 enclosure in despt No. 3 Butler to
Fish Cairo June, 4, 1870.
- 3 - Dye : Moslem Egypt P. 496.
- 4 - Abdin Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Butler
to Fish Cairo June, 4, 1870.
- 5 - Dye ; Moslem Egypt P. 496.
- 6 - Abdin. Amr. Vol. 8 despt. No. 151 Beardsley to Fish,
Cairo Nov. 16, 1873.

ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاي (عميد) بسلاح الفرسان في ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٤٦ جنيتها مصريا (١) . واستقال من خدمة الحكومة المصرية في ربيع سنة ١٨٧٠ (٢) .

٩ - الأميرالاي (العميد) فرانك رينولد Frank Renolds تخرج من مدرسة وست بوينت سنة ١٨٦١ ، وحارب في صفوف الائتلافيين برتبة أميرالاي (عميد) (٣) . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية كأمرالاي بسلاح المدفعية في ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٤٦ جنيتها مصريا (٤) . وقد مات فجأة في مدينة نيويورك أثناء خدمته بالحكومة المصرية .

١٠ - الأميرالاي (العميد) بيشرل كينون Beverly Kennon من ولاية فرجينيا . وكان أبوه كينون قائدا لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية (٥) . وهو من خريجي مدرسة آنا بوليس البحرية Naval Academy at Anna-Polis حارب في صفوف الائتلافيين ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية في فبراير سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره ٤٦ جنيتها (٦) . واستقال مع زميله الجنرال كارول

- 1 - Abdin. Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish. Cairo June 4, 1870.
- 2 - Abdin Amr. Vol. 8 despt. No. 179 Beardsley to Fish, Cairo March 10, 1874.
- 3 - Dye : Mostem Egypt P. 497
- 4 - Abdin. Amr. Vol. No. 6 enclosure in desgt No. 3 Cairo in June 4, 1870.
- 5 - Crabités; Americans in the Egyptian Army P.39
- 6 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3. Cairo in June, 4, 1870.

تيمس فى وقت واحد . وقد أنعم عليه بوسام أثناء خدمته .

١١ - الأميرالاي (العميد) فاندربلت آلن Vanderbilt Allen من نيويورك ، ولانعرف تاريخ التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بالضبط . ولكنه خدم برتبة أميرالاي بسلاح المهندسين بمرتبة شهرى قدره ٦ جنيه^(١) .

١٢ - القائمقام (العقيد) بردى S. Purdy من ولاية كاليفورنيا . خدم مع الجنرال استون فى صفوف القوات الشبالية لإبان الحرب الأهلية ، والتحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة قائمقام (عقيد) بسلاح المهندسين فى ٨ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتبة شهرى قدره ٤١ جنهما مصريا^(٢) . وقد بذل بردى نشاطا ملحوظا فى رحلتيه اللتين قام بهما : الأولى إلى الصحراء الشرقية سنة ١٨٧٣ ، والثانية إلى درافور سنة ١٨٧٥ . وفى مدة خدمته رقى إلى رتبة الأميرالاي (عميد) ثم إلى رتبة أمير لواء ، ومنح وسامان تقديرا لجهوده .

١٣ - الأميرالاي (العميد) ادوارد وارن Edward Warren وكان طبييا بالجيش وموطنه شمال كارولينا . وشغل مناصب عسكرية بسلاح الخدمات الطبية تحت قيادة الجنرال لى Lee وجون استون Johnstone . وبعد انتهاء الحرب شغل منصب أستاذ فى جامعة وشنجتون الطبية بيلتيمور

Washington Medical University of Baltimore

وقد التحق بخدمة الحكومة المصرية كطبيب وجراح بأركان حرب الجيش

(١) المصدر السابق

(٢) Abdin, Amr, Vol,7 enclosure No.2 in despt. No, 112
Babbitt to Fish in June 4, 1870

(٣) المصدر السابق

المصرى برتبة أميرالاي (عميد) . وعمل أيضا كأستاذ للكيمياء بالمدرسة الحربية بالقاهرة (١) .

١٤ - الأميرالاي (العميد) كولستون R. E. Colston من ولاية فرجينيا تخرج من معهد Lexington Virginia Military Institute والتحق بجيش شمال فرجينيا برتبة أميرالاي (عميد) ، ثم رقى إلى رتبة أميرلواء واشترك في معارك عديدة . ثم التحق بخدمة الجيش المصرى برتبة أميرالاي أركان حرب ومدرس مادة الكيمياء بالمدارس الحربية (٢) . وقد بذل نشاطاً مشكوراً فى رحلتيه إلى سواحل البحر الأحمر وإقليم دارفور، ونال شهرة واسعة لما وصل إليه من نتائج فى رحلته إلى دارفور. وقد أنعم عليه بوسام تقديراً له على خدماته .

١٥ - الأميرالاي (العميد) داى Wm. Mc. E. Dye من خريجي مدرسة وست بوينت الحربية . حارب فى صفوف القوات الاتحادية برتبة أمير لواء بفرقة المتطوعين (٣) . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاي أركان حرب ، واشترك فى الحملة الحبشية بقيادة راتب باشا سنة ١٨٧٥ . كساعد لرئيس هيئة أركان حرب الحملة . وبعد تركه خدمته الحكومة المصرية ألف سنة ١٨٨٠ كتاباً بعنوان Moslem Egypt and Christian Abyssinia ، وهو

1- Abdin. Amr. Vol. 7 enclosure No. 2 in despt. No 112
Babbitt to Fish in June 4, 1870.

(٢) المصدر السابق .

3 - Abdin. Amr. Vol.8 despt. No 179 Beardsley to Fish
Cairo in March 10,1874 .

سجل حافل بما قام به الضباط الأمريكيون بالجيش المصرى من أعمال، وخصوصا في ملحقات مصر . وقد فصل الحرب الخيشية التي اشترك فيها تفصيلا دقيقا .

١٦- الاميرالاي (العميد) روبرت روجرز Robert M. Rogers من مقاطعة بنسلفانيا ومن خريجي مدرسة وست بوينت (١) . وقد خدم فترة طويلة بصفته متطوعا في صفوف سلاح المدفعية للجيش الاتحادي ، والتحق بعد ذلك بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاي (عميد) بسلاح المهندسين (٢) .

١٧ - القائمقام (العميد) لونج C. C. Long من ولاية ماريلاند . خدم في صفه في صفوف الجيش الشاهي خلال الحرب الاهلية الامريكية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية في مارس سنة ١٨٧٠ برتبة قائممقام (عميد) وبمرتبة شهرى قدره ٤٢ جنيا مصريا (٣) . وقد برغ نجمة في خدمة الحكومة المصرية ، وخصوصا بعد نجاحه في مأوريته لى ملك أرغندة سنة ١٨٧٤ ، وسياحته فوق بحيرة فسكتوريا ، وقيادته لتجريدة مكراكا (نيام نيام) سنة ١٨٧٥ . ونظرا لنجاحه فيها أسند اليه من مهام أنعم عليه في ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤ برتبة أميرالاي، وبالنيشان المجيدى من الدرجة الثالثة مكافأة له على خدماته الجليلة (٤) .

١٨ - القائمقام (العميد) وارد W. H. Ward من ولاية فرجينيا ومن

1 - Dye : Moslem Egypt P. 498.

2 - Abdin. Amr. Vol.8 despt. No. 179 Beardsley to Fish
Cairo in March 10, 1874 .

3 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3, Cairo
in June 4, 1870

(٤) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢١٦ .

خريجي أكاديمية آنا بوليس البحرية . خدم في الأسطول الأمريكى ، ثم تركه وانضم إلى صفوف الائتلافيين حيث أسندت إليه قيادة أحد الطرادات . ثم دخل في خدمة الحكومة المصرية برتبة قائم مقام سلاح البحرية في ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٠ وبمرتبة شهرى قدره ٤١ جنيهًا مصرياً^(١). ثم رقى إلى رتبة أميرالاي (عميد) أثناء الخدمة^(٢) .

١٩ - الأميرالاي (العميد) تشارلز فيلد Charles B. Field من ولاية فرجينيا ، ولا نعلم تاريخ التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بالضبط . وقد حاز نيشانا في أثناء خدمته^(٣) .

٢٠ - الأميرالاي (العميد) لوكت Samuel H. Lockett من ولاية ألباما ومن خريجي الأكاديمية الحربية الأمريكية U.S Military Academy التحق بصفوف القوات الائتلافية برتبة أميرالاي (عميد) بسلاح المهندسين . ثم دخل في خدمة الحكومة المصرية ، واشترك في الحملة الحبشية بقيادة راتب باشا وكانت مهمته إقامة التحصينات والاستحكامات اللازمة للحملة^(٤) .

٢١ - البكباشى (المقدم) بروت H. G. Prout من ولاية مساشوستس الأمريكية . خدم في صفه في صفوف الجيش الشمالى خلال الحرب الأهلية

1 - Abdin. Amr. Doc. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3, Cairo in June, 4, 1870

2 - Dye : Moslem Egypt p. 498

(٣) المصدر السابق

4 - Crabités; Americans in the Egyptian Army p. 194.

الأمريكية . ثم تخرج بعد ذلك من جامعة متشجان وأصبح مهندسا (١) مدنيا .
وبعد ذلك التحق بخدمة الحكومة المصرية ورقى الى رتبة القائمقام (عقيد) ثم الى
رتبة الأميرالاي (عميد) .

٢٢ - البكباشي (المقدم) ماكومب ماسون Macomb Mason من ولاية فرجينيا
ومن خريجي أكاديمية أنابوليس البحرية . دخل في صفوف الائتلافيين بعد تركه
الخدمة في البحرية (٢) الأمريكية . ثم التحق بخدمة الجيش المصري برتبة بكباشي
(مقدم) بسلاح البحرية في ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره ٣٧ (٣)
جنيها مصريا . وقد شارك بنصيب في حركة الكشوف الجغرافية ، إذ استطاع
كشف نهر السمليكسي في سنة ١٨٧٧ . وفي أثناء خدمته رقى الى رتبة القائمقام (عقيد)
ثم الى رتبة الأميرالاي (عميد) .

٢٣ - القائمقام (العقيد) ولیم دنلوب Wm. W. Dunlop خدم في صفوف
الائتلافيين في الحرب الأهلية الأمريكية ، ثم التحق بخدمة الجيش المصري برتبة
قائمقام (عقيد) بسلاح المدفعية في ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره
٤١ جنيها مصريا (٤) .

-
- 1 - Abdin. Amr. Vol. 8 desp't No 179, Beardsley to Fish
Cairo, March 10, 1874.
 - 2 - Dye : Moslem Egypt p. 498.
 - 3 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in desp'. No. 3 Cairo,
June, 4, 1870

(٤) المصدر السابق

٢٤ - القائمقام (العقيد) جيمس باسل James Bassel من ولاية فرجينيا
ومن خريجي أكاديمية وست بوينت . التحق بسلاح المدفعية بالجيش الأمريكى
ثم ترك الخدمة وعمل كمهندس مدنى الى أن دخل فى خدمة الحكومة المصرية برتبة
قائمقام (عقيد) بسلاح المهندسين (١) .

٢٥ - القائمقام (العقيد)ريد H. B. Reed من مدينة نيويورك . خدم فى
صفوف القوات الاتحادية فكان أميرالابا لفرقة (٢) المتطوعين . ثم استقال من
الخدمة قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بعدة سنوات، وشغل منصب قائممقام
(عقيد) أركان حرب فى الجيش المصرى .

٢٦ - القائمقام (العقيد) جريفس C. J Graves من ولاية جورجيا ،
ومن خريجي مدرسة أنا بوليس البحرية . خدم فى صفوف القوات الانثلافية
بعد تركه الخدمة بالبحرية الأمريكية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية . وقد
رأس البعثة العسكرية التى أرسلت الى ساحل افريقيا الشرقى على المحيط الهندى
فى سنة ١٨٧٨ لاختيار أنسب مكان لإقامة منار لإهداء السفن الآتية من المحيط
الهندى والبحر الأحمر . وقد كشف رأس جوردفوى وحدد مكان إقامة المنار .

٢٧ - القائمقام (العقيد) دريك H. C. Derrick من ولاية فرجينيا .
لانعرف تاريخ دخوله الخدمة بالجيش المصرى . اشترك فى الحرب الحبشبية
تحت قيادة راتب باشا ونال نيشانا أثناء خدمته .

1 - Abdin. Amr. Vol. 8 Despt. No. 179 Beardsley to Fish
in March 10, 1874

(٢) المصدر السابق .

- ٢٨ - البكباشى (المقدم) كامبل W.B. Campbell من تينيسى Tennessee ومن خريجي الاكاديمية البحرية الامريكية . خدم فى صفوف الائتلافين ثم التحق بخدمة الجيش المصرى برتبة بكباشى (مقدم) بحرى فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٣٧ جنيا مصرى (١) . ومات بأواسط أفريقيا أثناء خدمته (٢) .
- ٢٩ - البكباشى (المقدم) إدوارد بيريز Edward Parrys بالجيش المصرى برتبة بكباشى (مقدم) بسلاح الإشارة فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٣٧ جنيا مصرى (٣) . ومات إثر ضربة شمس أثناء وجوده بالخدمة (٤) .
- ٣٠ - البكباشى (المقدم) كرنيلوس هنت Cornelius Hunt خدم فى صفوف القوات الائتلافية أثناء الحرب الأهلية الأمريكية . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة بكباشى (مقدم) بحرى فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٣٧ جنيا مصرى (٥) . وكان فارساً جريئاً وقتل إثر كبره من جواده برمل الاسكندرية فى ٢٨ يونيه ١٨٧٣ (٦) .

- 1 - Abdin Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3, Cairo June 4, 1870.
- 2 - Dye : Moslem Egypt....P. 499,
- 3 - Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Cairo in June 4, 1870
- 4 - Dye : Moslem Egypt... p. 499.
- 5 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Cairo in June, 4, 1870.
- 6 - Abdin. Amr. Vol. 7 enclosure No. 2 in despt. No. 112 June 4, 1870

٣١ - البكباشى (المقدم) يوجين فشت Eugen Fechet من ولاية ممتشجن، ويعتبر من خيرة رجال القوات الإئتلافية فى ميادين القتال. التحق بمدرسة وست بوينت ، وبعد تخرجه عمل فى سلاح المدفعية بجيش الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر قائما بعمله إلى أن التحق بخدمة الجيش المصرى (١١) .

٣٢ - البكباشى المقدم مارتن Chancellor Martin من ولاية النيوى Illinois وهو من خريجي وست بوينت . استقال من خدمة الجيش الأمريكى لدراسة الطب ، ثم تركها للإلتحاق بخدمة الجيش المصرى (١٢) .

٣٣ - البكباشى المقدم هول W. H. Hall من ولاية جورجيا ومن الخريجين الممتازين للأكاديمية البحرية. ترك الخدمة للإلتحاق إلى صفوف القوات الإئتلافية، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية .

٣٤ - البكباشى (المقدم) هوايت White (٣) Whyte من جنوب كارولينا ومن خريجي وست بوينت . حارب فى صفوف القوات الإئتلافية حتى نهاية الحرب الأهلية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية بعد ذلك.

٣٥ - البكباشى (المقدم) دينسون J،D. Dennison من نيويورك ، أعفى من القتال إبان الحرب الأهلية ، وأدخل مدرسة وست بوينت . وبعد تخرجه خدم

(١) Dye : Moslem Egypt P. 499 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يذكره هاى باسم White فى كتابه Moslem Egypt ولكن كرايتس يذكره باسم Wpyte س ١٣ .

بعض الوقت على الحدود ، ثم مارس القانون (١) وبعد ذلك دخل في خدمة الجيش المصري، واشترك في حملة أرندروب سنة ١٨٧٥ على الحبشة .

٣٦ - البكباشي (المقدم) شارلز لوش Charles F. Loshe إستقال من عمله بجيش الولايات المتحدة عندما طلب للإلتحاق بالجيش المصري (٢) ، واشترك في حرب الحبشة بقيادة راتب باشا . ومات فجأة أثناء الخدمة .

٣٧ - البكباشي (المقدم) روبرت لامبسون Robert Schuyler Lam. لا نعرف عنه سوى أنه التحق بخدمة الحكومة المصرية ، واشترك في حملة راتب باشا على الحبشة ومات بدارفور .

٣٨ - البكباشي (المقدم) الطيب جونسون Johnson من تنسي Tennessee خدم في صفوف القوات الائتلافية ، وكان يعمل صيدليا في كلاركسفيل عندما وصله نبأ تعيينه في الجيش المصري . وقد حاز نيشانا أثناء خدمته (٣) .

٣٩ - البكباشي (المقدم) الطيب ويلسون W·H· Wilson اشتغل في وظيفة جراح مساعد بصفوف القوات الاتحادية . وكذلك باشر نفس المهنة في الجيش الأمريكي ، ثم عين في الحكومة المصرية ونال وساما أثناء خدمته .

٤٠ - اليوزباشي (القيب) جون سافاج John Savage من ولاية فرجينيا

Dye : Mostem Egypt P. 499 .

(١)

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

ومن خريجي الاكاديمية الحربية الامريكية . ولانعرف تاريخ التحاقه بالجيش المصرى .

٤١ - اليوزباشى (النقيب) فريمان Hartwell W. Freeman من ولاية مساشوستس، التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة يوزباشى (نقيب) أركان حرب فى ٢١ إبريل سنة ١٨٧٠ بمرتبة شهرى قدره ٢٩ جنيها مصريا (١) .

٤٢ - اليوزباشى (النقيب) جيمس مورجان James Morgan من ولاية لويزيانا. دخل فى خدمة الحكومة المصرية برتبة يوزباشى (نقيب) بحرى فى ٢٠ إبريل سنة ١٨٧٠ بمرتبة شهرى قدره ٢٩ جنيها مصريا (٢) .

٤٣ - اليوزباشى (النقيب) دايفيد بوتر David Porter من متانا Montana خدم فى جيش الولايات المتحدة الامريكية ، ثم ببحرية الولايات المتحدة قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية . ولا نعرف تاريخ التحاقه بالجيش المصرى .

٤٤ - اليوزباشى (النقيب) إرجنس Irgens من ولاية متانا . خدم فى صفوف القوات الاتحادية خلال الحرب الاهلية الامريكية ، ثم التحق بفرقة المدفعية السابعة للقوات النظامية بجيش الولايات المتحدة . وبعد ذلك إستقال من الخدمة والتحق بالجيش المصرى حيث اشترك فى حرب الحيشة بقيادة راتب باشا . ثم اعتزل الخدمة ، ولكنه مات فجأة بميناء ليفربول أثناء عودته إلى وطنه (٣) .

(١) Abdin, Amr. Vol.6 enclosure in despt. No. 3, Cairo
In June 4,1870 .

(٢) المصدر السابق .

Dye ; Moslem Egypt P.500

(٣)

٤٥ - البرفسور ميتشل L.H Mitchel مهندس تعدين، خدم في الجيش الشمالى خلال الحرب الاهلية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية ، وألحق بهيئة أركان حرب لمهمة عملية ، وذهب على رأس بعثة فى سنة ١٨٧٤ لدراسة المنطقسة المحصورة بين النيل والبحر الاحمر من الناحية الجيولوجية ، وكشف المنطقة بين مصوع وقرع فى سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ . وكان ميتشل يتقاضى مرتبا شهريا يعادل مرتب القائمقام (العقيد) (١) .

٤٦ - المستر ميدلتون Middleton دخل خدمة الحكومة المصرية للبحث عن آبار الزيوت ، ولكنه مات بعد فصله من الخدمة مباشرة (٢) .

٤٧ - المستر برنارد Bernard وكان يشغل وظيفة السكرتير الخاص للمجنرال استون .

٤٨ - القائمقام (العقيد) هنرى ماك إيفر Henry R.H. Mc. Ivor التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة قائممقام (عقيد) بسلاح الفرسان فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٤١ جنيا مصرى (٣) .

٤٩ - المستر كيلي M.C.Kiley وتشير اليه وثائق وزارة الخارجية المصرية على أنه أمريكى . ومات أثناء خدمة الحكومة المصرية فى ٢٠ يولية سنة ١٨٧٦ ،

(1) Dye ; Moslem Egypt P. 500

(٢) المصدر السابق .

(3) Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt No. 3
June, 4, 1870.

ولم يذكر شيئا عن وظيفته أو بلده (١).

٥٠ - البكباشى (المقدم) كيرون Cameron من ولاية فرجينيا . خدم فى صفوف القوات الائتلافية ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية بعد ذلك (٢) . وهؤلاء الضباط الأمريكيون المذكورون قد أدوا خدمات لا تنكر لمصر ، ولكن هذه الخدمات كانت لا تلمس الأمور الجوهرية للجيش . ويذكر الضابط الأمريكى داي هذا الموضوع بقوله : ولكن ثروة القطر المصرى والتفكير فى إنمائها وزيادتها أخذت معظم اهتمام الحكومة المباشر . وعلى ذلك فقد كان الهدف من إختيار الضباط الأمريكيين الذين ألحقوا بخدمة الجيش هو زيادة وتنمية ثروة الأقليم وملاحقته أكثر من إختيارهم لتحسين حالة الجيش (٣) . وهذا يخالف بطبيعة الحال ماهدف إليه والى مصر عند تعيين هؤلاء بالجيش المصرى من تقوية قوة مصر الحربية لتحقيق الاستقلال .

وعندما عجزت مالية البلاد عن مواجهة المصروفات أعفى جميع الضباط الأمريكيين وغيرهم من الضباط الأجانب من الخدمة فى ٣٠ يونيه سنة ١٨٧٨ بعد صرف مرتباتهم حتى تاريخ الإعفاء، وصرف لهم أيضا مرتب ستة شهور لكل منهم بصفة مكافأة مع منحه مبلغ خمسة وسبعين جنيها لنفقات رجوعه إلى الولايات المتحدة (٤) .

Crabités : Americans P.16 (١)

(٢) المصدر السابق .

Dye Moslem Egypt P.6 (٣)

Abdin. Amr. Vol. 16 desp. No, 245 Farman to Evarts (٤)
Cairo in July 3,1878 .

وقد استئنات الحكومة المصرية بغير هؤلاء من جنسيات مختلفة ، ففي سنة ١٨٧٢ لاستحضر رجلا لإنجلترا يدعى اتكنسون Atkinson ليشغل وظيفة أسطى باشه لتعليم وتوضيب وضع اللغم الكهربائي والميكانيكى بموجب عقد لمدة ستة شهور من تاريخ قيامه من إنجلترا بمهية شهرية خمسة وثلاثين ليرة ، فيما عدا مصاريف رجوعه وعودته (١) .

ومن هؤلاء أيضا رومولو جيسى Romolo Gessi الضابط الايطالى الذى ألحق بغردون عند تعيينه مديرا للمديرية خط الاستواء سنة ١٨٧٣ . وقد أسند اليه غوردون مهمة إرتياد مناطق بحر الغزال وإقامة محطات عسكرية بها . وقد بدأ جيسى رحلته فى أوائل سنة ١٨٧٤ عن طريق سواكن ، حيث جمع ٢٥٠ جملا وعبر بها الصحراء إلى بربر ، ثم صعد فى النيل حتى وصل إلى الخرطوم . وبعد استراحة قصيرة سار عن طريق النيل الأبيض إلى أن وصل إلى الرجاف وأنشأ نقطا عسكرية فى السوبات وشاميه وبور ولادو ورجاف (٢) . وفى سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ساح فوق بحيرة ألبرت ، وطاف بشواطئها ، وأثبت أن النيل الأبيض يخرج منها (٣) .

واستخدمت أيضا الضابط ميكلوب Mc. Killop للعمل تحت إمرة غوردون وكان ميكلوب هذا ضابطا برتبة يوزباشى (نقيب) فى البحرية الانكليزية ، وقد صحب ميكلوب شاييه لوتنج فى رحلته إلى نهر جوبا .

(١) دفتر ٢٨٦٨ أوامر كرام وارده لديوان المهادية فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢٨٩ .

(2) Gessi , Seven years in the Sudan P.V

(٣) Crabités; Americans P.214.

كذلك التحق بخدمة الحكومة المصرية الأميرالاي (العميد) أرندروب
Arendrup ، وكان ملازماً سابقاً بالمدفعية الدنمركية الملكية ، وحضر إلى مصر
للاصلاح. وفي أثناء إقامته بها توطدت بينه وبين الجنرال استون وأصر الصداقة ،
فأسندت إليه قيادة حملة على الحبشة سنة ١٨٧٥ وفيها قتل أرندروب ، وكان
نصيبها الفضل التام .

وخدم أيضاً في صفوف الجيش المصري رجل سويسري يسمى
منزنجير Munzinger في سنة ١٨٧٠ كمحافظ لميناء مصوع . وقام على
رأس حملة صغيرة لتأديب الحبشة سنة ١٨٧٥ . ولكنه هزم وقتل
هو ومعظم جنوده .

واستخدمت الحكومة المصرية أيضاً الضابط الانكليزي مالكوم ليتولى
إلغاء تجارة الرقيق في البحر الأحمر بعد عقد إتفاقية إلغاء الرق في
١٨٧٧ . واستعانت الحكومة المصرية كذلك بخدمات
فردريجو Fréderigo الذي اشترك في حملة نهر جوبا وقسمايو . وغير
هؤلاء كثيرون ممن استخدموا كدرسين بالمدارس الحربية وكأسطوات
ببلكات الصنائية وفروع الجيش الأخرى يصعب على الباحث إحصاؤهم .

وعما تجدر الإشارة إليه أن إفراط اسماعيل في الاعتماد على
الأجانب ؛ وفي إسناد المناصب الرئيسية اليهم في البلاد ، لاسيما في
السودان وفي البحر الأحمر ، لم يكن في صالح مصر على الإطلاق .
كما أن بعض هؤلاء الأجانب - على الأقل - لم يكن فوق مستوى
الشبهات .

هذا بالإضافة إلى أن استخدام هؤلاء الأجانب ، خصوصا الأمريكيين منهم ، لم يؤد إلى الإرتفاع بمستوى الجيش ، فقد حيل بينهم وبين الجنود ، ونظر الضباط الأتراك الشراكسة اليهم كمنافسين لهم في السلطة وفي السيطرة على الجيش. ولهذا عملوا على عرقلة أعمالهم ، والوقوف في وجه مشروعاتهم . ومن ثم إتجه نشاطهم إلى أمور فرعية لاتمس الجيش في الصميم ، مثل الكشوف الجغرافية وغيرها .

الفصل الرابع

البعوث العسكرية

البعوث العسكرية

كان لابد النهوض بالجيش من الاستعانة بخبراء عسكريين من الاجانب ليقيموا على تدريبه على النظم الحربية الحديثة ، واختيار أفضل القوانين العسكرية التي تتناسب وطبيعة النظم الحربية في مصر . وهذا ما لجأ اليه محمد علي حينما استعان بخبراء عسكريين من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وغيرها من الافطار الأوروبية . ولكنه كان يعتقد بأن هذا الملاج مؤقت ، فلا يمكن لاي جيش حديث أن يعتمد كلية على خبرات أجنبية ، وخصوصاً في الناحية الحربية . فأوفدت البعث العديدة إلى أوروبا للتخصص في النواحي العسكرية المختلفة ليستطيع هؤلاء المبعوثون أن يقوموا مقام الاجانب في الجيش بعد إتمام دراستهم والعودة إلى مصر .

وقد اتبع كل من عباس وسعيد نفس الطريقة ، فأوفدا البعث العسكرية وغير العسكرية إلى أوروبا، ولكنها كانت في حدود ضيقة إذا ماقيست بما كان عليه الحال في عصر محمد علي .

فلما جاء إسماعيل إلى حكم مصر نهج على منوال جده محمد علي في الاستعانة بالفرنسيين في تزويده بالضباط لتنظيم مدارس الحربية . فأوفدوا اليه في أوائل سنة ١٨٦٤ البعثة الفرنسية برئاسة ميرشير بك وعضوية رباتيل ولارمى وبولار . وبعد ذلك بقليل أرسلت إلى فرنسا بعثة عسكرية تحت رئاسة شاهين (باشا) وتتكون البعثة من خمسة عشر ضابطاً من أهم الضباط من كل الأسلحة صحية

الجنرال برناردو ومعهم أحمد (بك) عبيد بصفة مترجم ، لدراسة التعليمات العسكرية الفرنسية ، والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية التي أجراها الأوردي المتيم في شالون تحت قيادة المارشال مكاهون (١) ، . وهؤلاء الضباط هم شاهين (باشا) وأبراهيم (باشا) السوارى وعلى (بك) رضا الطوبجى ، وعلى (بك) وهبى ، ويوسف (بك) صديق ، ومحمد (بك) رضا ومحمود (بك) سائى واسماعيل (بك) أيوب ، وعبد القادر (بك) حلى ، ومصطفى (بك) فهمى وعثمان (بك) غالب ، وأحمد (أفندى) حمدى ، وحسن (أفندى) مظهر ، ومحمد (أفندى) (٢).

وقد قوبلوا فى فرنسا بحفاوة بالغة من قبل السلطات العسكرية الفرنسية . وعملت الحكومة المصرية على تيسير مهمة البعثة فأرسلت خطاباً (٣) . فى ١٩ محرم سنة ١٢٨١ (يونيه سنة ١٨٦٤) إلى سفير الدولة العثمانية بباريس تلتمس منه بذل ما يستطيع من جهد لتوفير سبل الراحة والعناية لهؤلاء المبعوثين أثناء إقامتهم بفرنسا . ولم تكن مهمة البعثة مقصورة على زيارة فرنسا فحسب ، بل وزيارة المدن الشهيرة بإنجلترا وألمانيا والنمسا أيضا . وقد اتصلت الحكومة المصرية مرة أخرى بسفراء الدولة العثمانية بلندن وبرلين وفيينا لتسهيل مهمة البعثة ومساعدتها فى زيارة ما ترغب زيارته من الأماكن (٤) .

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٧ حاشية .

(٣) دفتر ٢١ هابدين وثيقة رقم ٤٨٧ من اسماعيل باشا الى سفير الدولة العثمانية فى باريس فى ١٩ محرم سنة ١٢٨٠ (يونيه ١٨٦٤) .

(٤) دفتر ٢١ هابدين وثيقة ٥٩١ الى سفراء الدولة العثمانية بلندن وبرلين وفيينا فى غاية ربيع أول ١٢٨١

وقد مكنت هذه البعثة نخارج مصر من شهر يونيو إلى أكتوبر سنة ١٨٦٤^(١).
ثم عادت إليها تحمل الكثير من المؤلفات العسكرية الفرنسية التي أمرت الحكومة
بترجمتها . وكذلك أنواعا من الأسلحة والملابس (٢) .

وفي ديسمبر سنة ١٨٦٦ أرسلت الحكومة أربعة من متفوقى مدرسة أركان
حرب إلى فرنسا لاستكمال دراستهم بها . وهؤلاء الأربعة هم (٣) :

- ١ - محمد مختار (ولم يستكمل دراسته لمرضه)
 - ٢ - حسن مظهر لدراسة العلوم الصناعية
 - ٣ - أحمد زكي
 - ٤ - علي وهبي
- لدراسة الهندسة العسكرية بمدرسة المدفعية بمر

وقد أرسلت هذه البعثة في أيام نظارة شحاته (أفندي) عيسى لمدرسة أركان
حرب ، وقبل انشاء هيئة أركان حرب الجيش المصرى .

وفي سنة ١٨٧٠ (٢٣ صفر سنة ١٢٨٧) وافقت الحكومة على لإفساد أربعة
من طلبة مدرسة أركان حرب إلى إنجلترا وهم (٤) :

- (١) اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية س ٢١٤
- (٢) حقائق الأخبار ج ٢ س ٣٠٧
- (٣) دفتر ٣٩٧ (مدارس عربى) وثيقة رقم ١٥٦ ص ١٥٧ من ناظر المدارس
الحربية في ٤ رجب سنة ١٢٨٣ .
- (٤) محظلة ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٢٤ من الجناح العالى الى ناظر الجهادية
في ٢٣ صفر سنة ١٢٨٧ (١٨٧١) .

١ - الملازم ثانی لطیف سلیم أفندی

٢ - د عبد الرحمن ذهني

٣ - الاسبران علي جودت

٤ - الاسبران عبد الفتاح فتحي

وقد أرسل هؤلاء لاتمام دراستهم بانجلترا ، حيث أن لهم شغفا زائدا باتمام
الدراسة هناك (١) .

وفي أوائل سنة ١٨٧٠ أرسلت الحكومة إلى فرنسا ثلاثين طالبا منهم أربعة
قطط من تلاميذ مدرسة الطب البيطري (إحدى المدارس الحربية) للتخصص في
مهنة الطب البيطري وهم (٢) :

١ - محمد فؤاد

٢ - محمد صفوت

٣ - حسن زكي

٤ - محمد كامي

وقد عاد هؤلاء ومن معهم من تلاميذ البعثات الأخرى عقب حرب السبعين
إلى مصر قبل أن يتموا دراساتهم (٣) .

وأثناء نشوب الحرب الفرنسية البروسية في سنة ١٨٧٠ أرسل ناظر

(١) عنظة ٩ جهادية) وثيقة رقم ٢٢٤ من الجناح العالي إلى ناظر الجهادية في

٢٣ صفر سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) .

(٢) تاريخ التلاميذ (عمر اسماعيل) ج ٢ ص ٧٢١

(٣) ملحق السابق .

الجهادية والبحرية شاهين كنج (١) كتابا إلى الخديو اسماعيل يستفسر منه عما إذا كان سموه يوافق على ندب بعض الضباط لألمانيا وفرنسا لمناسبة نشوب الحرب بينهما للاستفادة من مشاهدة حركات الجيوش أثناء القتال والقيام برسم خرائط تفصيلية لمواقع الجيوش وسير القتال .

وقد كان لهذه الحرب نتائج عظيمة المدى من الناحية الحربية فقد أثبتت للعالم تفوق النظم الحربية الروسية على النظم الفرنسية التي كانت تعتبر المشل الأعلى للنظم الحربية العالمية في ذلك الوقت . فجذبت هذه الثورة الجديدة على الأوضاع والنظم الحربية المألوفة أنظار رجال الحرب من مختلف الدول ، فمكفوا على دراستها والإفادة منها . فلا عجب إذا ما اهتمت الحكومة المصرية والجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري بهذا التطور الجديد في النظم العسكرية ، فتوافق الحكومة في (٢) في إبريل سنة ١٨٧٢ على إيفاد عدد من صغار الضباط في هيئة أركان حرب تحت إشراف قائممقام (عقيد) يراعى في إختياره الذكاء والخبرة الطويلة لمشاهدة النظم العسكرية لدول أوروبا العظمى ، وذلك في خلال صيف عام ١٨٧٢ .

وكان الغرض من هذه البعثة أن يقوم هؤلاء الضباط بدراسة النظم العسكرية للدول الأوروبية المختلفة ، وخصوصا التي طبقت في حرب سنة ١٨٧٠ التي تعتبر من أكبر المعارك في ذلك الوقت . كذلك رأت الحكومة أن يقوم أعضاء البعثة في المدة التي سيمكثونها خارج بلادهم وهي ستة شهور بالدراسات الآتية (٣) :

(١) بحفظه ٤٧ (مية تركي) وثيقة رقم ٤٤٢ من شاهين كنج ناظر الجهادية والبحرية الى المية مهردار الخديو في ٢٦ ربيع ثاني سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) -
(2) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/10 Bureau du
Chef d'Etat - Major . LE Caire en Avril . :872.
(٣) المصدر السابق .

١ - التغييرات التي أدخلت على النظم الحربية بعد حرب سنة ١٨٧٠ نتيجة للخبرة التي اكتسبتها الدول المحاربة خلالها .

٢ - التناسب الموجود بين قوات الدول المختلفة . وكذلك الوقوف على الأسلحة والملايش العسكرية في الجيوش المختلفة ، وأثر الحرب في التعديلات التي أدخلت على المدافع والأسلحة النارية من مختلف الطرز وما تقوم به الدول من التجارب الوصول إلى أصلحها وأبعدها أثراً في الحرب . وكذلك معرفة ما طرأ على التكتيكات الحربية ونظم تشكيل الجيوش وما طرأ عليها من تغيير نتيجة للخبرة المكتسبة في الحرب .

٣ - معرفة نسبة مجموع مدافع الميدان إلى المجموع الكلي لقوات الجيش ، وكذلك طريقة جمع الجنود ، والإمام بكادر الضباط والجنود ، وطرق تعليم الضباط وضباط الصف ، وخصوصاً ضباط أركان حرب ، والوقوف على الخدمات التي تؤديها الهيئة في أيام السلم والحرب . كما يجب على أفراد البعثة الوقوف على تنظيم واستخدام المواصلات المختلفة من سكك حديد وتلغرافات .

كذلك أوصى الجنرال استون رئيس البعثة بأن يرافق هو ومن معه أعضاء هيئة أركان حرب جيش ألمانيا الشمالي في رحلة الربيع السنوية إلى إقليم الإلراس الذي يعتبر مسرحاً للوقائع المهمة من الناحية العسكرية . كما أشار عليه بدخول أوروبا من جنوبها ، عن طريق البندقية ، حتى يتعود أفراد البعثة على مناخ أوروبا قبل ذهابهم إلى شمالها . ثم زيارة ساحات القتال الشهيرة في القرن الحالى (التاسع عشر) وخصوصاً ساحات قتال الجنرال بوناپرت والمارشال رادتركي Radetzky قبل وصولهم إلى برلين . كذلك أمره بحضور المناورات الكبرى التي يجرىها الجيش البروسى في الخريف من كل عام نظراً لأهميتها . على أن يقوم كل ضابط

بتدوين مذكراته عن مشاهداته وملاحظاته ، ويرسل منها نسختين كل أسبوع إلى مصر ، أحداها إلى رئيس هيئة أركان حرب ، والأخرى إلى ناظر الجهادية . وعلى رئيس البعثة في نهاية كل شهر أن يرسل تقريرا مفصلا عن ملاحظاته ، وكذا تقريرا من قبل كل ضابط ، بالإضافة إلى مذكراته اليومية . ولا يعرف بالضبط المدة التي أقامتها هذه البعثة بأوروبا .

كذلك طلب الجنرال استون (١) في ٧ مايو سنة ١٨٧٣ انتداب القائم مقام (العتيد) أرنديروب السكرتير الحربي - وهو من ضباط المدفعية الأكفاء - المسافر إلى إنجلترا وفرنسا لمشاهدة مدافع الميدان الجديدة التي أجريت تجربتها أخيرا ، والتي تفوق ما هو موجود لدى الجيش المصري . على أن يقوم باختبارها ، وكتابة تقرير عنها ، وبيان أسعارها ، وطرق الحصول عليها . وإسفرقت مدة إقامته بأوروبا بين ثلاثة وأربعة شهور .

المدرسة المصرية بباريس

أسست هذه المدرسة بباريس في عهد محمد علي في أكتوبر سنة ١٨٤٤ لتعليم التلاميذ المصريين الفنون الحربية ، وجعلها تحت إشراف وزير الحربية الفرنسية الذي قام بتعيين المسيو بوانسو (٢) Poincot ناظرا لها . كما عين أساتذة المدرسة كذلك . وشكلت للمدرسة لجنة مكونة من ستة ضباط لتنظيم سير الدراسة بها . واتبعت المدرسة في إدارتها النظم العسكرية البحتة . ولكن رغم ذلك فكان يعامل الأمراء

(١) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 05/10 Fabricaion en Egypt Bureau du Chef d'Etat - Major , Le Caire 7.Moi 1873

(٢) عمر طوسون . البعثات المامية في عهد محمد علي وهيبان وسعيد ص ١٧٦ .

وأبناء الباشوات من التلاميذ معاملة خاصة ؛ إذ خصصت المدرسة لنومهم حجرات مؤثثة تأمينا فاخرا ، وأعدوا لمأكلهم طعاما فاخرا ، مما يتنافى مع طبيعة الحياة العسكرية . وقد اعترض محمد على على هذه المعاملة في خطاب بعث به إلى وزير الحربية الفرنسية في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٤٤ ، وطالب بمعاملة أولاده نفس معاملة سائر التلاميذ^(١) . وبلغ عدد تلاميذ المدرسة في سنة ١٨٤٥ ، ٦٢ تلميذا ، وكانت تتراوح أعمارهم بين ١٩ و ٢٠ عاما . وكان يتقاضى الطالب منهم^(٢) ٧٥ سنتيم ٦٢ فرنك . وقد التحق إلى مصر اسماعيل في صغره بهذه المدرسة في الفصل الثالث في أول ابريل سنة ١٨٤٥^(٣) . وكذلك على مبارك (باشا) حيث التحق بها في سنة ١٨٤٤^(٤) .

ولاستمرت هذه المدرسة قائمة إلى ولاية عباس سنة ١٢٦٥ (أواخر مايو سنة ١٨٤٩) ، حيث أمر بإغلاقها وإستحضار تلاميذها . وإستعاض عنها بمدرسة المفروزة بالعباسية^(٥) .

وفي عصر سعيد أرسلت بعثات مختلفة إلى فرنسا ، تخصص بمض أفرادها في النواحي الحربية . وكان يشرف على هؤلاء الطلبة مجلس تعليم البعثة المصرية بفرنسا الذي تولى وضع لائحة (ترتيب نامه) لها^(٦) وافق عليها الجنديو في ١٦

(١) عمرطوسون . البعثات العلمية في عهد محمد على وعباس وسعيد من ١٨٢

(٢) المصدر السابق ص ٤١٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٧ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(٦) دفتر مجموعة ترتيبات ووظائف . وثيقه رقم ٢١ من ٤٢٦ و ٤٧٨ أمر على في

رجب سنة ١٢٧٤ .

رجب سنة ١٢٧٤ (أوائل مارس سنة ١٨٥٧) . وتشتمل على مقدمة و ١٤ بندا
خاصا بنظام التلاميذ وحقوقهم وواجباتهم ولباسهم ومأكلهم .

واستمر لإشراف مجلس تعليم البعثة على إنشاء المدرسة المصرية بباريس
(الرسالة المصرية في باريس) في يولية سنة ١٢٨٩^{١٨٦٨} حيث عين على نظارتها ميرشير
بك؛ وكلف بوضع لائحة لها . وحازت هذه اللائحة (١) موافقة الحكومة المصرية .
وتتكون اللائحة من خمس مواد :

المادة الأولى تنص على أن هذه المدرسة أسست على غرار المدرسة التي أنشأها
محمد علي من قبل ، وتضم تلاميذا من خريجي المدارس المصرية ، وتخضع
للنظام العسكرى .

وبالمادة الثانية بيان بعدد أفراد هيئة المدرسة من قومندان المدرسة ، ومدرسيها
وأمين صندوقها ، ومسجلها ، وسكرتيرها ...

وتنص المادة الثالثة على نظام التعليم بالمدرسة ، و فرق الدراسة ، وكيفية
أداء الإمتحان .

وبالمادة الرابعة بيان مجالس المدرسة الثلاثة :

أولا - مجلس التعليم : ويقوم بوضع برامج الدراسة وتخريج الطلاب وترتيبهم
حسب قوتهم . ويتكون هذا المجلس من عشرة أساتذة تحت رئاسة
قائد المدرسة .

ثانيا - مجلس الإدارة ويختص بالشؤون الادارية للمدرسة ، ويتكون من

(1) Abdin. Corresp. fran. Doss No.35/4 Ecole Eayptien de
Paris Mircher à Nubar Pacha 16 Aut. 1869.

خمسة أعضاء فيما عدا الرئيس (قائد المدرسة).

ثالثا - مجلس التأديب : ويقوم بتقدير درجات سلوك التلاميذ ، والحكم على المخالفين منهم . ويتألف من قائد المدرسة رئيسا وخمسة أعضاء آخرين .

وتشتمل المادة الخامسة على قوانين النظام والمكافآت والعقوبات . وفرض نظام المدرسة على الطلبة الذين يتلقون دروسا كاملة بالمدرسة لإرتداء الملابس المقررة للمدرسة . أما الطلبة الذين يلقون بعض الدروس بالمدرسة والبعض الآخر بالمدارس الفرنسية الأخرى فقد أعفوا من هذه الملابس . ويمتخ الطلبة أثناء دراستهم رتبيا عسكرية تخول لهم السلطة على زملائهم في حدود اللائحة الداخلية لنظام المدرسة . وخصص لكل ٥٠ طالبا باشجاويش (رقيب أول) ورائد، ولكل ٢٥ طالبا جاويش (رقيب)، ولكل ١٢ طالبا أونباشي (عريف).

ويقوم قائد المدرسة بمنح هذه الرتب العسكرية ، ولايجوز تجريد الطالب من رتبته لإبقرار من مجلس التأديب . أما عن العقوبات التي تفرض على التلاميذ فتتراوح بين الحجز أو التحذير أو السجن أو الفصل ، طبقا لما يحدده قانون العقوبات .

وألحق باللائحة العامة للمدرسة لائحة أخرى لنظام الخدمة الداخلية (١) . ويتكون هذا النظام من ست مواد :
المادة الأولى : تذكر اختصاصات الموظفين والأساتذة والوكلاء ؛ وتحدد إختصاص قومندان المدرسة ، وتوضح الأعمال المكلف بها . وكذلك المدرسين وسائر الموظفين الإداريين .

(1) Abdin, Corresp. fran. Doss. No. 35/4 Ecoles Egyptiens de Paris .Deret Organique. Mircher à Nubar Pacha. 16 Aut 1869 .

المادة الثانية : وتشتمل على شروط قبول التلاميذ بالمدرسة وطريقة توزيعهم على فرقها المختلفة ، وما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات نحو مدرستهم ومدرسيهم والموظفين الإداريين .

المادة الثالثة : وتوضح الزى المفروض على التلاميذ .

المادة الرابعة : وتضم تفصيلات دقيقة لنظام الأكل والوجبات المخصصة للتلاميذ . ونظرا لأن بعض التلاميذ يتناولون دروساً أخرى في المعاهد الفرنسية المختلفة ، وهذه الدروس تضطرهم في بعض الأحيان إلى تناول الطعام خارج المدرسة . لهذا رأت إدارة المدرسة صرف مبلغ فرنكيين بدل غذاء عن الوجبة الواحدة . وبهذه المادة أيضا بيان بأنواع الأطعمة التي تتكون منها كل وجبة من الوجبات الثلاث .

المادة الخامسة : تشتمل على بيان العقوبات التي تفرض على التلاميذ المخالفين ، ومدى سلطة كل من المدرسين ، والمشرفين ، وناظر المدرسة في فرض هذه العقوبات ، مع سرد أنواع المخالفات وعقوبة كل منها .

وكان الغرض من إنشاء هذه المدرسة لإعداد التلاميذ المصريين اللاتحاق بالمدارس الفرنسية المختلفة من حربية وغير حربية ، لأنه وجد أن التلاميذ المصريين الذين يرسلون في بعوث علمية إلى فرنسا لا يستطيعون مواصلة دروسهم لعجزهم التام عن مسايرة زملائهم ، نظرا لضيقهم في اللغة الفرنسية . ولهذا روى لإنشاء هذه المدرسة التي كانت تسير على النظم العسكرية في إدارتها ، سواء أكان الطالب سيلتحق بالمدارس الحربية الفرنسية أم بالمدارس الملكية . وكان التلاميذ المبتدئون يتلقون دراستهم بها طوال اليوم . أما التلاميذ الآخرون الذين أمضوا مدة بالمدرسة تؤهلهم للالتحاق بالمدارس الحربية الفرنسية ، فكانوا يتلقون

بعض الدروس بالمدرسة المصرية ، والبعض الآخر بالمدارس الفرنسية التي تخصصوا في موادها .

ولم تطل مدرسة نظارة ميرشير عليها ، إذ تركها في منتصف سنة ١٨٧٠ للعمل بالجيش الفرنسي كرئيس لأركان حرب فرق المشاة بباريس (١) ، فخلفه رباتيل وكيل المدرسة . واستمرت المدرسة قائمة إلى سبتمبر سنة ١٨٧٠ ، حيث عاد طلبية البعثة المصرية إلى مصر ، فلم يجد هناك مهرباً لبقائها (٢) . فأصدرت الحكومة المصرية أمرها بإلغائها ، وعهد إلى يوسف (بك) النبراوى في مارس سنة ١٨٧٠ وبنو حساباته (المكتب المصرى بباريس) ونقله إلى بروكسل (٣) .

ولكن مشروع نقل المدرسة المصرية إلى بروكسل لم يتحقق (٤) . ومع ذلك لم ينقطع إرسال التلاميذ في بعوث إلى فرنسا بعد غلق المدرسة المصرية . ومن ثم رأت الحكومة المصرية تعيين شارل مزمر Charles Mismar مديراً للبعثة المصرية بباريس في سنة ١٨٧٥ للإشراف على شئون التلاميذ المتفرقين في مدن فرنسا ، مثل اكس ومونلييه وباريس . واستمر بمنصبه هذا إلى سنة ١٨٨٥ .

وقدر أمين سامى أعضاء البعوث العلمية التي أرسلت إلى مختلف البلدان الأوربية - بنحو ١٧٢ طالباً بلغ ، ما صرف عليهم نحو ١٦٣٠.٥٧ جنياً . ويتفق

(١) تاريخ التعليم . عصر اسماعيل ج ٢ ص ٧٥٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٩٣٥ (أوامر مدارس) وثيقة رقم ١٧٨ ص ١٢٥ أسس كريم إلى المالية في ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ (مارس سنة ١٨٧١) .

(٤) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٧٥٩ .

معه في ذلك الياس الايوبي ، إذ يذكر أن من بين هؤلاء المبعوثين ١٢٠ طالبا أرسلوا إلى مدرسة- الطب والمدرسة- الحربية- بباريس و ٥٠ طالبا إلى مدارس تورينو العسكرية والملكية- .

وقد استطاع الدكتور أحمد عزت عبدالكريم الوصول بعدد هؤلاء المبعوثين إلى ١٩٥ طالبا ، موزعين على فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا (١) . وبعض هؤلاء تخصصوا في الناحية- الحربية- . ولكن لا يستطيع الباحث تحديد عدد هؤلاء تحديدا دقيقا .

(١) تاريخ التعليم (مصر لإسماعيل) ج ٥ ص ٧٧٠ .

الفصل الخامس

المدارس الحربية

المدارس الحربية

لم يكن بمصر بعد انتهاء حكم محمد علي سوى مدرسة حربية واحدة هي المدرسة الحربية بالقاهرة السعيدية (القناطر الحربية) التي كانت تسمى باسم المهندس خانة السعيدية (١)، قبل أن يوضع لها ترتيب (تنظيم) جديد في ١٨ صفر سنة ١٢٧٨ (يوليه سنة ١٨٦١) (٢) . وكان ناظرها دى برناردى De Bernardi ، وكانت حالتها د سيئه من حيث كيانها ونظامها والتعليم والتربية فيها (٣) . فعزم الخديو اسماعيل على أن يتخذ من هذه المدرسة أساساً لإقامة المدارس الحربية الأخرى . ويبدو أن هذه السياسة كانت مرسومة في ذهنه قبل توليه الحكم ، أى وقت أن كان يشغل منصب صاحب الدولة القائم مقام أثناء استشفاء عمه سعيد بأوروبا . فكانت هذه الفترة التي تولى فيها اسماعيل أمور الولاية بالنيابة عن سعيد هامة بالنسبة له ، إذ جعلته يلمس عن كثب مدى حاجة الجيش إلى الإصلاح .

وعندما ولى اسماعيل حكم مصر وأمر بنقل المدرسة الحربية التي كانت بقصر النيل إلى العباسية (٤) ، ثم نقلت تبعيتها من ديوان الجهادية إلى ديوان المدارس

(١) سرهنك باها : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر عباس وسعيد ص ٢١٢ .

(٣) الياس الأيوبي : تاريخ مصر عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٦٥٢ .

(٤) سرهنك لياشا : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ وأمين سامى باشا : تقويم النيل

المجلد الثانى ج ٣ ص ٦١ . (إرادة لياشا ناظر المدارس في ٢٢ المحرم سنة ١٢٨١) .

بعد أشهر من إنشائه (١) في ١٢ المحرم سنة ١٢٨٠ (١٨ يونيو سنة ١٨٦٣) . ولم يكن لهذا النقل ما يبرره - فمع أن ديوان المدارس لم يدخر وسعا في العمل على النهوض بها - إلا أن المدرسة لم تستطع قطع صلتها القوية بديوان الجهادية . ولذا ظهرت الحاجة إليه عندما تمت المدرسة وزادت مطالبها . فلم يجد أولو الأمر مناصا من ضمها إليه في ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (فبراير سنة ١٨٦٤) (٢) .

بدأ ديوان المدارس في جمع التلاميذ لهذه المدرسة لمواجهة حركة التوسع المنشودة ، فشغله هذا الهدف عن تخير التلاميذ الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ، فبعضهم لم يسكنوا يعرفون غير القراءة والكتابة ، بل أكثرهم كانوا يجهلون (٣) . فكان هذا التفاوت بين درجات المعرفة سببا في تقسيم التلاميذ إلى ستة فصول « تبا لدرجة معرفتهم الحساب » . (٤) ثم قسمت المدرسة إلى أربعة أقسام تمثل أسلحة الجيش الأربعة وهي : الهندسة العسكرية ، والمدفعية ، والفرسان ، والمشاة ، وسميت وقتذاك بمدرسة المدفعية ، وكان مقرها لها . ٤ تلميذ . وسيتبلور كل قسم من هذه الأقسام ويأخذ شكل مدرسة قائمة بذاتها ومستقلة في إدارتها عن غيرها من المدارس الحربية الأخرى .

-
- (١) أمين سامي باشا : تقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٥٣٩ ، وأحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٣ .
- (٢) دفتر ٥٣٩ (ميه تركي) ص ٥٦ أمر رقم ٢٣ إلى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ وأمين سامي باشا : تقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٥٣٩ .
- (٣) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦١٨
- (٤) المصدر السابق .

وإذا كان ديوان المدارس قد جمع لهذه المدرسة - وقت تبميمتها إليه - تلاميذ لا تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، فإن ديوان الجهادية كان أكثر دقة في إختيارهم عندما آلت إليه المدرسة في ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (أوائل سنة ١٨٦٤) (١)، كما ذكرنا من قبل، فاختار ١٢٠ تلميذا من تلامذة المدرسة التجهيزية، وذلك لرفع مستوى خريجي المدرسة من الضباط .

واستلزم التوسع في المدرسة الحربية - أو مدرسة المدفعية كما كانت تسمى - إيجاد عدد كبير من المدرسين والمدرين الأكفاء . ولم يكن هذا العدد متوفرا بمصر وقتئذ، فاستعان اسماعيل بالفرنسيين بحكم ثقافته وميوله. هذا بالإضافة إلى إيفاد البعثات العسكرية . فوفد إلى مصر في سنة ١٨٦٤ بعض الضباط الفرنسيين تحت رياسة الكولونيل ميرشير Mircher ومعه ثلاث ضباط آخرين هم رباتيل Rabatel ولارمى Larmè وبولار Polard، وألحق بهم دى برناردى De Bernardi (٢) . ويتفق اسماعيل مع جده محمد على في أن كلا منها قد استعان بالفرنسيين في إعداد مدارس الحربية، فمحمد على لجأ إليها بعد هزيمة نابليون إذ كانت هذه الهزيمة مدعاة للكثير من ضباطه إلى أن يجربوا حظهم في مصر (٣) . وكذلك لم يقتصر محمد على واسماعيل على الاستعانة بالفرنسيين وحدهم بل إستعان كل منهما بإيطاليين وإسبانيين كذلك.

-
- (١) محظلة ٧ (جهادية) وثيقة ترصيفية رقم ٤٠٠ في ٧ رمضان ١٢٨٠ (أمر على إلى ناظر الجهادية) .
- (٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم في مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢١
- (٣) سرهنك باشا - حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧
- (٤) تقرير بورنيج . معرضه في كتابه بناء دولة مصر محمد على للداكتور محمد فؤاد العسكري ص ٤٧٤ .

وقد قسمت المدرسة الحربية (مدرسة المدفعية) إلى أقسام بيادة، وسوارى، وطبجية، ومهندسين حربيين، وأركان حرب (١) . وضمانا لحسن إدارة هذه المدارس، دُكَّال ضابطها وربطها ونجاح وتقدم تلاميذها (٢) ، جعلت لها إدارة حربية خاصة في ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ ، وألحقت بديوان المدارس رغم تبعية المدرسة الحربية لديوان الجهادية .

مدرسة الطوبجية (المدنية)

كانت أول مدرسة للدفعية أنشئت بمصر الحديثة في سنة ١٨٣١ (١٢٤٧هـ) حيث تكونت من ٣٠٠ من تلاميذ مدرسة قصر العيني التجهيزية تحت إدارة (الدون أنطونيو) في طره (٣) ، وكان معظم تلاميذ المدرسة في أول عهدنا من المصريين والأتراك واليونانيين ، ثم أخذ العنصر المصري يزداد بها حتى أصبح تلاميذها جميعا من أهل البلاد (٤) .

-
- (١) سرهنگ باشا . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧ وعزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٢ .
- (٢) أمين سامي باشا . تقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٥٥٩ (إعادة للفريق اسماعيل باشا ناظر الجهادية رقم ٦٢ بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٢٨١) .
- (٣) سرهنگ باشا . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٢٦ وعزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (بمصر محمد علي) ص ٤٠٨ .
- (٤) المصدر الأخير ص ٣٩٢

شروط الالتحاق

تتلخص هذه الشروط فيما يلي :

أولاً : يقبل بها التلاميذ فيما بين الحادية عشرة والخامسة عشرة (١)، وبلغ بعضهم العشرين أو يزيد (٢) .

ثانياً : أن يكون لهم معرفة بالقراءة والكتابة .

وقد نمت هذه المدرسة وازدهرت ، واشتدت الحاجة إليها لتخريج ضباط عديدين في فترة الصراع بين محمد علي والباب العالي ، ويقدر أمين سامي (باشا) عدد تلاميذها في سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) بـ ١٤٥ تلميذاً ، وبلغت نفقاتها ٥٦٩ مليم و ٢٨٦٦ جنيته (٣) . ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وصدر فرمان يونيه سنة ١٨٤١ ، انخفض عدد قوات الجيش المصري ، وفقدت المدارس الحربية (ومنها مدرسة الطوبجية) مقومات وجودها وتوقفت - بصفة عملية - معونة محمد علي واهتمامه بنظم التعليم السائدة فيها ، وظلت هذه المدارس مفتوحة ، ولكن عوامل الضعف أخذت تدب فيها (٤) .

وفي سنة ١٨٤١ ، وضع للمدرسة ترتيب (تنظيم) جديد، نص على أن يكون قوام المدرسة عدداً من التلاميذ كافياً لإدارة بطاريتين اثنتين (٥) . ولما كانت الحاجة

(١) أحمد عزت عبدالكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٤٠٨ .

(٢) القائل مقام عبد الرحمن زكي . ذكرى البطل ابراهيم باشا ص ١٧٣ .

(٣) أمين سامي باشا . التعليم في مصر ص ١٥ .

(٤) Mc. Coan : Egypt as it is P. 210 .

(٥) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٤١٣ .

إلى الضباط غير ملحة بعد سنة ١٨٤١ ، فكان التلاميذ « يظنون بالمدرسة ،
يعيدون دروسهم حتى يحتاج إليهم أو إلى بعضهم في فرق الجيش (١) » .
وقد أدت هذه المدرسة خدمات جليلة ، خصصا في الحروب التي قامت بين
محمد علي والباب العالي .

وعندما ولي إبراهيم أمر البلاد أراد النهوض بالمدرسة ولكن المنية عاجلته.
ولقد أبقى عباس مدرسة المدفعية بعد ولايته ، وألحقها بديوان الجهادية في
ربيع ثاني سنة ١٢٦٥ (فبراير سنة ١٨٤٩) (٢) ، وكان عدد تلاميذها وقتئذ
١٨٦ تلميذا ، وميزانيتها ٦٤٠ مليم و ١٥٧٠ جنية (٣). ولكن عباس لم تمجبه (٤)
المدارس الحربية التي أنشئت في عهد محمد علي ، فأمر بإلغائها وطرد جميع
معلميها (٥). وكان عباس يبغى من وراء ذلك ، لإيجاد مدرسه واحدة ، تخرج
ضباطا لاسلحة الجيش الثلاثة حسب استمدادهم ، فاختار الوالي من بين تلامذة
المدارس الملقاة ، « من اتصفوا بالنجاح واللياقة وأدخلهم مدرسة حربية وسماها
بالمفروزة (٦) » ، وفضل من كان « من المماليك وأولاد الترك (٧) » في الإلتحاق بها.

(١) أحمد عزت عبد الحكيم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٤١٣ .
(٢) يذكر أمين سامي باشا في تاريخ التعليم ص ٥٢ القسم الخامس من المنهات بأن
مدرسة الطبجية بطره قد التفت في البريل سنة ١٨٤٧ ، وهذا يخالف ما أثبتته في موضع آخر
ص ١٣٨ .

(٣) أمين سامي باشا . التعليم في مصر ص ١٥ .

(4) Malortie : Egypt, Native Rulers & Foreign Interference
P. 68 .

(٥) أحمد عزت عبد الحكيم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٦٩ .
(٦) سرهنك باشا : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٢ .
(٧) أحمد عزت عبد الحكيم . تاريخ مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٧١ .

وهذا يدل على تعصب عباس لبني جلدته، وبذلك أصبحت مدرسة المدفعية قسما من أقسام المدرسة الحربية المفروزة، الى أن أُلغيت في عهد سعيد (يوليه - سبتمبر سنة ١٨٦١) ٢ صفر سنة ١٢٧٨ . ويذكر أمين سامى بأن عدد تلامذة مدرسة المفروزة والابنية ، بلغ في سنة ١٨٤٩ (١٢٦٥) ، وهى السنة التالية لحكم عباس ١٦٩٦ تلميذا - ومزاييتها ١٣١٨٣ جنيه و٠٨٠ ملجم لأقسامها الثلاثة الثانوى والخصوصى والعالى (١) .

ولما جاء سعيد ، نقل مدرسة المفروزة إلى الاسكندرية فى أواخر سنة ١٨٥٤ ، وكان عدد تلاميذها فى سنة ١٨٥٧ ، ٢٩٢ تلميذا ، ومدة الدراسة بها أربع سنوات وجميع تلاميذها من الأتراك والشراكسة ، وليس لأبناء البلد فيها حظ كبير (٢) . كما دخلها أبناء الأوربيين (٣) ، وظلت المدرسة بالاسكندرية إلى أن أُلغيت مدرسة القلعة الحربية - كما ذكرنا - فى (يوليه - سبتمبر سنة ١٨٦١) سنة ١٢٧٨ هـ . كان لابد إذآ من إنشاء مدرسة حربية تحل محل المدرستين الملتغتين ، «فروى أن تحول مدرسة المهندسخانة السعيدية (بالقلعة السعيدية) إلى مدرسة حربية لمئة تلميذ . (٤) واستمرت هذه المدرسة قائمة إلى ولاية اسماعيل فى يناير سنة ١٨٦٣ . ويذكر ماكون Mc. Coan ، بأن شعيدا كان أكثر حرية من سلفه ، فأعاد فتح كثير من المدارس العليا الخاصة وعند وفاته سنة ١٨٦٣ لم يكن هناك سوى مدرسة الطب بمصر القديمة ، وهى التى بقيت من المدارس العالية (٤) . وهذا يدلنا على مدى تذبذب آراء سعيد وعدم إستقرارها .

- (١) أمين سامى بلشا . التعليم فى مصر ص ١٥ .
- (٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٦ .
- (٣) أمين سامى باخا . تقويم النيل المجلد الأول ج ٣ ص ٣٥٧ .
- (٤) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٤ .
- (٥) Mo. Coan : Egypt as it is P. 210 وهذا يخالف القانون الواقع إذ المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية كانت قائمة عند وفاته .

كانت المدرسة الحربية أو مدرسة المدفعية كما سيطلق عليها فيما بعد ، الميراث الحرفي الذي ورثه اسماعيل عن جده محمد علي ، فاتخذها نواة المدارس التي أنشأها في حكمه الطويل .

وعند ولايته ، كانت المدرسة تحت نظارة « دي برناردى » ، ولكن بعد تقسيمها إلى مدارس للبيادة والسوارى والطبجية وأركان حرب ، ألحق بها اليكباشى لارى فى مايو سنة ١٨٦٤ ، و ليسكون رئيسا للهيئة التعليمية لمدرسة المدفعية (١) . أما الناظر وقتذاك ، فكان سليمان نجاتى (أفندى) ، ولم يمكث بها إلا بضع شهور ثم نقل منها ، وأصبح لارى يقوم بوظيفة قومندان المدرسة ، إلى أن عين ناظرا لها فى أواخر سنة ١٨٦٨ ، مع منحه رتبة الاميرالاي (٢) . ويذكر أمين سائى ، بأن مسيو لارى عين مأمورا للمدرسة من يناير سنة ١٨٦٥ إلى أكتوبر سنة ١٨٦٧ ، ثم ناظرا لها من أكتوبر سنة ١٨٦٧ إلى ديسمبر سنة ١٨٧٠ ، وكذلك من مايو سنة ١٨٧١ إلى فبراير سنة ١٨٧٩ (٣) .

عدد تلاميذها

كان عدد تلاميذها فى نظارة لارى ١١٩ تلميذا (٤) ، وقد رأت نظارة الجهادية وبأن يكون فى مدرسة الطبجية بطارية واحدة (٥) ، ولرغبتها فى زيادة عدد

(١) أحمد عزت عبدالكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٤٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٣) أمين سائى باشا . التعليم فى مصر القسم الخامس من الملاحظات ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٩٩ .

(٥) دفتر ٥٣٩ « ممية تركى » مكتبة رقم ٦٢ أمر الى اسماعيل باشا ناظر الجهادية فى

١٠ محرم ١٢٨١ .

تلاميذها ، أمرت في سنة ١٨٦٦ بأن تشكل المدفعية ومن بطاريتين ، إحداهما للشاة والآخرى للفرسان ، وفصل المهندسين (١) . وهذا يخالف ما ذكره سرهنك باشا من أن عدد تلاميذها «في أول تأسيسها ٣٨٠ تلميذا ، كانوا ينتخبون من تلامذة مدرسة المهندسخانة» (٢) . ويذكر في موضع آخر بأن عددهم في سنة ١٨٧٣ بلغ مائة تلميذ (٣) ، وجاء بالوثائق الأمريكية أن عدد تلامذتها كان مائة تلميذ في السنة الأولى من إنشائها (٤) ، بينما يذكر الدكتور أحمد عزت عبدالكريم بأن عدد تلاميذ المدفعية في أول عهدا بلغ ٧٥ تلميذا ، وقسم المهندسين ٢٢ تلميذا (٥) . ويوضح مصدر آخر بأن عددهم كان ٦٠ تلميذا للمدفعية ، و ٣٠ تلميذا للمهندسين (٦) ، وذلك في بدء تكوينها ، وبلغ عددهم ٨٥ تلميذا في سنة ١٨٧٣ (٧) .

- (١) سرهنك باشا : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ والجيش المصرى فى عهد اسماعيل لمناسبة انشاء ٥٠ عاما على وفاة الخديو اسماعيل (رسالة أصدرتها إدارة الجيش) .
(٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٣٨ .
(٣) سرهنك باشا . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١١ .
(4) Abdin. Amr, Documents Vol. 5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish in Feb. 13, 1869.
(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٣٨ .
(6) Notes sur l' Armée Egyptienne. Hist. de l' Armée «Bibliothèque du Cabinet Français. paris 1913» .
قلها عن مكتبة رئاسة مجلس الوزراء الفرنسى مصطفى ابراهيم ديكريتن أندى . وهذه الوثيقة مودعة بأرشيف عابدين بدون رقم .
(٧) المصدر السابق .

وفقاً إلى بيان يحدد الأرقام منذ إنشائها سنة ١٨٢٤، إلى إنشائها سنة ١٨٧٩ عن أمين ساعي باشا (١).

٧٩	٧٨	٧٧	٧٦	٧٥	٧٤	٧٣	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦	٦٥	١٨٢٤	السنة
٧٨	٦٣	١٠٥	٥٦	٩١	٧٠	٣١	٩٦	١٩٤	٣٠٠	٩٠	١٢٢	١٢٢	١٠٣	١١٩	١١٩	العدد

(١) أمين ساعي باشا . التعليم في مصر القسم الثاني من المجلدات من ١٠ .

ومن هذا البيان يتضح ، أن أقصى حد بلغه عدد التلاميذ كان في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ . وبمقارنة عدد تلاميذها أيام محمد علي ، بما كانوا عليه في عهد إسماعيل نجد أن في عصر محمد علي بدأت المدرسة بـ ٣٠٠ تلميذ (١) ، بزيادة تبلغ الضعف تقريبا ، عن بدايتها في عهد إسماعيل . ولكن مستواها كان أكثر ارتفاعا مما كانت عليه أيام محمد علي ، حيث كان لا يشترط فيمن يلتحق بها ، سوى معرفة القراءة والكتابة فقط .

شروط الالتحاق

وفي أول الأمر كان يشترط فيمن يلتحق بها ، أن يكون من تلامذة المدرسة التجريبية ، ثم أصبحوا ينتخبون من مدرسة المهندسخانة كما أشرنا من قبل . ويبدو من هذا أن المدرسة كانت تتخير لنفسها أفضل العناصر ؛ وكانت ترمى من وراء ذلك إلى رفع مستواها عن سائر المدارس الحربية الأخرى . وكان يتقاضى التلميذ عشرين قرشا في الشهر (٢) .

مدة الدراسة

مدة الدراسة بهذه المدرسة أربع سنوات (٣) ، وهي نفس المدة التي كانت عليها في أيام محمد علي (٤) .

(١) سرهنك : حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٩ وأحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٧٠٤ .
(٢) محفظة (جهادية) وثيقة رقم ٥٦ من (عربي) أمر إلى السردار في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

1 Notes sur L, Armée Egyptienne . Hist . de l'Armée (Bibliothèque du Gabinet Français) .

(٤) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ١٢٤ .

المنهج الدراسي وأسماء المدرسين

يذكر إسماعيل سرهنك بأن منهج مدرستى الطبجية والمهندسين فى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥) كان كما يلى :

كستيل (بك)	كيمياء
خفاجى (بك)	إستحكامات قوية وأبنية عسكرية
عبد الرحمن (بك)	فن طبوغرافية
سعيد (افندى) نصر	فن عسكرية
على (بك) سعد	ميكانيكا
على (بك) سعد	مثلثات مستقيمة
رمضان (افندى)	جغرافيا
يوسف (افندى) عياد	طبيعة
حسن (افندى) رأفت	قوانين طبجية
على (افندى) ذهنى	قوانين بيادة
على (افندى) رسمى	رسم طبوغرافية رسم عملى
محمود (افندى) زكى	رسم منظور
أحمد (افندى) زكى	إستحكامات خفيفة
لطيف (افندى) سليم	جسبر
مسيو لويز وسعيد	فرنساوى
(افندى) نصر	إنكليزى
المسيو بورك	إنكليزى
مسيو إلبليخ	نمساوى (ألمانى)

وقد أضاف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم إلى هذه العلوم مواد أخرى هي (١).

الرياضة	بكباشي عبد الله حلیم
خسب رقعة	
وملاحظة أشغال	حسن (افندی) نجیب
المطبعة	
لغة عربية	الشيخ محمد الزناتي
لغة تركية	علي (افندی) حلیم
قرآن	الشيخ أحمد جودة

ولذا أمعنا النظر في هذه المواد ، وجدنا أن برنامج الدراسة كان قويا ، وحافلا بثقافة العلوم العسكرية التي يحتاج اليها ضابط المدفعية ، بعكس الحال في عهد محمد علي ، حيث كان البرنامج ولا يتولى على ما يحتاج اليه ضابط المدفعية من دروس متنوعة في الرياضة والكيمياء والفنون العسكرية النظرية (٢) . وهذا في الوقت الذي كانت الحاجة فيه ملحة إلى تخريج ضباط أكفاء ، لقيادة الجيش في حروبه مع السلطان . ولم يقو البرنامج إلا في أواخر عصر محمد علي ، حيث كانت الحاجة تكاد تكون معدومة إلى تخريج ضباط ، وذلك بعد تخفيض عدد الجيش . ولهذا نجد أن هذه التقوية لم توت أكلها .

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤١

(٢) المصدر السابق . (عصر محمد علي) ص ٤١١ .

الامتحان

يبدأ الامتحان العام للمدارس الحربية - بما فيها مدرسة المدفعية - في اليوم الرابع من شهر شعبان (١) ، ثم أصبح يبدأ في اليوم الخامس (٢) من نفس الشهر ويستمر قرابة ١٤ يوماً (٣) ، أى لى يوم ١٩ شعبان. ويشمل الامتحان ومدارس أركان حرب، والطبجية، والمهندسين الحربية، والسوارى، والبيادة، والحاسبة، والطب البيطرى، والزراعة (٤) . ومن المراسيم المتبعة فى ذلك الوقت ، أن يقوم الخديو بدعوة وجمع من حضرات العلماء الكرام والذرات الفخام والمعينين للإمتحان (٥) . وكانت قائمة المدعويين تضم كبار رجال الحكومة ، ورجال الدين مثل : ناظر الداخلية ووكيلها ، وناظر الجهادية والبحرية ووكيلها ، وناظر المالية ، ورئيس مجلس الأحكام ، ومأمور الخارجية، ومحافظ مصر، وناظر الأوقاف، وأمين بيت المال، ورئيس مجلس شورى النواب، وشيخ الجامع الأزهر، ونقيب الأشراف، ومفتى الديار المصرية (٦) . ويقتصر حضور هؤلاء المدعويين على اليوم الأول من الامتحان

(١) الوقائع المصرية (العدد ٣٣٧) فى ١٣ رمضان ١٢٨٦ (١٦ ديسمبر سنة ١٨٦٩)
(2) Abdin. Corrs. Fran. Doss. No. 50/5 Ecoles Militaires
de Stone (Chef d ' Etat Major) à Ministre de la guerre
en 17 Oct. 1871 .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الوقائع المصرية (العدد ٣٣٧) فى ١٣ رمضان سنة ١٢٨٦ (ديسمبر سنة ١٨٦٩) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الوقائع المصرية العددان ٣٣٧ و ٢٠٣ فى ١٣ رمضان سنة ١٢٨٦ (١٦ ديسمبر ١٦٨٩) و ١٥ شعبان سنة ١٢٨٥ (نوفمبر ١٨٦٨) .

وطريقة الامتحان هي أن يتقدم أحد تلامذة المدرسة أمام لجنة الامتحان ،
فيسأل في العلوم والفنون التي درسها ، فإذا كانت إجابته موافقة للإصابة
استحسنها كل من حضر وعين حقيقة الخبر (١) . . وكان الامتحان في اليوم الأول
شفوياً ، حتى يستطيع المدعون سماع ما يتلى أمامهم ، ثم يستمر الامتحان إلى
يوم ١٩ شعبان تقريباً . وترسل نتيجة الامتحان ، وكذلك العرائض الخاصة
بترقية التلاميذ الناجحين ، إلى الخديو اسماعيل لاعتمادها . وعقب الامتحان ،
يسافر التلاميذ إلى ذويهم في أجازتهم السنوية ، على أن يعودوا إلى دراستهم عقب
أجازة عيد الفطر . ويرقى من يستحق منهم الترقية بعد العودة من الأجازة (٢) .
وكان يمنح المتفوقون منهم مكافآت مالية (٣) .

العطلة الدراسية

وتبدأ العطلة السنوية ، من التاسع عشر من شهر شعبان تقريباً إلى نهاية
الاسبوع الأول من شهر شوال (٤) .

وقد نمت مدرسة المدفعية (الطبيعية) ، وكل استعدادها بفضل توصيات
الجنرال استون ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ، الذي طالب في ٢٩
أكتوبر سنة ١٨٧١ ناظر الحربية ، بضرورة إقامة معمل يلحق بمدرسة

(١) المصدر السابق .

(٢) مخططة . . . (معية تركي) وثيقة تركية رقم ١٤٧ من الأمير حسين كابل إلى المعية
السنية في ١٣ شعبان سنة ١٢٩٥ .

(٣) أمين ساي . التعليم في مصر ص ١٩

4 - Abdin, Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Ecoles Militaires
Stone à Ministre de la Guerre en 17 Oct. 1871

المدفعية ، حيث يستطيع التلاميذ من دراسة طريقة صنع طلقات البنادق والقرايبات ومدافع الميدان والصواريخ النارية دراسة عملية ، وذلك لأن الدراسة النظرية ، لا تغني مطلقاً عن الدراسة العملية (١) .

كما أنه أوصى كذلك بإنشاء بوليجون (ساحة تمرينات) Polygone ليستطيع التلاميذ القيام بتمريناتهم على المدافع الثقيلة ومدافع الميدان ، على أن تكون من المدافع الضخمة الحديثة الطراز ، والمستعملة الآن في الدفاع الساحلي (٢) . ولا يقتصر فائدة البوليجون على التلاميذ فقط ، بل إنه يؤدي خدمات جليلة لمدرسة المدفعية ، إذ يعتبر المكان الملائم لتجربة أنواع البارود ، والقذائف النارية لمختلفة (٣) . وقد تم بالفعل انشاؤه في عهد نظارة (الأمير) حسين للجهادية والبحرية ، إذ وضع لارمى (بك) تصميم البوليجون ، وشرعت أشرطة المهندسين في بنائه ، تحت مباشرة لارمى (بك) وخفاجى (بك) (٤) . . وعندما تم تشييده ، وأوجدوا فيه عدة مدارس أخرى للتدريب ، منها مدرسة لتعليم ضباط الطيحية بالمدافع ، ومدرسة لتعليم البيادة الرمي بالبنادق ، ومدرسة للصف ضباط ، ومدرسة لتعليم التلغرافات العسكرية ، ومدرسة للإشارة (٥) . .

1 - Abdin. Corrsp, fran. Doss, 50/5 Bureau du Chef d'Etat Major. Le Caire en 16, Aut. 1871.

2 - Ibid.

(٣) المصدر السابق

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٢ ومبد الرحمن بك . تاريخ الحركة

القومية (عصر اسماعيل) ج ١ ص ١٩٢ .

(٥) اسماعيل سرهنك . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٢ .

نهاية مدرسة المدفعية

لما ارتبكت مالية البلاد نتيجة لسياسة الاسراف والاستدانة التي سار عليها اسماعيل ، تشكلت لجنة للنظر في الحالة المالية بمقتضى الأمر الصادر في ٢٢ المحرم سنة ١٢٩٥ (٢٦ يناير سنة ١٨٧٨) ، ورأت اللجنة أنه لضمان سير المالية على نظام ثابت يكفل أداء الديون ، وسير مصالح البلاد (١) ، تخفيض قوات الجيش المصرى إلى ما يقرب من ٣٦ ألف جندي، على أن يستمر هذا التخفيض، إلى أن تصل قواته ١٨ ألف جندي . وترتب على هذه النتيجة ، إلغاء المدارس الحربية - ومنهم مدرسة المدفعية - في ١٧ فبراير سنة ١٨٧٩ (٢) . ويذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، بأن هذه المدارس ألغيت في أبريل سنة ١٨٧٩ (٣) . وقد ساد التذمر وعدم الرضى صفوف رجال المدارس الحربية ، نتيجة فصل عدد كبير من ضباط وتلاميذ المدارس الحربية (٤) . ويغلب على الظن ، أن عددا من تلاميذها قد فصل قبل إلغائها نهائيا . وقد تظاهر تلاميذ المدارس الحربية الملغاة حول على مبارك بديوان المعارف ، وبلغت منهم أحوال المتفوقين منهم ، لما يلزم للمدارس (٥) ، فألحق المتفوقين

- (١) أمين صاى . تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩ والتعليم في مصر ص ٣٣ .
(٢) المصدر الأخير ص ٣٤ . والنص حكما فيه خطأ إذ الصواب أن يقال ومنها .
(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٢ .
(٤) Abdin, Amr, Despt. Vol. 15 No. 281 E. E. Farman to Evarts dated Feb. 22, 1879.
(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٢ .

منهم بالمدارس والبعض الآخر في أعمال فك الزمام^(١).

وهكذا ألغيت مدرسة الطابجية ، بعد أن عمرت في عهد اسماعيل أربع عشرة سنة ووضعت شهور . ثم أنشئت مدرسة حربية واحدة ، تضم مختلف أسلحة الجيش ، وفتحت في ١٦ أبريل سنة ١٨٧٩ بنظارة لارمى باشا ، بحيث يكون بها ١٠٠ تلميذ^(٢) ، وألحق بها ثمانون تلميذا من متفوقى المدارس الحربية الملقاة^(٣) .

مدرسة المشاة (البيادة)

أنشئت هذه المدرسة بالخانقاه (قرب القاهرة) ، في سبتمبر^(٤) سنة ١٨٢٢ ، ثم نقلت إلى دمياط في مايو سنة ١٨٢٤ ، ومنها إلى أبي زعبل سنة ١٨٤١ . والغرض من إنشائها ، هو تخريج ضباط لفرق المشاة بالجيش ، وكان لا يشترط فيمن يلتحق بها من التلاميذ ، إلا الإلمام بالقراءة والكتابة . وقد نص قانون المدرسة على احتساب عدد تلامذتها أروطة في الجيش ، وكانوا في سنة ١٨٣٧ خمسة وستين وثلاثمائة^(٥) . وبلغوا في سنة ١٨٣٩ ، ٣٩٨٧ تلميذا^(٦) ، وفي

(١) المصدر السابق

(٢) أمين سامي . التعليم في مصر من ٠٣٤ .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٣ .

(٤) مرهوك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٢٦ وأحمد عزت عيسى العسكري . تاريخ

التعليم عصر محمد علي ص ٣٩٣ .

(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٩٨ .

(٦) أمين سامي . التعليم في مصر من ١٠ .

سنة ١٨٤١ عندما تقرر خفض عدد الجيش ، زاد عدد تلامذتها عن مقرر الأربعة بلوكات بمقدار مائة وعشرين تلميذا (١) ، وذلك لإلغاء معسكر التخييلة . وقد ذكر سرهنك ، أنه كان بمدرسة البيادة ٨٠٠ تلميذا (٢) . وبذلك أصبحت المدرسة الوحيدة التي زاد عدد تلامذتها بعد سنة ١٨٤١ . ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ومنهجها الدراسي يتلخص في دراسة المواد الآتية (٣) .

مبادئ التحصين الأولية . مهاجمة الحصون والدفاع عنها . الطبوغرافيا ورسم الخطط . نظريات وحركات البيادة والقرين على استخدام السلاح . واجبات الخدمة الداخلية . البوليس . نظام الحماميات والأورط والبلوكات .

وإذا أمعنا النظر في جداول الدروس التي وضعت لهذه المدرسة ، وجدنا أن التدريب العسكري اليومي ، لا يزيد عن ساعة ونصف ساعة (٤) . كذلك درست مواد لاصلة لها بالناحية الحربية ، مثل ، النحر والصرف والخط ، وكانت تشغل وقتا ليس قصيرا من جدول الدراسة .

وفي عهد عباس ، صدر الأمر بالغاؤها ، وجميع المدارس الحربية الأخرى ، في أواخر سنة ١٨٤٩ . وفي نفس الوقت ، لإنشاء مدرسة المفروزة ، وتضم أسلحة

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٩٨

(٢) سرهنك . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦ نقلا عن كاوت بك وفليكس

منجان .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٩٤ ذكرى البطل

إبراهيم ص ١٦٩ .

(٤) إصدار السابق ص ٣٩٥ .

الجيش الثلاثة . ومنها المشاة ، واستمرت هذه المدرسة قائمة إلى أن ألغيت في عهد سعيد في سبتمبر سنة ١٨٦١ (١) (٢ صفر سنة ١٢٧٨) . ثم حلت محلها المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية ، التي ظلت الى ولاية اسماعيل في يناير سنة ١٨٦٣ .

أعيد فتح هذه المدرسة في عصر اسماعيل ، في جمادى الآخرة سنة ١٢٨١ (نوفمبر سنة ١٨٦٤) (٢) ، وجعل المقرر لها ١٦٤ تلميذا (٣) ، وقد تولى نظارتها على التوالي كل من :

محمد أمين (بك)	من نوفمبر ١٨٦٤	الى مارس ١٨٦٥ (٤)
ديبر ناردى	من مارس ١٨٦٥	الى أكتوبر ١٨٦٧
منصور (أفندى) حسن	من نوفمبر ١٨٦٧	الى يناير ١٨٧٠
محمد رعبه (أفندى)	من فبراير ١٨٧٠	الى مارس ١٨٧١

- (١) أمين سامى . التعليم في مصر القسم الخامس من المنصقات ص ٤٥ .
(٢) أمين سامى تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٨٠ والتعليم في مصر ص ١٧ .
(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٤٧ . ويذكر أمين سامى في تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٨٠ . أن عددهم كان ١٦٥ تلميذا ثم زاهدوا فيما بعد إلى أن بلغوا ٤٢٠ . تلميذا وهذا يخالف ما جاء بمقتضى الأخبار ج ٢ حاشية ص ٣٠٨ ونشرة ادارة الجيش المصرى من الجيش المصرى في عهد اسماعيل العظيم بمناسبة اقتضاء ه هاما على وفاته . من أن تلامذة هذه المدرسة كانوا ٤٩٠ تلميذا عند تأسيسها .
(٤) بعد هذا التاريخ عين محمد أمين عضوا بالمجلسسكرى . راجع تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٠٣ (إرادة لعمريته باعها مدير ديوان المدارس في ذى الحجة ١٢٨١) ،

وعين لها ثلاثة ضباط ، هم : محمد كامل افندى من سنة ١٨٧١ الى مايو ١٨٧٤ ، و ابراهيم عاصم افندى من مايو ١٨٧٤ الى يناير ١٨٧٧ ، و محمد صالح افندى من يناير سنة ١٨٧٧ الى مارس سنة ١٨٧٩ (١) .

عدد التلاميذ

الجدول الآتى يبين عدد تلاميذ المدرسة منذ انشائها سنة ١٨٦٤ الى أن ألغيت سنة ١٨٧٩ (٢) :

-
- (١) أمين سامى . التعليم فى مصر . القسم الخامس من المجلدات ص ١٠٤ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٢ ص ١٤ . وعزت عبد الكريم تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٣ . ومجالسهم سرهنك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية . اذ يذكر سنة ١٨٦٨ لنهاية نظارة دى برناردى .
- (٢) أمين سامى : التعليم فى مصر من المجلدات ص ١٠ .

سنة	١٨٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	١٨٦٤
عدد	١٦٥	١٦٤	١٦٦	٤٢٠	٤٢٠	٢١٠	٤٩٠	٤٣١	٢٢٣	٢٢٣	٨٥	٣٣٧	١٩١	٤٦٢	١٧٨	١٦٩	

(١) يذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم في تاريخ التعليم (عصر اسمايل) ص ٢٤٨ أن عدد التلاميذ في السنة الأولى بلغ ١٧٣ طيبتا . وقد أشارت الوثيقة العربية . Notes sur l'Armée Egyptienne .
 بـ ١٧٨ طيبتا .

(٢) A bdin. Amr. Vol. 5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish. cairo in Feb 13, 1869.
 تشير هذه الوثيقة إلى أن عدد تلاميذ المدرسة في سنة ١٨٦٩ بلغ ٢١٧ طيبتا .

من هذا الإحصاء السنوي ، نلاحظ أن جميع المصادر تقريبا قد اختلفت في تقديرها لعدد التلاميذ في السنوات المختلفة . ويدلنا هذا الإحصاء على أن أقصى حد بلغه عدد التلاميذ ، كان في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ . ثم أخذ يتذبذب بين الارتفاع والانخفاض ، الى أن بلغ في سنة ١٨٧٩ - وهي السنة التي ألغيت فيها المدرسة - ١٦٩ تلميذا ، أي ما يزيد قليلا عن عدد التلاميذ وقت انشائها .

شروط الالتحاق

تتلخص فيها يلي :

أولا : أن يكون للتلميذ معرفة بالقراءة والكتابة والخط والإسلام ، وبعض كلمات من علم الحساب (١) .

ثانيا : ألا يقل سنه عن ١٥ سنة ، وأن يكون لائقا للخدمة العسكرية .

وقد توسعت المدرسة في قبول التلاميذ ، تمشيا مع الرغبة في زيادة فرق الجيش المصري ، فاضطرها هذا الى قبول عدد من تلامذة مدرسة المبتديان ، مما أدى الى هبوط مستوى التلاميذ . ومدة الدراسة بالمدرسة سنتان (٢) .

المنهج الدراسي وأسماء المدرسين (٣)

هندسة وصفية	سيد أحمد (افندي)
مثلثات مستقيمة	
استحكامات خفيفة	محرم شوكت (افندي)

(١) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٩ .

(٢) Notes Sur l ' Armée Egyptienne .

(٣) خاتمي الاخبار ج ٢ ص ٣١٠ وتاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٢ .

عبد الله (افندى) وطاهر (افندى)	تركى
محمد (افندى) توفيق	فن اشارة
ضباط المدرسة	قوانين عسكرية
بكير شوقى (افندى)	طبوغرافيا
عبد الرحمن (افندى) ومحمد حبيب (افندى)	حساب
وأحمد قدرى (افندى) ومحمد مختار (افندى)	جبر
أحمد حلى (افندى) وأحمد حمدى (افندى)	جغرافيا
وسعيد نصر (افندى)	تاريخ
الشيخ محمد الفنبلى والشيخ محمد أبو السعود	عربى
والشيخ عبد الحافظ والشيخ بدوى دسوقى	رسم عملى
على رسمى (افندى)	مبادئ الحساب
أحمد قدرى (افندى)	هندسة عادية
محمد ناصح (افندى)	رسم نظرى
محمود شوكت (افندى) ومسيو مليار	خط رقعة
محمد حمدن (افندى) وعلى توفيق (افندى)	نمساوى (ألمانى)
المسيو ابلينج	انكليزى
مستر بورك ومحمود سليمان (افندى) وخليل	فرنساوى
زكى (افندى)	قرآن شريف
رمضان (افندى) ومسيو جليو موا ومسيولوز	حيثى
ومسيو ادواردز وأحمد حلى (افندى) وبطرس	
جرجيان	
الشيخ ابراهيم الطهوبى	
ميخائيل (افندى) (١)	

(١) سرهنك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٠ ودفتر ١٧٠٧ ج ٤ صادر من ديوان =

ولذا قارنا هذا المنهج بنظيره في عهد محمد علي ، وجدنا أنه في عهد اسماعيل ، كان أتم وأكثر ، وحافل بشتى الدراسات العسكرية التي تتطلبها روح العصر .

نهاية المدرسة

واجهت المدرسة نفس المصير الذي لاقته سابقتها من قبل، إذ ألغيت مع مدارس المدفعية وأركان حرب والطب البيطري والخيالة في أوائل سنة ١٨٧٩. ثم أعيدت من جديد في أوائل حكم الخديو توفيق ، كأحد أقسام المدرسة الحربية الجديدة .

مدرسة الفرسان (الخيالة)

أنشئت هذه المدرسة في ذى القعدة سنة ١٢٤٦ هـ (أبريل سنة ١٨٣١ م) في سراي مراد بك بالجيزة (١) . وقد تولى نظارتها القائد الفرنسي فارن Varin ، ومن بعده واسيل أغا إلى أواخر عصر محمد علي ، وكان عدد تلامذتها في أول عهدها نحو المائتين (٢) ، وقد زاد هذا العدد حتى بلغ ٦١٥ (٣) تلميذا سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) ، وفي سنة ١٨٤١ . رؤى أن تظل المدرسة مؤلفة من أربع أفرط

== الجهادية الى آليات السوال والأورط وثيقة رقم ٥٤٨ من الجهادية إلى ١ ط
٢ سواحل في جمادى الآخرة سنة ١٢٩١ . وهذه الوثيقة تؤيد ما ذكره سرهنك من تدريس
اللغة العبية . الأمر الذي لم يقره الدكتور عزت لدم عثوه على وثائق تبت ذلك

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦ وتاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٤٠٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٥

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦

على أن تكون الأورطة الأولى وحدها من التلاميذ ، ويمكنها أن تخرج أربعين ضابطاً أو خمسين كل عام والثلاث الباقية من الجنود . وقد زاد عدد الطلبة بها بعد سنة ١٨٤١ زيادة لم يكن الجيش في حاجة إليها . وكان يشترط في الالتحاق بها أن يكون التلميذ من الترك أو المماليك ، ثم سمح للعنصر المصرى بعد ذلك في الدخول ، بشرط أن يكون من خريجي المدرسة التجريبية ، وألا يقل سنه عن ثلاثين عاماً (١) .

ومدة الدراسة بها سنتان أو ثلاث ، وكانت مهمة المدرسة تخريج ضباط ليكونوا معلمين لفرق الجيش ، وكذلك تخريج نافخى أبواق ، وترومبتجية . ويتلقى التلاميذ دروساً في نظريات الخدمة العسكرية والحساب والهندسة والخط واللغات العربية والتركية والفارسية ، والتدريب العسكرى في القفز وركوب الخيل واستخدام السلاح (٢) .

وفي أوائل عهد عباس ، ألغيت مع سائر المدارس الحربية في سنة ١٨٤٩ ، وأصبحت قسماً من أقسام المدرسة المفروزة ، ثم ألغيت هي الأخرى في أواخر سنة ١٨٦١ . وظهرت من جديد كأحد أقسام مدرسة القلعة السعيدية التي استمرت إلى عصر اسماعيل .

(١) ذكرى البطل ابراهيم باشا من ١٧١

(٢) أمين سامى . تقويم النيسل المجلد الثانى ج ٣ س . وقد أثبت المؤلف في كتابه التلمذ في مصر القسم الخامس من الملاحظات ص ١٠٤ أن المدرسة أنشئت سنة ١٨٦٥ رغم أنه أثبت في نفس المرجع القسم الثانى من الملاحظات ص ١٠ بأنها أنشئت سنة ١٨٦٤ .

المدرسة في عهد اسماعيل

أنشئت المدرسة في جمادى الآخرة سنة ١٢٨١ هـ (نوفمبر (١) ١٨٦٤) وأُسندت نظارتها إلى المسيو بولار من سنة ١٨٦٤ إلى ١٨٦٨ (٢) . ثم خلفه ياور (بك) من سنة ١٨٦٨ إلى ١٨٧٦ (٣) . وبعد رحيل بولار أُسندت إلى ميرشير (بك) ثم وأُلحقت بإدارة عموم المدارس، وبقيت بلا ناظر . واستمرت كذلك حتى ألغيت (٤) .

أما تلامذة المدرسة ، فكان أغلبهم من المدرسة التجريبية ؛ وتقرر لمدرسة الفرسان في أول عهدها نصف أوطه (٥) من التلاميذ ، ثم صدر الأمر في سنة ١٨٦٦ بأن تتركب من أوطتين ، وكل أوطة تتركب من أربعة بلوكات ، وكل بلوك من ١٢ تلميذا (٦) . وفيما يلي ثبت بعدد تلاميذها في السنوات المختلفة ، نقله عن أمين سامي (٧) .

- (١) يوجد اختلاف بين ما ذكره أمين سامي في المرجع السابق وبين ما كتبه سرهنگ في حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية فيما يتعلق بمدة خدمة النظار المذكورين .
- (٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .
- (٣) المصدر السابق وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٦
- (٤) Notes sur l' Armée Egyptienne.
- (٥) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٣
- (٦) المصدر السابق
- (٧) التعليم في مصر . القسم الثاني من الملحقات ص ١٠

٧٨	٧٨	٧٧	٧٦	٧٥	٧٤	٧٣	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦	٦٥	١٨٦٤	سنة
٧٤	٧٤	٨٨	٧٨	٨١	٦٤	(٣)	٧٥	١٥٥	١٦١	(٧)	٦٥	١٠٨	٩٥	٩٩	١١٧	عدد

- (١) يتالف موهف في كتابه حقائق الأبيجدج ٢ من ٣٠٨ طابعاً . وكذلك رسالة ادارة الجيش المصري عن واليها المصري في عهد اسماعيل باشا اقتضا . ٥٠٠ طابعاً على وثاقه في أن عدد اللابيد في السنة المذكورة، إذ ينص المصدر على أن عددهم في أول تأسيسها كان ١٦١ طابعاً .
- (2) *Abdair Amr. Vol.5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish. in Feb. 13, 1869.*
- يشير الوثيقة أن عدد اللابيد في هذه السنة كان ٧٠ طابعاً .
- (٣) يدعيه الوثيقة أن عدد اللابيد في تلك السنة كان ٦٤ طابعاً .

ونلاحظ على هذا البيان - أولا: أن عدد التلامذة قد نما نمو ملحوظا في سنتي ١٨٧٠ و١٨٧١ . وهذه الظاهرة مشتركة بين مدارس الأسلحة الثلاث كما ذكرنا، ففي هاتين السنتين ازداد نشاط المدارس الحربية ازديادا واضحا .
ثانيا : أن جميع المصادر قد اختلفت في تحديد عدد التلاميذ في السنوات المختلفة .

المنهج الدراسي واسماء المعلمين(*)

	حساب
محمود (افندى) فهمى ، حسين (افندى) ابراهيم ، علي (افندى) رشدي	طبوغرافيا
	مثلثات مستقيمة
	مستويات رقية
محرم (افندى) شكرى	لإستحكامات خفيفة
محمد (افندى) سعيد	هيئة ظاهرة
علي (افندى) حلى ، وسليمان (افندى) فهمى	تركى
محمد (افندى) توفيق	فن اشارة
ضباط المدرسة	قوانين سواري
	جسـر
علي (افندى) رشدي	هندسة وصفية
	هندسة عادية

(*) سرهنك . خائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٠

جغرافيا	محمود (افندى) حسنى
عربى	الشيخ محمود العالم
رسم نظرى وعملى	محمود (أفندى) شوكت ، وعلى (أفندى) رسمى
نمساوى (المائى)	خوجات (معلمين) مدرسة البيادة
إنكليزى	
فرنساوى	
خط رقعة	محمود جلال الدين (افندى)

وقد شاركت مدرسة الفرسان المدارس الحربية الاخرى فى مصيرها ، فألغيت فى أوائل سنة ١٨٧٩ ، ثم أصبحت المدرسة قسما من أقسام المدرسة الحربية الجديدة ، التى أنشئت فى أوائل حكم الخديو توفيق .

مدرسة الحاسبة

مدرسة الحاسبة من المدارس التى أنشئت فى عهد محمد على وذلك فى ربيع الأول سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦) ، وكان الغرض من إنشائها ، وهو تخريج كتبه للخدمة فى فرق الجيش (١) ، ، وكان الأقباط يحتسرون مهنة الكتابة فى ذلك العهد . وقد استقت تلامذتها من مدرسة الدرسخانة الملكية (الملقاة ، ومن المدرسة

(١) أحمد مزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٢٢٥

التجريبية ومن مدرسة المدفعية (١) .

عدد تلاميذها

وكان عدد تلاميذها في أول إنشائها ، لا يزيد على الثلاثين تلميذا ، وبعد بضع شهور أصبح عددهم ٣١٦ تلميذا (٢) . ولم يطل عمر هذه المدرسة ، فألغيت بعد سنتين من إنشائها .

وفي أوائل حكم عباس ، أمر بإنشاء قسم خاص للمحاسبة بمدرسة الالسن في جمادى الأولى سنة ١٢٦٥ (أوائل سنة ١٨٤٩) ، وكان الغرض من إنشائه ، هو نفس الغرض الذي أنشئت من أجله في عصر محمد علي . ويشترط فيمن يريد الالتحاق بها ، أن يكون (خطه مناسباً ويعرف بعضاً من الحساب (٣) .

وكان عدد تلامذته في أول عهده ، أربعين تلميذاً ، وبعد عام كامل ، تخرج أول فريق من تلامذته ، وكانوا ستة وثلاثين تلميذاً (٤) . ولم يدم قسم المحاسبة طويلاً ، بل ألغى بعد عامين في ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٦٧ (أغسطس ١٨٥١) .

المدرسة في عصر اسماعيل

يسمى أمين سامى بمدرسة المحاسبة القبطية ، وقد أنشئت في غرة رمضان سنة (١٨٦٧) (٥) ، وكان الغرض من إيجادها تخريج طبقة من الكتبة لفرق

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم (مصر عباس وسعيد) ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٥) تقويم النيل . المجلد الثاني ج ٢ ص ٧٥٤ والتعليم في مصر ص ١٧ والقسم الثاني من الملحق ص ١٠ والقسم الخامس من الملحق ص ١٠٥ . وتاريخ التعليم (مصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٦ .

الجيش فقط ، على أن تهيأ لهم دراسة خاصة لإكتساب فن المحاسبة الأفرنجية والقيطية والتجربات العربية لأجل أرب الكتاب التي تلزم للولايات تؤخذ من يتعلموا بها (١) .

شروط الالتحاق

اشترط فيمن يريد الالتحاق بها ، أن يكون من تلامذة المدرسة التجريبية الذين درسوا الحساب دراسة وافية والهندسة كذلك ، والإلمام بقواعد اللغة العربية ، والانشاء وحسن الخط (٢) . وبالرغم من ذلك يجد الباحث في دفاتر وحدات الجيش المختلفة ، بدار الوثائق التاريخية بما يدين كثيراً من الأخطاء النحوية واللغوية مع رداءة في الخط .

عدد التلاميذ

وفيما يلي بيان بعدد تلامذتها في السنوات المختلفة تنقله عن أمين سامي (٣) :

سنة	١٨٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢
عدد	٣٠	٣٠	٣٠	٥٠	٦١	٣٢

(١) دفتر ٢٨٣٢ أوامر جهادية (عربي) صادرة لديوان الجهادية في سنة ١٢٨٤ .

(٢) تاريخ التعليم (مصر - إسرائيل) ج ٢ ص ٦٤٧ .

(٣) أمين سامي باشا . التعليم في مصر . القسم الثاني من المجلدات ص ١٠ .

(٤) يتفق عدد التلاميذ في السنة الأولى مع ما ذكر في Notes sur l' Armée

Egyptienne (المقول من مكتبة رئاسة الوزارة الفرنسية) والموجود بارشيف عابدين =

ونلاحظ على البيان السالف نفس الظاهرة التي اشتركت فيها المدارس الحربية جميعا، وهي نمو عدد التلاميذ نموًا كبيرًا في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ .
ونظرًا لاضطراب مالية البلاد ، روى الغاء مدرسة المحاسبة، وتم ذلك في سنة ١٨٧٢ (١٢٨٩) (١) . ولهذا تعتبر أولى المدارس الحربية التي ألغيت في عهد اسماعيل . وقد عمرت حوالي ست سنوات ، وكانت أطول عمرا وأحسن حالا في عهد اسماعيل منها في عهدي محمد علي وعباس .

مدرسة أركان حرب

أنشئت مدرسة أركان حرب في قرية جهاد آباد في سنة ١٨٢٥ ، وقام بتأسيسها الضابط الفرنسي بلانا Planat ، وبدأت الدراسة بها في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٢٥ (٢) ، وكان عدد تلاميذها في أول عهدها ١٨ تلميذا (٣) . وفي سنة ١٨٢٦ بلغ عددهم ٨٨ (٤) تلميذا . ثم زاد إلى أن بلغ ٢٠٠ (٥) تلميذا . وكان لا يقبل بها إلا الترك والمماليك ثم انضم إليهم أبناء العرب (٦) . ومدة

بدون رقم . ويضيف هذا المصدر أيضا أن تلامذة المدرسة كانوا على العموم من الأقباط . ومن المرجح أن هذا السبب هو ما حدا بأمين ساسي إلى تسميتها بمدرسة المحاسبة القبطية . وتذكر هذه الوثيقة بأن عدد التلاميذ كان ٣٢ تلميذا في تلك السنة .
(١) تقويم النيل المجلد ٣ ج ٣ ص ١٥١٩ والتعليق في مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٥ .

- (٢) تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٨٩ .
- (٣) المصدر السابق . وذكرى البطل إبراهيم ص ١٧٠ .
- (٤) عمر طوسون . الوثائق العلمية في عهد محمد علي ص ٣١ .
- (٥) رفاة رافع ، مناهج الأبواب المصرية في مناهج الآداب المصرية ص ٢٤٧ .
- (٦) المصدر السابق .

الدراسة بهذه المدرسة ثلاث سنوات^(١)، كان يتلقى خلالها التلاميذ العلوم الآتية :
الحساب، والرسم، والطبوغرافية، والمبادئ العامة في المدفعية والاستحكامات
المؤقتة والناجمة، ورسم الخرائط، وحساب المثلثات، واللغة الفرنسية، واللغة
التركية والفارسية^(٢) ...

ويعين خريجو المدرسة بعد إتمام دراستهم، في الوحدات الهندسية في الجيش
أو في المدفعية، أو في المناجم، أو في الإدارة الحربية أو المدنية^(٣). ولسم
تعمر هذه المدرسة مدة طويلة إذا أُنشئت قبل تنظيم التعليم. وقد أدت هذه
المدرسة خدمات جليلة، وجنى إبراهيم ثمار تعليمها في أثناء حرب الموره، وفي
حملات الشام^(٤).

ولم تقم لهذه المدرسة قائمة في عهد عباس. وفي ولاية سعيد،
عهد إلى سليمان الفرنساوى رئيس هيئة أركان حرب الجيش، بأن
ينشئ مدرسة يقوم فيها على تكوين ضباط لأركان حرب الجيش^(٥)، فأُنشئت
المدرسة بالحوض المرصود، في أوائل سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥)، وجمع لها من تلاميذ
المدارس الحربية الملقاة، بل ألحق بها تلامذة صغار السن لم يصلوا إلى السن

(١) البنات العلمية في عهد محمد على ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٢٩٠ وذكرى البطل إبراهيم ص ١٧٠ .

(٤) W. Mc. E. Dye ; Moslem Egypt & Christian Abyssinia
p. 63.

(٥) تاريخ التتاليم (عصر عباس وسعيد) ص ١٩١ .

القانونية (١) . ولما كان سعيد لا يستقر على رأى معين ، فقد ألغى هذه المدرسة قبل أن تستكمل عامها الأول (٢) .

وفي عهد اسماعيل ، إقتضت حالة التوسع في تنظيم الجيش انشاء مدرسة أركان حرب . فقام ميرشير بك بوضع تنظيم وترتيب المدرسة المذكورة بموجبه (٣) ، وذلك في ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ . ثم افتتحت في سنة ١٢٨٢ (يناير ١٨٦٥) (٤) . وعين ميرشير بك ناظر المدرسة الحربية ناظرا لها ، ويطلق عليه أمين ساسى اسم (مأمور المدرسة) . وقد تعاقب على نظارتها النظار الآتية أسماؤهم بالترتيب (٥) :

- ميرشير (بك) (١) من يناير سنة ١٨٦٥ الى سبتمبر ١٨٦٦
شحاته عيسى (بك) من سبتمبر سنة ١٨٦٦ الى يوليو سنة ١٨٦٨
رباتيل (بك) (٢) من سبتمبر سنة ١٨٦٨ الى مارس سنة ١٨٧٠

(١) المصدر السابق ،

(٢) نفس المصدر .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثاني - ج ٣ ض ٥٩٣ (إرادة لناظر الخارجية في ١٤ شعبان ١٢٨١) .

(٤) التليم في مصر ص ١٧ وتقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٦٤٢ .

(٥) المصدر السابق القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٣ .

(٦) يذكر سرهنك أن مدرسة أركان حرب وضعت تحت إدارة ميرشير بك من سنة ١٨٦٤ إلى سنة ١٨٦٥ ، أى منذ إصدار الحديو أمره بانفائها سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) - حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٧) ويخالفه في ذلك سرهنك في كتابه السابق ، إذ يبين أن نظارته كانت في المدة ما بين =

ميرشير (بك) (١) من مارس سنة ١٨٧٠ إلى ابريل سنة ١٨٧٠

لارمى (باشا) من مايو سنة ١٨٧١ إلى فبراير سنة ١٨٧٩

شروط الالتحاق

كان يشترط فيمن يلتحقون بهذه المدرسة ، أن يكونوا من الضباط من
ذوى رتبة الملازم الثاني (٢) ، . و من أمهر تلامذة المدارس الحربية
والمهندسخانة ومدارس الحكومة الأخرى (٣) .

== سنة ١٨٦٧ و سنة ١٨٦٨ . وجاء في كتاب تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٢
للككتور أحمد عزت عبد الكريم ، أن رباتيل منح أجازة مرضية في مايو سنة ١٨٦٩
وسافر إلى فرنسا ثم عين وكيلا للمدرسة المصرية بباريس سنة ١٨٧٠ .

(١) لم يشر الدكتور عزت عبد الكريم في كتابه السابق، إلى عودة ميرشير بك إلى نظارة
المدرسة خلفا لرباتيل ، لأنه ذكر في نفس المصدر ص ٦٦٨ ، بأن ميرشير بك قد عاد إلى وطنه
(فرنسا) في سنة ١٨٦٩ ، ولم يعد إلى مصر رغم بقائه في خدمة الحكومة ، إذ تولى إدارة
البنية المدرسية المصرية بفرنسا . وبخلافه في هذه النقطة اسماعيل سرهنك باشا في حقائق
الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية ، وأمين سامى في كتابه التعليم في مصر . القسم الخامس من
الملاحظات ص ١٣ إذ يذكر كل منهما أن ميرشير قد خلف رباتيل في نظارة المدرسة مع
اختلاف بينهما في التواريخ . ويشير سرهنك الى عودة ميرشير بك الى وطنه ، بان حربه
مع بروسيا ، ولكنه لا يحدد تاريخ تلك العودة . ويبدو أن ميرشير قد قام بمهام النظارة
في أثناء مرض رباتيل الى أن أحييت الى لارمى ناظر مدرسة المدفعية .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٥ .

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

عدد التلاميذ

جاء في الترتيب الذى وضعه لها شريف (باشا) ناظر الخارجية ومدير ديوان المدارس - « أن تبدأ المدرسة فى السنة الأولى بخمسة عشر تلميذا ، وفى سنتها الثانية تبلغ بهم إلى الثلاثين (١) ، . وإليك بيان (٢) بعدد تلاميذ المدرسة ، منذ إنشائها سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧٨ ، وهى السنة السابقة لافتتاحها:

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٥ .
(٢) التعليم فى مصر ، القسم الثانى من الملاحظات ص ١٠ .

٧٨	٧٧	٧٦	٧٥	٧٤	٧٣	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦	١٨٦٥	سنة
					(١)		(٢)		(٣)		(٤)	(٥)	(٦)	عدد
٥٤	٥٩	٣٠	٥٠	٦٢	٣	٨١	١٠٥	٣٦	٢١	٩	٩	١٩	١٩	

(١) تقويم النيل . المجلد الثاني ج ٣ ص ١٤٢ . وجاء فيه أن عدد تلاميذها في تلك السنة ٢٥ تلميذا وهذا العدد يجانب ما أتت به عيون عبد الكريم في المصدر السابق ص ١٥٥ بأن عددهم كان ١٥ تلميذا ويضيف أيضا على ما ذكره سرهوك في حقائق لاختار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٢) بلغ عددهم ٣٠ تلميذا طالبا لسلك أوردته أهدرت عبد الكريم تاريخ التليم (هــر اسماطول) ج ٢ ص ١٥٦ .
(٣) أخطئ عددهم في تلك السنة إلى ١٥ تلميذا كما ذكر في المصدر السابق .

(٤) Abdm. Amr. Vol. 5 enclosure in despt. No. 145 in 13 Feb. 1869.

(٥) ويقع منه في هذا سرهوك في حقائق الاختار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٦) كالت عددهم ٨٧ تلميذا طالبا لسلك ورد في Notes sur l'Armée Egyptienne .

ومن البيان السابق ، يتضح لنا أن جميع المصادر تقريبا قد اختلفت في إحصاء عدد التلاميذ لإحصاء دقيقا ، كما حدث في المدارس الحربية الأخرى .
ومدة الدراسة بالمدرسة المذكورة عام واحد ، أى اثنا عشر شهرا (١) ،
وفي نهايتها يمنح الخريجون رتبة الملازم الأول (٢) ، ويشغلون منصب ضباط أركان حرب بفرق الجيش المختلفة .

المنهج الدراسي وأسماء المدرسين (٣)

اسماعيل (بك)	قسمو جرافيا
كستليل (بك) ، وأحمد ندا (بك)	كيميا
	استحكامات
خفاجى (بك)	أبنية
	طبوغرافيا
عبد الرحمن (بك) على	فن طوبجية
سعد عامر (بك)	ميكانيكا
سعيد (افندى) نصر	فن عسكرية
مصطفى (افندى) نصر	طبيعية
لطيف (افندى) سليم	تطبيقات الجبر على الهندسة

Dye, Moslem Egypt P.71 .

(١)

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٩ .

جغرافيا وتاريخ	رمضان (افندى) ومحمد (افندى) عبد الرازق
قوانين عسكرية	خليل (افندى) كامل
استحكامات خفيفة-	احمد (افندى) كامل
هندسه- وصفيه-	احمد (افندى) نجيب
جبر	لطف (افندى) سليم
مثلثات مستقيمه-	
خط رقعه-	حسن (افندى) نجيب
فرنساوى	مسيو لويز
انكليزى	محمد (افندى) سليمان ، مسيو بورك
نمساوى (الماني)	مسيو البليخ
علم الهيئة-	اسماعيل (بك) الفلكى
لغه- تركيه-	محمد حافظ (افندى)

ويتضح من أسماء المدرسين المذكورين، أن أغلبهم من المصريين ومن يقومون بالتدريس في المدارس الحربية الأخرى، وانتدب للعمل بها .

وعمرت المدرسة- ما يقرب من خمسة عشر عاما ، كانت خلالها مركزا للنشاط الدائم ، إلى أن ألغيت في فبراير سنة- ١٨٧٩ ، مع المدارس الحربية الأخرى. ويذكر اسماعيل سرهنك، أن هذه المدرسة- أفادت وفائدة عسكرية عظيمة في الفتوحات التي قام بها الجيش المصرى في وسط افريقيا في اكتشافاته الجغرافية المهمة (١) .

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

ونلاحظ أن تلاميذ هذه المدرسة ، كان يصيبهم شيء من الاحجاف
بحقوقهم ، فمع كونهم يختارون من صفوة تلاميذ المدارس الحربية والمهندسخانة،
ويمكنون بالمدرسة عاما كاملا لا يتقاضون عنه أجرا يتناسب ومجهودهم ، كانوا
يعينون بعد تخرجهم في رتبة الملازم الثاني . بينما نجد زملائهم الذين تخرجوا معهم
في المدارس الحربية الأخرى ، ولم يدخلوا مدرسة أركان حرب ، والذين كانوا
أقل منهم حظا وتقدما في العالوم يعينون في الجيش في نفس الرتبة . وفي نفس
الوقت فقد حرموا من صرف مرتب الملازم الثاني وقدره ثلاثة جنيهات (١) ،
مكافأة لهم أثناء دراستهم (٢) ، أسوة بزملائهم في صفوف الجيش (٣) . وبعد
محاولات متكررة ، تمكن هؤلاء من الفوز بهذا المرتب فترة من الزمن ، ولكن
نفوذ رجال الجيش القداماء ، من أنصار (نظام الباشا) ، حال دون الاستمرار
في صرفه (٤) .

هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء التلاميذ ، كانوا يأخذون المدرسة وفي
نفوسهم مرارة الألم ، لديهم بأن صفات الجند والاجتهاد ، جعلتهم يلتحقون
بالجيش متأخرين عاما عن رفاقهم الذين أقل منهم مستوى وثقافة (٥) ، ويرتب

(١) محظنة ٩ (جهادية) وثيقة رقم ٥٦ هـ في أمر الى السردار في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(٢) Dye : Moslem Egypt P.72 .

(٣) المصدر السابق .

(٤) Crabités ; Americans in the Egyptian Army, P. 48 .

(٥) المصدر رقم ٣ . ويذكر للدكتور هزت عبد الكريم في تاريخ التعليم (عصر
اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٩ حاشية بأن خريجي مدرسة أركان حرب كانوا يمنعون رتبة الملازم
الأول . وهذا القول يخالف ما ذكره داي . وربما ما ذكره الدكتور أحمد عزت ينطبق
على الناحية النظرية دون العملية .

على هذا ، أن يصبح لزملائهم أقدمية من حيث الترقية والعلو . ويذكر الجنرال داي - من ضباط أركان حرب الجيش المصرى - أن هذا الاجراء ، كان من شأنه أن يحط من مستوى ضباط أركان حرب كما كان ينخفض بمستوى تلامذة المدرسة . ويوعز هذه التصرفات الشاذة ، لى أعداء المدرسة ، فكانت دسائس الباشوات ونفوذ الامراء كثيرا ما لعبت دورا هاما فى حرمان هؤلاء من ترقيةهم المستحقة . كما كان يطلق عليهم الباشوات والبكوات اسم (النصارى) ، ولهذا فقد حرموا من المساعدة والعطف من رؤسائهم (١) . ومرد هذا الى سببين . الاول وهو ونظام الباشاء الذى كان سائدا فى الجيش . والثانى ، غيرة الضباط الوطنيين من الاجانب الذين كانوا يكونون هيئة أركان حرب الجيش المصرى (٢) .

مدرسة الطب البيطرى

شعر محمد على بحاجته الى أطباء بيطريين ، فاستدعى من فرنسا الطبيين البيطريين هامون Hamont وبريتوت pretot وذلك فى سنة ١٨٢٨ . وأنشأ لهما مدرسة بيطرية برشيد قوامها عشرة تلاميذ ، و مترجم لترجمة الدروس من الفرنسية الى العربية ، وشيخ لتصحيح الترجمة . ولم تستقم أمورها أثناء وجودها برشيد لقيام المنازعات بين ناظرها المسيو هامون من جهة ، وبين التلاميذ والمترجم والشيخ من جهة أخرى . ثم نقلت الى أبى زعبل بجوار مدرسة الطب البشرى ، ودخلها من التلاميذ وقتذاك خمسون تلميذا ، وأعد لهم مستشفى بيطريا يسع ١٤٠ حصانا واشترك تلاميذ الفرقة الاولى بمدرستى الطب فى تلقى مواد طبية مشتركة (٣) .

Dye ; Moslem p.72.

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التليم (عصر محمد على) ص ٣١٠

ولكن نظام المدرسة لم يستقر لتجدد المنازعات . وقد سوى بين خريجيه
وخريجي مدرسة الطب البشرى فى التمييز ، فمنح كل منهما رتبة الملازم
الثانى . وطبقاً للائحة لسنة ١٨٣٦ أصبحت مدة الدراسة بها خمس أو
ست سنوات .

بدأت المدرسة فى سنة ١٨٣٧ بعدد من التلاميذ بلغ ١٢٢ تلميذاً ، ثم أخذ
عددهم يقل إلى أن وصل إلى ١١ تلميذاً فى سنة ١٨٤٣ . وقد انحط مستوى
التلاميذ انحطاطاً كبيراً جعل أولى الأمر يفكرون فى أنجع الوسائل لإصلاحها .
وظلت المدرسة على حالتها من الضعف لا تستقر على حال ، إلى أن ألغيت فى عهد
عباس الأول .

ولما ولى عباس أمر مصر ، أصدر أمراً بعقد امتحان للأطباء البيطريين
فمن حاز منهم قبولاً ، ألحق بفرق الجيش ، ومن لم يحز فصل من الخدمة (١) .
ولكن عباس كان ينوى لإلغاء المدارس الحربية جميعاً . فأمر بنقلها من القاهرة
توطئة لإلغائها ، فنقلت إلى اصطبل منوف مع ستة عشر تلميذاً وثلاثة
مدرسين (٢) . ثم ألغاهها بعد ذلك بشهرين ، ولم تظهر مرة أخرى فى
عصر سعيد .

لمدرسة فى عهد اسماعيل

أحست مدرسة الفرسان (السوارى) بالحاجة إلى تدريس مواد الطب

(١) تاريخ التعليم «عصر عباس وسعيد» ص ٦٥ و٦٦
(٢) المصدر السابق ص ٦٧ .

البيطرى بها ، فاستدعت الحكومة المصرية من فرنسا طبيباً بيطرياً يدعى مسيو ليونار Leonard وأحضرت له من فرنسا ما يلزمه من الآلات والأدوات^(١)، وكان ذلك في ذى الحجة سنة ١٢٨١ ، (١٨٦٤) وألحقت به بعض الجنود لتعليمهم العاوم الخاصة بالطب البيطرى ، لإمكان الاستفادة بهم فى الجيش . ولكن هؤلاء الجنود لم يستطيعوا متابعة دروسهم ، فأعيدوا إلى فرقهم مرة أخرى . ثم وأنشأت فصلاً صغيراً من التلاميذ ، يسمى مدرسة بيطرية^(٢)، فى جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (نوفمبر ١٨٦٥) . ثم نقلت هذه المدرسة إلى الدياسية وألحقت بها مدرسة السوارى ، وشيدت بالعباسية كذلك مستشفى بيطرى . وكان بها من المدرسين ، المسيو ليونار ، وعبد الهادى (افندى) اسماعيل (المدرس السابق بمدرسة الطب القديمة)؛ هذا فضلاً عن ناظر المدرسة المسيو بولار . ولكن المدرسة بمجالتها هذه لم تكن ترضى أولى الأمر ، فكلف ميرشير (بك) بوضع لائحة لها ، ترفع من شأنها وتضعها على أسس سليمة . فكتب تقريراً عن هذا الموضوع ، ورفعته للخديو فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) فوافق^(٣) عليه . وفيما يلى أهم ما جاء به :

أن يكون عدد تلاميذ المدرسة أربعين تلميذاً وأن يلحقوا بمدرسة الفرسان ،

(١) المصدر السابق «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٦٧

(٣) تقرير التليل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٦٤ «إرادة لناظر ديوان المدارس فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٨٣» .

و حيث أنه يجب اشتراك التلاميذ المذكورين في تعلم ركوب الخيل مع تلاميذ مدرسة الخيالة (١) ، . وأن يجرى انتخاب هؤلاء التلاميذ ، و فرزهم من بين تلاميذ المدرسة التجريبية (٢) ، مع تخصيص خمسة مدرسين لها ، يقومون بتدريس العلوم والفنون المتعلقة بالطب البيطرى وتعيين ضابط برتبة الملازم الثانى و لضباطهم ورباطهم (٣) ، على أن يمنح الخريج رتبة الاسبران عند التحاقه ، ثم يرقى بعد سنة إلى رتبة الملازم الثانى (٤) . وكان يصرف لتلاميذ الفرقة الأولى (سنة رابعة) ١٢٠ قرشاً (٥) .

وفى ترتيب رجب سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، تمت المدرسة ديوان الجهادية ، وخصص للدارس التسابعة له مبلغ ١٧ ٢٨٢ ٦٢٠١ أى ما يزيد قليلا عن ٣١٠٠٠ جنيها مصريا) فيها عدا ميزانية المدرسة البيطرية ؛ وقد بلغ مسبوها (٦) ٤٣١ قرشاً ١٨٧ كيسة (أى ما يعادل ٣١٠ م ٩٣٩ ج) ، وبذلك انفصلت مدرسة الطب البيطرى عن مدرسة الفرسان (السوارى) .

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) انخفض مستوى خريجي هذه المدرسة عن زملائهم في عصر مجد على لأنه كان يسوى بينهم وبين خريجي تلاميذ الدارس الحربية الأخرى .

(٥) دفتر ٥٥٧ «مبنيه تركى» أمر رقم ٢ س ٦ إلى مدير المدارس بتاريخ ٢٠ جادى الاخرة ١٢٨٣

(٦) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر الصادرة لديوان الجهادية سنة ١٢٨٤ مكتبة =

وقد رغب ديوان الجهادية في زيادة عدد تلامذة المدرسة ، فرؤى و تخصيص من يلزم من تلامذة المدارس الحربية البيادة والسوارى ، ولحاقهم في مدارس الحكما البيطرية علاوة على التلاميذ بها (١) .

وفي أواخر سنة ١٨٦٧ ، أُلحقت بها مدرسة- للزراعة- ، وأصبح ناظرها بلقب ناظر مدرسة- الطب والزراعة- (٢) . نشأت إذأ أول مدرسة- للطب البيطرى بمدرسة- الفرسان ، وذلك تلبية- لرغبة- المسيو بولار ناظر المدرسة- ، وكان ذلك فى سنة- ١٨٦٥ . وظلت تحتضنها مدرسة- الفرسان ، إلى أن انقضت عنها كما أسلفنا من قبل . وفيما يلى بيان بأسماء نظارها ومدة نظارتهم (٣):

المسيو ليونار ناظرا من سبتمبر ١٨٦٨ إلى مايو ١٨٧٠

اسماعيل راجى (افندى) وكيلا من سبتمبر ١٨٦٨ إلى نوفمبر ١٨٦٩

عثمان صادق (افندى) وكيلا من يناير ١٨٧٠ إلى أغسطس ١٨٧٣

ومن ٢٢ ابريل سنة- ١٨٧٠ إلى فبراير سنة- ١٨٧٩ كانت نظارة المدرسة-

== رقم ٣ فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ . ومحفظة ٩ جهادية ، وثيقة رقم ٥٦ عربى من الجناح المالى إلى سردار المساكر المصرية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(١) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية فى سنة ١٢٨٤ وثيقة رقم ٣ إلى الجهادية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤

(٢) تاريخ التعليم «عصر أسمايل» ج ٢ ص ٦٧١

(٣) التليم فى مصر القسم الخامس من الملتفات ١٠٤

محاولة على ناظر مدرسة السواري (١) ، إلى أن ألغيت في أوائل
سنة ١٨٧٩ (٢) .

عدد التلاميذ

وفيما يلي بيان (٣) بعدد تلاميذ المدرسة منذ إنشائها إلى أن ألغيت في
سنة ١٨٧٩ .

-
- (١) التعليم في مصر القسم الخامس من المجلدات ص ١٠٤
 - (٢) تقويم النيل - المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩
 - (٣) التعليم في مصر . القسم الثاني من المجلدات ص ١٠

٧٩	٧٨	٧٧	٧٦	٧٥	٧٤	٧٣	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	١٨٦٧	سنة
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	(١)	
١٢	٢٣	٢٨	٦٤	٢٨	٢٠	٢٠	٢٦	٥١	٢٠	٢٠	١٠	١٠	عدد

(١) يذكر أمين سائرى في كتابه التعليم في مصر من ١٧ أن عدد تلاميذ مدرسة الطب البيطرى كانت سنة ١٨٦٤ مـ ١٢- تلميذاً أى أنها كانت موجودة في نفس ذلك السنة . ولاحظ أن إنشاء مدرسة الطب البيطرى لم يكن إلا سنة ١٨٦٧ . ولكن رجعت دراسة الطب البيطرى قبل ذلك التاريخ وكان ذلك بعمرة السوروى .

من البيان السالف يتضح لنا زيادة عدد تلامذة المدرسة- في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ كسائر المدارس الحربية- الأخرى ، كما يتبين أن المدرسة- بدأت بداية متواضعة- وانتهت كذلك .

ومدة الدراسة- بهذه المدرسة- أربع سنوات ، يتخرج بعدها التلميذ برتبة- أشبران (حامل العلم) .

النهج الدراسي

لم نعثر على وثائق تشير إلى المواد التي كانت تدرس بهذه المدرسة . ولكن يمكننا القول بأن هذه المواد لا تتمد كثيرا عما كان يدرس بها في عصر محمد علي مثل دراسة العظام ، والعضلات والتشريح ، والفسيزيولوجيا ، وقانون الصحة ، والأمراض العامة ، والعمليات الجراحية (١) . وبما يرجح ما ذهبنا إليه ، الاستعانة برجال مدرسة الطب البيطري في عهد محمد علي مثل محمد المشاوي وغيره .

وتنتيجة للأزمة المالية التي عانتها مصر ، اضطرت الحكومة إلى إغلاقها مع سائر المدارس الحربية الأخرى في فبراير سنة ١٨٧٩ (٢) ، بعد أن عمرت المدرسة ما يقرب من ثمانين عاماً . وإن نظرة واحدة نلقيها على البيان - الذي أوردهته لجنة اصلاح التعليم التي شكلت في سنة ١٨٨٠ في تقريرها عن إحصاء ثروة مصر - بين سنتي ١٨٧٣ و ١٨٧٧ - لكفيلة بإعطائنا

(١) تاريخ التعليم «عصر محمد علي» ص

(٢) التعليم في مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٤ .

فكرة واضحة- عن مقدار الخسائر التي أصيبت بها هذه الثروة من خيول وإبل وحمير وبغال وجاموس بسبب الأوبئة التي أصابتها. ورغم تفشى هذه الأمراض بدرجة مزعجة فيما يمتلكه الأهالي من ثروة حيوانية ، وقف خريجو مدرسة الطب البيطرى مكتوفى الأيدى لأن اختصاصاتهم كانت قاصرة على ما يمتلكه الجيش فقط من حيوانات . ويمكننا القول بأن الجيش لم يستفد منها الاستفادة المرجوة ، نظرا لأن وسائل التعليم العملى بها كانت ناقصة ، ولم يعد قائماً منها سوى أسمها(١) .»

مدرسة الزراعة

عنى محمد على بأمر الزراعة بمصر ، فأصدر أمره بإنشاء مدرسة للزراعة بقرية نبوه ، بمديرية الغربية فى أواخر سنة ١٢٥٠ (١٨٣٦) ، وعين يوسف (افندى) الأرمى ناظرا لها (٢) . وكان تلاميذها يختارون من تلامذة مدرسة القصر العينى ، وقد ألحق بالمدرسة مزرعة لإجراء التجارب ، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات . وقد تدهورت حالة المدرسة فنقلت من نبوه إلى شبرا ، وألحقت بمدرسة الطب البيطرى ، تحت إدارة ناظرها المسيو هامون(٣) فى صفر سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) . وكان لإلحاقها بمدرسة الطب البيطرى ، أثره فى التعليم وفى توحيد دراسة بعض المواد ، وبذلك أتيح لتلاميذ مدرسة

(١) تقرير لجنة اصلاح التعليم التى شكلت فى سنة ١٨٨٠ منشور فى كتاب تاريخ التعليم ج ٣ . لملفات ص ٢٥٣ للدكتور أحمد عزت عبد الكريم .
(٢) تاريخ «عصر محمد على» ص ٣٤٨
(٣) المصدر السابق ص ٣٥٥ و٣٥٦

الزراعة أن يدرسوا علوما لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً (١) . وفي سنة ١٨٤١ ألغيت هذه المدرسة ، ولكن محمد على أعاد فتحها بعد ذلك بتقليل ، ثم نقلت إلى المنصورة في سنة ١٨٤٤ ، وألغيت بعد ذلك ببضعة شهور .

ولم تظهر هذه المدرسة لا في عهد عباس ولا في عهد سعيد إلى أن ولي اسماعيل الحكم ، فأمر بإعادتها في سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) . رغبة في توسعه دائرة العلوم والمعارف العايد منافها على العموم (٢) . وأحيلت نظارتها على ناظر مدرسة الطب البيطري (٣) ، فجمع الميسو ليونار بين نظارة مدرستي الطب البيطري والزراعة ، وذلك في أواخر سنة ١٨٦٧ ، وأوائل سنة ١٨٦٨ . وبما أن كثيراً من مواد الدراسة وخصوصاً ما يتعلق بالحيوانات من قبيل الصحة والتربية وما يلزم من الأمور الكيماوية والطبيعية والمعادن ، ستدرس للتلاميذ بمدرسة الطب البيطري ، فلهدا رؤى لإيجاد تلك المدرسة بحيث تكون فرعاً متضمنة مدرسة الطب البيطري المحكى عنها ، وتسمى مدرسة الزراعة (٤) . ولكن لإحراق مدرسة الزراعة

(١) المصدر السابق ص ٣٥٥ و ٣٥٦

(٢) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية . مكتبة بتاريخ ٢ رمضان ١٢٨٤ .

(٣) التلاميذ في مصر القيم الخامس من الملاحظات ص ١٠٥

(٤) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية . مكتبة بتاريخ ٢ رمضان ١٢٨٤ .

بمدرسه- الطب البيطرى فى صحراء العباسيه" ، جعل موقعا غير ملائم بالنسبه- لمدرسه- زراعيه- تعتمد اعتمادا كبيرا على الاراضى الزراعيه- لإجراء تجاربها .

عدد التلاميذ

أما عن عدد تلاميذ المدرسه فكما يلي(١) :

سنة	١٨٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣
عدد	٤٢	٤٢	(٢) ٣٦	٧٣	٧٥	٦٩	١٢٠

مواد الدراسة

وتشتمل مواد الدراسة على مايلي (١) :

التاريخ الطبيعى : النبات ، الجيولوجيا . مبادئ المعادن ،

- (١) التعليم فى مصر القسم الثانى من الملاحقات ص ١٠
- (٢) تاريخ التعليم «مصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٧٤ و٦٧٥
- (٣) المصدر السابق

العلوم الطبيعية : مبادئ الطبيعة « الميثورولوجيا » . الكيمياء الزراعية وتطبيقها .

الهندسة الزراعية : الرياضيات . الرسم . الميكانيكا الزراعية . المنشآت الزراعية . آلات الري وأدوات الزراعة .

الحيوان : مبادئ علم الحيوان . تربية الحيوان وتغذيتها وتحسين نسلها :

الزراعة : وياشرها التلاميذ عمليا في الحقول .

وتنتيجة لسوء الحالة المالية في أواخر عصر اسماعيل ، ألغيت هذه المدرسة في سنة ١٨٧٥ (١٢٩٢) (١) . ولهذا ، فهي تعتبر ثاني مدرسة حرية ألغيت في عهد اسماعيل . ويرجع إلغاؤها إلى عدة أسباب :

أولا : - إتجاه الحكومة نحو سياسة الاقتصاد في مصروفات البلاد ، وذلك للأزمة المالية . فرأت الاستغناء عن هذه المدارس التي تعتبر في المرتبة الثانية بالنسبة لبعض المدارس الحرية الأخرى .

ثانياً - صعوبة إيجاد عمل لخريجي المدرسة في الدوائر الحكومية (٢) .

ثالثاً - إن طبيعة المدرسة ليست حرية ، بل هي مدرسة مدنية كان يجب أن تدخل تحت إشراف ديوان المدارس أو أية هيئة حكومية أخرى غير ديوان

(١) تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩ .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٣ ص ٦٧٦ .

المجاهدية . فكان من الطبيعي أن يتلخص منها الديوان ، في الازمة المالية ، ليتفرغ للدارس الحربية الرئيسية .

وإذا نظرنا إلى تاريخ حياة المدرسه-، وجدنا فيه أوجه شبه كثيرة بينها وبين مثيلاتها في عصر محمد علي ، فكلاهما ألحق بمدرسة الطب البيطرى ، وكلاهما نظر إليه نظرة شك . فالتقليل من أفراد الأمة من كان يؤمن في جدوى العلوم ، وفي وسائل الزراعة الحديثة التي تدرس فيها . فكان معظم الأهل يمتقدون ، بأن طرق الزراعة المحلية أصلح من الطرق الأوربية ، التي لا تلائم طبيعة أرض مصر . ولذا نجد أن خريجي المدرسة في عصر اسماعيل ، لافوا صعوبة كبيرة في كسب قوتهم ، إذ لم تكن الدوائر الأهلية قد تنهت بعد إلى الإفادة من خبرتهم (١) . ولذا لم تؤد كل منها رسالتها كما ينبغي .

مدرسة الموسيقى العسكرية

رأى محمد علي ، أن من مستلزمات الجيش لإنشاء فرقة موسيقية عسكرية ، فاستعان لهذا الغرض بعازفين أوربيين . ثم أنشأ في قرية جهاد آباد مدرسة لتعليم الموسيقى لئلا نفر من أهل البلاد ، ليكونوا موسيقيين في فرق الجيش والأسطول (٢) . ونقلت المدرسة بعد ذلك إلى الخانقاه في سنة ١٨٢٧ (٣) ، واستمرت قائمة إلى أن ألغيت في ترتيب سنة ١٨٤٩ .

وكان عدد تلامذتها بعد انتقالها إلى الخانقاه ٢٠٠ تلميذا (٤) ، وذكر اسماعيل

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص ٤٢٠ (عصر محمد علي)

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٢٦

(٤) تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٤٢٠

سرهناك أن عددهم ١٥٠ (١) تلييندا . وفي سنة ١٨٣٩ ، بلغوا ١٦٤ تلييندا ، وبلغت ميزانية المدرسة ٧٩٣ جنيه و ٣٢٠ مليم . (٢) وكان يقوم بالتدريس فيها معلمون من الاجانب ، وأشرف على إدارتها في سنة ١٨٣٨ المسيو كاريه Carré الفرنسي ، وعاونته أربعة من المعلمين (٣) .

ظهرت هذه المدرسة من جديد - تلبية لرغبة الخديو - وأطلق عليها اسم «دار الموسيقى» (مهران أوجاغى) (٤) . والغرض من إنشائها ، إمداد فرق الجيش بجنود موسيقيين ، وكان ذلك في أوائل حكمه سنة ١٨٦٣ ، وألحقت بسديوان الجهادية .

شروط الالتحاق

اشترط فيمن يلتحق بها من التلاميذ ، أن يكون سليم الجسم ويتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة (٥) .

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) التعليم في مصر ص ١٠ .

(٣) محمد فؤاد شكرى وآخرون . بناء دولة مصر محمد على ص ١٧٨ .

(٤) دفتر ٥٢٥ (رمية تركي) وثيقة رقم ٥٣ ص ٨٣ أمر الى ناظر الجهادية للفرق اسماعيل في ٤ القعدة سنة ١٢٧٩ وتقويم النبل المجلد الثاني ج ٣ ص ٤٧٥ (ارادة للفرق اسماعيل ناظر الجهادية في ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩) .

(٥) دفتر ٥٢٥ (رمية تركي) وثيقة رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية الفرقة اسماعيل في ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٥ . وذكر أمين ساي في تقويم النبل . المجلد الثاني ج ٣ ص ٤٧٥ آت تلامذة المدرسة كانوا يختاروت من الشبان الذين في سن بين العاشرة والسادسة عشر .

وكان منهج الدراسة يتلخص في تعليم التلاميذ « الموسيقى والطنربيطة والصفارة (١) » .

عدد التلاميذ

تكونت المدرسة في أول عهدها من « ثلاثمائة وخمسة عشر شابا (٢) » . ويبدو أنها لم تقبل تلاميذ جدد إلا بعد مرور ثلاث سنوات ، وبذلك استطاعت تخريج « كل تلامذتها حتى لم يبق منهم أحد (٣) » ، ثم بدأت في جمع « ٤٠٠ تلميذ جدد وأعقبهم بـ ٢٥٨ آخرين » .

إدارة المدرسة

كانت الإدارة تتكون من ناظر برتبة صاغقول أغاسي (رائد) ، ويشترط فيه أن يكون كبير السن ، وحسن السير والسلوك ، ويتوفر فيه النشاط ، وضابطيين برتبة اليوزباتي (نقيب) ، وأربعة معلمين برتبة الملازم ، « من الممارسين لفن الموسيقى والمهتران (٤) » . « و « مقدارا كافيا من صف الضباط ، لمحافظة الضبط والربط ولتعليم الفنون الموسيقية (٥) » . وقد ألحق خريجوها بالفرق الموسيقية

(١) تقويم النيل . المجلد الثاني ج ٣ ص ٤٧٥ (إرادة للفريق اسماعيل في ٤ ذي القعدة ١٢٧٩) .

(٢) أمين سامي تقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٤٧٥ (إرادة للفريق اسماعيل في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٩) ودفتر ٥٢٥ (معية تركي) أمر رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٩ .

(٣) تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٠ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) دفتر ٥٢٥ (معية تركي) أمر رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية اسماعيل في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٩ . وأمين سامي . تقويم النيل المجلد الثاني ج ٣ ص ٤٧٥ (إرادة الى اسماعيل ناظر الجهادية) .

بوحدات الجيش المختلفة. وقد ألغيت هذه المدرسة مع المدارس الحربية الأخرى (١)

مدرسة الخطرية

أنشئت هذه المدرسة بالقاهرة في فبراير سنة ١٨٧٤ - بناء على اقتراح الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري - وعين لنظارتها القائم مقام (المقيد) خليل عفت بك (٢). وهي من مدارس الدرجة الثانية العسكرية. وكان الغرض من إنشائها، وجعل الأهالي يميلون من أنفسهم للإلتحاق في سلك العسكرية (٣) . .

شروط الالتحاق

يجب أن تتوافر فيمن يرغب الالتحاق بها الشروط الآتية :

أولاً - أن يكون قوى البنية صحيح الجسم .

ثانياً - أن يكون من أبناء الضباط أو الصف ضباط أو الجنود بالجيش (٤).
وذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، بأنه لا يستطيع أن يجزم بأن مدرسة الخطرية أو الأبطال العسكرية هذه هي التي أنشأها ديوان الجهادية بالقلعة

(١) المصدر السابق

(٢) التعليم في مصر . القسم الخامس من الملحق من ١٠٥ وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤ ويضافها في تاريخ الانشاء اسماعيل سرهنك في كتابه حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١١ اذ يذكر في بيان عن قوة الجيش المصري قبل يوم ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٣ ان عدد تلاميذها ٣٠٠ تلميذا .

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) دفتر ١٧٨٦ ج ١ صادر من ديوان عموم الجهادية وثيقة رقم ١٣٨٤ من ص ١٩٨ الى وجاق الوزيفات بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ .

لتربية وتعليم أولاد ضباط وصف الضباط الجهادية من رتبة الملازم لغاية رتبة البكباشي (١) (المقدم) . ولكني عثرت على وثيقتين تثبت أن مدرسة أطفال العسكرية هذه ، هي نفس المدرسة التي يتلقى فيها أولاد العساكر والضباط تعاليمهم العسكرية . فورد في الوثيقة الأولى ، النص التالي : « من المرغوب فيه إلحاق الثلاثة غلمان أولاد وابن أخت يوزباشي (نقيب) سليمان (افندي) شكرى بمدرسة أطفال العسكرية . وبما أن من الاقتضى (هكذا) حضور الغلمان المذكورين للديوان للكشف عليهم بمعرفة حكيمباشي الديوان فلزم شرحه . يتنبه بإرسال المذكورين متى وجدوا موافقين للاحاقهم بمدرسة أطفال العسكرية بحرى اللازم نحوهم ، . ومن مضون الوثيقة يتضح لنا ، أنه كان يقبل بالمدرسة - ليس أولاد العساكر والضباط فقط - بل أولاد أقربايهم كذلك .

وجاء بالوثيقة الثانية أنه وبخصوص إلحاق أولاد أخى ه جى يوزباشي (نقيب) جبه جى بمدرسة أطفال العسكرية ، وحيث الآن صدر أمر دولتساو أفندم الناظر عن الذين يصير قبولهم بمدرسة الاطفال ، هم أولاد الضابطان (الضباط) والعساكر فقط . وأولاد الاخوات غير جايز قبولهم الآن ... (٣) ، والوثيقة السابقة ، فضلا عما تؤكد من أن مدرسة الاطفال العسكرية هي نفس المدرسة المعدة لتعليم أولاد الضباط والصف ضباط ، يتبين لنا كذلك أنها

(١) تاريخ التليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) دفتر ١٣٨٦ ج ١ صادر من ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٣٨٤ ص ١٩٨ إلى الجبه

خانات بتاريخ ٦ جادى الأولى سنة ١٢٩٢ .

(٣) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان عموم الجهادية مكتبة رقم ١٧٨٦ ص ١٩٧ إلى الجبه

خانات بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٢٩٢ ؟

كانت تقبل أولاد العساكر . وأنها قصرت على أولاد الضباط والجنود فقط ، ولم يعد يصرح لغير أبنائهم بالالتحاق بها كما كان مسموحا من قبل . وقد ضم إلى هؤلاء بعض التلاميذ من مدارس أخرى ، وخاصة ذوى السلوك القبيح (١) . وكان يدرس هؤلاء التلاميذ الذين يتراوح سنهم بين ست سنوات وتسع عشرة سنة ، ما يحسن أن يتعلمه أمثالهم (٢) . وكان عدد تلاميذها يزيد عن الثلاثمائة تلميذ (٣) .

وتتكون إدارة المدرسة من بكباشى (مقدم) واحد ، وصاغ (رائد) وأربعة يوزباشية (نقباء) وأربعة ملازمين ثوانى (٤) .

ولم تعمر هذه المدرسة ، أكثر من خمس سنوات ، ففي سنة ١٨٧٩ ألغيت مع سائر المدارس الحربية .

كذلك أنشئت مدرسة أخرى بالسويس ، لتعليم أولاد القبولات والعساكر (٥) . ومدرسة ثالثة أشار إليها سرهنك ، وتسمى المدرسة الخيرية أو مدرسة أولاد الجنود ، وكان عدد تلاميذها ٨٠٠ تلميذا . وتتكون إدارة هذه المدرسة من بكباشى (مقدم) ، وصاغ (رائد) ، وستة يوزباشية (نقباء) ، وستة

(١) تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) الياس الايوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ج ٢ ص ٢٧ وام بوضوح ماهية العلوم التى كانت تدرس لهم . ويبدو انها كانت تنحصر فى تعليمهم القراءة والكتابة إلى جانب القيام ببعض التمرينات العسكرية .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣١١ .

(٥) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤ .

ملازمين أوائل رسته ملازمين ثواني . وعدد تلاميذها يتفق مع عدد تلاميذ المدرسة التي كانت بالقلعة لتعليم أولاد الحرس بها (١) .

مدرسة ضباط الصف

أنشئت مدرسة ضباط الصف في سنة ١٢٩١ (فبراير سنة ١٨٧٤) بناء على طلب الجنرال استون ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ، وكان الغرض من إنشائها ، وتوير عقول صف ضباط الجيش بالمعلومات الابتدائية (٢) ، وتولى الجنرال استون نفسه الإشراف عليها . ونظمت الدراسة بها ، على أساس تخريج عدد من الكتاب العسكريين لإمداد الجيش بما يلزمه .

شروط الالتحاق

واشترط الجنرال استون فيمن يلتحقون بهذه المدرسة، أن يختاروا من صغار الجنود الذين يقل سنهم عن إثنين وعشرين عاما ، وأن يكونوا غير متزوجين ، ويظهرون استعدادا تاما لتعليم القراءة والكتابة ، وأن يكونوا أمثلة صالحه للرجال العسكريين في خضوعهم للنظام وحسن تديريهم (٣) . على أن يقوم بهذا الاختيار قواد الأورط (الكتائب) ، وبعد اختيارهم ويرسلون بأسلحتهم ومهماتهم إلى

(١) الياس الابوي. تاريخ مصر في عهد الحديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٧

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ . والياس الابوي ج ٢ ص ٢٧

(3) Abdin. Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Gén Stone.
Ghef d'Etat - Major à Ministre de la guerre .En 21
Oct. 1872.

العباسية ، لوضع أنفسهم تحت إمرة ناظر مدرسة ضباط الصف (١) . ، وهو من الضباط العظام ويعين بأمر عال (٢) .

عده التلاميذ

وكان بها من ضباط الصف ، « نيفا وخمسة مئة متعلم (٣) . » . ومدة الدراسة بها عام واحد (٤) . وفي خلاله ، يتمتع كل منهم بمرتبة أو نباشى (٥) .

مواد الدراسة (٦)

وتتلخص مواد الدراسة في تعليم المطالعة العربية والخط العربي والحساب وكيفية إعداد التقارير اليومية والشهرية الخاصة بقوات الجيش والعلوم الحربية والجغرافيا الوصفية .

وفي نهاية السنة الدراسية ، يعود التلاميذ إلى فرقهم مكرمين ، مع منحهم رتبة الجاويش بعد أداء الامتحان بدرجة مرضية (٧) . وينتظم هؤلاء التلاميذ في أشرطة مكونة من أربعة بلوكات ، ويتلقون دروسهم على يد صفوة ممتازة من

(١) المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر .

(٣) تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٧ .

(٤) Ahdin. Corrsp. fran. Doss. No. 05/5 Gen. Stone Chef d ' Etat Major à Ministre de la guerre , en 21 Aut , 1872 .

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق

الضباط المثقفين الأذكياء ، يختارهم مفتش المدارس الحربية و الجنرال استون ، من خريجي مدرستي أركان حرب والمدفعية . ويمنحون في مقابل تدرّسهم بالمدرسة علاوة إضافية ، تقدر بخمس المرتب (١) .

وللدسة إدارة خاصة ، تختبر أورطة بالجيش (٢) . وقد أدت خدمات جليلة ، إذ كان القليل من ضباط الصف والجنود ممن يعرفون القراءة والكتابة ، فاستطاعت تعلم ١٥٠٠ من الجاويشية والأونباشية القراءة والكتابة ومبادئ أعمال مسك الدفاتر .

مدارس الولايات

بدأ الاهتمام بهذه المدارس منذ عهد محمد علي ، وكان الغرض من إنشائها ، تثقيف ضباط الجيش من لم يتخرجوا من المدارس الحربية ، حتى يستطيع بذلك أن يقابل من فروع الثقافة العسكرية بينهم وبين ضباط الجيش الآخرين ، من خريجي المدارس الحربية ، خصوصا إذا علمنا أن « من هؤلاء الضباط أفراد بلغوا رتبة (المسيرمان) ولكنهم يجهلون القراءة والكتابة والفنون العسكرية » (٣) . هذا فضلا عن المدارس التي ألحقت بفرق الجيش لتعليم الجنود القراءة والكتابة والحساب .

وقد سارت الحكومة المصرية في عهد الخديو اسماعيل في نفس الطريق ، فأنشأ مدارس للولايات ويدرّس بها الضباط القوانين والتعليقات العسكرية (٤) .

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٩١ .

(٤) حقائق الاخبار ، ج ٢ ص ٣٨ .

ولم تقتصر برامج التعليم على الفنون العسكرية فحسب ، بل و ألزم كل من لم يكن منهم يعرف الكتابة بتعلمها (١) . واهتمت نظارة الحربية بتدريس العلوم الرياضية ، وخصوصا الهندسة والحساب ، وكذلك الجغرافيا المختصرة و التعليم من ليس لهم معرفة بذلك في الآليات (٢) . وبدأ الضباط الجنود بتعلم القراءة والكتابة أولا ، ثم « يصير لإدخالهم في تلميم الحساب (٣) » . وكان يصرف لكل فرد منهم قلم للكتابة (٤) . وأمد على مبارك (بك) هذه المدارس بالكتب اللازمة ، وعين لها مفتشين للبرور عليها «مرة كل اسبوعين» (٥) . وقد خصصت المدرسة معلما واحدا ، ومن الذين يجيدون الخط وفيهم كفاءة ، ولهم دارية بتعلم الكتابة والقراءة لكل ستين جتديا من الذين يرغبون في القراءة والكتابة (٦) . وكان هذا المعلم يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٥٠ قرشا . ونظرا لفضالة المرتب ، رفع هؤلاء المدرسون عتيرتهم بالشكوى للحكومة فأمرت بزيادة المرتب إلى ٥٢٠

(١) المصدر السابق

- (٢) محنظة ٤٣ (معية تركي) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج ناظر الجهادية إلى مهردار حضرة الخديو بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ .
- (٣) دفتر رقم ١٥١٦ ج ٤ صادر مكتوبة رقم ١٠٢٥ ص ٨١ من ديوان محوم الجهادية إلى الإليات المستجدة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩ .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) محنظة ٤٣ (معية تركي) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج إلى مهردار الخديو بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ .
- (٦) دفتر ٣٥٩ (معية تركي) وثيقة رقم ٤٤ ص ٢٠ أمر إلى ناظر الجهادية اسماعيل بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ وأمرين ساسي . تقويم النيل . الجياد الثاني ج ٣ ص ٥٤٨ (إرادة لاسماعيل باشا ناظر الجهادية في ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٠) .

قرشا شهرياً (١) . وكان يجرى الامتحان بها مرة كل ستة أشهر (٢) .

وقد شجع الخديو اسماعيل التلاميذ والمدرسين على السواء بمكافآت مالية
و لمن يتقدم منهم في ذلك ، وكذا لكل من يؤلف أو يترجم كتاباً عسكرياً (٣) .
وكان من أثر التشجيع أن أقدم الضابط على التأليف والترجمة (٤) .

وكانت ترسل الالايات تقارير شاملة عن حالة التعليم وبيان عدد المتعلمين في
في مختلف وحدات الجيش إلى ديوان الجهادية . وفيما يلي بيان (٥) بعدد المتعلمين
بالفرقة الأولى ببادية ، نقله عن أحد التقارير :

ضابط	صف ضابط	عسكري
٨	٧	— في الفصل الأول في المقال الأول في مبادئ الهندسة
٢٢	١١	— في الحرف الأول اسمه الحساب (هكذا)
٤٢	١٨	٧ في القرابة (هكذا) والكتابة

(١) المصدران السابقان .

(٢) محظوظ رقم ٤٣ (معية تركي) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج إلى مهرداد الخديو

في ٩ ربيع الأول ١٢٨٥)

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) دفتر رقم ١٥١٦ ج ٤ صادر مكتبة رقم ٥٥٢ ج ٤ صادر من ديوان عموم الجهادية

إلى الالايات المستعدة بتاريخ ١٨ جادى الآخرة سنة ١٢٨٩ .

ضابط	صف ضابط	عسكري
٣	٢١	٤٤ في تجمع الكليات
١	٥	٢٢ في النهجى (هكذا)

وقد أدت هذه المدارس خدمات جليلة ، إذ قامت بنشاط علمى ملحوظ بين صفوف الجيش ، فشاركت بنصيبها فى التعليم إلى جانب المدارس الحربية الأخرى . ولكن مما يؤسف له ، أن هذه المدارس أغلقت فى سنة ١٨٧٨ ، بناء على توصية لجنة المراقبة المالية ، بحجة الاقتصاد فى المالية المصرية .

مدارس حربية أخرى

ظهرت فى ذلك العصر مدارس حربية أخرى ، منها مدرسة العمليات التابعة للجهادية (١) ، وأطلق عليها كذلك « فرقة العمليات الجهادية (٢) » ، و العمليات التابعة للجهادية (٣) . أنشئت فى يناير سنة ١٨٦٨ (١٢٨٥) (٤) ، وأعدت و لتخريج صناع الأشغال اليدوية (٥) ، لإنتاج ما يحتاج إليه الجيش من مهات . وقد كانت هذه المدرسة قائمة فى عصر محمد على . فيذكر أمين ساسى بأن عدد تلاميذها فى سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥) بلغ ٢٩ تلميذا . وعدد مدرسيها

- (١) التعليم فى مصر س ٢٠
- (٢) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ س ٦٠٨ .
- (٣) التلميذ فى مصر ، القسم الثانى من الملحقات س ١٠
- (٤) تقويم النيل - المجلد الثانى (ج ٣) س ٨٠٦
- (٥) المصدر السابق ،

أربعة- ، وميزانيتها ٦٧٨ جنيه و ٦٤٠ مليم . وكان يدرس بها كثير من الصناعات كالخراطة والبرادة والحدادة والتجارة وأشغال البواخر وبعض العلوم كالكيمياء والميكانيكا (١) . ولم يكن إنتاجها مقصورا على الجيش ، بل كانت تمد إدارة الحكومة المصرية الأخرى بما تحتاج اليه من أدوات ، ويظل تلامذتها المتقدمون يمارسون صناعتهم بها حتى يمد إتمام تعليمهم إلى أن تدعو الحاجة اليهم بالمصالح الأخرى (٢) .

عدد التلاميذ

تراوح عدد التلاميذ بين ٢٠ و ٢٨ تلميذا . وفيما يلي بيان بعددهم منذ إنشائها سنة ١٨٦٨ إلى أن الغيت في سنة ١٨٧٢ (٣) :

سنة	١٨٦٧	٦٩	٧٠	٧١
عدد	٢٨	(٤) ٢٨	٢٠	٠

(١) التعليم في مصر ص ١٠

(٢) تاريخ التعليم (عصر محمد علي) ص ٣٨١

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٢ .

(4) Abdin. Amr. Vol.5 enclosure in despt. No. 145, 13
Feb 1869 .

وجاء بهذه الوثيقة أن عدد تلاميذ المدرسة في سنة ١٨٦٨ بلغ ٢٦ تلميذا .

وظات هذه المدرسة تمد وحدات الجيش بالأيدي العاملة زهاء خمس سنوات
إلى أن الغيت في سنة ١٨٧٢ .

وجدت مدرسة أخرى كان يطلق عليها اسم ومدرسة الجبه جيه^(١)، (مدرسة
الذخيرة) . والغرض من إنشائها تخريج معلمين يقومون بتعليم الصف ضباط
بالآلاى كيفية وضع الدانات وترتيبها بالصناديق الجبه جيه حسب الاصول^(٢) .،
ويؤدى التلاميذ لامتحانا عمليا ويرقى الناجحون منهم إلى رتبة الاسيران ، ثم
يلحقون بالجيش حيث يقومون بتعليم الجبه جيه (صانعى الذخيرة) ما يلزمهم فى
هذه الصناعة^(٣) .

كذلك قامت مدارس أخرى ، منها مدرسة لتعليم التلغرافات
العسكرية ومدرسة للاشارة^(٤) . وجميع هذه المدارس كانت تابعة
لديوان الجهادية .

(١) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان الجهادية . وثيقة تركية رقم ٢٩٤ ص ١٣٠ من
ديوان الجهادية إلى ٢ طوبجية بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان الجهادية مكتبة تركى رقم ٢٩٤ ص ١٣٠ إلى ٢ جى
طوبجية فى ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

(٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢

سجن المدارس الحربية

وللدارس الحربية سجن خاص يزرع فيه كل من يتطاول على رؤسائه أو يهرب من المدرسة الحربية ، أى كل من لا يصلح ، لأن يكون من زمرة التلامذة بالمدارس الحربية (١) ، وكان يفصل من المدرسة كل تلميذ يشكر هروبه منها (٢) .

مستشفى المدارس الحربية

أنشئ هذا المستشفى بالعباسية في أبريل سنة ١٨٦٤ وسمى بمسشفى المدارس الملكية والجهادية (٣) . ومن هذه التسمية ندرك أن المستشفى لم يقصر على المدارس الحربية فقط ، بل شمل المدارس الملكية أيضا . وقسم المستشفى إلى قسمين : قسم خاص لمعالجة تلامذة المدارس الملكية وكان له طبيبه الخاص ، والقسم الآخر خصص لمعالجة تلامذة المدارس الحربية ، وتولى الطبيب نافع (افندى) صوالى عيادة المدارس الجهادية (٤) .

إدارة المستشفى

قام شريف (باشا) مدير ديوان المدارس في ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بتعيين ناظر لمستشفى المدارس « برتبة البوزباشى (تقيب) مع إلقاء

(١) دفتر ١٨٧٥ ج ٢ صادر ديوان الجهادية وثيقة رقم ٨٣٩ س ١٩ إلى المدارس العربية في ٢٦ ربيع الاخرة سنة ١٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق

(٣) أمين سامى ، التعليم في مصر س ١٨

(٤) المصدر السابق .

الناظر الحال الذى لا يعرف القراءة والكتابة بوظيفة مساعد الناظر (١) . وفى ٥ محرم سنة ١٢٨٢ (أواخر مايو سنة ١٨٦٥) تولى الصاغقول أغاسى (الرائد) محمود (افندى) سليمان وظيفة ناظر المستشفى وحسين (افندى) البردىنى صيدليا به ، وعين له كتبه وأمين مخزن وترجميه (٢) (مريضين) . كذلك شغل لامنتير (بك) وظيفة حكيمة باشى للدارس بمرتب ٨٠ جنيا فى الشهر ، وأن يكون رئيسا للمستشفى (٣) . . وضم المستشفى ٤٠٠ سرير . وكان النظام و على أكمل ما يكون والنظافة به بالغة متهاها ، واستمر هذا النظام المحكم مرعيا لى أن نقلت المدارس من العباسية إلى القاهرة فى يناير سنة ١٨٦٨ (٤) .

ادارة المدارس الحربية

قامت الحكومة المصرية بإنشاء هذه الادارة فى ١٠ المحرم سنة ١٢٨١ (مايو سنة ١٨٦٤) (٥) . وكان الغرض من إنشائها تنسيق الاشراف على المدارس الحربية المختلفة وإخضاعها جميعا لسياسة واحدة . وتتكون الادارة من :

١ . ناظر المدارس الحربية

(١) دقر ٥٣٩ (معية تركى) أمر رقم ١ من ١٧ إلى شريف فى جمادى أول سنة ١٢٨١

(٢) التعليم فى مصر ص ١٨ .

(3) Notes sur l'Armée Egyptienne .

(٤) التعليم فى مصر ص ١٨ .

(٥) محفظة ٧ جهادية وثيقة تركية رقم ١٠ من الجيناب العال إلى ناظر الجهادية فى ١٠

محرم ١٢٨١ .

٠٢ . وكيل إدارة المدارس الحربية

٠٣ . مأمور إدارة المدارس الحربية

٠٤ . مأمور دروس المدارس الحربية

١ - ناظر المدارس الحربية

أول من عين في هذا المنصب سليم (باشا) الجزائري في ١٠ محرم سنة (مايو ١٨٦٤) ، ومكث بها بضع شهور ثم خلفه أركان حرب ميرشير في فبراير سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٦٩ حيث عاد إلى فرنسا . ويذكر سرهناك أنه مكث بها من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧١ (١) . فاقترح الجنرال Coudi Tevis ؟ ناظرا للمدارس الحربية برتبة قائد فرقة (٢) . الاقتراح لم يلق قبولا لدى الناظر فعين الجنرال كارول نونسي برتبة اللواء في أوائل سنة ١٨٧٣ . ظل بهذا المنصب خمسة أشهر إلى مايو ١٨٧٣ (٣) . وتسكت المصادر سكوتاً تاماً عن ذكر من خلفه في هذا المنصب .

قام ميرشير بمهام منصبه الجديد خير قيام في أثناء نظارته لمدرسة

(٤) حقائق الأخبار ج ٤ ص ٤٠٧ حاشية .

(4) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à
Ministre de la guerre, en 8 Jan. 1873

(٥) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٨ . ويذكر سرهناك في المصدر السابق ص ٣٠٧ بأن الجنرال تسمى مكث بها من ١٨٧٢ إلى ١٨٧٣ . ولكنه ينقل ذكر من خلفه وكذلك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم .

أركان حرب . فمكف على وضع واختيار الكتب الدراسية اللازمة للدارس الحربية وإصدار الجريدة العسكرية المصرية . أى أنه اختص بالناحية الفنية .

٢ - وكيل إدارة المدارس

عين الصاغقول (الرائد) عبد الرحمن (افندى) على وكيلًا فى أكتوبر سنة ١٨٦٥ ، ويذكره سرهنك باسم «عبد الرحمن ذهنى» وشغل هذا المنصب من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٦٧ (٢) . ثم خلفه سليمان نجأتى (بك) من سبتمبر ١٨٦٧ إلى أكتوبر ١٨٧٠ .

٣ - مأمور إدارة المدرسة

اختص مأمور الإدارة بالناحية الادارية للدارس، وتولى هذا المنصب سليمان (بك) نجأتى من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٦٧ (٣) ثم خلفه ياور (بك) من سنة ١٨٧٣ إلى ١٨٧٤ (٤) ثم د أعيد نجأتى (بك) لادارتها مرة أخرى من ١٨٧٤ إلى ١٨٧٦ (٥) . ويذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بأنه ظل مأمورا

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٦

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) المصدر السابق . وتاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٢٨

(٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧ ويختلف منه أمين سائى فى كتابه التعليم فى مصر

القسم الخامس من الملاحظات ص ١٠٢ إذ يذكر أن ياور بك كان مأمورا من أكتوبر سنة ١٨٧٣ إلى يناير سنة ١٨٧٠

(٥) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ .

لادارتها حتى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ (١) .

٤ - مامور دروس المدارس الحربية

أول من عين في هذا المنصب على إبراهيم (بك) ثم أعقبه سليمان نجاتي (بك) وأنشئت هذه الوظيفة . وعندما خلا منصب ناظر المدارس الحربية بعد رحيل مرشير بك إلى فرنسا (٢) .

ومما يلاحظ على إدارة المدارس الحربية أنها أنشئت في ١٠ محرم سنة ١٢٨١ (مايو ١٨٦٤) (٣) ، ثم ألحقت بديوان المدارس في ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ (أوائل سنة ١٨٦٥) . وظلت تابعة له إلى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، رغم تبعية المدارس الحربية لديوان الجهادية من ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) . وبقيت إدارة المدارس الحربية مفصولة عن ديوان الجهادية والمدارس الحربية التابعة له ما يقرب من خمس سنوات . ولم يكن لهذا الفصل ما يبرره ، بل كان من نتيجته إضاعة الوقت والجهد الكبير في المكاتبات المختلفة بين ديوان المدارس والجهادية بشأن المدارس الحربية .

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣٠ .

(٣) محفظة ٧ جهادية) وثيقة تركية رقم ١٠ من الجذاب المالى الى ناظر الجهادية في ١٠ محرم ١٢٨١ ودفتر ٥٣٩ (معية تركي) وثيقة ٦٢ ص ١٠٦ امرالى اسماعيل ناظر الجهادية في ١٠ محرم ١٢٨١

(٤) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٥ .

تنظيمات (ترتيبات) المدارس الحربية

وضع للدارس الحربية في عصر اسماعيل تنظيمان (ترتيبان) . وكان الغرض منها رفع مستوى تلك المدارس في حدود الميزانية المعتمدة لها . وهذان الترتيبان هما :

ترتيبا سنة ١٨٦٥ وقد وضعه ديوان المدارس في أوائل سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) . وترتيب ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، وقام بوضعه ديوان الجهادية .

أما عن الترتيب الأول فقد قسم المدرسة الحربية (في أوائل عصر اسماعيل) إلى مدارس - المشاة ، والفرسان ، والمدفعية ، والهندسة العسكرية ، وأركان حرب . وكان لكل منها إدارة خاصة ، وميزانية مستقلة عن غيرها من المدارس . أي أن هذا الترتيب قد وضع الحجر الأساس في نشأة هذه المدارس ، ورسم السياسة التي تسير عليها في المستقبل :

أما بخصوص الترتيب الثاني فقد أنقص ميزانية المدارس الحربية الثانوية بمصرفاتها وعمرت بمسبآت مستخدمياً من ٢٦ فرشاً ٤٥ جنيهاً إلى ٢٤٤ فرشاً ٣٠٧٧٥ جنيهاً (١) . وكان لمدرسة المشاة نصيب الأسد من هذا الاعتماد ، إذ بلغت ميزانيتها وحدها ٣٨ فرشاً ٧ جنيهات . ١٤٦٢٧ .

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٥ .
(٢) المصدر السابق .

المقترحات التي وضعت بشأن المدارس الحربية

منذ أن عين الجنرال استون رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصرى فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ (١) ، أخذ يولى المدارس الحربية اهتماما كبيرا ، ويعمل على رفع مستواها بصفته المفتش العام لها (٢) . فتقدم إلى الخديو اسماعيل بمشروعات عديدة ، كان الغرض منها الوصول بهذا المدارس إلى مصاف المدارس الحربية الأوربية . وفى هذه المقترحات وضع الجنرال استون خلاصة خبرته الطويلة كرجل من رجال الحرب البارزين . ومن بينها اقتراح (٣) يرمى إلى جمع المدارس الحربية جميعها فى مدرسة حربية واحدة . وكان يرمى من وراء ذلك إلى سهولة إدارة المدارس الحربية وتوثيق الصلة بينها ، والاقتصاد فى النفقات المالية ، وخصوصا بعد أن تراكت الديون على الخزنة المصرية . وكذلك لإمكان تدريس علوم الأسلحة الحربية الثلاثة لجميع التلاميذ على السواء . على أن ينتخب لكل سلاح من هذه الأسلحة الضباط الذين يظهرون نبوغا ملحوظا فى مادته .

ويتلخص المشروع أو (الاقتراح) فيما يلى :

أولا - إنشاء مدرسة حربية واحدة قوامها . . . تلميذ وتضم جميع المدارس الحربية المختلفة .

(1) Abdin. Amr. Vol. No 6 enclosure in despt. No. 3
Butler to Fish dated 4 June, 1870.

(2) Abdin Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à
Ministre de la guerre, en 23, Mai, 1872.

(3) Abdin. Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à Son
Altesse Le Khedive, sans date.

ثانيا - يجب أن تتوافر في كل تلميذ يرغب الالتحاق بها شروطا معينة ؛
من حالة صحية جيدة وسن تتراوح بين ١٤ ، ٢٠ عاما . على أن يلحق هؤلاء
بالمدرسة الحربية برتبة أسبران ، حيث يمكنون بها أربع سنوات يمنح المتخرج
في نهايتها رتبة الملازم الثاني .

ثالثا - أما عن التبرينات العسكرية فقد روعي فيها تقسيم التلاميذ إلى ثمانية
بلوكات ، ويتكون البلوك (فرقة) من :

يختارهم قومندان الفصل (الفرقة) الأول لمعلوماتهم وخصالهم العسكرية	}	(تلميذ برتبة أسبران)
		(د د د)
يختارهم قائد الفصل الثاني وأربعة جاويشية ، رقيب ، (تلاميذ د)	}	(د د د)
		(د د د)
يختارهم قائد الفصل الثالث		(د د د)
جميع التلاميذ الذين لم يختاروا ضباطا أو صف ضباط .		(د د د)

على أن يكون هذا الاختيار تبعا للمفوق العلي في الدراسة ، وألا يصحبه
أية زيادة في المرتب بل يكون ذلك بصفة فخرية .

رابعا - يرأس المدرسة ناظر برتبة فريق يكون مسؤولا أمام الخديو وناظر
الجهادية ، ويرأس سلاح الأسبرانات ضابط برتبة أميرالاي (عميد) . ولكل

فرقة قائد مسئول عن تعليمها وتدريبها . وجميع هؤلاء القواد مسئولون أمام ناظر المدرسة ، ويستبدلون كل عامين على الأقل .

خامساً - يطبق على التلاميذ التعليمات العسكرية الدقيقة ، ولا يسمح لهم بالزواج أثناء الدراسة .

سادساً - يعين للمدرسة - بصفة مستديمة - اثنا عشر مدرساً للتدريس بها ، ويتدرب أربعة ملون بالشئون العسكرية من ضباط الجيش لمدة سنتين ؛ أحدهما من سلاح المهندسين لتعليم فن الهندسة العسكرية ، والثاني لتعليم فن الإشارة والتلغراف ، والثالث لتعليم قواعد الفروسية ، والرابع لتعليم فن المبارزة والرياضة البدنية.

سابعاً - أن يكون للمدرسة هيئة أركان حرب تتكون من سبعة ضباط يمثلون الناحية الإدارية والطبية ويرأسهم ناظر المدرسة .

ثامناً - يعين خريجو المدرسة الحاصلون على درجة امتياز في وظيفة معيد ، ويضاف إلى مرتباتهم جنينان أو ثلاثة على سبيل التشجيع .

تاسعاً - ويشتمل على بيان لمواد الدراسة بالسنوات الأربع . وكانت تقسم التلاميذ إلى مجاميع صغيرة كل مجموعة تتكون من ٦ إلى ١٥ تلميذاً، وكان لكل قسم أستاذ خاص يقيم في حجرة خاصة به . على أن يدون هذا الأستاذ تقريراً يومياً بالدرجات التي حصل عليها كل تلميذ في دروسه المختلفة . وترتب الدرجات على النحو الآتي :

درجة	مرتبة
٣	Parfaite ممتاز
$2 \frac{3}{4}$	très Bonne جيد جدا
$2 \frac{1}{2}$	Bonne جيد
$2 \frac{1}{4}$	Passable مقبول
٢	Indifferente ضعيف
$1 \frac{3}{4}$ أو $1 \frac{1}{2}$	Mauvaise ردىء
١ أو $\frac{1}{2}$	Pire encore ردىء جدا
صفر	Manque راسب

على أن تجمع هذه التقارير كل أسبوع ، وعلى أساسها يرتفع أو يتخفف مركز التلميذ في الفصل .

عاشرا - يعقد امتحان عام لكل الأقسام كل ستة شهور . ويكون لنتيجة امتحان نصف السنة تأثير على نتيجة التلميذ العامة في نهاية السنة . على أن تخصص درجات لكل خطأ يرتكبه التلميذ - فثلا إذا تأخر التلميذ عن تلبية النداء تحسب عليه ٣ درجات ، إذا خالف أمر رئيسه تحسب عليه ١٠ درجات ، وهكذا . وهذه الدرجات تخصم من درجات التلميذ التي يحصل عليها في دروسه .

الحادى عشر - وفي نهاية الأربع سنوات ، يختار لكل سلاح من أسلحة الجيش من يصلح له من التلاميذ . وتتأثر مرتبة نجاح كل تلميذ على ما يحوزه من أصوات أعضاء هيئة التدريس ، مراعين في ذلك درجاته في اللأوة ، ومعلوماته التي يظهرها في الإمتحان .

الثانى عشر - وأشار الجنرال استون في نهاية مشروعه (اقتراحه) بضرورة

إقامة مرصد بجوار القاهرة ، لأن جوها أفضل أجواء العالم (هكذا) على أن يقضى فيه كل تلميذ بعض الليالي للتمرين على إستعمال أجهزته وآلاته . ويفيد هذا التمرين التلميذ عند إلتحاقه بالجيش وقيامه بالخدمة في الريف المصرى ، إذ سيملكه من الإستفادة مما حوله دون اللجوء إلى تخبير في الأرصاد الجوية لمعاوته .

اللائحة العامة للمدرسة الحربية

في ٢٢ مايو سنة ١٨٧٢ تقدم الجنرال أستون إلى الخديو بلائحة (١) عامة للمدرسة الحربية التي اقترح إنشائها . وتستهل اللائحة ببيان إختصاصات رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى بصفته المفتش العام للمدرسة الحربية ، ويستغرق هذا البيان البند الأول . ومن البند الثانى إلى البند السادس عشر ذكر لإختصاصات ناظر المدرسة الحربية ، وضباط المدرسة ، ووكيلها ، وأمين الخزينة (الصندوق) ، والمخزنى بها ومدى سلطة كل منهم . من البند السابع عشر إلى البند العشرين تتعرض اللائحة لشروط الإلتحاق بالمدرسة الحربية . وتعالج اللائحة كل هذه الموضوعات في المادة الأولى.

أما المادة الثانية فتشتمل على البنود من ٢١ إلى ٣٧ ، ويتناول الجنرال إستون منهج الدراسة والمواد التي تدرس بها بالبحث ، كالتكتيك الحربى لسلاح المشاة والفرسان ، والمدفعية ، والرياضيات ، والهندسة ، والميكانيكا ، والصوت والضوء والقوانين الحربية ... وقسمت العلوم على خمس سنوات مع بيان مفصل للواد التي تدرس كل سنة .

وفي البندين ٢٩ ، ٤٠ . يمرض للأجازة السنوية، وما يجب القيام به في أثنائها .
وفي البند رقم ٤١ يأتي بأنموذج للجدول اليومي للتلاميذ السنوات الخمس ،
وتوزيع فترات العمل والراحة ، مبتدءاً من الاستيقاظ صباحاً إلى الساعة العاشرة
مساءً ، حيث يأوون إلى فراشهم .

وعند التخرج يكون لمجلس المدرسة الحربية الحق في توزيع الخريجين على فرق الجيش
المتخلفة، مراعيًا في ذلك صلاحية كل خريج الفرقة التي يلتحق بها . وفي البندين ٤٨ و ٤٩
يوضح المهمة الملقاة على عاتق أستاذ كل مادة واهتمامه بتقديم التقارير اليومية عن مدى تقدم
التلاميذ في الدراسة . وبالبندين ٤٩ أنموذج للتقرير الأسبوعي الذي يرفقه مدرس المادة
إلى أستاذ القسم . وهذا يرسله بدوره إلى ناظر المدرسة ومنه إلى مفتش الحربية .

وفي البنود من ٥١ إلى ٦٩ يعرض لمشكلة الامتحان وإجراءاته
والهيئات التي تشرف عليه . ويعالج في البندين ٦٠ و ٦١ عدد المخالفات التي
لا يسمح لأى تلميذ أن يتجاوزها وألا تعرض الفصل . وفي البنود من ٦٩
إلى ٧٤ يوضح الناحية المالية - مثل القروض التي تمنح للتلاميذ وكيفية سدادها .
ومن البند ٧٥ إلى ١٠٠ يبين بوضوح قوانين النظام Discipline بالمدرسة ،
وتقسيم العقوبات حسب المخالفات التي يرتكبها كل تلميذ . ثم يتعرض للمخالفات
المحظورة ارتكابها وعقوبة كل منها .

ومن البند ١٠١ إلى ١٠٨ يتناول مكتبة المدرسة الحربية بالبحث ، وبين
عدد موظفيها ، وكيفية إعارة الكتب ومدة الإعارة . وتتفق لائحة المكتبة
مع أحدث النظم المتبعة حديثاً .

وفي ختام اللائحة يرجو الجنرال استون أن تحوز رضاه الخديوي اسماعيل

فيوافق عليها . ولكن مشروع إنشاء مدرسة حربية واحدة تضم جميع المدارس الحربية لم يتحقق إلا في أوائل عصر الخديو توفيق ، إذ افتتحت هذه المدرسة أبوابها في ابريل سنة ١٨٧٩ . ويغلب على الظن أن لائحة هذه المدرسة قد اقتبست بعض المواد عن اللائحة التي وضعها الجنرال استون في ٢٢ مايو سنة ١٨٧٢ ، لأن الجنرال استون كان لا يزال يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري في تلك الفترة .

ومن المقترحات التي قدمت بشأن المدارس الحربية . اقتراح قدمه الجنرال استون خاص باستغلال فترة الاجازة السنوية للتلاميذ والتي تبدأ من اليوم التاسع عشر من شعبان تقريباً إلى نهاية الأسبوع الأول من شهر شوال (١) . فيرى الجنرال استون ضرورة الاستفادة منها في القيام برحلة عسكرية داخل القطر تستغرق شهراً على الأقل . على ألا يسمح في أثناءها للتلاميذ بزيارة منازل أقرانهم (٢) . والغرض منها الوقوف على الحياة بالريف ، لاكتساب المعلومات عن موارد بلادهم من ناحية المأوى والعلف والثروة الحيوانية . أي كل ما يتعلق بالخدمات العسكرية (٣) . . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالمتاعب التي يلاقها التلاميذ أثناء السفر تتفق وطبيعة الحياة العسكرية . وقد وافق الخديو على هذا الاقتراح في ٢٤ صفر سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) (٤) .

(٣) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen Stone
à Ministre de la guerre en. 17 Aüt 1871.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مخطوطة ١٠ جهادية) وثيقة عربية رقم ١٠٥ أمر إلى ديوان الجهادية في ٢٤ صفر

. ١٢٨٨

كذلك أبدت رغبة في إنشاء مدرسة حربية برأس الوادى وكلف الجنرال أستون بوضع تقرير عن مقدار صلاحية البناء الموجود بها والذي كان مقررا لسكنى فرقة كاملة وألف جندى من الفرسان ، وكذلك الاصطبلات اللازمة لخيولهم (١) . فقدم الجنرال أستون تقريره فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٩ أوضح فيه إمكان إدخال بعض التعديلات فى هذا البناء لجعله مسكنا ملائما لأربعة مئة تلميذ (٢) . وقدرت نفقات المبنى اللازمة لهذا المشروع بمبلغ (٣) ٧٧٥ مليم و١١ جنيه . ولم نعتز على وثائق تدل على إنشاء هذه المدرسة وأغلب الظن أن هذا الاقتراح ظل حبرا على ورق ولم يخرج إلى حيز الوجود .

ومن المقترحات أيضاً اقتراح (٤) بإنشاء مدرسة للفروسية Ecole d'Equitation تقدم به اثنان من الضباط البروسيين ، وهما شريدن Schrader وفون دراوستن Von Der Osten إلى الخديو فى فبراير سنة ١٨٧٢ . ويرى الاقتراح إلى تأسيس مدرسة تقوم على التنظيمات الحربية البروسية . أى على طراز معهد Institut 1,et R. de Cavalerie بمدينة هانوفر . وقد استهلا مذكرتها ببيان أهمية سلاح الفرسان فى الحروب الحديثة ، ومقدار العناية التى

(١) Abdin. Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à
Ministre de la guerre, en 14 Nov. 1871.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) Abdin. Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Von. Der
Osten & Schrader à Son Altesse Ismail Pacha en
Fev. 1872.

يلاقيا في الدول الأوروبية الحديثة . ثم يمرضان خدماتها على الخديو بصفتها من رجال الحرب الذين مارسوا هذه المهنة مدة طويلة ، ويشيدان بوفرة المادة الخام التي تمتلكها مصر من الفرسان . ومهمة هذه المدرسة تخريج فرسان مدربين أحسن تدريب ، وعلى أحدث الأساليب الحديثة . وإلى جانب هذا ستمت المدرسة باستيراد أجود أنواع الخيول وتوحيد النوع المستعمل منها في الجيش ، وذلك ليتوفر للجيش جودة الفرسان والخيول . هذا فضلا عما تقوم به المدرسة من تعليم الفرسان كل ما يتصل بفن الفروسية من صناعة السروج والألحاف وفن البيطرة ... واقترحا أن تكون مدة الدراسة من ٨ إلى ٩ أشهر (من أول أكتوبر إلى أول نوفمبر) ، على أن تقوم المدرسة بتعليم ١٢ ضابطا و ١٥٥ صف ضابط و ٧٠ فارسا وطوبجيا و ١٢٥ جوادا . ثم يتولى الخريجون تعليم زملائهم بالفرق المختلفة . وبناء على هذا التقدير يتوقع الضابطان البروسيان أن يتخرج من المدرسة بعد عشر سنوات ١٢٠ ضابط و ١٥٠ صف ضابط و ٧٠٠ فارس وطوبجى و ١٢٥٠ جوادا . ثم يتعرض الاقتراح لمواد الدراسة ، ونجملها فيما يلي : فن ركوب الخيل ، القربان على الأقدام وعلى الحصان ، الخدمة العسكرية نظريا وعمليا ، استعمال الأسلحة ، الخدمة وواجبات الجنود . ويكلف الضباط والصف ضباط الذين يظهرون نبوغا ملحوظا بتلقي علوم إضافية .

ولما أبطأ الخديو إسماعيل في تنفيذ المشروع اتصل الضابطان البروسيان بأحد الأفراد ويدعى جاسموند Jasmund وكان صديقا للخديو ليتولى معرفة رأيه فى الاقتراح . فبعث جاسموند بخطاب (١) الى الخديو فى ١٦ مارس

(1) Abdin Corresp. Fran. Dossier No. 50/5 Jasmund à Son Altesse Le Khedive ismail en 13, Mars, 1872.

سنة ١٨٧٢ يذكره بإقتراح الضابطين المذكورين ، ويستفسر منه عما يجب عمله بشأنها . فهل يظلا بمصر في انتظار تنفيذ المشروع أم يرجعا إلى وطنها ؟ وفي ختام الخطاب يرجو الخديو بأن يشمل المشروع بمطفه ورعايته لقائدته المحترمة للجيش . ولكن هذه المدرسة أيضا لم تظهر إلى حين الوجود ، لأن المشروع لم يأت في الوقت المناسب ، فاضطراب الحالة المالية في أواخر عهد اسماعيل حال دون تحقيق الكثير من المشروعات النافعة .

ملاحظات عامة عن المدارس الحربية

إذا تتبعنا حركة إنشاء المدارس الحربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجدنا أنها عبارة عن حركة لاستعادة فتح المدارس الحربية التي أنشئت في النصف الأول منه . أى أنه يمكننا القول بأن هذه الحركة هي امتداد لحركة إنشاء المدارس الحربية في عصر محمد علي . فن حين النظام والتنسيق نجد أن المدارس الحربية في النصف الثاني من القرن الماضي قد نظمت على نمط المدارس الحربية الفرنسية (١) . وكذلك كانت الحال بالنسبة للمدارس الحربية في النصف الأول منه مع اختلاف جوهرى ، هو أن المدارس الحربية في النصف الثاني قد نظمت على أسس أكثر كفاية ومقدرة مما كانت عليه أيام محمد علي (٢) .

وفيا يتعلق بعدد هذه المدارس نلاحظ أنها بدأت بمدرسة حربية واحدة سنة ١٨٦٣ . أى في السنة الأولى من حكم اسماعيل . ثم أخذ عددها يزداد شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى تسع مدارس (٣) ، فيما عدا مدارس الآليات

(1) Notes sur l'Armée Egyptienne .

(2) Mc. Coan : Egypt as it is P. 210.

(٣) أمين سامى . العايم في مصر القسم الخامس من الملتفات ص ١٠ .

(اللوات) ومدرسة الجبه جية والعمليات الحربية . واستمر هذا العدد لا يتغير حتى سنة ١٨٧٣ . ثم أخذ يقل إلى أن ألغيت جميعها في سنة ١٨٧٩ ، وأنشئ بدلها مدرسة حربية واحدة افتتحت في أوائل حكم الخديو توفيق سنة ١٨٧٩ . أى أن المدارس الحربية بدأت بمثل ما انتهت إليه .

ومما نلاحظه على عدد التلاميذ أنه بدأ في الصعود منذ ولاية اساعيل إلى أن بلغ ذروته في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ ، ثم أخذ يتراجع بعد ذلك إلى أن ألغيت المدارس الحربية . وجميع هذه المدارس داخلية وبالجمان (١) . وكان تلاميذها يتقاضون مكافأة شهرية ، فيتقاضى التلميذ ٢٠ قرشا (٢) شهريا في مدارس المدفعية والمشاة والفرسان . أما في مدرسة أركان حرب فتقاضى التلاميذ في بعض الأوقات ٣٠٠ قرشا شهريا . هذا عدا ما يتكلفه التلميذ من تعيينات وملابس وأدوات تعليم ... أما من ناحية التعليم فنجد أن العلوم التي تدرس بالمدارس العسكرية تتناول كل العلوم المهمة التي تدرس في مدارس أوروبا (٣) .

أما عن الناحية المالية فقد صحب الاتساع في إنشاء المدارس الحربية زيادة في النفقات لم تحتلها ميزانية البلاد . فاضطرت الحكومة الى تخفيض ميزانية

(١) التعليم في مصر من ٢٠ ومعه النيل . المجلد الثاني - ج ٣ من ٥٩٩ و ٩٤٢ و ٧٥٤ و ٢٨٠٦
(٢) محظلة ٩ (جـ-هادية) وثيقة رقم ٥٦ مربي أمر الى السردار في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .
(٣) حقائق الاخبار ج ٢ من ٣٠٨

المدارس الحربية في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ (أو آخر سنة ١٨٦٧) مبلغ
٤ ٣١١ ٢٥٦٨ قرشا كيه (أى ما يقرب من ١٨ ألف جنيه) . فأصبحت بعد
التخفيض ١٧ ٢٨٢ ٦٢٠١ (١) (أى ما يزيد عن ٣١ ألف جنيه) (٢) .
وفي سنة ١٨٧٣ بلغت ميزانية المدارس الحربية ونظارة الحربية ٧٠٠٠ جنيه (٣) ؟
ولكننى أشك في صحة هذا الرقم .

وقد وجهت الى المدارس الحربية بعض المآخذ ، فقد أبدى الجنرال
استون امتعاضه - في التقرير (٤) الذى رفعه الى نظارة الجهادية عن حالة الجيش
المصرى عندما تولى رئاسة هيئة أركان خربه - من إلحاق التلاميذ بالمدارس
الحربية قبل السن التى يظهر فيها استعدادهم وميولهم . فن المحتمل جدا أن يجد
الانسان كثيرين من تلاميذ مدرسة الفرسان أو المشاة يتخرجون منها وفى نفوسهم
ميل الى المدفعية أكثر من ميلهم الى سلاح الفرسان أو المشاة والعكس صحيح .

(١) محظوظة جهادية وثيقة رقم ٥٦ عربى فى ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ وودقر رقم ٢٨٣٢
أوامر عربى صادرة لديوان الجهادية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .
(٢) يذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى تاريخ التعليم (٥ صر إسماعيل) ج ٢
س ٦٢٦ بأن ميزانية ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ بلغت ٣٠٠٧٧٥٠ و٤٤ قرشا و
١٧ مليا .

(3) Notes sur l'Armée Egyptienne.

(4) Abdin· Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organisations
de l' Armée. Gen. Stone à Ministre de la guerre
en 15 Decembre, 1870.

ولهذا فقد طالب بإنشاء مدرسة حربية واحدة تضم جميع الأسلحة لكي يستطيع المدرسون حينئذ أن يتعرفوا على استعداد كل تلميذ فيوجهونه الوجهة الصحيحة .

واعترض الجنرال استون كذلك على ضياع جزء كبير من السنة الدراسية بسبب العطلات والإجازات السنوية . فأوضح بأن التلاميذ يمنحون أجازة دراسية من ١٩ شعبان تقريبا إلى نهاية الأسبوع الأول من شهر شوال . أى أنهم يتغيبون عن الدراسة مدة ٤٧ يوما . يضاف إليها ٤٢ يوما يصرح للتلاميذ فيها بالخروج في أيام الجمع و ٨ أيام أعياد ، فيبلغ بذلك مجموع أيام الغياب ٩٧ يوما في السنة . فإذا كانت مدة الدراسة أربع سنوات بلغ مجموع أيام العطلات ٣٨٨ يوما ، أى أكثر من ربع مدة الدراسة ، يقضيها التلاميذ بعيدين عن التعاليم والنظام العسكرى . وقارن الجنرال استون بين المدارس الحربية المصرية وبين مدرسة وست بوينت West Point الأمريكية من هذه الناحية، حيث يمكث التلاميذ أربع سنوات يمنحون خلالها أجازة قدرها ٦٥ يوما، ولا يسمح للتلميذ بالتغيب يوما واحدا قبل نهاية السنة الثانية . وهذه الطريقة تتغلغل النظم والعادات العسكرية في نفوس الشباب . وقد أثبتت التجربة أن التلاميذ في أيام السبت لا يتابعون دروسهم بنشاط لأنهم تذوقوا طعم الحياة المدنية في جميع أيام الجمع . كما أن الشهر الأول من العام الدراسى يضيع كله في تذكير التلاميذ بدروس السنة الماضية ، وذلك لطول مدة الإجازة . وعلاجها لهذه الحالة طالب الجنرال استون بوقف الدروس أيام الجمع مع عدم السماح للتلاميذ بالخروج ، ويصرح فقط بحسن السير والسلوك بالخروج يوم الجمعة

مرة واحدة في الشهر ، على أن تقوم المدرسة برحلة عسكرية في أنحاء القطر تستغرق
الاجازة السنوية جميعها .

وتناول النقد مدرسى المدارس الحربية من المصريين ، فوصفهم الاميرلاى
(العميد) داي (١) - من هيئة أركان حرب الجيش المصرى - بعدم النظام
ومعاونتهم للتلاميذ على التهرب من العقوبات التى تفرض عليهم ، نتيجة سوء
تصرفاتهم . كما انتقد ماهج الدراسة (٢) بالمدارس الابتدائية والنجيبية لأنها
لا تنمى الناحية الجسمانية أو الخلقية ، كما أنها لا تعد التلاميذ للدراسة بالمدارس
الحربية . وكذلك انتقد مبانى المدرسة الحربية فوصفها بالخلو من الذوق والراحة ،
لذشيدت على سهل منبسطة لاشجر فيه ، ولا يوجد به ما يريح البصر أو يخفف
من حدة أشعة الشمس المنعكسة من الحوائط البيضاء من الرمال
الساخنة (٣) .

واسكن بالرغم مما وجه إلى المدارس الحربية من نقد ، فقد خرجت ضباطا
عديدين التحقوا بمختلف أسلحة الجيش ، وقام ضباط أركان حرب و برسم
الخرائط الكشافة للسودان حتى خط الاستواء وما حول بلاد الحبشة
والصومال وزيلع وبربر . وفريق قام بالتدريس (٤) في المدارس ، ، والبعض

(١) Dye : Moslem Egypt P. 65 .

(٢) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٤) التعليم فى مصر ص ٣٤ و ٣٥ .

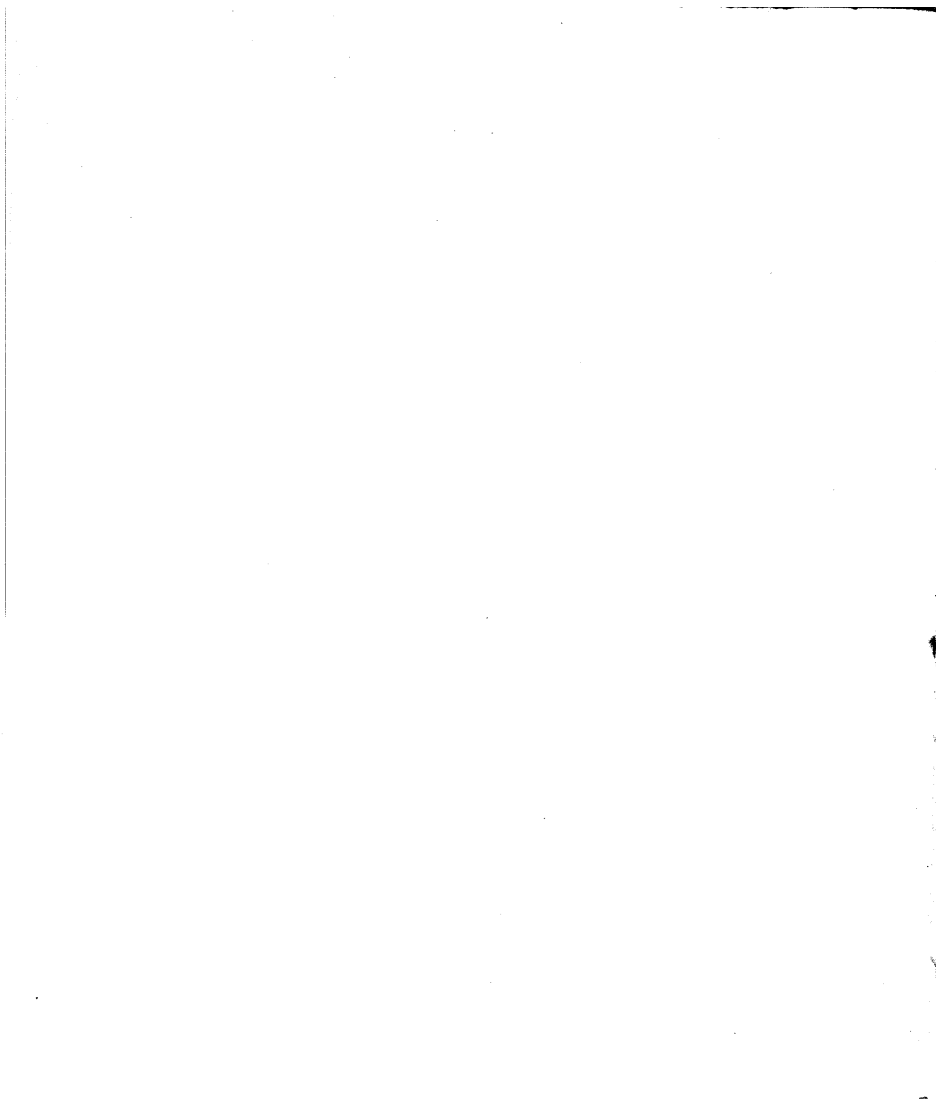
الآخر التحق بوظائف مدنية ، « وقد نبغ منهم كثيرون اشتهروا بمعارفهم العسكرية والهندسية . فكانوا أمهر ضباط أخرجتهم مدارس مصر الحربية (١) . »
ويذكرهم أمين ساي بقوله أنهم « رجال خدموا البلاد في أكبر مناصبها من ذلك العهد لغاية الآن (سنة ١٩١٧) (٢) . »

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) التعليم في مصر ص ٣٥ .

الفصل السادس

المجلات العسكرية



المجلات العسكرية

كان لابد لنشر الثقافة العسكرية بين الضباط والجنود من إصدار مجلات عسكرية يقوم بتحريرها طائفة مثقفة من ضباط الجيش المصرى . وكان هؤلاء يقومون بجمع ما ينشر فى المجلات والجرائد العسكرية الأوربية من موضوعات حربية ، ثم يتولون نقلها إلى اللغة العربية ، وينشرونها على إخوانهم الضباط لإطلاعهم على أحدث التنظيمات العسكرية والإفادة منها . وكان محمد على أول من أصدر صحيفة عسكرية بمصر أسماها «الجريدة العسكرية» التى لم يكتب لها الحياة إلا فى عصره فقط ، ثم توقفت من بعده فى عصر عباس وسعيد .

وفى عصر اسماعيل قام ميرشير (بك) بإصدار هذه المجلة من جديد وسميت «الجريدة العسكرية المصرية» La Revue Militaire Egyptienne وكان ذلك فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ (١) (١٨٦٥) . وهى صحيفة شهرية قمرية (٢)

(١) «الجريدة العسكرية المصرية» الجزء الأول» فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ (السنة الأولى) . ويذكر الدكتور أحمد هزى «بدالكريم فى تاريخ التعليم» عصر اسماعيل (ج ٢ ص ٦٢٨ بأن العدد الأول صدر فى غرة جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وهذا يتالف ما هو مدون على الجزء الأول (السنة الأولى) من هذه الجريدة . ويزننا فى هذا الرأى ما ذكره سرهنك فى كتابه صفائح الاخبار ج ٢ ص ٣٣٢ من أن العدد الثالث من الجريدة صدر فى غرة شعبان سنة ١٢٨٢ .

(٢) «الجريدة العسكرية المصرية» الجزء الأول (السنة الأولى) فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ .

وتوزع على الضباط وتلاميذ المدارس الحربية بالمجان (١) ، ويخصم ثمنها من ميزانية ديوان المدارس (٢) .

إدارة تحرير الجريدة

كانت إدارة الجريدة موكولة إلى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية (٣) ، وكان ميرشير (بك) يقوم بالعبء الأكبر في تحريرها ، إذ تولى كتابتها باللغة الفرنسية ، ثم قام بنقلها إلى العربية عبد الله أبو السعود (افندى) ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس . ويبدو ذلك جليا وبصورة واضحة في الأعداد الأولى من الجريدة ، حيث نجد جميع مقالاتها من وضع ميرشير (بك) وترجمة عبد الله أبو السعود (افندى) ، فيما عدا بعض الأعداد التي أشرف على ترجمتها رفاعة (بك) (٤) . كذلك كان مسموحا لكل من أراد من المستخدمين الميرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية ، وأرباب المناصب العلمية (٥) ، أن ينشروا فيها ما يفيد قراءها من المعلومات . أى أنها لم تكن لها الصبغة العسكرية المحضة ، ولم تكن قاصرة على رجال الجيش فقط . ولكن بالرغم من ذلك نجد أن جميع مقالات الجريدة كانت ترسل لمدير ديوان المدارس للإطلاع عليها قبل الطبع الموافقة على ما يصلح منها للنشر ، واستبعاد ما يرى إستبعاده (٦) .

(١) المصدر السابق .

(٢) أحمد هزت عبد الكريم . التعليم في مصر . (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٧ .

(٣) سرهنگ حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢ .

(٤) تاريخ التعليم في مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٥) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢ .

(٦) تاريخ التعليم في مصر «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٢٦ .

الغرض من إصدارها

كان الغرض من إيجاد هذه الجريدة كما يذكر سرهنك هو ، لتثقيف عقول الضباط ووقوفهم على المتجددات العصرية والاختراعات الحربية التي تظهر بأفهام العالم المتقدم (١) . .

أبوابها وموضوعاتها

تبدأ الجريدة في كل عدد من أعدادها بالبواب الأول وهو ، الغرض المقصود من الجريدة العسكرية . . وتحت هذا العنوان تذكر إدارة الجريدة الغرض الذي ترمى إليه من إصدارها . ونظرا لأهمية ما جاء بهذا الباب رأيت أن أنقله فيما يلي :

، إن من جملة الترتيبات السديدة والتنظيمات المفيدة التي سمحت بها العواطف الرحيمة ، وجنحت إليها الطباع الكريمة بقصد . . نشر المعارف والعلوم ، وتثوير الأذهان والفهوم في جيل الشباب الحادئين في هذا العصر من أبناء مصر (أطلال الله بقاه برضى عنه وأرضاه) أنه قد اقتضت مروءاته وتملئت عنايته بأحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة الجريدة العسكرية المصرية ، بحيث تنابيع وتنتشر بوجه الانتظام على طرف حكرمته العلمية ، إذ كان الغرض الأصلي منها أن تنشر بالخصوص على سائر الضباط الجهادية وضباط الصفوف بالجيش المصري ، وعلى تلامذة المدارس الحربية ، ولا تختص بالاشتغال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط ، بل يتدرج فيها أيضا فوائد جلييلة وإرشادات جميلة مما لا بد منه لكل إنسان متمدن ، ولا بأس به لكل حاذق متفتن من المعارف النافعة ، والفنون المتنوعة ، مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ من ٣١٢ .

بإدراج يوميات محصل ما يحصل في سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوليتيكية ، أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية .

وتظهر هذه الصحيفة المنتظمة في كل شهر مرة فى قمرية . فكل من أراد من المستخدمين الميريه- وضباط الجيوش المصرية- وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته ، أو نادرة مقبولة من تأليفاته ، ليساعد المعتنين بها على دوام تحريرها ، ويجاهد مع الرفقات في سنبل العلم والمصلحة العامة على تمام تسطيرها ، فليوجه من فضله إلى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما استنسب لإدراجه في ضمن سطورها ، أو استصوب استيدااعه في طى منشورها ، حيث كان المعمول الأعلى على حضرته في عموم إدارة أمورها .

من عموم إدارة الجريدة العسكرية-

ثم بلى هذا الباب الموضوعات الأخرى التي تبحث في علم الجغرافيا والطبيعيات . وأخيرا تختتم المجلة ببابها الأخير وهو ملخص يوميات الوقائع السياسية والحوادث العسكرية التي وقعت في الشهر الماضى . وهذا الباب عبارة عن ثبت بأهم الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في العالم أجمع .

وكان يطبع من هذه الجريدة ٥٠٠ نسخة من كل عدد بمطبعة بولاق. وتولى ميرشير توزيعها على الضباط وتلامذة المدارس الحربية كما سبق ذكره . ولقد اتخذت الجريدة رموزا على سنبل الاختصار لترتيب أبحاثها . وهذه الطريقة نقلت عن الغرب في إستعمالهم الأرقام الرومانية وفيها بلى بيانها (١) :

(١) الجريدة العسكرية . العدد الاول في غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ (السنة الاولى) حاشية ص ٦ .

المبحث (المبحث)	أ بمعنى	المبحث	الأول
د	ب د	د	الثاني
د	ج د	د	الثالث
د	د د	د	الرابع
د	ى د	د	العاشر
د	أى د	د	الحادى عشر
د	ك د	د	العشرون
د	أك د	د	الحادى والعشرون

وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأن هذه الجريدة ضمت معلومات عسكرية وغير عسكرية جنباً إلى جنب ، أى أنها لم تتسم بالصيغة العسكرية الخالصة ، فأفسحت صدرها للكتاب المصريين والأجانب على السواء . كما كانت « المحررات » التي تنشر فيها حدثاً جديداً في تاريخ الصحافة المصرية (١) .

جريدة أركان حرب الجيش المصرى

صدرت هذه الجريدة متأخرة عن الجريدة العسكرية ، ولكنها عاصرتها ، إذ ظهر العدد الأول منها فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يوليه سنة ١٨٧٣) وذلك بعد انشاء هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وكانت هذه الجريدة أصغر حجماً من زميلتها الأخرى ، إذ بلغ طولها ١٨ سم وعرضها ١٢ سم ، وتميزها عنها صيغتها الحربية المحضه . فلم تكن تنشر سوى الموضوعات العسكرية وما يدور فى ميدان الحرب ففى تعتبر بحق لسان حال هيئة أركان حرب الجيش المصرى التى تعبر عن أغراضها أصدق تعبير .

(١) كتاب « اسمايل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته » مقالة ابراهيم عبده عن الصحافة المصرية فى «عصر اسمايل» ص ٣٦٤ .

بدىء بطباعتها في « وادى النيل المصرية » بباب الشعرية ، استمرت الجريدة تطبع فيها سنة كاملة . وما أن بدأت السنة الثانية إلا وقد طبع الجزء الأول من المجلد الأول (السنة الثانية) بمطبعة عموم أركان حرب في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (١٠ يونية سنة ١٨٧٤) .

إدارة تحرير الجريدة

كان يتولى (نظارة) تحريرها موري (افندى) (١) بكباشى (مقدم) أركان حرب ثم خلفه عمر (٢) رشدى بكباشى (مقدم) أركان حرب ، وعاونها في هذه المهمة نخبة من ضباط أركان حرب مثل محمد (افندى) مختار وأحمد (افندى) وعدى ، والثائمقام (عتيد) دونكر ، وعلى رأس هؤلاء الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وأغلب مقالاتها منقول عن المجلات العسكرية الأوربية . وكان يقوم بترجمتها محمد (افندى) مختار ، وأحمد (افندى) وعدى ، ويتولى تصحيح هذه الترجمة الشيخ حسن الطويل مصحح بديوان الجهادية (٣) .

أبوابها وموضوعاتها

تبدأ الجريدة ببابها الأول (نمرة ١) « حوادث عسكرية شتى » ، يقوم بجمعه وترجمته عن الجرائد والمجلات العسكرية المختلفة محمد (افندى) مختار صاغقول أغاسى (رائد) أركان حرب . وهذا الباب يضم شتات الأخبار العسكرية في شكل موجز مع الاهتمام بذكر كل ما يتعلق بقوة الجيش البروسى على وجه الخصوص

(١) جريدة أركان حرب الجيش المصرى العدد الأول (المنة الأولى) ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يولية سنة ١٨٧٣) .

(٢) المصدر السابق الجزء الرابع من المجلد الرابع (السنة الثانية) ص ٣٤ -

(٣) جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الأولى . العدد الثالث من ١٩١ ،

وهو يشبه إلى حد ما الباب الأخير من «الجريدة العسكرية المصرية» ، وهو ملخص يوميات الوقائع السياسية والحوادث العسكرية التي وقعت في الشهر الماضي ، إذا استثنينا ذكر الأخبار السياسية .

ثم تتوالى الأبواب وجميعها يتناول الناحية العسكرية الخالصة ، من حيث بيان قوة كل دولة أوربية ، ومقدار ما لديها من الأسلحة والعتاد ، ومدى فاعلية تلك الأسلحة . وموظم المقالات منقول عن الجرائد الأوربية المعاصرة في ذلك الوقت مثل « جرنال الحوادث الحربية الفرنسية » ، و«جريدة الأخبـار العسكرية» ، التي تصدر في برلين . وقد أكثر النقل عن الجريدة الأخير بشكل ملحوظ .

وما عرفت به هذه الجريدة رسم الخرائط التفصيلية في نهاية كل عدد من أعدادها . فنجد مثلا في نهاية الجزء الخامس من المجلد الأول للسنة الثالثة وخريطة لحكمدارية هرر وما جاورها عملت بموجب استكشافات عملية واستعلامية لكل من محمد (افندي) مختار بكباشي (مقدم) أركان حرب وعبد الله (افندي) فوزي صاغقول أغاسي (رائد) أركان حرب في سنة ١٨٧٦ . وهذه الخريطة في غاية الاتقان . وكذلك نجد خرائط تفصيلية لبعض المواقع الحربية ، ورسومات للأسلحة الجديدة مع شرح أجزاءها وطرق استعمالها ، وأحداث أساليب الهجوم والدفاع ، والتشكيلات الحربية الحديثة ...

(١) جريدة أركان حرب الجيش المصري . السنة الثالثة . الجزء السادس . والمجلد الأول

كذلك نلاحظ في السنة الأولى للجريدة (١٨٧٣) كثرة الأبحاث التي كتبت عن (قوة الجيش البروسي) ، وما يمتلكه من أسلحة حديثة . ولا غرابة في ذلك ، خصوصا في أعقاب حرب من الدرجة الأولى . إذ كان إنتصار الجيش البروسي في الحرب السبعينية فرصة طيبة للتأقدين العسكريين الذين أخذوا يستعرضون التكتيك الحربى البروسى ، ويبرهنون على أنه أصلح التكتيكات الحربية إذالك . فكانت الجرائد العسكرية الأوربية في ذلك الوقت زاخرة بأمثال هذه الموضوعات التي نقل عنها الضباط المصريون الشيء الكثير .

كما اهتمت الجريدة لإهتماما كبيرا بأخبار البعث الكشفية في السودان وفي أواسط أفريقيا ، إذ كانت تولى نشر البرقيات والتقارير التي كانت ترد إلى هيئة أركان حرب الجيش المصرى من القسامين بحركة الكشف الجغرافى من الضباط المصريين والأجانب على السواء ، مع التعليق على التفسير ، وبيان أهمية ما جاء به ، وكذلك نشر الخرائط التي قام برسمها أفراد البعثات .

وفي الباب الأخير للجريدة كان ينشر نبذ عن وقائع الجيوش المصرية ، وخصوصا ما حدث منها في عصر محمد على مع التعقيب عليها . وتأخذ صفحات الجريدة أرقاما متسلسلة ، ويترد هذا التسلسل في الأعداد الأخرى .

ويمكننا القول أن لهذه الجريدة طابعها العسكرى الخاص الذى أضفته عليها هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وكانت تتناول بالبحث أبحاث فنية معينة تعالجها الهيئة بباريقتها الخاصة . والجريدة بما تشتمل عليه من موضوعات حربية مهمة لا تقل أهمية عن أية جريدة عسكرية معاصرة لها . ولن يقلل من أهميتها ما كانت تنقله عن غيرها من الجرائد .

الوقائع المصرية

ساهمت جريدة الوقائع المصرية بنصيب غير قليل في الاهتمام بأخبار الجيش المصرى ، فالحكومة المصرية « أوجبت على الجريدة العناية بالتنقلات العسكرية للوحدات وحوادث الترسانة (١) ... » ، فنرى أعداد الجريدة زاخرة بأخبار هذه التنقلات العسكرية بين شطرى الوادى شماله وجنوبه .

كما اهتمت الجريدة أيضا بنشر التقارير المفصلة والبرقيات المختصرة عن نتائج الكشوف الجغرافية فى السودان وفى أواسط افريقيا ، مع التعليق على هذه النتائج . وقد نقل عنها هذه الأخبار أمين سامى فى كتابه «تقويم النيل» .

كذلك انفردت الوقائع المصرية بناحية خاصة من نواحى نشاط الجيش المصرى كانت تلقى تشجيع الحكومة ورعايتها ألا وهى حفلات الفروسية التى كان يقوم بها سلاح الفرسان (السوارى) ، وكان يوزع على الفائزين فيها جوائز قيمة تشجيعا لهم على تقدمهم . ففي إحدى هذه الحفلات ، كان أول المتسابقين أحمد (افندى) يوزباشى (نقيب) فأنعم عليه « بسرج بهى من فضة غالى القيمة ، وثانى سابق محمود (بك) قائمقام (عقيد) فأحسن اليه بسيف مذهب ، والى الثالث بساعة من الذهب بكوستيكها ، والى الرابع بساعة من

(١) إبراهيم هبهه . الوقائع المصرية ص ٦٦ .

الذهب بكوستيكها ، وإلى الرابع بساعة من الذهب فقط (١) ، . فهذا مثل من الحفلات التي قلما أسرع من إحداها .

فهذه الجريدة - ولو أنها لم تكن من الجرائد العسكرية - إلا أنها أسهمت بنصيب كبير في نشر أخبار الجيش وما يقرم به رجاله من أعمال .

ومن هذه الجرائد الثلاث نستطيع أن نكون صورة واضحة عن نشاط الجيش المصرى في مختلف النواحي العسكرية ، وتقدير ما قام به الضباط والجنود المصريون من ضروب النشاط التي أظهرت استعدادهم وأهليتهم لأن يكونوا من خيرة الجنود في أرق جيوش العالم .

(١) الوقائع المصرية العدد الرابع . في ٢٩ رجب سنة ١٢٨٢ (١٤ ديسمبر سنة

الفصل السابع

المصانع الحربية



المصانع الحربية والأسلحة

استلزم احتفاظ مصر بجيش كبير العدد في النصف الأول من القرن الماضي وجود مصانع حربية محلية تمدده بالأسلحة والعتاد الحربي اللازمين له، وألا يعتمد اعتماداً كلياً على ما يستورده من الخارج . ولهذا قررت الحكومة تنظيم دار الصناعة بالقلمة . وبدأت الدار بداية متواضعة ، ثم ازداد إنتاجها الحربي بعد تعيين جيلان Guilleman - من مراقبي مصنع سلاح فرساي سابقاً - بإدارتها سنة ١٨٢٣ ، وقد أنتجت عدداً وفيراً من البنادق ذات الإبرة العسادي كالتى كانت مستعملة في المشاة الفرنسية (١) .

وكانت دار الصناعة تنتج ثلاثة أنواع من الأسلحة ، وهى البنادق ، والمدافع ، والسيوف . وكان لكل نوع من هذه الأنواع قسم خاص يجهز بالآلات والصناع والمهندسين . وقد استعانت الحكومة بخبراء في الأسلحة من فرنسا، أمثال: رى Rey ، والبارون بواتيه ، والكولونيل جودان ، وبارو Parron ، وكاتريل Cantrelle ، وكاديه Cadet ، ودى فو De Vaux وغيرهم .

وقد ذكر المستر جون بورنج John Bowering فى تقريره الذى وضعه عن مصر عند زيارته لها فى سنة ١٨٣٧ هذه المصانع بقوله : إن متوسط ما ينتجه مصنع الأسلحة بالقلمة من البنادق (بسنكاتها) من ٢٤ إلى ٢٥ فى اليوم أى ٦٢٥ فى الشهر .

(١) القائمقام عبد الرحمن زكى . ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير ص ٢٣

المدافع من ٣ إلى ٤ في الشهر
السيوف ٢٠ في اليوم
المزادات (جر بنديات) من ٢٠٠ إلى ٢٨٠ في اليوم
وهناك من ٤١٠ إلى ٤٢٠ عاملا يشتغلون في صناعة البنادق
د د د ٢٣ د المدافع
د د د ٢٤ د السيوف
د ٢٠٠ عامل يشتغلون في صناعة المزادات وغيرها من الأدوات.
وفضلا عن مصنع الأسلحة بقلعة القاهرة ، فهناك مصنع الحوض
المرصود ، ومصنع بولاق بالقاهرة . وفي استطاعة المصنعين أن ينتجا كل
شهر في غير مشقه- ألف بندقية- ، ومتوسط ما تكلفه الواحدة ١٢٥ قرشا ،
أى جنيه وخمسة- شلنات .
أما الأجور فتتراوح بين قرش ونصف القرش وستة قروش ، أى ثلاثة
قروش في المتوسط .

وأهم ما يقوم به مصنع بولاق هو عمليات الإصلاح . ومتوسط عدد العمال
في القلعة ٩٠٠ عامل
في المدينة ١٢٠٠ د
في بولاق ٥٠٠ د

وقد علمت (بورنج) أن من الممكن عند الضرورة إنتاج ثلاثة آلاف بندقية
في الشهر إذا دبر الأمر على الوجه الصحيح (١) .

(١) تقرير بورنج مررب في كتاب بناء دولة مصر محمد على ل محمد فؤاد شكرى وآخرين
س ٤٥٩ و ٤٦٠ .

وفي سنة ١٨٢٤ كان بالقلعة مصنع البارود (١)، كما كان في الأشدونيين ومصر القديمة، والبدرشين وأسيوط وغيرها أما كن لتبخير ملح البارود في الشمس، بالإضافة إلى المعمل الذي أنشأه الفرنسيون بجزيرة الروضية (٢).

وهناك مصانع أخرى كانت تمد الجيش بما يحتاج إليه غير الأسلحة، مثل مصنع الطرايش بفوه الذي كان ينتج « بين عشرة واثنى عشرة دسمة يوميا، في المتوسط »، لا تباع هذه الطرايش للجمهور « بل يقتصر إستخدامها على الجيش، وهي من نوع ممتاز يصاها طرايش تونس (٣) ». ومصنع الجوخ الذي أنشأه محمد علي ببولاق لكي يمد جيشه بالجوخ اللازم لملاسيه. ذلك الجيش الذي يعتبر أكبر مستهلك للجوخ في البلاد (٤)، فضلا عن ذلك فهناك مصانع أخرى أنشئت لعمل أطقم الخيول والسروج وغيرها.

وفي فترة حكم عباس وسعيد تطرق إلى المصانع المذكورة الاهمال الشديد، وخصوصا في أيام سعيد فأغلق معظمها، واستمر الحال على هذا النحو إلى ولاية اساعيل حيث رأت الحكومة لإنشاء مصانع حربية جديدة وأن تعيد الحياة إلى

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٢) تقرير بورنج مررب في المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٣) القائمة قام عبد الرحمن زكي . لابس الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير ص ٣٤

(٤) تقرير دي بوالسكت Baron de Boislecomte مبعوث فرنسا لدى محمد علي .

وقد كلف بنصح محمد علي لسحب قوته بقيادة إبراهيم بمد هزيمة الجيش العثماني في موقعة قونية (ديسمبر ١٨٣٢) وتمكن من إقناع محمد علي بهذا . وقد كتب هذا التقرير وتقارير أخرى في الهدة التي أمدها بمصر من ٢٩ إبريل سنة ١٨٣٣ إلى ٤ يولييه ١٨٣٣ .

المصانع الحربية القديمة (١) فشرعت نظارة الجهادية في ٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ هـ (أوائل ١٨٦٤) ببناء وإنشاء المحال اللازمة في القلعة لإقامة التريزية وأرباب الصناعات الأخرى اللازمة للجهادية وفروعها وسائر الجنود ، فهدمت المباني الآيلة للسقوط ، وأنشئت مباني أخرى جديدة تضم المصانع الحربية اللازمة للجيش .

وكان عدد الجنود الشغالة بورش المهات في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ (النصف الثاني من سنة ١٨٦٦) ١٦٦ نفرا (٢) . وكان إذا أرفى أحدهم مدة خدمته بالعسكرية والامدادية (الرديف) يفضل من العسكرية مع استمراره في القيام بعمله ، وتقدير أجر يومية له يوازي مايقضاه التريزي من المدنيين المستخدمين في أشغال العسكرية (٣) . وكان ديوان الجهادية يستعين بهؤلاء التريزية (الخباطيين) من غير العسكريين في حالة الضغط الشديد وعدم استطاعة أنفار الجهادية القائمين بالعمل عن الوفاء بطلبات الأورط المختلفة في مواعيدها المحددة (٤) .

وكان عدد أنفار ورشة التريزية، في سنة ١٨٧٥ ما بين ٧١٦ و ٧٢٠

-
- (١) دفتر ٥٣٩ (عمية تركي) وثيقة رقم ٣٥ أمر إلى ناظر الجهادية لإعجيل في ٤ ذى القعدة ١٢٨٠ (١٨٦٤) وتقويم النيل المجاد الثاني ج ٣ ص ٥٤٦ .
- (٢) دفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٥٢١١ ص ٢٢٧ من ناظر الجهادية إلى المهات في ٨ ربيع آخر سنة ٢٨٣ .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان الجهادية إلى ورشة التريزية وثيقة رقم ١٨٠٧ ص ١١٦ في ٤ شوال سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) .

نفرا (١) وأطلق عليهم اسم « بلوك التززية » ، (٢) .

وأصدر ناظر الجهادية اسماعيل سليم أمره بإنشاء ورشة لعمل البنادق كان يطلق عليها اسم (ورشة التوفكخانة) برئاسة رئيس البنادق شريف أغا ورفيق معه لتخريج صناع على أيديهما بهذا الفن (٣) ، ، على أن يمنح شريف أغا مرتبا شهريا قدره ٣٠٠٠ قرشا ومساعدته ١٥٠٠ قرشا (٤) . وكان يستعان أيضا بخبرة الصناع المدنيين في ورشة التوفكخانة . ونظرا لأن هؤلاء كانوا يتقاضون أجورا عالية إذا ما قيست بما يتناوله الجندي من أجر زادت بذلك تكاليف الانتاج ، وأصبحت قيمة الطليجة الواحدة المصنوعة محليا تزيد عن مثلتها المستوردة من أوروبا مع الفارق الكبير في الصناعة والجودة . ولهذا طالب ناظر ورشة التوفكخانة بإبطال صنعها للأسباب التي ذكرناها (٥) . كما كان لهذه الورشة مصلحة خاصة يطلق عليها اسم مصلحة التوفكخانة (٦) .

-
- (١) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى ورشة التززية وثيقة رقم ١٨١٠ من ١١٦ في شوال سنة ١٢٩٢ .
- (٢) دفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر بهيات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٣٨٩ في ١٠ شوال سنة ١٢٨٢ .
- (٣) محظلة ٣٥ (مكية تركي) وثيقة رقم ١٨١ من إسماعيل ناظر الجهادية إلى كاتب ديوان الحديو في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢ .
- (٤) المصدر السابق
- (٥) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر بهيات عسكرية وفروعه . وثيقة ٣٠٣١ في ٢٩ ذي القعدة ١٢٨٢ .
- (٦) محظلة ١٠ جهادية وثيقة هربية رقم ١٩٢ في ٣ صفر سنة ١٢٩ (١٨٧٣) .

كذلك أنشأت نظارة الجهادية ورشة لعمل الجبه خانات (الذخيرة) كان يطلق عليها اسم « ورشة الشفكخانة » (الخرطوش) أو « ورشة الفشكخانة والكبسورخانة (١) ». وكان الجنود القائمون بهذا العمل بالورشة يكونون أورطة من نحو الألف نفر . فأمر ناظر الجهادية في ٩ ربيع أول سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) بتقسيمها إلى خمسة أقسام كل قسم منها مكون من ٢٠٠ نفر عساكر وصف ضباط ، ويوزباشى (نقيب) واحد وملازمين اثنين (٢) . وذكر ماكون Mc Coan بأن مصانع البارود والخرطوش هذه كانت مزودة بأحدث الآلات (٣) .

ووجدت أيضا في عهد اسماعيل مدرسة أطلق عليها اسم ومدرسة الجبه جية (الذخيرة أو الجبه خانة) ، وكان يلحق بها الجنود لتعليمهم صناعة الذخيرة . ثم يجرى لهم امتحان يعين الناجح فيه بالجيش برتبة أسبران ، ويقوم بتعليم هذه الصناعة للجنود المراد إدخالهم فيها (٤) .

ويذكر أمين سامى بأن نظارة الجهادية أنشأت في يناير سنة ١٨٦٨ مدرسة تسمى وفرقة العمليات الجهادية . وكان عدد تلاميذها ٢٨ تلميذا . والمدرسة

(١) دفتر ١٩٢٧ (أواسر جهادية) وثيقة رقم ٤١ س ٤٦ في ١١ شوال سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) .

(٢) دفتر ١٧٧٦ ج ١ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى الجبله خانات وثيقة رقم ١٠٩٠ س ١٠٣ في ربيع أول سنة ١٢٩٢ (١٨٨٥) .

(٣) Mc Coan : Egypt as it is P . 100 .

(٤) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى الآليات المستعدة وثيقة تركية رقم ٢٩٤ س ١٣٠ في ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

مجانبة وتابعة لديوان الجهادية ومعدة لتخريب صناعات الأشغال اليدوية (١) ، ،
وربما كانت مدرسة الجبهة جبهة لإحدى أقسام هذه المدرسة .

كذلك أنشأت النظارة ورشة للطوبجيسة باسكندرية وأسندت إدارتها إلى
الباشمهندس جاكى (٢) بك ، ووكالتها إلى المسيو نيقولا وهو برتبة بكباشى
(مقدم) بترسانة الاسكندرية (٣) . وفيما يلي بيان بعدد الضباط والجنود القائمين
بالعمل في هذه الورشة (٤) :

يوزباشى (نقيب) واحد وملازم وناظر ومخزنجى . أما الجنود الصناع من
التجارين فيتكفونون من ٣٠ جنديا من العساكر الاسطوات ، ببلوك (فرقة)
الصناعية ، . و ٣٠ جنديا من العساكر الشغالة الواردين حديثا للبلوك ، .
وعدد الجنود الذين يشتغلون في أعمال الحدادة يتكفونون من ١٠ من العساكر
الاسطوات بالبلوك و ١٥ من العساكر الواردين حديثا للبلوك ، .

وفي سنة ١٨٧٦ كان بورشة آلاى (لواء) مدفعية الحرب التابع لفرقة الحرس

(١) أمين سائى . تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٢) دنتر ٥٣٩ (معية تركى) أسركريم إلى ناظر الجهادية وثيقة رقم ٧٦ ص ٨١ فى ١٤
محرم سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) . ومحفظة ٣٤ (معية تركى) من اساميل سليم ناظر الجهادية
إلى مهردار الحدبو فى ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ . ودقتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهيات عسكرية
وفروعه . وثيقة تركية رقم ٢٨٠٧ ص ١٥٩ من الجذاب المالى الى ناظر الجهادية فى ٨ ذى
القعدة سنة ١٢٨٢ (١٨٦٦) .

(٣) محفظة ١٠ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٢١٨ من الجذاب المالى الى ناظر
الجهادية فى ١٢ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) .
(٤) المصدر السابق .

المشاة ١٦٧ جنديا من الصناع ، وفي ١ جى طوبجية التابع لى ١ جى فرقة مشاة
٢٨٢ جنديا من الصناع ، وفي ٣ جى طوبجية التابع لى ٣ جى فرقة مشاة ١٤٢
جنديا يسكونون من الصناع أيضا (١) . وكان يطلق على هذه البلوكات (الفرق)
جميعها اسم « بلوكات الصنایعية » ، ويشرف عليه جاكى باشمهندس بلوك
الصنایعية (٢) ، والميرالای (العميد) جينيو (بك) وكيل أشغال باشمهندس بلوك
الصنایعية (٣) .

وأمر ناظر الجهادية فى ٣ ربيع أول سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بإدخال مشة نفر
للى ورشقى السروجية والمركوبجية (الجرمجية) « لاجل أن يتعلموا هاتين
الصناعتين (٤) » . ورؤى أن لابد لهاتين الورشتين من آلات قدرت أثمانها بمبلغ
١٣٣٤١ فرنكا . وكاف مأمور أركان حرب ميرششير (بك) بشرائها من
فرنسا (٥) . وفى ٢٥ يناير سنة ١٨٦٧ أحضرت الآلات وبرفقتها أسطى فرنسى
لإدارتها . وقد تعاقدت معه الحكومة لمدة تراوح بين ستة شهور وستة بمرتب
شهرى قدره ٢٠٠٠ قرشا . يضاف لىها مبلغ ٢٠ بنتو انققات سفره من فرنسا لى

-
- (١) مجله الجيش - المجلد التاسع . العدد ٣٦ (يناير ١٩٤٧) مقالة الأمير السابق عمر
طوحدون عن «حرب انصرب عام ١٨٧٦» ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .
(٢) دفتر بدون رقم (معية تركى) وثيقة رقم ٢٦ ص ٧٤ فى ١٢ ربيع آخر سنة ١٢٩٠
(١٨٧٣) .
(٣) دفتر بدون رقم (معية تركى) وثيقة رقم ١٢ ص ٥٥ أمر لى ناظر الجهادية فى ٢٥
ربيع ثانى سنة ١٢٩٢ (١٨٧) .
(٤) دفتر ٥٣٩ [معية تركى] وثيقة رقم ٧٨ ص ١١٦ أمر كريم لى ناظر الجهادية فى ٣
ربيع أول سنة ١٢٨١ .
(٥) المصدر السابق

الاسكندرية، وبصرف له مثلها عند عودته كذلك . وقام الأسطى المذكور بتدريب العساكر الصناعية على إدارتها (١) .

وذكر ما كون بأن مصانع فوة وبولاق كانت تضم ١٦٠٠ نفرا وكانت تنتج ٥٠.٠٠٠ طربوشا في العام لإمداد الجيش والأسطول بما يلزمه منها، ويبيع الباقي للجمهور. كذلك كانت تنتج سنويا ما قيمته ٣١٥.٠٠٠ جنينا أقمشة صوفية (من الجوخ)، وهي تشابه ما كان يشتري للجيش المصرية من الخارج (٢). فاعتمد ناظر الجهادية على مصانع مصر (ببولاق وبشبرا) في توريد ما يحتاج إليه الجنود (٣). وكانت الحكومة تدير مذبذبة كبيرة للأجود تخرج سنويا ما بين ٣٠.٠٠٠ و ٤٠.٠٠٠ قطعة من الجلد للأغراض الحربية (٤)، وهي ما كانت تعتمد عليه ورشتي السروجية والمركوبجية في إنتاجهما. ومن الورش الخاصة بالجيش أيضا ورشة الخيمية (٥)، وكانت تقوم بعمل الخيم اللازمة للجنود. وذكر اسماعيل سرهنك بأن نظارة الجهادية « أنشأت معملا تجاريا لصناعة الكاغد ببولاق. ومعملين لعمل الجوخ أحدهما ببولاق والثاني بشبرا، وبلغ عدد

(١) دفتر ٢٨٠٩ الأوامر الواردة إلى ديوان الجهادية في ٢٤ محرم سنة ١٢٨٤
١٨٦٧].

(٢) Mo Coan , Egypt as it is . P. 300

(٣) بحظنة ٤٧ [معية تركي] وثيقة رقم ٤٩، من ناظر الجهادية إلى شاعين كنج إلى رياض [معية] في ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٢٨٧ .

(٤) Mo Coan , Egypt as it is P. 303

(٥) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر مهيات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٣٦٧ . من ٧ محرم سنة ١٢٨٣ .

الصناع بها يؤمئذ ١٦١٢ عاملا ، وكان يصرف منها للعساكر البرية والبحرية . وأنشأت معملا للطرايش والبطانيات بفة . وأصلحت أيضا معمل القنذاق الذي كان باسكندرية ، ووسع نطاقه حتى كان يستهلك فيه سنويا لعمل الأسلحة أكثر من ٣٠٠٠٠ أقة من المعادن بين مسبوك ومطروق . ونظم ورش الحوض المرصود حتى بلغت درجة وافية المراد . فكانت تصب فيها المدافع وتصنع الأدوات والآلات الحربية للجيش . وشيد أيضا بطره معمل الأسلحة المسدسة أى المشخانة وخرط المدافع . وأصلح مصانع البارود حتى أشتهر ذكره في أطراف المسكونة (١) . . وبلغ من تفوق صناعة البارود بمصر أن أرسل المولى محمد بن عبد الرحمن سلطان مراکش بعثة من الصناع إلى مصر ليتعلموا فن الطباعة وصناعة البارود (٢) .

ولم تقتصر هذه المصانع على مصر وحدها ، بل كان بالسودان أيضا ومصانع لإصلاح الأسلحة والأدوات الحربية وعمل البارود (٣) . كما أنشئت بالسودان دار للصناعة في سنة ١٨٧٧ (٤) .

مرتبات «العساكر الصناعية»

اتبع في صرف أجور هؤلاء العساكر نظام خاص ، فكان يلحق د بيلوك الصناعية ، الأتقار الجدد بالدرجة الرابعة ، ويصرف للواحد منهم مرتب

(١) حقائق الأخبار . ج ٢ ص ٣١٤ . [السكند : الورق . والقنذاق : الجزء الحشبي من المدافع] ،
(٢) المصدر السابق ،
(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٤٣٧ .

ثمانية قروش في الشهر . ولا يجوز له أن يرقى إلى الدرجة الثالثة إلا إذا أمضى مدة ستة شهور على الأقل في الدرجة الرابعة ، وأجرى له امتحان ونجح فيه . ومرتب هذه الدرجة اثني عشر قرشا ، ولا يرقى إلى الثانية أو الأولى إلا إذا أمضى في الدرجة السابقة لها ستة شهور على الأقل ، ونجح في امتحان الترقية . ولا يجوز ترقية أى جندي من درجة إلى درجة أخرى أعلا منها إلا إذا نجح في امتحان الترقية مهما طال مدته في هذه الدرجة . ومرتب الدرجة الثانية ستة عشر قرشا ، والأولى عشرون قرشا (١) . ولا يرقى الجندي إلى الدرجة الأولى ما لم يكن تم اكتساب الصناعة تماما ويكون (وصار) أسطى (٢) .

كذلك لا يرقى من عساكر الدرجة الأولى إلى رتبة الإنباشى (عريف) إلا إذا اكتسبوا مهارة وخبرة تؤهلهم لهذه الرتبة ، ومرتبها ثلاثون قرشا (٣) . وهذه المرتبات شهرية وتصرف اليهم علاوة على مرتبات رتبهم العسكرية .

وفي سنة ١٨٧١ نلاحظ تغييرا في هذه المرتبات فتعد كان يصرف لهؤلاء الصناع علاوة على المرتب الشهري اليومية تبتدىء من القرش الواحد الى التسعين بارة لارباب الصنائع من العساكر ، كالبناء والتجار والتجارات

(١) دتر ٩٨٦ ج ١ صادر مهابت عسكريه وفروعه . وثيقة رقم ٨٤ من ١٧٢ من صادة الناظر الى مهابت عسكرية في ١٥ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

والمبيض والحداد... (١) . . . وهذه المرتبات تختلف عما كانت عليه الحال أيام محمد على إذ كان يدفع لهم عشرة قروش عن كل قصبه مسكوبة في أشغال العمليات . وأما في أشغال الاستحكامات والتقاطر وغيرها وكان يدفع لهم يومية قدرها عشرون بارة (نصف قرش (٣)) . . .

معاشات العساكر «الصناعية»

شمل الخديو هذه الطائفة بمظفه ورعايته ، وكفل لها الضمانات لمواجهة أعباء الحياة . فنظرا لخطورة الاعمال التي يقوم بها عساكر مصانع الذخيرة المختلفة ، وتعرضهم للموت في بعض الاوقات نتيجة للانفجارات والحرائق أصدرت الحكومة أمرا لناظر المالية في ٢١ شعبان سنة ١٢٨٣ (أواخر سنة ١٨٦٦) بأن « من الآن وصاعدا إذا كان - لايسمح الله - توفى أحد بالقضاء والاحتراق من زمرة الكبسولجية والجبه خانجية يصير معاملة ورثاهم مثل ورثة من يتفوقوا بالحرابة (في الحرب) بعينها (٣) .

وفي غاية جمادى أول سنة ١٢٩٣ (٢٢ يونية سنة ١٨٧٦) وافقت الحكومة على قانون المعاشات التي قام بوضعه (مجلس العسكرية) خاصا بقوات الجيش والبحرية . ونص القانون على أن يشمل « أرباب الصنائع ، والسروجية

(١) مخطوطة ٤٨ جهادية (معيه تركي) وثيقة تركية رقم ٢٢٠ من تاسم رسمي ناظر الجهادية الى المعية مهرداد الخديو في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فيليب جلاذ بك : فاموس الادارة والفضاء ج ٣ ص ٣٧٥ (معاش - ترجمة أمر عال صادرة لعودة ناظر المالية في ٢١ شعبان سنة ١٢٨٣ لمره ١٦) .

والغنداقية ، والتوفدكجية ، وصنائعية الطوبجية ، وخلافهم من الصنائعية (١) .
وقدرت المعاشات على الأساس التالي :

المعاش المقرر	مدة الخدمة بالسنة	المرتب
المرتب $\frac{1}{4}$	١٢	أقل من ١٠٠٠ قرشاً
» $\frac{1}{3}$	١٧	
» $\frac{1}{2}$	٢٢	
» $\frac{2}{3}$	٢٧	
المرتب بالكامل	٣٢	
المرتب $\frac{1}{4}$	١٥	أكثر من ١٠٠٠ قرشاً
» $\frac{1}{3}$	٢٠	
» $\frac{1}{2}$	٢٥	
» $\frac{2}{3}$	٣٠	
المرتب بالكامل	٣٥	

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٤٩ وما بعدها بصورة الأمر العالى الصادر على قانونه
معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها بتاريخ غاية جماد أول سنة ١٢٩٣ رقم ٤٢ يونه
سنة ١٨٧٦ نمرة ٩٤ لنظارة الماخليه .

الأسلحة والمعدات الحربية

لم تكن المصانع الحربية بمصر تستطيع انتاج جميع ما يلزم الجيش من معدات حربية ، بل كانت تتولى صنع المدافع والبنادق الصغيرة الحجم من نوع يقل جودة وإتقاناً عما كان يستورد من الخارج . وكانت الحكومة ترجو من وجود هذه المصانع أن تقوم بسد حاجيات الجيش من الأسلحة والعتاد الحربي إذا ما انقطعت عنه الواردات الخارجية من الأسلحة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تشجيع صناعة الأسلحة التي كان يراد لها أن تصل في يوم من الأيام إلى ما وصلت إليه هذه الصناعة في أوروبا . ولذا كان يعتمد على تسليح الجيش المصري اعتماداً كلياً على الخارج (١) . واقتصر العمل في مصنع البنادق على صنع القورنادات (القسم الخشبي من البندقية) فقط .

وكانت الحكومة تنتدب من قبلها مندوباً يتولى اختبار هذه الأسلحة في الخارج ، وعقد الصفقات مع مصانع الأسلحة التي يقع عليها الاختيار نيابة عنها . ويذكر عمر طوسون أن الخديو دانتدب حسن افلاطون لفحص المهمات الحربية التي تبتاعها مصر من إنجلترا ، وسافر اليها بوظيفة مفقش المهمات الحربية (٢) .

(٤) دفتر ٥٥٧ (سيرة تركي) رقم ١٠٤ من ١١٧ . أمر حكيم إلى ناظر الجهادية في ٩ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ (١٨٩٦) .
(٢) الأمير عمر طوسون : البعثات العلية في عهد محمد علي من ٢٩٧ .

وقد أرسل الخديو اسماعيل في سنة ١٨٦٤ خطاباً (١) إلى سفراء تركيا في إنجلترا ، والنمسا ، وبروسيا يلتمس منهم تقديم المساعدات الممكنة إلى أفلاطون (بك) في مهمته . وقد نشط أفلاطون (بك) في عمله نشاطاً كبيراً فاتفق في سنة ١٨٦٨ مع مصنع أرمسترونج بإنجلترا على صنع مدافع لحساب الحكومة المصرية . وكذلك وقع اختياره على البنادق الفرنسية من طراز شانسيو لاستعمالها في الجيش ، لأنها كانت أبعد البنادق مرمى في ذلك الوقت ، إذ تصل طلقاتها إلى مسافة ألف متر تقريباً (٢) . وقد أوصى أيضاً على صنع مايتي ألف بندقية منها (٣) .

ربدخول الضباط الأمريكيين في الجيش المصري تحولت مشتريات الأسلحة من فرنسا وإنجلترا إلى أمريكا ، وقد تولى الجنرال موط عهد كثير من الصفقات باسم الحكومة المصرية . وكانت الحكومة الفرنسية وقتئذ تحتكر سوق الأسلحة ، ولكن الخديو اسماعيل أبدى رغبته لتفصل أمريكا الجنرال وقتئذ المستر جورج بتلر في شراء ١٠٠ ألف بندقية من طراز رمنجتون ، والاعتماد على أمريكا في تزويد الجيش المصري بالأسلحة . وقد أبان له الدافع على هذا

-
- (١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة رقم ٥٧٩ من الجناح العالي إلى سفراء الدولة البلية في لندن وفيينا وبرلين في ٢ ربيع أول سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) .
- (٢) محفظة ٤٤ « مية ترك » وثيقة تركية رقم ٥٩ من حسن أفلاطون إلى المهرمار في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦ [١٨٦٨] .
- (٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة رقم ١٢ من الجناح العالي إلى الباب العالي في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦ [١٨٦٩] ودفتر ٤١ عابدين وثيقة رقم ٢٢٥ من الجناح العالي إلى كامل بك في ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٨٦ [١٨٧٠] .

الاجتهاد الجديد بأنه لا يثق في إنجلترا . كما أن التجار النمساويين قد غشوه فأرسلوا اليه مادة تشبه التراب بدلا من البارود . وعلى ذلك فلم يبق أمامه سوى الولايات المتحدة الأمريكية (١) . ولكن قامت بعض الصعوبات التي كان من شأنها تحديد كمية مشتريات مصر من أمريكا من الأسلحة والعتاد الحربي ، ومن هذه الصعوبات - عدم وجود مواصلات مباشرة بين مصر وأمريكا ، وكذلك صعوبة تحويل النقود ، ومثلها قلة السفن المعدة للشحن . وقد اقترح قنصل أمريكا الجنرال - جورج بتلر - على حكومته بأن تتولى شركة الباسفيك للملاحة Pacific Mail Steam لإنشاء خط بحري بين نيويورك والاسكندرية لتسهيل الاتصال التجاري بينهما ، حيث أن مصر تعتبر سوقا حيويا للأسلحة والآلات الأمريكية (٢) .

وفي أول نوفمبر سنة ١٨٧٠ قدم الجنرال موط إلى شريف (باشا) ناظر الداخلية قائمة بمشتريات الحكومة المصرية من الأسلحة الأمريكية ويتضمن شراء ٨٤ مترليوزا بركاؤها و٨٤ طقما للخيول و ١٦٨ ألف رصاصة ومترليوزين من كندا . وقد بلغ قيمتها ٥٠٠٠٠ جنيهها مصريا (٣) .

وتعاقد (٤) الجنرال موط في سنة ١٨٧١ أيضا مع أحد المصانع الأمريكية

1 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 32 Butler to Fish in Dec. 30. 1870.

(٢) المصدر السابق ص .

3 - Abdin. Corrsp. franc. Doss 50/7 Materieux de guerre en ler Nov., 1870.

4 - Abdin. Corrsp. franc. Doss 50/7 Materieux de guerre en juillet, 1871.

على توريد ٥٦٦ طبنجة عرفت باسم Colt Pistol بسعر ٤١٥٠ دولارا للطبنجة الواحدة على سنبل التجربة ، وهي من الطابنجات المستعملة فى الجيش الأمريكى .

وبلغت قيمة المشتريات من الاسلحة الامريكىة من ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٩ لى أوائل ابريل سنة ١٨٧١ مبلغ ٤٨٨٤٩/٧/٦ جنيا انجليزيا أى ٢٦٦٥٩٢١١ دولاراً (١) . وقد كانت جميع هذه الاسلحة تستجلب إلى مصر سرا ، وبدون علم الباسب العالى (٢) . وكلفت الحكومة المصرية الاميرالاي (العميد) فرانك رينولدز الأمريكى F. Renolds بالبقاء بنيويورك لفحص الاسلحة التى تماقت الحكومة المصرية على صنعها بمصانع الاسلحة الامريكىة (٣) . ولما توفى رينولدز فى سنة ١٨٧٥ طلبت الحكومة المصرية من قنصل أمريكا الجنرال بمصر رسميا تكليف حكومته باختيار أحد ضباطها المقيام بهذه المهمة (٤) .

كذلك اتتدبت الحكومة المصرية الضابط أرندروب A. Arendrup ضابط مدفعية سابق بخدمة صاحب الجلالة ملك الدانمرك فى توقيع عقد تجارى

- (1) Abdin. Corssp. Fran. Doss 50/7 Materieux de guerre en Mai, 1870.
- (2) Abdin. Corrsp. Fran. Doss.50/7 Materieux de guerre en Mars, 18. 1873.
- (3) Abdin . Amr . Vol. 11 despt. No. 371 in Oct . 20, 1875 .

(٤) المصدر السابق .

نيابة عنها مع مصنع فينزونند Finspond بالسويد ويمتلكه شخص يدعى كارل إكمان Carl Ekman ، ويشتمل العقد على ستة بنود يتعهد صاحب المصنع فيها بعمل مدفع على سبيل التجربة من دينار ٢٨٠٥٥ من الحديد المطروق المشمشن ، ويبلغ وزنه ٢٣٠٧٠٠ كيلو جراماً ، وتكاليفه ١٤٠٠ جنياً . وإذا حاز هذا المدفع قبولا لدى الحكومة المصرية يتعهد المصنع بالقيام بصنع ما تطلبه الحكومة من هذا النوع (١) .

والتجأت الحكومة المصرية إلى ألمانيا كذلك لشراء ما يلزمها من الأسلحة من مصانع كروب . فقد أوصت المصانع المذكورة على صنع خمسمائة مدفع ، وأصدرت أمرها إلى مصطفى فهمى محافظ مصر الذى كلف بالإشراف على شحن هذه المدافع من ألمانيا بضرورة التنبيه بصورة مؤكدة على المسيو كروب أن يخفى ويكتم كيفية نقل مدافعنا إلى الإسكندرية (٢) .

وبما ذكرت سابقاً تبين أن الخديو اسماعيل طلب الأسلحة أينما وجدت سواء فى العلانية أو الخفاء ، ولم يقف فى طريقه سوى الاضطراب المالى الذى أصاب خزينة البلاد فى أواخر سنى حكمه . فنجد أن المستر رمنجتون يحضرنفسه إلى القاهرة ويرسل التماساً (٣) إلى الخديو اسماعيل يطلب فيه صرف مبلغ

1 - Abdin. Corrsp. fran. Doss. 50/7 Materieux de guerre en Avril 19, 1871.

(٢) أمين سامى باشا . تقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ من ١٠٩٩

2 - Abdin. Corrsp. fran. Doss 50/7 Materieux .. en Juin 2, 1876.

٧٥٩٢٤/١٤ جنيهان انكليزيا ثمن الاسلحة التي أرسلت الى الحكومة المصرية .
ولما لم يستطع المستر رمنجتون صرف المبلغ المطلوب اتصلت الحكومة
الأمريكية بقنصلها الجزائر بمصر المستر فارمان E.E. Farman في ٢ أغسطس
سنة ١٨٧٦ ، بضرورة تقديم المساعدة اللازمة للمستر رمنجتون بالاتصال
بالحكومة المصرية في هذا (١) الشأن . ورغم ذلك تأخر صرف هذا المبلغ الى
سنة ١٨٧٨ . وهذا راجع بطبيعة الحال الى الإرتباك المالى الشديد ، وتدخل
النفوذ الأجنبي فى الإدارة وقضى هذا التدخل على حركة التسليح ، فانعدم
المسترد منها من الخرج ، وشلت حركة المصانع الحربية المحلية .

الفصل الثامن
ديوان الجهادية وفروعه

ديوان الجهادية وفروعه

أنشئ هذا الديوان لأول مرة في عصر محمد على سنة ١٢٢٧ (سنة ٢١ - ١٨٢٢) ، وهو أحد دواوين سبعة أنشأها محمد على لإدارة شئون مصر ، ويرأسه ناظر الجهادية . وتنحصر وظيفته في تلقي الأوامر التي يصدرها إليه الوالي والإشراف على تنفيذها . ويختص الديوان بإدارة شئون الجيش من حيث التعليم ، والتدريب ، والتسليح ، وبناء الثكنات العسكرية ، والمستشفيات ، وشراء المقاتل والذخائر اللازمة له . وكان يعاون ناظر الجهادية اثنان من الكتبة الأقباط يقومان بتحرير الرسائل الضرورية لفروع إدارة الجيش وأسلحته (١) . وأول من ولى هذا المنصب محمد (بك) لآظ أوغلو . فتشكيل هذا الديوان لإذآ قد روعيت فيه البساطة في التكوين، والسرعة في التنفيذ ، وهو ما كانت تهدف إليه الحكومة .

وظل الديوان قائماً طوال عصر عباس والنصف الأول من عصر سعيد ، إذ شاعت أهواء سعيد المتقلبة لإلغائه في ٢٥ شعبان سنة ١٢٧٤ (مارس سنة ١٨٥٨) . ثم أعيد إلى الوجود مرة أخرى بعد عام أو عامين (٢) .

وفي عصر اسماعيل استمر ديوان الجهادية يقوم باختصاصاته السالفة الذكر إلى أن وضع الجنرال أستوان - رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى - فى

(١) ذكرى البطل ابراهيم «باشا» . مجلة القانمقام عبد الرحمن زكى عن «الجيش الذى قاده ابراهيم باشا» ص ١٦٦ .
(٢) تاريخ التعليم فى مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٢١١ .

سنة ١٨٧٣ لائحة جديدة^(١) تنظم العلاقة بين فروع نظارة الجهادية المختلفة، وتبين اختصاص كل منها، ومدى تعاونها مع بعضها، لتعمل جميعها كوحدة منسجمة. وفيما يلي بيان بأهم ما ورد بهذه اللائحة :

ناظر (وزير) النظارة

هو الرئيس الأعلى للنظارة (الوزارة) وهو مستقل في نظارته كل الاستقلال، أى لا توجد بين نظارته وباقي النظارات الأخرى رابطة قوية. ويرجع في كل ما يخص النظارة إلى الوالى مباشرة . وظل هذا النظام متبعاً حتى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨، حيث شكلت أول نظارة مسؤولة بناء على توصيات لجنة التحقيق^(٢). ولإليك بيان بأسماء نظار الجهادية الذين تولوا شئون هذه النظارة فى الفترة^(٣) ما بين سنة ١٨٦٣ ، ١٨٧٩ :

(١) Abdin. Corresp. Fran. Doss. No. 50/I Organisation proposée du Ministère de la guerre sans date

(٢) الوزارات المصرية ص ٤٨ .

(٣) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٤٩٤-٨٨١ و ٨٥٥ .

ملاحظات	تاريخ الاضلال	تاريخ التعيين	الوظيفة	الاسم
أقيمت الرسالة من أول باه سنة ١٥٨١ (أكتوبر ١٨٦٥).	٨ جاد أول ١٢٨١ (أكتوبر ١٨٦٤)	٣ شعبان ١٢٨٠ (يناير ١٨٦٤)	ناظر البحرية ومفتش التارويقات والابورات	عبد اللطيف (باشا)
وأقيمت البحرية إلى ديوان الابرورات من ١٢ جادى الأول ١٢٨٢	١٥ ١٢٨١ جاد أول ١٢٨٢ (أكتوبر ١٨٦٥)	٩ جاد أول ١٢٨١ (أكتوبر ١٨٦٤)	ناظر البحرية	•
وفضلت البحرية من الابرورات بعد ذلك من ١٣ صفر ١٢٨٣.	١٣ صفر ١٢٨٣ (أواخر يونيو ١٨٦٢)	١٦ جاد أول ١٢٨٢ (أكتوبر ١٨٦٥)	ناظر الابرورات والبحرية	احمد نوري (باشا)
	١٣ جاد آخر ١٢٨٥ (سبتمبر أكتوبر ١٨٦٨)	١٣ صفر ١٢٨٣ (أواخر يونيو ١٨٦٢)	ناظر البحرية	عبد اللطيف (باشا)
وكان سردار الجنود وحافظ القلاع وصفت البحرية إلى الجهادية من ١٢ جاد آخر ١٢٨٥.	٦ رمضان ١٢٨٧ (نوفمبر ديسمبر ٧٠)	٢١ رجب ١٢٨٤ (نوفمبر ١٨٦٧)	ناظر البحرية	الترقي شاهين (باشا)

ملاحظات	تاريخ الانفصال	تاريخ التعمير	الوظيفة	الاسم
وجهت البحرية فقرة فقرة بالنام من ٧ رمضان ١٢٨٧	٦ رمضان ١٢٨٧ (وقفه ديسمبر ٧٠)	٢٢ حاد آخر ١٢٨٥ (أكتوبر ١٨٦٨)	ناظر الجهادية والبحرية	الفرق شاهين (أنا)
	٨ شعبان ١٢٩٠ (سبتمبر أكتوبر ٧٢)	٧ رمضان ١٢٨٧ (ديسمبر ١٨٧٠)	ناظر الجهادية	فاسم رسمي (أنا)
	٧ ربيع أول ١٢٩٢ (أبريل ١٨٧٥)	٩ شعبان ١٢٩٠ (أكتوبر ١٨٧٢)	ناظر الجهادية	دو لوق حسين كامل (أنا)
تمت البحرية للجهادية	٣٠ رجب ١٢٩٢ (سبتمبر ١٨٧٥)	٨ ربيع أول ١٢٩٢ (أبريل ١٨٧٥)	ناظر الجهادية والبحرية	.
	١١ شوال ١٢٩٣ (أكتوبر نوفمبر ٧٦)	٢٤ شعبان ١٢٩٣ (سبتمبر ١٨٧٦)	ناظر الجهادية والبحرية	.

ملاحظات	تاريخ الانفصال	تاريخ التعيين	الوظيفة	الاسم
	٢٨ شبان ١٨٩٥ (أغسطس ١٨٧٨)	٢٠ شوال ١٢٩٣ (نوفمبر ١٨٧٦)	ناظر الجهادية	الأخير حسن (أنا)
	١٠ رجب ١٢٩٢ (يونيو ١٨٧٩)	١٢ شوال ١٢٩٥ (أكتوبر ١٨٧٨)	مردز الجيش المصري	• •
	٢٦ ربيع أول ١٢٩٦ (مارس ١٨٧٩)	٢٩ شبان ١٢٩٥ (أغسطس ١٨٧٨)	ناظر الجهادية والبحرية	محمد راتب (أنا)
	١٤ ربيع ثاني ١٢٩٦ (أبريل ١٨٧٩)	٢٧ ربيع أول ١٢٩٧ (مارس ١٨٧٩)	ناظر الجهادية والبحرية	حسن افلاطون (أنا)
	١٠ رجب ١٢٩٦ (يونيو ١٨٧٩)	١٥ ربيع ثاني ١٢٩٦ (أبريل ١٨٧٩)	ناظر الجهادية والبحرية	الفرق جاهين كنج (أنا)

وكيل النظارة^(١)

يشغل وظيفة رئيس المراقبة والحسابات ، وله السلطة النهائية في كل ما يتعلق بالمراقبة المالية . ولا يتدخل في الأعمال الإدارية إلا في حالة غياب الناظر فقط ، حيث يتولى تصريف أمور النظارة في حدود اختصاصات الناظر ، فيما عدا إصدار الأوامر المتعلقة بنظام الجيش وموظفيه .

مكتب مراقبة الحسابات^(٢) Bureau de Controle

يرأس هذا المكتب وكيل النظارة ويعاونه ثلاثة ضباط : الأول برتبة أميرالاي (عميد) والثاني برتبة قائمقام (عقيد) والثالث برتبة قومندان ومعهم أربعة كتبه من الدرجة الأولى . ويختص هذا القسم بمراجعة الحسابات النهائية لفروع الإدارة ، وسلاح خدمة المهندسين ، وقسم الخدمات الصحية والمدفعية ، وكذلك مراقبة ومراجعة كل المبالغ المنصرفة لحساب الجيش .

مكتب وثاسة هوم أركان حرب

قد بنا ما اشتمل عليه من أقسام ، واختصاص كل قسم منها في الفصل الخاص بهيئة أركان حرب الجيش المصري .

مكتب قسم المهندسين^(٣) Bureau de Génie

يرأسه ضابط برتبة جنرال ويعاونه ضابطان عظيمان وثلاثة ضباط برتبة

1 - Abdin, Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organisation proposée sans date .

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

يوزباشى (نقيب) وثلاثة برتبة الملازم ، وأربعة كتبه- برتبة صف ضابط .
ويختص هذا القسم بإنشاء الحصون والاستحكامات بجبهات القطر المختلفة
والعمل على صيانتها . وكذلك يقوم بشراء جميع مواد البناء والآلات اللازمة
للاستحكامات ، والخدمات سلاح المهندسين . ومن اختصاصه أيضا المراجعة
الأولى لحسابات الضباط المسكفين بأعمال سلاح المهندسين .

مكتب (قسم) الإدارة (١) Bureau d ' Intendance

يرأس هذا القسم مدير الإدارة ويتكون المكتب من ثلاثة فروع :

الفرع الأول وبه أميرالاي (عميد) وضابط عظيم وأربعة يوزباشيه- (رواد)
وأربعة كتبه برتبة أسبران .

ويختص هذا الفرع بتعليم أصول الإدارة وكل ما يتعلق بالثكنات
العسكرية ، والملابس ، والنقل ، وكذلك مراجعة جميع الحسابات المقدمة-
من ضباط الإدارة في كل ما يتعلق بالموضوعات السالفة الذكر .

الفرع الثاني ويقوم بالعمل فيه ضابط برتبة أميرالاي (عميد) وضابط عظيم
ويوزباشيان (نقيبان) وثلاثة كتبه- برتبة أسبران . ولا تعرف شيئا
عن اختصاصاته .

الفرع الثالث ويتكون من أميرالاي (عميد) وضابط عظيم ويوزباشى
(نقيب) وثلاثة كتبه- برتبة أسبران . ويقوم هذا الفرع بصرف

مرتبات الجيش ، وكذلك بالمراجعة الأولى للحسابات المقدمة من متعهدى الجيش .

مكتب (قسم) المدفعية Bureau d'Artillerie

يشرف على هذا القسم ضابط برتبة جنرال ، ويعاونه ضابط عظيم ، وثلاثة يوزباشية (نقيب) وملازمان ، وثلاثة كتبه- برتبة صنف ضابط . ويقوم هذا القسم بشراء وحفظ وتوزيع المهات الجديدة التي ترد للجيش ، وكذلك الذخائر من مدافع ، وأسلحة نارية ، وأسلحة بيضاء ، وأطقم لخيول سلاح المدفعية والسوارى . وكذلك يقوم بمراجعة الحسابات المقدمة من الضباط الذين يتولون عملية شراء هذه الأسلحة .

مكتب الخدمات الصحية^(١) Bureau de Service Sanitaire

يشرف عليه حكيمباشى الجيش المصرى ويعاونه حكيمان برتبة قائمقام (عقيد) الأول يقوم بوظيفة مفتش ، والثانى بوظيفة وكيل المكتب . وينضم اليهما حكيم ثالث برتبة قومندان ، وحكيمان برتبة يوزباشى (نقيب) ، وثلاثة كتبه- برتبة صنف ضابط أو أسبران .

ويتولى الرئيس الاشراف على الخدمات الطبية للجيش المصرى وتوجيهها الوجهة الحسنة . ويقوم مكتبه بتوزيع الاطباء على وحدات الجيش المختلفة ، وكذلك بشراء وحفظ وتوزيع الادوية اللازمة للجيش ، وكذلك نقالات الاسعاف ، والآلات الطبية اللازمة للمستشفيات العسكرية . ويقوم المكتب

(١) المصدر السابق

أيضا بتلقى التقارير ومراجعة الحسابات الخاصة بالخدمات الطبية .
ورؤساء المكاتب أو الأقسام المشار إليها سابقا مسؤولون أمام ناظر الجهادية ،
وعليهم مراجعة حسابات أوسامهم بكل دقة ثم إرسالها إلى مكتب المراقبة
(الكنترول) . وكذلك يقوم هؤلاء الرؤساء بتقديم كشوف شهرية بالاعتماد
المالى اللازم لأقسامهم إلى سعادة ناظر الجهادية لفحصها وإقرارها .

وبتأليف نظارة نوبار في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٥ (٢٨ أغسطس ١٨٧٨)
منح الحديو اسماعيل الناظر حق إختيار موظفي المناصب العالية اللازمين لإدارته ،
على أن يعرض عليه للتصديق عليهم . وأما الوظائف الصغيرة فتركت لتصرف
الناظر وحده .

وفي ١٠ ديسمبر (١) سنة ١٨٧٨ حدد إختصاص كل نظارة ، ومنها نظارة
الجهادية . وفيها يلي بيان بإختصاصات نظارة الجهادية والبحرية وقتئذ :

الإدارة العمومية بمركز - ماهيات العسكرية البرية والبحرية - المهمات
العسكرية - المأكولات والنخائر والعلف - الملبوسات - ملاحظة القشلاقات -
المخازن العسكرية - الاستتاليا العسكرية - ملاحظة السفن الميرية - المدرسة البحرية
قومندانة السويس - وظيفة ديوان المعارف والأوقاف - الإدارة العمومية
بمركز النظارة - المدارس الميرية فيما عدا المدارس الحربية والمدرسة البحرية -
الارساليات المصرية - المدارس والمكاتب الأهلية وما يلزم لها من الإعانة .
وكانت المراسلات المتبادلة بين دواوين الحكومة المختلفة تكتب باللغة
التركية . ولكن عندما ساءت العلاقات بين مصر والباب العالى فى سنة ١٨٦٩ ،

(١) فاموس الإدارة والقضاء ج ٣ ص ٨٣٥ و ٨٣٦ .

أصدر الخديوي اسماعيل أمرا إلى جميع دواوين الحكومة بوجوب إستعمال اللغة العربية في كتاباتها ومراسلاتها . وقد لقي هذا الأمر لإعتراضا من جانب شاهين كنج ناظر الجهادية والبحرية إذ أن جميع الضباط العظام من الأتراك لا يعرفون اللغة العربية ، فمن المتعذر إذآ التخاطب معهم بالعربية . وقد وافق الخديوي (١) على استعمال اللغة العربية في المكاتبات المتبادلة بين ديوان الجهادية وسائر الدواوين الأخرى فقط . أما التقارير والمراسلات التي تتبادل بين ديوان الجهادية وضباط الجيش العظام فتكتب باللغة التركية .

مجلس العسكرية

عندما ازداد عدد قوات الجيش المصري واتسعت إدارته قامت الحكومة في سنة ١٨٧١ بإنشاء مجلس العسكرية ، أملا بمحصول السير والتسهيل وسرعة إيفاء أمور الجهادية ومصالحها نظرا لكثرتها وأهميتها (٢) . وأسندت رئاسته إلى مصطفى عاكف وكيل الجهادية ، وعضوية كل من حسين (بك) أميرالاي (عميد) مدفعية السواحل الثاني وأحمد شكرى (بك) أميرالاي (عميد) السوارى الأول من الفرقة الثانية ، ومحمد أمين (بك) أميرالاي (عميد) البيادة الرابع من الفرقة المذكورة (٣) .

مستشار نظارة الجهادية

كذلك رأت الحكومة تعيين مستشار لنظارة الجهادية في ٧ محرم سنة ١٢٩٤

-
- (١) محظلة ٩ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٢٠٠ من الجناح المال إلى ناظر الجهادية في ٢٨ شوال ١٢٨٦ .
(٢) محظلة ١٠ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٣٠ من الجناح المال إلى ناظر الجهادية في ربيع الأول سنة ١٢٨٨ .
(٣) المصدر السابق .

(أوائل ١٨٧٧) ووقع اختيارها على عبد الله عزت رئيس مجلس شورى النواب ولاهليته، واستقامته، ولاتحاده مع دولة ناظر الجهادية في إدارة الحضانات، وتمشية أشغال النظارة (١) . ومنحته مرتبا شهريا قدره ١٢٥٠٠ قرشا (٢) .

مجلس الجهادية

إختص هذا المجلس بالنظر في القضايا بين أفراد الجهادية بعضهم وبعض ، وأما القضايا التي تنشأ بين مدنيين وعسكريين فتتولى نظرها المجالس المحلية (٣) . ويصدر المجلس أحكامه إما بالحبس ، أو بتزليل الرتبة . أو بكليهما ، أو بالاعدام ، أو بالنقل إلى السودان لمدة معينة حسب نوع الجريمة التي أقرتها ، والعقوبة التي يستحقها ، طبقا لما نص عليه قانون العقوبات العسكرية . وكانت عقوبة الطرد من الخدمة من العقوبات التي توقع على ضباط الجيش . ولكن قامت الحكومة بإلغائها ومعاقبة الجاني بما يستحقه من عقاب (٤) .

كما كانت نظارة الجهادية تحرم على ضباط الجيش الجلوس بالمقاهي والحانات وأندية الميسر . وتفرض على كل من يخالف هذه التعليمات عقوبات صارمة

-
- (١) دفتر (معية تركي) بدون رقم وثيقة تركية رقم ٦ ص ٢ أمر كريم إلى عبد الله عزت في ٧ محرم سنة ١٢٩٤ .
(٢) دفتر (معية تركي) بدون رقم وثيقة تركية رقم ٧ ص ٢ أمر كريم إلى ناظر الجهادية في ٧ محرم سنة ١٢٩٤ .
(٣) قاموس الإدارة والقضاء ج ١ ص ٧٠٧ (أمر عال صادر في سنة ١٨٧٠) .
(٤) محظلة ١٠ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٠٣ من الجناب العالي إلى ناظر الجهادية في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) .

حرصا على سمعة الجندي المصرى وكرامته (١) .
كذلك قصرت نظارة الجهادية الترقية على من يعرفون القراءة والكتابة من الضباط (٢) ، وذلك تشجيعا لنشر العلم بين صفوف الجيش . وكافأت (٣) الضباط المجتهدين الذين قاموا بنقل بعض الكتب الأوربية إلى العربية . بتريقات تتناسب مع ما بذلوه من جهد .

ميزانية نظارة الجهادية

لا يستطيع الباحث أن يعطى صورة كاملة وواضحة لميزانية نظارة الجهادية في تلك الفترة وذلك لتباين المعلومات التي يستقيها الباحث من الوثائق المختلفة عن السنة الواحدة . فميزانية السنوات من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٥ غير معروفة بالضبط . أما في سنة ١٨٦٦ نجد أن قيمة ما هيأت وتعيينات وكساوى ومصروفات العساكر - قرشا كريمة - بديوان الجهادية بلغت ١٧ ٤٧٤ ٨٦١٥٩ (٤) .

وفي سنة ١٨٦٨ نشر أول إحصاء (٥) وسمى عن ميزانية الحكومة المصرية في

-
- (١) محفظة ٨ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ١٢٧ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية في ٢٨ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) .
(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ٢٤٨ ص ١١٦ أمر كريم إلى ناظر الجهادية في ٦ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ .
(٣) محفظة ١٠ « أوامر جهادية » وثيقة رقم ١٣٤ أمر كريم إلى ناظر الجهادية في ١٢ ربيع ثانى سنة ١٢٨٩ « ١٨٧٢ » .
(٤) دفتر ١٩٢٤ « أوامر جهادية » وثيقة رقم ٢ ص ٨ أمر إلى سردار عساكر مصر في ١٧ جاد ثانى سنة ١٢٨٣ .
(٥) Abdin * Amr , vol.4 despt . No . 124 . Cairo in June 6. 1868.

ملحق التقرير الذى قدم لمجلس شورى النواب عن ميزانية سنة ١٥٨٥ قبطية (١٨٦٨ م) بلغت قيمة المصروفات فى تلك السنة ٧٩٠٠٠٠ ر ٣٦٠٠٠ دولارا ، كان نصيب نظارة الجهادية والمدارس الحربية منها تبلغ ٣٥٠٠٠٠٠ دولارا ، وديوان البحرية والترسانة البحرية ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولارا (١) أى ما يقرب من ثمن مصروفات الدولة خصص للناحية الحربية .

كما كانت نظارة المالية ترسل إلى السودان كل عام ثلاثين ألف كيسة (٧٥٠٠٠٠٠ دولارا) لإدارة شؤونه والصرف على الموظفين والجيش هناك (٢) . هذا فضلا عما كان يجي من الضرائب فى السودان .

وفى سنة ١٥٨٧ قبطية (٧٠ - ١٨٧١ م) بلغ ترتيب (مربوط) ماهيات ومصروفات الآليات والمدارس الحربية والمصالح وفروع الجهادية وديوان كيسة العموم ١٠٦٤٨٦ ر ١٠٠٠٠ (٥٣٢٠٤٢٠ جنيها مصريا) ، وترتيب البحرية وملحقاتها كيسة مبلغ ١٣٠٠٠٠ (٣) (الكيسة خمسة جنيهات مصرية) .

وصدر فى سنة ١٥٩٠ قبطية (٧٣ - ١٨٧٤ م) بيان رسمى آخر عن الميزانية (٤) السنوية للحكومة المصرية ، بلغ نصيب نظارة البحرية والبحرية منها مبلغ ٣٩٧٣٠١٩٠ دولارا . ومنذ سنة ١٨٧٣ أصبحت ميزانية نظارة الجهادية

(١) المصدر السابق .

(٢) Abdin Amr · Vol 8 despt . No . 145 , Cairo in Oct . (2)

24 1869

(٣) محفظة ٤٧ (٥٦٠٠٠٠) وثيقة رقم ٦٤٤ من ناظر الجهادية والبحرية عامين كنج

إلى لمية مهردار الجديو فى ٨ شعبان سنة ١٢٨٧ .

١٥٠٠٠٠٠ كيسة (٧٥٠٠٠٠٠ جنيهاً) . ونظرا لإتساع حركة الفتح في السودان، وإنتشار القوات المصرية في دارفور وخط الاستواء وهرز وجوبا ... هذا بالإضافة إلى الحملة التي سبقتها الحكومة المصرية إلى الحبشة في سنة ١٨٧٥، وما أنفق على الأسلحة والمهمات العسكرية، وما أنشئ من المصانع والشركات والسكك الحديدية، وعلى بعثات أركان حرب، فلم يكن هذا المبلغ وافيا بتدبير أمر الجهادية في أية سنة من السنين (١) ، وكان موضع شكوى من قبل نظارة الجهادية والبحرية إذاك . فطلبت تأليف لجنة من ذوى المكانة والخبرة لإجراء تحقيق دقيق في الميزانية المخصصة لنظارة الجهادية، وما تقوم به من التزامات، ثم التوصية بتقدير ميزانية ثابتة لها تفي بمطالبها، وما ينتظر أن تقوم به من أعباء (٢) . ولما كان مبلغ المائة وخمسين ألف كيسة لا يفي بمصروفات النظارة لجأت إلى طلب إعتادات إضافية لتغطيه أبواب المصروفات . ولهذا لا يستطيع الباحث أن يحدد بالضبط المصروفات الفعلية للنظارة إذا أمكنه معرفة المربوط السنوي لها .

(١) محفظة ٥٣ (معية تركي) وثيقة تركية رقم ٢٣ من حسين كامل باشا نجل الخديو اسماعيل إلى والده عن مصروفات الجيش في ٢ صفر سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) .
(٢) المصدر السابق

مراتب الضباط والجنود

أنشأت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر جيشا نظاميا على نمط الجيش الفرنسي ، وعملت على الارتفاع بمستواه ما استطاعت الى ذلك سبيلا . فلكى توفر لأفراد هذا الجيش حياة طيبة مستقرة ربطت لهم مراتب شهرية يتقاضونها وجرايات معينة تصرف لهم تبعا لرتبهم العسكرية . ويحسن أن نلم إلمامة سريعة بمراتب هؤلاء الجنود لكى نعرف مدى تطورها في العهود التالية.

وفيما يلي جدول بهذه المراتب ننقله عن تقرير المستر (١) بورنج :

م	٢٥٠	كيسا في السنة (١٢٥٠)	م	مير لواه (أمير لواه)
م	٢٠٠	د (١٠٠٠)	م	الميرالاي (عميد)
م	٦	أكياس في الشهر (٣٠)	م	القائمقام (عقيد)
م	٥	د (٢٥)	م	البيكباشي (مقدم)
	٩٠٠	قرشا في الشهر.		محاسب أول
	١٢٥٠	د		الصاغ قول أغاسي (رائد)
	٥٠٠	د		اليوزباشي (نقيب)
	٦٠٠	د		د (في المدفعية)
	٣٠٠	د		الملازم الأول
	٣٦٠	د		د (في المدفعية)

(١) تقرير المستر جون بورنج معرب في كتاب بناء دولة مصر محمد علي للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين ص ٤٧٧

قرشا في الشهر	الملازم الثاني
٢٥٠	د د (في المدفعية)
٣٠٠	د د الباشجاويش (رقيب أول)
٤٠	د د الجاويش (رقيب)
٣٠	د د الأماشي (عريف)
٢٥	د د الجندي النفر
١٥	د د

وفي الحرس كان كل ضابط يتقاضى مرتب الدرجة التي تعلق درجته .

الرتب بعد عهد محمد علي

اعتبرى مرتبات الجيش من عهد محمد علي الى أوائل عهد اسماعيل كثير من التعديلات ، سواء أكانت بالزيادة أم بالنقص ، وذلك تبعاً للظروف المالية للبلاد . ففي عصر سعيد مثلاً نجد أن لسياسته في إلغاء الاحتكار وتنظيم لوائح الأتليان، وتعديل بعض الضرائب، وإلغاء البعض الآخر أثرها في مرتبات الجنود، فقلت (١) عما كانت عليه في عصر محمد علي . وفيها يلي بيان بمهاميات الرتب المختلفة بالجيش في عهد سعيد :

٥٠٠٠	قرشا في الشهر	ميرالاي (عميد)
٢٧٠٠	د د	فأتمقام (عقيد)

(١) شمل تخفيض الرتب من الصاعقول فما فوق وزادت مرتبات الملازمين الأوائل واليوزباشية و أما مادون ذلك من الدرجات فبقيت مرتباتها كما هي .
(٢) دفتر ٣٥٩ (معه تركي) أمر رقم ٤٧ س ٨٦ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٨٠ .

٢٢٥٠ قرشا في الشهر	بكباشى (مقدم)
» » ١٠٠٠	صاغقول (رائد)
» » ٥٤٠	يوزباشى (تقيب)
» » ٤٠٠	ملازم أول
» » ٣٠٠	» ثان
» » ٧٥	صولقول (مساعد)
» » ٤٠	باشجاوليش (رقيب أول)
» » ٣٠	جاوئيش وبلوك أمين (رقيب وأمين)
» » ٢٥	أومباشى (عريف)
» » ١٥	نفر

ولكننا نجد أن هذه المرتبات أيضا قد أدخل عليها تعديل في عصر اسماعيل، فنجد ولايته حتى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ (يونيه سنة ١٨٦٤) كانت المرتبات كالآتي (١):

٥٠٠٠ قرشا في الشهر	ميرالاي (عميد)
» » ٣٠٠٠	فانمقام (عقيد)
» » ٢٥٠٠ } (٢)	بكباشى (مقدم)
» » ١٥٠٠ }	صاغقول (رائد)

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركي) أمر رقم ٤٧ ص ٨٦ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٢٤ ذى القعدة ١٢٨٠ (مايو سنة ١٨٦٤) .
(٢) زيدت مرتبات البكباشية والصاغقولات الى هذا القدر في القدر ١٨ رمضان سنة ١٢٧٩ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٢٥٢ في ١٨ رمضان سنة ١٢٧٩ .

٤٠٠	قرشا في الشهر	يوزباشى (نقيب)
د	د	ملازم أول
د	د	د ثان
د	د	صولقول (مساعد)
د	د	باشجاويش (رقيب أرل)
د	د	جاويش (رقيب)
د	د	أونياشى (عريف)
د	د	نفسر

وجدت الحكومة أن مرتبات صفار الضباط ومساعديهم ضئيلة ولا تتناسب مع ما هو ملق على كاهلهم من أعباء ، فقررت (١) في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) أن تصرف لليوزباشى (نقيب) مرتبا شهريا قدره ٥٠٠ قرشا بدلا من ٤٠٠ قرشا ، ولللازم الأول ٣٥٠ قرشا بدلا من ٢٥٠ قرشا ، ولللازم الثاني ٣٠٠ قرشا ، والصولقول والاسبران ٢٢٠ قرشا بدلا من ١٢٠ قرشا .

وقد ذكر ما كون Mc Coan تفصيلا لمرتبات الجيش على مختلف رتبهم العسكرية في عصر اسماعيل . ويهمننا أن نوضح أن هذه المرتبات لم تكن ثابتة طوال ذلك العصر ، بل تناو لها التعديل أكثر من مرة وفيما يلي بيانها (٢) :

(١) دفتر ٣٥٠ (معية تركى) أصر رقم ٥٥ ص ٩٠ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ . وعقظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٤٥٨ في ٢٧ ذى الحجة ١٢٨٠ (يونيه سنة ١٨٦٣) .

المرتبة	ما يقابلها في الدول الاوربية	الرتبة العسكرية المصرية
قرشا جنيتها		
٢٥ ر ٠٠٠	Private Soldier	نفسر
٣٠ ر ٠٠٠	Corporal	أومباشى (عريف)
٤٠ ر ٠٠٠	Sergent	جاويش (رقيب)
٥٠ ر ٠٠٠	Quartermaster	بلوك أمين (الامين)
٦٠ ر ٠٠٠	Sergent-Major	باشجاويش (رقيب أول)
٢٠ ر ١	Adjutant	صول (مساعد)
٢٠ ر ١	Ensign	أسبران
٣ ر ٠٠٠	Sub-Lieutenant	ملازم ثانى
٣ ر ٥٠	Lieutenant	ملازم أول
٥ ر ٠٠٠	Captain	يوزباشى (تقيب)
١٢ ر ٠٠٠	Adjutant-Major	صاغقول أغامى (رائد)
٢٠ ر ٠٠٠	Major	بكباشى (مقدم)
٢٠ ر ٠٠٠	Lieut-Colonel	قائمقام (عتيد)
٤٠ ر ٠٠٠	Colonel	أميرالاي (عميد)
٦٠ ر ٠٠٠	Major-General	أمير لواء
٧٥ ر ٠٠٠	General	فريق

وكان الضباط الاطباء يتقاضون مرتبات تزيد عن مرتبات زملائهم غير الاطباء من نفس الرتبة . فمثلا مرتب الملازم الثاني الطبيب كان ٥٠٠ قرشا(١). كذلك كان جنود بلوك (فرقة) الصنایعية ، يتقاضون مرتبات تزيد عما يتقاضاه زملاؤهم الذين من نفس رتبهم ، إذ كانت مرتباتهم تحسب باليومية . وكان لكل فئة من الجنود يومية (أجر يومي) خاصة تبعا لمقدرتها وكفاءتها في الصناعة، وتراوحت هذه المرتبات بين الثمانية قروش والعشرين قرشا في اليوم(٢) .

وذكر الضابط (٣) الألماني هانز واشتهوزن Hans Wachenhusen في مقاله الذي نشر في العدد رقم ١٤٤ من جريدة Journal de Cologne في ٢٢ مايو سنة ١٨٧١ عن الجيش المصري في عصر اسماعيل ، مرتبات الجنود والضباط بالتفصيل تنقلها فيما يلي :

النفسر	٢٠	قرشا في الشهر
أونباشي شرف	٤٠	»
الصف ضابط والبلوك أمين	٧٠	»

(١) محفظة ٤٧ [ممهه تركي] وثيقة تركية رقم ٧٦٥ من ناظر الداخلية محمد شريف إلى العميه - كاتب الديوان الخديوي في ١٦ شوال سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .
(٢) دفتر ٩٨٦ ج ١ صادر مهيات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٨٤ من ١٧٢ من سيادة الناظر إلى مهيات عسكرية في ١٥ جمادى الآخرة ١٢٨٢ .
(٣) حضر هذا الضابط إلى مصر في سنة ١٨٧٠ وكتب تقريراً عن الجيش المصري في ذلك الوقت ثم نشره في الجريدة المذكورة في ٢٢ مايو ١٨٧١ .

٩٠ قرشاً الشهر	الأمياشى (عريف)
د د ١٢٠	كاتب الأورطة
د د ٣٠٠	الملازم الثانى
د د ٢٥٠	الملازم الأول
د د ٥٠٠	اليوزباشى «تقيب» من الطبقة الثانية
د د ٦٠٠	اليوزباشى من الدرجة الأولى
د د ١٢٠٠	الصاغ (رائد)
د د ٢٠٠٠	البكباشى (مقدم)
د د ٢٥٠٠	القائمقام (عميد)
د د ٥٠٠٠	الأميرالاي (عميد)
د د ٨٠٠٠	أمير لواء
د د ١٠٠٠٠	الفريق

وقد تعرضت هذه المرتبات لتعديلات أخرى ، وخصوصاً مرتبات الضباط
العظام من رتبة فريق ، إذ جعل مرتب هذه الرتبة ٧٥ جنياً^(١) .
وقبيل يلى ثبت بالمرتبات التى ظل رجال الجيش يتقاضونها فى أواخر عصر
اسماعيل وأوائل عصر توفيق حتى ٢٠ أبريل سنة ١٨٨١ (٢١ جمادى الأولى
سنة ١٢٩٨)^(٢) .

(١) عنقطة ٤٢ [ممية تركى] وثيقة تركية رقم ٥٤٧ إلى مهر داور جناب الخديو فى ١٩
رمضان ١٢٨٤ [١٨٦٨] .
(٢) عبد الرحمن الرافى . الثورة العرابية ص ١٠٣ .

نفسر	مليم	قرشاً
أوتباشى (عريف)	١٠	١٩ فى الشهر
جاويش (رقيب)	٣٠	٣٠
بلوك أمين (الامين)	٤٠	٤٠
باشجاويش (رقيب أول)	٥٠	٥٠
صولقول أغاسى (مساعد)	١٣٠	١٣٠
ملازم ثانى	٣٥٠	٣٥٠
ملازم أول	٤٠٠	٤٠٠
يوزباشى (تقيب)	٥٠٠	٥٠٠
صاغقول أغاسى (رائد)	١٢٠٠	١٢٠٠
بكباشى (مقدم)	٢٠٠٠	٢٠٠٠
قائمقام (عقيد)	٢٥٠٠	٢٥٠٠
أميرالايى (عميد)	٤٠٠٠	٤٠٠٠
لواء	٦٠٠٠	٦٠٠٠
فريق	٧٥٠٠	٧٥٠٠

وكانت هذه المرتبات تصرف لرجال الجيش بحساب الشهور القبطية (٢).

(١) يشك فى صحة هذا الرتب . إذ لا يجوز أن يتساوى مرتب فرجين مختلفين فى السلك العسكرى . وأغلب الظن أنه ٣٥ قرشاً فى الشهر
(٢) محظلة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٨٧ . ون وكيل الجهادية إلى ناظرها فى ٧ شوال ١٢٨٣ [فبراير ١٨٦٧] .

يذكر الأمير الالامى (العميد) الامريكى داي (١) بأنه إذا قارنا مرتبات الجيش المصرى بنظائرها فى الجيوش الاوربية وجدناها متشابهة . كذلك إذا وازنا بين حالة الجندى النفر الذى يتقاضى مرتبا شهريا يقل عن دولار واحد فى الشهر بعد نفقات ما كله وملبسه وحالة العامل فى ذلك الوقت، وجدنا أن المرتب الذى يصرف للجندى هو كل ما يستطيع العامل لإدخاره بمد آدام نفقات معيشته .

مرتبات الجنود الأتراك

كان نصيب الجندى التركى يزيد زيادة كبيرة عن نصيب الجندى المصرى فى المرتب . فبينما نجد الجندى المصرى النفر يتقاضى مرتبا شهريا قدره عشرين قرشا، نجد أن الجندى التركى النفر بسلاح المدفعية والمقيم بالمدن الساحلية كالاكندرية ورشيد ودمياط يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٥٠ قرشا (٢) . ويتقاضى زميله المعين بمديريات الوجهين البحرى والقبلى مرتبا شهريا قدره ٢٥٠ قرشا (٣) . كذلك كان يتقاضى أفراد طقم القواسة السوارى والبيادة ، ١٥٠ قرشا فى الشهر . فهذا التمييز الكبير بين العنصرين المصرى والتركى فى المرتب كان أحد الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة العرابية . إذ شعر المصريون بمدى الغبن الواقع عليهم ، ومدى تعصب الحكام للعنصر التركى والجركى ومحاباته على حساب العنصر المصرى .

(١) Dye; Moslem Egypt P. 58

(٢) محظلة ٤٠ [مية تركى] وثيقة رقم ١٠١ من داود فهمى وكيل ديوان الجهادية إلى اللجنة السنوية فى ٤ شبان ١٢٨٣ [أواخر ١٨٦٦].

(٣) المصدر السابق .

مراتب الضباط الاجانب

أما فيما يتعلق بمراتب الضباط الاجانب الذين استخدموا في الجيش المصرى نجد أن مراتبهم كانت دائما تزيد عن مراتب زملائهم المصريين الذين من نفس رتبهم. وإذا ألقينا نظرة على الجدول الآتى يتبين لنا مقدار تلك الزيادة بين المرتبتين:

الرتبة	مرتب الضابط (١) المصرى جنيه	مرتب الضابط (٢) الاجنبى جنيه
الفريق	٧٥	١٠٠
الأميرالاي (العميد)	٤٠	٤٦
القائمقام (العقيد)	٣٠	٤١
البيكباشى (المقدم)	٢٠	٣٧
اليوزباشى (القيب)	٥	٢٩

وكان يختلف فى بعض الاحيان مرتب الضباط الاجانب فى مرتبة واحدة كل منهم عن الآخر. وهذا الاختلاف راجع إلى أن الحكومة المصرية كانت تستخدم هؤلاء الضباط بمقتضى عقود فردية ولمدة معينة . وكانت تسامم كلا منها على

(1) Mc Coan, Egypt as it is P 381.

(2) Abdin . Amr . Vol. 6 enclosure in despt. No. 3
June 4, 1870 .

المرتب الذى سيتقاضاه . مثال ذلك القائم مقام (العقيد) هنرى ماك ايفر (١) H. Mc Ivor - من الضباط الأمريكيين الذين استخدموا فى الجيش المصرى - فقد التحق بخدمة الجيش فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ ، وكان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤٦ جنيها مصريا ، وعلقتين (لجواده) ، ومرتب شهر فى السنة أجرة مسكن . بينما نجد زميله الأمريكى أيضا القائم مقام (العقيد) لونج (٢) C.C. Long الذى التحق بالخدمة فى ٣ مارس سنة ١٨٧٠ كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤١ جنيها ، وعلقتين ، ومرتب شهر فى السنة أجرة سكنه ، مع أن كليهما فى نفس الرتبة والتحق بخدمة الحكومة فى شهر واحد . ومع ذلك فمرتب القائم مقام (العقيد) المصرى الذى كان يتقاضى ما بين ٢٥ و ٣٠ ج.م. شهريا .

مرتبات الضباط والجنود فى أسفارهم

ونظرا لما يلاقيه الضباط والجنود من مشاق فى القيام (بالمأموريات) خارج مراكزهم الأصلية. روى تمويضهم عن ذلك زيادة نسبة معينة فى المرتب المخصص لكل منهم . واختلفت نسبة الزيادة باختلاف الرتب العسكرية ، إذا كانت تتناسب تناشبا عكسيا مع هذه الرتب ، فكلما كبرت الرتبة قلت النسبة والعكس صحيح . فمثلا كان يتقاضى الاميرال (العميد) زيادة قدرت بربع المرتب، وتزيد هذه النسبة كلما صغرت الرتبة . وفى الجدول (٣) الآتى يبسانه

(١) المصدر السابق .

(٢) مخطوطة ٩ (جهادية) مكتبة عربية رقم ٢٢٠ من الجناح المالى الى ناظر الجهادية فى ٨ صفر سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) .

(١) دفتر ٥٣٩ (ممية تركى امركرم رقم ٤٧ ص ٨٦ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٨ (١٨٦٤) .

تفصيل لهذه الزيادة التي كان يطلق عليها اسم الضميمة، في ذلك الوقت - وهي ما تعرف الآن باسم بدل السفر - لبيان مبلغ التحسن الذي أدخل عليها في عهد اسماعيل .

الضمايم على مرتبات ضباط الجهادية والافراد العسكرية في أسفارهم إلى البلاد البعيدة :

التعيينات والعايق		الضمايم في العهد السابق			الرتبة
عليق باعتبار الخيل	التعيينات باعتبار النفر	الجملة	الضميمة	المرتب	
		قرشاً	قرشاً	قرشاً	باعتبار
٣	٨	٦٠٠٠	١٠٠٠	٥٠٠٠	ميرالاي (عميد) الخس
٢	٤	٣٢٤٠	٥٤٠	٢٧٠٠	فأتمقام (عقيد) الخس
٢	٤	٢٨١٢	٥٦٢	٢٢٥٠	بكباشي (مقدم) الربع
١	٣	١٢٥٠	٢٥٠	١٠٠٠	صاغقول (رائد) د
٠	٠	٧٢٠	١٨٠	٥٤٠	يوزباشي (نقيب) الثلث
٠	٠	٥٢٣	١٣٣	٤٠٠	ملازم أول د
٠	٠	٤٠٠	١٠٠	٣٠٠	ملازم ثان د
٠	٠	١٠٠	٢٥	٧٥	صولقول (مساعد) د
٠	٠	٦٠	١٠	٤٠	باشجاويش (رقيب أول) النصف
٠	٠	٤٥	٢٥	٣٠	جاويش (رقيب) د
٠	٠				بلوك أمين د
٠	٠	٣٧٥٠	١٢٥٠	٢٥٠	أنباشي (عريف) د
٠	٠	٢٢٥٠	٧٥٠	١٥٠	نفر د

التعيينات والعليق		الضمان الحالية			الرتبة
التعيينات باعتماد الخليل	التعيينات باعتماد النفر	الجملة	قرشاً	قرشاً	
٣	٨	٦٢٥٠	١٢٥٠	٥٠٠٠	بايعتبار ميرالاي (عميد)
٢	٥	٤٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٠	الربع قامقام (عقيد)
٢	٤	٢٢٢٣ ^١ / _٣	٨٢٣ ^١ / _٣	٢٥٠٠	د يكباشي (مقدم)
١	٣	٢٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	د صاغقول (رائد)
٠	٠	٦٠٠	٢٠	٤٠٠	ال نصف يورباشي (نقيب)
٠	٠	٣٧٥	١٢٥	٢٥٠	د ملازم أول
٠	٠	٣٠٠	١٠٠	٢٠٠	د ملازم ثان
٠	٠	١٨٠	٦٠	١٢٠	د صواقول (مساعد)
٠	٠	٧٥	٢٥	٥٠	د باشجاويش (رقيب أول)
٠	٠	٦٠	٢٠	٤٠	د جاويش (رقيب)
٠	٠	٤٥	١٥	٣٠	د بلوك أمين (أمين)
٠	٠	٣٠	١٠	٢٠	د أنباشي (عريف)
٠	٠	٣٠	١٠	٢٠	د نفسر

على أن هذه النسب المذكورة لم تكن متبعة في كل الأفاوت ، إذ نجد أن الحكومة قررت في إبريل سنة ١٨٧٣ منح جميع الضباط المصريين والأمريكيين الذين أرسلوا في مأمورية زنجبار ، علاوة على ما هيأهم قيمة الجنس في مدة هذه السفرية (١) .

(٤) دفتر ١٨٧٤ الأوامر الكرام الواردة لديوان المهادية مكتبة رقم ١٦ في ١٠ المحرم ١٢٩٠ وتوزيع النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٠٤٨ .

مراتب الضباط والجنود أثناء الاجازات الاعتيادية

لما كان عبء التجنيد يقع على كاهل طبقة المزارعين ، فقد واجهت الحكومة مشكلة كبيرة في سبيل زيادة عدد الجيش المصرى من هذه الطبقة ، إذ أن أى توسع في حركة التجنيد سيكون على حساب الزراعة . ولهذا اضطرت - لسكى توفيق بين هاتين الناحيتين الهامتين - أن يمنح الضباط والجنود اجازات طويلة ، يتفرغ فيها كل منهم إلى الاهتمام بشئون أرضه . فحنت تلك الجنود من كل آلاى (لواء) «بالدور الدائم» اجازة لمدة شهرين مع قطع ماهياتهم ومرتباتهم مدة (١) الاجازة . أما الاجازات القصيرة - مثل الخمسة عشر يوما - المعتاد إعطائها مرة أو مرتين في العام لاتقطع فيها المراتب (٢) .

وهذه الطريقة - ولو أنها كانت تحول بين الجندى والحياة العسكريه- فترة غير قصيرة - إلا أنها من ناحية أخرى قد حفتت غرضين هامين: الاول هو التوفيق بين فلاحه الارض والجنديه- . والثانى تخفيف العبء عن ميزانية نظارة الجهاديه- ، وذلك لتؤتف صرف مرتبات وتجهيزات الضباط والجنود في تلك الفترة .

المراتب أثناء الاجازة المرضية

كذلك كان يخصم من الضباط والجنود المرضى خمس رواتبهم نظير علاجهم في المستشفى العسكري . واستمر هذا الاجراء متبعا حتى ٢٧ ربيع آخر سنة

(١) محفظة ٨ جهادية وثيقة تركية رقم ٥٠٢ من الجناوب العالى إلى ناظر الجهادية في ١٩ جاد أول سنة ١٢٧٢ (١٨٦٥) . ودفق ٥٥٧ (مبيه تركى) وثيقة رقم ٢٢ س ٢١ أمر كريم إلى الجهادية في ٢٨ جادى الأول سنة ١٢٨٢ .
(٢) المصدر السابق .

١٢٨٣ (أواخر سنة ١٨٦٦) حيث عدلت الحكومة عن خصم شيء من المرتب إلا إذا كان المريض « من فعل الانسان نفسه (١) » ، فيخصم منه خمس المرتب من قبيل الجزاء . كذلك كان الضباط الأمريكيون المدحوقون بالجيش المصرى يتمتعون بنفس الامتياز ، فوجد مثلاً عندما أصيب الأميرالاي (العميد) الأمريكى رت Rhett بداء الفالج ، منح أجازة ستة شهور للمعالجة بأوروبا ، على أن يتقاضى ماهيته كاملة أثناء الأجازة (٢) . وأيضاً عندما مرضت زوجة الأميرالاي(العميد) الأمريكى فرانك رينولدز Frank Reynolds منح أجازة مدة أربعة شهور لاصطحابها إلى أوروبا ، على أن يتقاضى نصف ماهيته مدة الأجازة (٣) . .

تأخير صرف الرتب

كان لسياسة التوسع في لإنشاء جيش مصر الحديث في مطلع القرن الماضى ، وما استلزمها من زيادة معداته وأسلحته وتشبيد المصانع الحربية ولإيفاد البعث العسكرية ، أثرها على مالية البلاد . فكانت الحكومة - في بعض الأحيان - تلجأ تحت تأثير الضغط المالى إلى تأخير صرف مرتبات الضباط والجنود عدة

- (١) محفظة ٨ جهادية وثيقة تركية رقم ٣٦٥ من الجاه المالى إلى ناظر الجهادية في ٢٧ ربيع ثان سنة ١٢٨٣ . ودفتر ٥٥٧ (ممية تركى) وثيقة رقم ١٠٦ إلى ناظر الجهادية في ٢٧ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ .
- (٢) محفظة ٤٩ (ممية تركى) وثيقة رقم ٤٣ من ناظر الجهادية قاسم رسمى إلى الميعة مهردار الخديو في ٢٢ محرم سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .
- (٣) محفظة ٤٩ (ممية تركى) وثيقة رقم ٩٦ من ناظر الجهادية قاسم رسمى الى الميعة مهردار في ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

شهور تراوح بين ٧ و ١٢ شهرا (١) . فكان لهذا التأخير أسوأ الأثر على حالة الجنود المادية والمعنوية . إذ كان من نتيجته قيام الضباط والجنود بالسودان بغزوات لجمع الرقيق وتوزيعه فيما بينهم « بأثمان محددة تبعا لمقدار المتأخر من مرتباتهم (٢) » . وقد شكى المستر باتريك كامبل - قنصل إنجلترا العام بمصر في ذلك الوقت - من هذه الاجراءات في تقرير رفعه إلى وزير الخارجية الانجليزية (٣) الذى قام بدوره بإبلاغ محمد على عنم لإرتياحه لهذا العمل . فبعث محمد على برسالة إلى خورشيد حكامدار السودان وقتئذ ، يستنكر فيه الحادث ، ويأمره بأن يكف الضباط والجنود عن ارتكاب مثل هذا العمل في المستقبل .

ولما ولى اسماعيل الحكم وسلك نفس الطريق الذى سلكه جده في تكوين جيش قوى ، وما استلزم هذا العمل من إعادة فتح المدارس والمصانع الحربية التى أغلقت بعد وفاة محمد على فى عهد عباس وسعيد ، ومن استيراد أحدث الأسلحة الحربية التى تنتجها المصانع الاوربية والامريكية . وما أعقب حركة التوسع فى السودان من زيادة النفقات زيادة لم تحتملها ميزانية نظارة الجهادية ، استرعت هذه الحالة انتباه ناظر الجهادية - فرجع إلى الخديو

(١) محفظة ١٩ (مبية تركى) وثيقة تركية رقم ٢٢ فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢ (١٢ أغسطس ١٨٢٦) .

(٢) تقرير بورنج مغرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين مكتوبة رقم ٨١ من الايغنائات ككولونيل كامبل إلى الفيكونت بلوستون بتاريخ ٧ يناير سنة ١٨٣٧ ص ٥٧٩ .

(٣) المصدر السابق

تقريراً (١) في ٢ صفر سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) قال فيه : إن المائة وخمسين ألف كيس المخصصة للجهادية لم تسكن في أية سنة من السنين المذكورة وافية بتدبير أمور الجهادية ، ولا هي محتمل وفاؤها بذلك . ونتيجة لذلك اضطرت نظارة الجهادية إلى تأخير صرف مرتبات الضباط والجنود . وقد بلغ هذا التأخير في بعض الأوقات إلى ١٤ شهراً (٢) . فإذا علمنا أن أغلب رجال الجيش - وخصوصاً الصغار منهم - لا يملكون سوى مرتباتهم فقط ، أدركنا مدى سوء الحالة التي وصلوا إليها ، وما لحق بهم من أضرار بليغة صورها الضابط الأمريكى داي تصويراً واضحاً (٣) .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل كان من نتيجته أيضاً قيام الجنود بثورتين . إحداهما ثورة دموية حدثت في مدينة كسلا سنة ١٨٦٥ ، وقام بها العساكر السود الموجودون باستحكامات المدينة ، وكان عددهم يبلغ الأربعة آلاف جندي . والسبب الرئيسى لقيام هذه الثورة كما رواها المؤرخون : سوء إدارة القواد ، وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجنود (٤) ، نظراً للقحط الذى حل بمديرية التاكة لعدم سقوط أمطار حينذاك (٥) . وقد استمرت هذه الثورة عدة شهور إلى

(١) مخططة رقم ٥٣ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣ من حسين كامل إلى الخديو اسماعيل في ٢ صفر سنة ١٢٩٣ .

(٢) Dye ' Moslem Egypt .. — P. 67 .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٣ ص ٤٠ والياس الابوي

تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ١٠ .

(٥) دفتر ٥٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٢ ص ٦ ارادة سنية الى صاحب السعادة جعفر

أن استطاعت الحكومة إخضاعها ، بعد أن جرت الخراب على أهلها (التاكة) ، وضاع فيها الكثير من النفوس والأموال . ولم تكثف بهذا بل جرت ورامها ذيلا ، أى حى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى ، فمات بها خلق كثير (١) .

أما الثورة الأخرى - أو بمعنى أدق - المظاهرة العسكرية فقد قام بها ضباط الجيش فى يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ فى عهد نظارة نوبار ؛ وكان سبب قيامها طرد عدد غير قليل من الضباط تخفيفا لأعباء الميزانية ، وتأخر صرف مرتبات الآخرين . فتجمهر المتظاهرون فى فناء نظارة المالية ، واعتدوا على المستر ريفرز ويلسن - نظر المالية - ونوبار باشا ناظر النظار بالأيدي والسباب أثناء دخولها مبنى النظارة . ولم ينصرف المتظاهرون إلا بعد حضور الخديو اسماعيل ووعده لهم بالنظر فى مظالمهم . وقيل فى تفسير هذا الحادث أن الخديو أوعز إلى الضباط القيام به إنتقاما من نوبار الذى انحاز إلى جانب إنجلترا ، ولكى يثبت لها ولفرنسا أنه مازال صاحب الكلمة المسموعة فى البلاد .

مكافآت الضباط والجنود الذين يصابون أثناء الخدمة

كفلت لائحة المعاشات الخاصة برجال الجيش تعويضا عادلا فى حالة إصابة أحدهم إصابة تحول بينه وبين كسب معاشه . فمثلا كان يتخصص لمن فقد

حكمدار عموم السودان فى ٢٨ محرم سنة ١٣٨٢ (٢٣ يوتيه سنة ١٨٦٥) . ودفتر ٥٣٩ (معية تركى) وثيقة رقم ١٦١ ص ٨٦ قسم ثانى من الجنب المالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ محرم سنة ١٣٨٢ (٢٣ يوليه سنة ١٨٦٥) .
(١) نوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث ج ٣ ص ٤٨ .

إحدى يديه أو إحدى رجليه ثلثي مرتبه كامل مرتبه وجرايته (١) .
ولم يكن التعويض نقدا فحسب ، بل كان عينا كذلك . فكان يمنح هؤلاء
المصابون أراضي زراعية ، لتكون مدارا لإعاشتهم وإعاشة عائلاتهم (٢) .

معاشات الضباط والجنود

يذكر اللواء (٣) محمد مختار أن أول قانون للمعاشات بمصر صدر في ٥ ربيع
ثان سنة ١٢٧١ ، ديسمبر سنة ١٨٥٤ ، في عهد سعيد ، مع أن السير جون بورنج
يذكر (٤) بأن الضباط الأوربيين بالجيش المصري في عصر محمد علي كان يصرف
لهم معاشات في نهاية مدة خدمتهم . وكان يخص من مرتباتهم نظير ذلك مرتب
يوم واحد كل شهر .

ويغلب على الظن أنه في عصر محمد علي كانت تصرف لهؤلاء الضباط معاشات
طبقا لقواعد مالية لم تتخذ شكل قانون إلا في عصر سعيد كما سبق أن أشرنا .
واستمر القانون الذي صدر في عهد سعيد معمولا به حتى أوائل سنة
١٨٧١ حيث أصدرت الحكومة المصرية قانونا آخر في ١٨ شوال سنة ١٢٨٧
و أوائل سنة ١٨٧١ (٥) ، للعمل بموجبه . ولم يكن قانون سعيد خاصا

(١) محفظة رقم ٣٠ (مئة تركي) وثيقة تركية رقم ٢٦٤ من اسماعيل سليم باشا ناظر
الجهادية الى باشمعاون الحديو في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) .
(٢) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٤٩ من الجناب العالي الى سعادة الباشا (كذا)
في غرة رجب سنة ١٢٨٤ (٢٩ أكتوبر سنة ١٨٦٧) .
(٣) اللواء محمد مختار . كتاب التوثيق الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين
الافرنجية والقطبية ص ٦٣٦ .
(٤) تقرير بورنج معرب في كتاب بناء دولة مصر محمد علي ص ٤٧٢ .
(٥) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ، ج ٣ ص ٣٧٧ (صورة امر حال صادر
لداخلية رقم ١٨ شوال سنة ١٢٨٧ نمر ٧٧) .

بالعسكريين فقط ، بل شمل العسكريين والمدنيين من موظفي الحكومة المصرية على السواء ، ولم يفرق بينهم في المعاملة . ويتضمن القانون إحدى عشرة مادة نلخصها فيما يلي :

وضع هذا القانون ليطبق على « الذوات وأرباب الرتب والمهيات والجاويشية الأندرون^(١) والبيرون والقواسمة والطوبجية والجبخانجية والعساكر الباشبوزق وسائر أرباب المهيات الذين سبقت لهم الخدمة في الجهادية البرية والبحرية وفي الملكية » .

فن أمضى في الخدمة مدة ١٥ عاما يتقاضى ربع ماهيته معاشا

ومن د د د ٢٠ د د ثلث د د

د د د ٢٥ د د نصف د د

د د د ٣٠ د د ثلثي د د

د د د ٤٠ د د ماهيته ومرتبه كاملا

أما في حالات الإصابة أو المرض أثناء الخدمة فينص القانون على أنه « إذا فقد الشخص كرميته (عينيه) أو صار مقعدا أو بطل عضو من أعضائه ، فيصرح له بالإحالة على المعاش بعد توقيع الكشف الطبي عليه من الطبيب المختص ويرتب له نصف مرتبته الأصلية معاشا إن كانت ماهيته ومرتباته ألف قرش في كل شهر . فإن كانت دون الألف رتب له ثلثا مرتبته الأصلية معاشا » ، دون

(٤) الأندرون معناها رجال المرس الخديوي المقيون داخل القصر ، والبيرون الموجودون خارجه .

التقيد بمدة معينة . على أن تحسب مدة الخدمة بالسودان السنة الواحدة بسنة ونصف سنة .

وفي حالة الوفاة يوزع نصف ماهيته ومرتباته في الشهر على ورثته الشرعيين إن كان يتقاضى ماهية قدرها ٥٠٠ قرشا أو أكثر في الشهر . أما إذا كان يتقاضى ماهية شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا فأقل فيرتب لورثته الشرعيين جميع ماهيته . ويصرف المعاش المذكور حتى سن الخامسة عشر، إلا إذا كانوا مصابين بمرض يمنعهم عن كسب قوتهم ، وللإناث حتى يتزوجن .

وفي ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (سبتمبر ١) (١٨٦٥) وافقت الحكومة على أن يصرف لورثته المتوفين في الجهاد معاشا شهريا دون نظرا إلى مدة خدمتهم، وذلك تمييزا لهم عن سائر موظفي الحكومة ، نظرا لما يقدمونه من تضحيات في سبيل الدفاع عن بلادهم . وقد اعتبرت مدة الخدمة في المعاش بجمعي مصوع وسواكن السنة سنة واحدة كسائر مدن القطر المصري ، وذلك في ٢٢ محرم سنة ١٢٨٧ (ابريل سنة ٢) (١٨٧٠) .

ولما كثرت المعاشات وزاد عبؤها على مالية البلاد ، رأى المجلس المخصوص ضرورة استقطاع جزء من مرتب الموظف كل شهر حتى تستطيع الحكومة

(١) فيليب جلاذ . قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٣٧٥ (أمر حال على قرار المجلس المخصوص صادر سعادة ناظر المالية في ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ بمرم ١٥) .
(٢) المصدر السابق ص ٣٧٦ (شرح وارد المالية من الداخلية رقم ٢٢ محرم ١٢٨٧ بمرم ٤٣٢)

الاستمرار في صرفها حرصا على مصلحة الموظفين العسكريين والمدنيين على السواء. فأوصى بالاستقطاع استحقاق يوم واحد شهري من كافة أرباب الماهيات جهادية (١) وملكية . وقد كان هذا الإجراء متبعا في عصر محمد علي بالنسبة للموظفين الأوروبيين (٢) .

وفي ١٨ شوال سنة ١٢٨٧ (يناير سنة ١٨٧١) أصدرت الحكومة قانون معاشات آخر جديد ليحل محل القانون القائم وقتئذ . ويشتمل هذا القانون على ثمانية بنود ، وفيها يلي أهم ما جاء به :

ألا يصرف معاش إلا لمن أمضى مدة ٣٠ عاما في خدمة الحكومة أو من أصيب أثناء الخدمة بمرض يمنعه عن أداء عمله .

فن أمضى ٣٠ عاما في الخدمة وكان يتقاضى ١٠٠٠ قرشا في الشهر يصرف له ربع مرتبه معاشا . وإن كان يتقاضى مرتبا أقل من ١٠٠٠ قرشا الى ٢٥٠ قرشا يصرف له ثلثه معاشا . على أن تحسب كل سنة أمضاها في السودان بسنة ونصف سنة .

أما في حالة الإصابة أثناء الخدمة بمرض يقعه عن العمل فيصرف له نصف ماهيته الأصلية إن كان مرتبه ١٠٠٠ قرشا في الشهر . أما من يقل مرتبه عن ذلك فيصرف له $\frac{1}{4}$ مرتبه معاشا شهريا .

(٢) فاموس الادارة والفضاء ج ٣ ص ٣٧٦ (أمر عال صادر للداخلية في ٢٠ رجب سنة ١٢٨٧ نمرة ٣١)

(٣) تقرير بورننج معرب في كتاب بناء دولة مصر محمد علي ص ٤٧٢ .

وحتى سنة ١٨٧٥ لم يكن هناك قانون للمعاشات خاص برجال الجيش وحدهم، بل كانت جميع القوانين التي صدرت قبل هذا التاريخ تطبق على العسكريين والمدنيين على السواء . ونظرا لإختلاف طبيعة كل منها عن الآخر من ناحية العمل، رأت الحكومة أن يعامل رجال الجيش معاملة خاصة ، لاسيما الذين يتوفون منهم في ميدان القتال ، فأصدرت أمرها في ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ (أو آخر سنة ١٨٧٥) بأن « كل من توفى في الحرب من أفراد العساكر والصف ضابطان (ضباط) والضابطان العظام سواء كانوا برية أو بحرية ، وكان له ذرية قصر زوجة أو زوجات ووالد أو والدة رتب لهم الماهية المخصصة لرتبة المتوفى كاملة بالتخصيص عليهم حسبما يصيب كل منهم بالفريضة (١) الشرعية . ويقطع معاش الزوجة أو البنات عند زواجها . ويقطع معاش الولد عند بلوغه سن الواحد والعشرين سنة إلا إذا كان به علة تمنعه عن كسب قوته . وكذلك لا يقطع معاش الوالدين ماداموا على قيد الحياة (٢) . وكانت هذه الخطوة من جانب الحكومة لإجراء مؤقتا لإذكان مجلس العسكرية ، في ذلك الوقت منهم كما في وضع قانون جديد خاص برجال الجيش . وقد ظهر هذا القانون الى حين الوجود (٣) في غاية جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ (٢٢ يونيو سنة ١٨٧٦) . ولهذا

(١) أمين سامي باشا . تقويم النيل : المجلد الثالث ج ٣ س ١٢٨٠ (أسرار كرم للجهادية في ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ . ودفتر ٢٩٠٣ (أوامر جهادية) مكاتب: رقم ١٢ عربي الى ديوان الجهادية في ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ .

(٢) للمصدر السابق .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ س ١٣٤٧ . وقاموس الإدارة والنساء ج ٣ س ٣٨٧ (سورة الأمر العالي الصادر على قانون معاهدات الجهادية البرية والبحرية وفروعها بتاريخ غاية جمادى أول سنة ١٢٩٣ رقم ٢٢ يونيو سنة ١٨٧٦ نمرة ٩٣ لنظارة الجهادية) .

القانون أهمية خاصة لأنه أول قانون شامل لضباط الجيش وجنوده دون سواهم ويشتمل على عشرين بنداً تجملها فيما يلي (١) :

اشتمل البند الأول من القانون على الأمر الحديوي الصادر في ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ (أواخر سنة ١٨٧٥) الذي سبق ذكره في شأن من يتوفى في ميدان القتال من الضباط والجنود. وحدد البند الثاني الطوائف التي يشملها القانون و بالضباط الكرام والعظام ومن دونهم من الضباط لحد الأسبران الجهادية البرية ومن يماثلهم من البحرية، مثل باش رئيس أول ودمنجى باشى أول، وطويجى باشى أول، وقويودارمو، وتلامذة السرك، وأرباب الماهيات الذين أصلهم من سلك العسكرية من سائر الخدمة بالجهادية البرية والبحرية وفروعها، مثل الكتبة والخوجات المتوطنين بالتعليم، وخوجات البحرية، وأرباب الصنائع، والسروجية، والقنذاقجية، والتوفكجية، وصنائع الطوبجية وخلافهم من سائر الصنائع (٢) .، فإذا بلغ أحد هؤلاء سن التقاعد يصرف له معاش طبقاً للنسب الآتية :

(١) المصدران السابقان .

(٢) دومنجى باشى : كبير رؤساء السكان وهو دفة المركب . باشى رئيس أول : كبير رؤساء الملاحين . والقنذاقجية : صناعات قواعد المدافع . والتوفكجية : صناعات البنادق .

المرتب	مدة الخدمة سنة	المعاش بالنسبة للمرتب
أقل من ١٠٠٠ قرشا	١٢	١/٤ المرتب
د	١٧	د ١/٣
د	٢٢	د ١/٢
د	٢٧	د ٢/٣
د	٣٢	د جميع
أكثر من ١٠٠٠	١٥	د ١/٤
د	٢٠	د ١/٣
د	٢٥	د ١/٢
د	٣٠	د ٢/٣
د	٣٥	د جميع

الاستيداع

إذا أحيل أحد الضباط أو الجنود الى الاستيداع يسوى معاشه على الوجه الآتى :

إذا كانت ماهيته لغاية ألف قرش يرتب له ثلثا ماهيته معاشاً ، ومن كانت ماهيته من ألف قرش فصاعداً يرتب له نصف ماهيته معاشاً .

المكافأة من الاموريات (فى المعاش

فرق المعاش بين من يعملون بمصروف غيرهم من يعملون بمكافأتها . فمدة الخدمة تحسب للذين بسفريات الحاربة والذين يتعينون باموريات أو الاستخدام بجبات

متباعدة مثل البحر الأبيض وخط الاستواء ومديرية فاشورة وكردفان وفيزوغلى وأقاليم دارفور وجبات هرر وزيلع ، كل سنة بستتين . وبقاى جمات السودان وجبات مصوع وسواكن والتاكا والحجاز كل سنة بسنة ونصف .

الإصابة أثناء الخدمة

وإذا أصيب أحد الضباط أو الجنود بعلة تمنعه من تأدية وظيفته ، فبعد توقيع الكشف الطبي عليه وثبوت حالته يرتب له نصف ماهيته معاشا إن كانت ماهيته فوق ألف قرش . ويرتب له ثلثا ماهيته إن كانت ألف قرش فأقل . ويمنح زيادة على هذه النسبة إذا كانت مدة خدمته تسمح بذلك .

معاش المتوفين أثناء الخدمة أو الاستيداع

إذا توفى أحد رجال الجيش أثناء وجوده بالخدمة أو بالاستيداع يصرف له معاش حسب النسب الآتية :

من كانت ماهيته من ٥٠٠ قرش فأكثر يتقاضى ورثته نصف مرتبه معاشا . ومن يتقاضى مرتبا من ٥٠٠ قرش الى ٢٥٠ قرش يصرف لورثته ٢٥٠ قرشا شهريا . أما من كان مرتبه من ٢٥٠ قرش فأقل يتقاضى ورثته جميع مرتبه معاشا .

معاش مصابى الحرب

إذا أصيب أحد من الصولقول أغاسيه (الصول) الذين ماهية كل منهم مائة وعشرون قرشا والصف ضباط والأنباشية والعساكر البرية ومن يمانلهم فى الماهيات أو أزيد من ذلك ، بأمراض أو جروح أو بفقد إحدى عينيه أو إحدى يديه أو رجله ، وتسبب عن ذلك عدم قدرته على العمل يخصص له جميع مرتبه معاشا ، مضافا اليه مبلغ ٥٩ قرشا قيمة بدل تعيين فى الشهر .

هذا هو أهم ماورد بالقانون المشار اليه. وقد ظل معمولاً به حتى سنة ١٨٨١، حيث أمر الخديو توفيق بإصدار قانون آخر في ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ (٢٢) سبتمبر (١) سنة ١٨٨١ .

نظرة عامة على القانون

كان هذا القانون أكثر سخاء من قانون سعيد إذ منح رجال الجيش امتيازات أكثر من غيرهم من طوائف الموظفين الآخرين ، وضمن لهم معاشاً مناسباً عند بلوغهم سن التقاعد ، أو عند إصابتهم بمرض أو بعلّة تمنعهم عن أداء واجبهم ، وكفل لدويهم دخلاً ثابتاً في حالة فقد عائلهم يقيهم شر الحاجة والعوز . كما فرق القانون بين الجنود بعضهم وبعض من حيث الخدمة : فالمدّة التي قضّاها بعضهم في الحملات العسكرية أو في الخدمة بالسودان حسبت كل سنة منها بستين ، وفي بعض جهات السودان الأخرى بسنة ونصف سنة ، وذلك اعترافاً من الحكومة بجهودهم .

تعيينات الجنود

الى جانب المرتبات التي كان يتقاضاها الجنود كانت تصرف لهم تعيينات (جراية) وكساوى كل حسب رتبته . وقد كان مقدار الجراية التي تصرف الى الجندي النفر كافية لغذائه ، إذ كان يبلغ مقدارها ٣٦ درهماً ، فيما عدا الحطب

(١) قاموس الإدارة والقضاء ج ٣ ص ٣٩٩ (أمر حال رقم ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١)

والصابون. وسنورد في البيان (١) الآتي تفصيلا للواد الغذائية التي كانت تصرف للنفر في اليوم الواحد :

سمن	أرز	فول	عدس	بصل
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥
ملح	صابون	حطب	لحم صأن	خبز
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
٦	٦	١٥٠	٢٥	٣٠٠

ويعطى للجاويش (رقيب) علاوة على ما ذكر نصف شمعة (٢). وتصرف نفس المقادير السابقة للجندي النفر من عساكر الباشا بوزق (العساكر غير النظاميين) (٣) وكذلك للجنود المصرية بالسودان. ولما كانت نظارة الجهادية تصدر من مصر الفول والعدس والفاصوليا للقوات القائمة بالسودان. ونظرا لطول المسافة بين القاهرة ومختلف أجزاء السودان، ولصعوبة المواصلات وبطئها وقتئذ - إذ كانت المسافة بين أسيوط ومحطة الفاشر تقطع بالابل في ثلاثين يوما سيرا مستمرا - وكان يقع على

-
- (١) محفظة ٢٩ (معية تركي) ترجمة الوثيقة رقم ٣٥٣ من داود فهمي وكول ديوان الجهادية إلى مهرداد الخديوي في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ [اكتوبر سنة ١٨٦٦] .
(٢) محفظة ٢٩ (معية تركي) وثيقة رقم ٣٥٣ من داود فهمي وكول ديوان الجهادية إلى مهرداد الخديوي في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ .
(٣) دفتر ١٠٩٥ أوامر [جهادية] وثيقة رقم ٤٠ إلى ديوان الجهادية في غزة ربيع أول سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) .

طريق القوافل بين هاتين المدينتين سبع محطات . هذا بالإضافة إلى أن القافلة التي تحمل المؤن إلى السودان كانت تأخذ معها ما يكفيها من الماء مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام بين كل محطة وأخرى (١)، ولذا رأت نظارة الجهادية أن تستمض عن لإرسال تعيينات الفول والعدس والفاصوليا إلى السودان ، بالإضافة ٣٠ درهما على مرتب الأرز اليومي لكل نفر ، وقدره ٢٠ درهما لإبلاغه ٥٠ درهما وإضافة ٥٠ درهما على مرتب لحم الضأن ، وقدره ٢٥ درهما لإبلاغه ٧٥ درهما . أما إذا كان المرتب من لحم المعجول فيضاف سبعين درهما على المرتب الاصلى وقدره ٤٠ درهما لإبلاغه ١٠٠ درهم (٢) ، وذلك لتوفر الأرز والمسلى واللحم بالسودان .

كما كانت نظارة الجهادية تصرف لأولاد وزوجات العساكر السودانيين المقيمين بمصر تعيينات يومية حسب سن كل منهم . وفيما يلي بيان بالتعيين الكامل للفرد (٣) .

-
- (١) محنظة ٥٢ (معية تركي) وثيقة توكية رقم ٣٧ في ٢٧ محرم سنة ١٢٩٢ [١٨٧٥] .
 - (٢) محنظة ٣٥ (معية تركي) وثيقة رقم ١٩٥ من اسماعيل سليم ناظر الجهادية إلى مهران جناب الخديو في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢ .
 - (٣) محنظة ٣٥ (معية تركي) وثيقة رقم ٢٨٨ من داود فهمي وكيل الجهادية إلى مهران جناب العالي في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

الوزن	الصف
درهم	
٢٠٠	ذرة حبيز بدلا من (الجراية) الخبز
٢٥	عدس
٦	مسلى
٢٠	فول
٤	مصلح وملح
١٠٠	حطب رومى
٦	بصل
...	لحم ضأن ويصرف للنفر الواحد فى الجمعة والاسبوع، دفعتان وفى كل دفعة ٥٠ درهما ، وإن كانت من اللحم الخشن و البقر الكبير ، فتراد إلى ٦٠ درهما .

وكان هذا التعيين الكامل يصرف لكل فرد من سن الخامسة عشر فما فوق ، ونصفه للصغار من عشر سنين إلى أربع عشرة سنة ، وثلثه لمن كانت سنه من ست إلى تسع سنوات ، وربعه للأطفال من سنتين إلى خمس سنين (١) .
كذلك كان يصرف لأسر الجنود الأنصار والصف ضباط الموجودين بالسودان تعيينات مجانية على شرط أن يكونوا مقيمين معهم بالسودان (٢) .

(١) مخططة (معه تركى) وثيقة رقم ٢٨٨ من هاود فهمى وكيل ديوان الجهادية المبردار الجناب المالى فى ٢٧ جادى الأول ١٢٨٣ (١٨٦٦) .
(٢) دفتر ٢٨٦٨ أوامر (جهادية) مكتوبة رقم ١ الى ديوان الجهادية فى غرة وجب سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) .

ولما كان جنود الجيش المصرى قد استخدموا فى أعمال أخرى غير الحرب ،
مثل أعمال حفر الترع وتطهير القنوات، رأى منح هؤلاء الجنود تعيينات إضافية
نظير ما يقومون به من أعمال شاقة . فأصدرت الحكومة أمرها فى غاية رجب
سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بأن يصرف لكل نفر من هؤلاء الزيادة الآتية (١) :

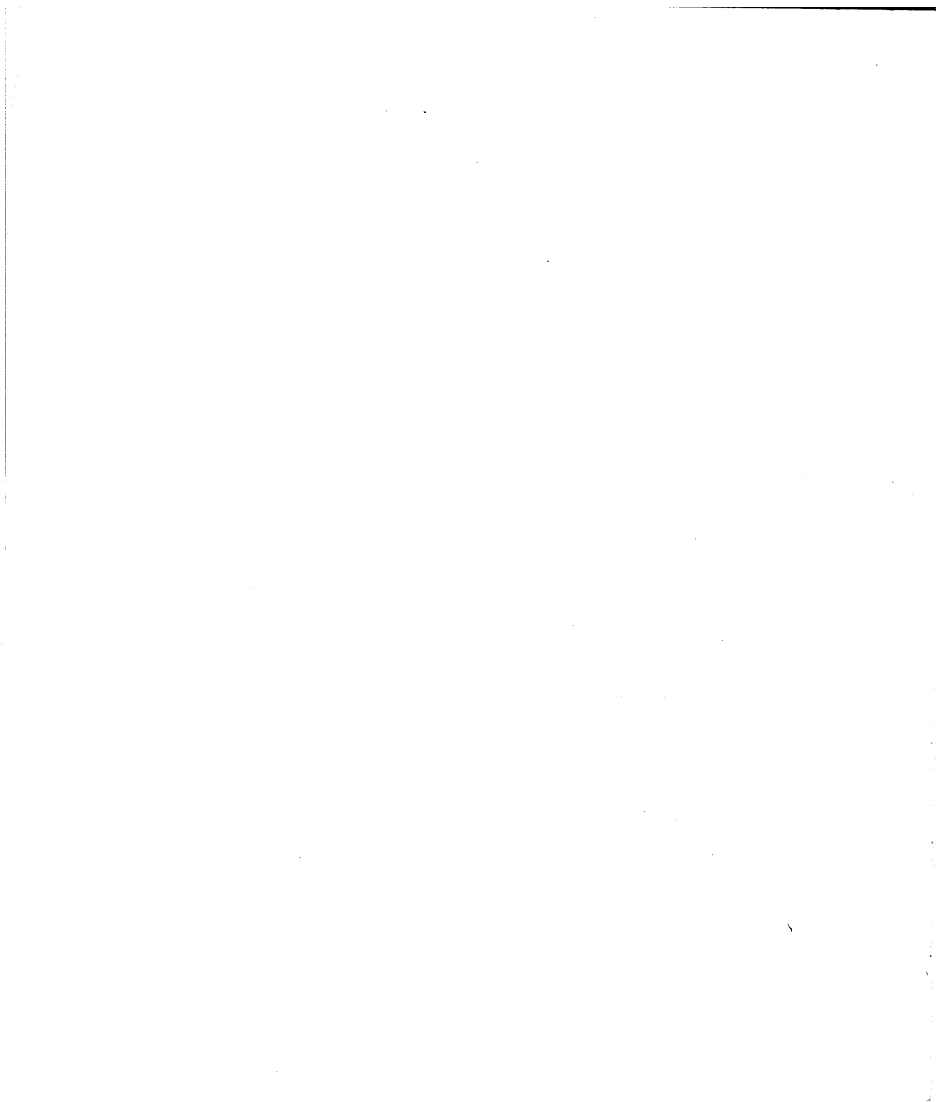
بكسباد	لحم	أرز	مسلى	حطب	بصل
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
٥٠	٤٥	٣٠	٢	٥٠	٥

ويذكر الضابط الألمانى هانز وشنهوزن Hans Wachenhusen فى تقريره
الذى نشره عن الجيش المصرى سنة ١٨٧٠ (٢) بأن الجنود كانوا يتناولون مرتين
فى اليوم طعاما ساخنا و ٣٠٠ درهما من الخبز ، وكان يخص كل فرد ٦٠ درهما
من اللحم كل ثلاثة أيام . وكان الطبخ والطعام مغذ (٣).

وعلى ذلك يمكننا القول بأن الوجبة الواحدة التى صرفت للنفر كانت كافية
لإشباعه . ولم نعرش على أية وثيقة تشير إلى أن هذه التعيينات كانت موضعا
لشكوى إلا عندما اضطرت شؤون مصر المسالية نتيجة تراكم الديون ، فعجزت
الحكومة عن تقديم القوات الضرورى لمؤلاهم الجنود فى أحيان كثيرة .

(١) نفر ٥٣٩ (معية تركى) أمركريم رقم ٣٨ ص ٤١ فى غاية رجب سنة ١٢٨١
(2) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Traduction d'un
article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No.
144 du Journal de Cologne en date du 22 Mai, 1871
et que l'Auteur dit avoir été écrit en printemps de
1870.

(١) المصدر السابق .



الفصل التاسع

هيئة أركان حرب الجيش المصرى

هيئة أركان حرب الجيش المصري

أنشئت هذه الهيئة لأول مرة في عصر محمد علي تحت رئاسة سليمان الفرنسي ، وتكونت من الضباط الذين أرسلوا الى أوروبا في بعثات عسكرية لدراسة الفنون الحربية ، ومن خريجي مدرسة أركان حرب التي أنشأها محمد علي تحت نظارة الضابط الفرنسي بلانا Planat في أكتوبر سنة ١٨٢٥ بقرية جهاد آباد. وظل سليمان الفرنسي يرأس هذه الهيئة طوال عصر محمد علي وعباس .

وفي عصر سعيد كان سليمان الفرنسي يشغل منصب السردار العام للجيش المصري ، فلما رجع بعض الضباط الذين أرسلوا الى فرنسا لإتمام دراستهم في الفنون العسكرية ، جعل من بينهم شريف (بك) ومراد (بك) وعلى شريف (بك) وحنفي (أفندي) العشماوي أركان حرب (١) له . واستمر هؤلاء يعملون معه الى أن توفي في سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩) فأخلفت الهيئة وعين ضباطها ، لقيادة الأورط (كتيبة) والآليات (اللوات) بالجيش ، (٢) .

ثم استقدمت الحكومة المصرية بعثة عسكرية من فرنسا في سنة ١٨٦٤ برئاسة القائمقام (عقيد) ميرشير الذي عين أركان حرب الجيش المصري على أن يقسم

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٤ .

بديوان الجهادية، وألحق به أربعة مهندسين مصريين، وكاتب مصرى وآخر فرنسى
لقيام المكتبات المتبادلة بينه وبين ديوان الجهادية(١).

وبتولية لإسماعيل حكم مصر فى يناير سنة ١٨٦٣ اهتمت الحكومة بزيادة
عدد الجيش المصرى، والعمل على تقويته ليصبح قوة لها خطرهما، كما كان فى
الصف الأول من القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك الحين أى من سنة ١٨٦٣ إلى
أوائل سنة ١٨٨٠ لم يهتم القائمون على شئون الجيش بأمر تنظيمه بقدر إهتمامهم
بزيادة عدده وكثرة عتاده. ولذلك تأخر ظهور هيئة أركان الحرب الحقيقية حتى
عام ١٨٧٠.

ويمكننا القول بأنه فى تلك الفترة لم تكن هناك هيئة أركان حرب بالمعنى
الصحيح، بل وجد ضباط قلائل غير أكفاء يشغلون وظائف أركان الحرب،
ولكنهم لا يؤدون عملاً ما(٢). ويؤيد هذا القول ما صرح به رياض باشا بأنه قبل
التحاق الجنرال استون بالخدمة لم يكن لدى الجيش رئيس لأركان حرب أو
ضباط أركان حرب(٣). وذكر الضابط الأمريكى داي من ضباط أركان
حرب - بأنه لم يكن هناك شيء يستحق اسم (هيئة أركان حرب) منذ أيام بلانا

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٧٥.

(2) - Dye . Molem Egypt P. 70 .

Crabités , Americans in the Egyptian Army P, 47.

(3) Discour de S. E. Riaz Pacha, Bulletin de la Société
Khediviale de Geog . II serie Supplement ' Le Caire P.
673 .

في عصر محمد علي . حتى أن الاسم نفسه قد نزل إلى الحضيض (١) . فلم توجد خرائط حربية ، ولا مكتبة عسكرية تضم الأبحاث الهامة التي يرجع إليها الضابط عند الحاجة . وتعيين الجنرال استون رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصري برتبة فريق في ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ ، دب النشاط في الهيئة ، وبدأ بوضع تقرير مفصل عن حالة الجيش المصري وقتذاك بعد دراسة دامت ستة شهور ، ثم رفعه إلى ناظر الجهادية في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٠ . وما جاء بهذا التقرير خلاصاً لهيئة أركان حرب الجيش المصري قوله «إني لم أجد هيئة أركان حرب عامة أو خاصة ، فجسم الجيش موجود برأسه وذراعيه ويديه وساقيه وقدميه ، ولكنه يفتقر إلى الأعصاب . فالرأس لا يستطيع إبلاغ أوامرها إلى الذراعين أو القدمين إلا عن طريق الأعصاب ، وكذلك الحال بالنسبة للهيئة ، إذ لا يستطيع رئيسها إصدار أوامره إلى الجيش إلا عن هيئة أركان حرب بكامل أقسامها وفروعها (٢) » .

ويقصد الجنرال استون بالأعصاب هيئة أركان الحرب التي تؤدي للجيش ما تؤديه الأعصاب للجسم من خدمات . فالجيش المصري وقتئذ كان يتكون من الأليات والاورط المنظمة تنظيمياً كبيراً ، تمثل أسلحة الجيش الثلاثة ، وتخضع لناظر الجهادية مباشرة في كل صغيرة وكبيرة . وقد بلغ من شدة المركزية وأنه إذا أريد صرف ٢٠ خرطوشة لأحد الجنود للقيام بعمل ما - وهذا أمر تافه بطبيعة الحال - فلا يستطيع ذلك إلا بإذن من نظارة الجهادية نفسها (٣) .

(1) Dye ..Moslem Egypt P. 70

(2) Abdin . Corresp. Fran . Doss . No . 50/1 Organisation de l. Ar mée . Ministère de la guerre . Bureau du Chef d ' Etat Major le Caire 15 Dec . 1870 .

(٣) المصدر السابق

فهذا التركيز الشديد للسلطة في يد نظارة الجادية، وعدم وجود هيئة أركان حرب تنظم وتوزع لإختصاصات كل فرع من فروع الجيش أخضع الجيش للروتين الحكومي العتيق . فكان من الضروري إذا لهذا الجيش الكبير من هيئة أركان حرب تنظمه وتربط بين وحداته ، وتضع له سياسة عسكرية عليا يقوم على تنفيذها ضباط أكفاء ، وكذلك تقوم بتدريب الضباط المصريين على الأعمال الحربية من جهة ، ومن جهة أخرى القيام بأعمال الإرساليات والاكتشافات التي عقدت التية وقتئذ على إجرائها بأقاليم السودان (١) . فمهدت الحكومة إلى الجنرال استون بتشكيل هذه الهيئة ورياستها . وقد قابلته صعوبات كثيرة تمكن من تذليلها بفضل مساعدة الحكومة (٢) له (وسنعرض لهذه الصعوبات فيما بعد) فألقها من الضباط المصريين (٣) الذين عادوا إلى مصر بعد إتمام دراستهم بفرنسا من المعدودين العارفين باللغات الأجنبية (٤) ، ومن الضباط الأمريكيين الذين التحقوا بخدمة الجيش المصري مع الجنرال استون . وكان تعيين أمريكي رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش المصري نذيرا بانتهاء النفوذ الفرنسي بالجيش (٥) . إلا أن تقلص النفوذ الفرنسي بالجيش المصري لم يكن مرده إلى هذا التعيين فحسب بل إلى هزيمة فرنسا أمام بروسيا في سنة ١٨٧٠ ، تلك الهزيمة التي أفقدتها

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ .

(2) Discour de S . E. Riaz Pacha, Bulletin de la Société Khediviale de Geog II serie supplemoent P. 673 .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ والحركة القومية (عصر اسماعيل) ج ١ ص ١٨٩ .

(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ .

(5) Cradités , Ismail the Maligned Khadive P. 96

هيئتها الحربية نتيجة لتفوق النظم الحربية الروسية . ولذا نجد نظارة الجهادية تأمر بتغيير النظم الحربية الفرنسية المتبعة في الجيش المصرى . بالنظم الالمانى الذى ذاع صيته وقتذاك (١) .

وبدخول هؤلاء الامريكيين هيئة أركان حرب الجيش المصرى دب فيما النشاط ، وظهرت آثاره في الإصلاحات العديدة التى أدخلت على المدارس الحربية ، وفى الروح الجديد التى بدت فى الادارة الحربية (٢) . وخصص للهيئة بناء بالقلمة بجوار نظارة الجهادية- ، وذلك بناء على رغبة الجنرال استون (٣) . وللم لمامة سرية بتاريخ حياة الجنرال استون الذى ترك أثرا فعالا فى تاريخ مصر الحربى . فقبل تعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش اشترك فى الحرب المكسيكية تحت قيادة الجنرال اسكوت Scott . ثم قام بنصيب كبير فى الحرب الاهلية الامريكية ، حيث كان يعمل فى جيش الشمال برتبة أميرالاي وعميد ، ثم شغل منصب رئيس هيئة أركان حرب ردحا من الزمن ، ثم قائدا لأحد الجيوش الشمالية . فهذه المناصب الخطيرة التى شغلها جعلته من رجال الحرب البارزين الذين اكتسبوا خبرة وتجربة- بالتتظيمات الحربية السائدة فى ذلك العصر فى الجيوش الأجنبية المختلفة .

وقد قامت بين الجنرال موط - وهو ضابط أمريكى التحق بخدمة الجيش المصرى قبل مجيء الجنرال استون إلى مصر - من جهة وبين شاهين ناظر

(١) حقائق الأخبار ٢ من ٣١١

(2) Dye ; Moslem Egypt P. 70

Crabités : Americans in the P. 47 .

(3) Abdin . Corrsp . Fran . Doss . No . 05/12 Musée
Ministère de la Guerre , Bureau du Chef d , Etat - Major
Gen . Stone à Mostafa Pacha en 12 Mai 1873 .

الجهادية والجنرال استون من جهة أخرى منازعات انتهت باعتزال الجنرال موط الخدمة . ومن ثم استحوذ الجنرال استون-بصفته رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصرى على كل السلطة . ولكنى يعرب له الخديو عن عطفه عليه وثقته به رفاه إلى رتبة فريق مع منحه رتبة الباشوية وعينه ياورا خاصاً له (١) . وقد كان لهذا التشجيع أثره فى إقدام الجنرال استون على عمله بكل همة ونشاط .

تسكيل الهيئة

تسكونت هيئة أركان حرب الجيش المصرى العسامة - فى أول الأمر - من ثمانية ضباط من بينهم خمسة من الضباط الأمريكيين هم (٢) : الجنرال استون رئيساً لهيئة أركان حرب ، والاميرالاي (العميد) الكسندر رينولد Alex Reynold والاميرالاي (عميد) فرانك رينولد Frank Reynold ، والاميرالاي (المقدم) بيردى Purdy والاميرالاي (المقدم) شاييه لونج Chaillé . Long .

نظامها وتكوينها

سار الجنرال استون وفقاً لخطة محكمة فى تشكيل الهيئة ، فأنشأ هيئة أركان حرب عامة للجيش يرأسها هو ، يكون مقرها بجوار نظارة الجهادية لسهولة الاتصال بينهما . على أن يكون لكل أقسام الجيش وألويته المختلفة التى تمثل أسلحته الثلاثة هيئة أركان حرب صغرى « مماثلة فى نظامها لنظام هيئة أركان الحرب العامة (٣) » . على أن تقوم هيئة أركان الحرب العامة بإمداد هذه الهيئات الصغرى بالضباط اللازمين لها .

(1) Abdin. Corrsp . Doss . No . 50/1 Organisation de . .
Bureu du Chef d , Etat - Major en 16 Juillet , 1871 .

(2) Abdin. Corrsd. Fran. Doss, No , 50/1 Organisation de
Bureau du Chef d , Etat - Major en 14 Decembre , 1872 .

(3) Abdin Corrsp Fran Doss . No. 05/1 Organisation de
Bureau eu Chef d , Etat - Major en 1٠ Juillet , 1871 .

وفي ١٦ يولية سنة ١٨٧١ قدم الجنرال استون تقريرا (١) إلى الخديو اسماعيل بين فيه النظام الذى وضعه لإعادة تنظيم هيئة أركان الحرب العامة، وفيما يلي بيانه :

الجنرال استون

ويشغل منصب رئيس هيئة أركان الحرب العامة ويساعده سكرتيران حربيان ، أحدهما برتبة قائمقام (عقيد) والآخر برتبة قومندان (٢).

ويلى مكتب الرئيس ستة أقسام أخرى هي (٣) :

١ - قسم التنظيم والأوامر

La Section d'Organisation et d'Ordres.

٢ - قسم التاريخ الحربى d'Etat d'Hist. Militaire

٣ - قسم الجغرافيا والتحصينات

de Geog. et de Fortification

٤ - قسم التفتيش المراقبة، والمجالس العسكرية

de Inspection et de la Justice Militaire

-
- (1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat Major en 19 Juillet 1871.
 - (2) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat en 14 Dec. 1872.
 - (3) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat en 16 Juillet, 1871.

- ٥ - قسم الإدارة d'Administration " "
- ٦ - قسم التسليح والذخائر " "
- d'Armement et de Munitions " "

وقد اختص كل قسم من هذه الأقسام بناحية خاصة .

فالقسم الأول (قسم التنظيم والأوامر) اختص بإعداد ونشر وتوزيع جميع الأوامر المتعلقة بتشكيل القوات وقيدها، وكذلك قيد أسماء المستقلين من الخدمة والمفصولين والموتى . وكذلك إصدار وتسجيل الأوامر الخاصة بتحركات القوات وتنقلات رجال الجيش .

ويقوم القسم الثانى بالاشراف على مكتبة هيئة أركان حرب ، وكذلك بجمع وحفظ المعلومات الحربية التى تتصل بالقوات المصرية أو الأجنبية ، وكافة التعليمات الحربية التى تتضمن التنظيمات الحربية والمناورات العسكرية التى تقوم بها الجيوش الأجنبية . وكذلك جميع التراجم اللازمة لمكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى . كما يتولى هذا القسم كل المراسلات الخاصة بالمدارس الحربية .

واختص قسم الجغرافيا والاستحكامات بجميع المعلومات التى يدونها ضباط أركان حرب أو غيرهم من ضباط الجيش . وكذلك المحافظة على الأجهزة الخاصة بعلم الجغرافيا، والاستحكامات، وجمع الخرائط والتقارير والمذكرات التى يقوم بتدوينها ضباط أركان حرب بقسم الكشف الجغرافى . كما يتولى القسم رسم الخرائط الخاصة بالقطر المصرى والأقطار المجاورة له . واختص كذلك بكل المراسلات التى تتعلق بخدمات التحصينات الدائمين والمؤقتين ،

وخدمات السكك الحديدية والتلغرافات الحربية (سلاح الاشارة) أثناء الحرب .

أما القسم الرابع (قسم التفتيش والمجالس العسكرية) فيوكل اليه التفتيش الحربى سواء على الفرق أم على مخازن التووين . وكذلك تسجيل جميع التقارير المتعلقة بعملية التفتيش والخدمات السرية واختبار الجواسيس والمباريين والمبلغين، وفحص السجلات الخاصة بالمقضايا التي تعرض أمام المجالس العسكرية والمجالس الحربية القضائية .

وكلف القسم الخامس (قسم الادارة) بجميع المراسلات والتسجيلات التي تتعلق بالاعمال الادارية والامدادات الحربية لسلاح المهندسين والمدفعية ومنشئ الجسور .

ووكل إلى القسم السادس (التسليح والذخيرة) القيام بإصدار جميع الأوامر والمراسلات التي تتعلق بسلاح المدفعية وإمداده بالمدافع والجرارات ... ، وكذلك كل ما يتعلق بتجهيز المدفعية والفرسان والمشاة ، وجميع المراسلات الخاصة بالذخيرة على اختلاف أنواعها سواء أكانت للفرق أم للدفاع عن الحدود .

وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٢ تقسّم الجنرال استون بمشروع إلى نظارة الجهادية بتنظيم اختصاصات النظارة وفروعها التابعة لها . وفى هذا المشروع قسم أركان حرب الجيش العامة إلى خمسة أقسام فقط . ولم يذكر القسم السادس الخاص بالتسليح والذخيرة ، وحدد عدد الضباط والجنود اللّازمين لكل قسم

من هذه الأقسام على النحو الآتي (١) :

القسم الأول : يشرف عليه ضابط عظيم ويساعده يوزباشيان و نقيبان ،
واثنان من الملازمين الأوائل وأربعة كتبة برتبة صف ضابط .

القسم الثاني : يرأسه ضابط عظيم ويساعده يوزباشيان و نقيبان ، واثنان
من الملازمين الأوائل واثنان من الكتبة برتبة صف ضابط .

القسم الثالث : ويرأسه ضابط عظيم يعاونه عشرة ضباط مرؤسين واثنان
من الكتبة برتبة صف ضابط .

القسم الرابع : ويشرف عليه ضابطان عظيمان ويعاونهما ثلاثة يوزباشية
ونقباء ، واثنان من الملازمين الأوائل واثنان كتبة برتبة صف ضابط .

القسم الخامس : يرأسه ضابط عظيم ويعاونه ثلاثة يوزباشية ونقباء ، وثلاثة
ملازمين أوائل وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط .

ويشرف على هذه الأقسام الخمسة الجنرال استون رئيس هيئة- أركان حرب ،
ويعاونه سكرتيران حربيان ، وهو مسئول عن سير العمل في هذه الأقسام
الخمس- أمام ناظر الجهادية .

بعد أن كون الجنرال استون الهيئة ، ونظم فروعها المختلفة ، وضع
ترتيباً شاملاً لنظارة الجهادية- بأقسامها الإدارية- والفنية ، وحدد اختصاص

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No 50/1 Ministère de
la Guerre Bureau du Chef d'Etat - Major Gn 14
Dec., 1871.

كل منها ، وبين كيفية التعاون بين بعضها وبعض . وفي هذا الترتيب قسم هيئة أركان الحرب العامة إلى سبعة أقسام ، يشرف عليها مكتب الرئيس . وفيما يلي بيانها (١) :

مكتب رئيس هيئة أركان الحرب العامة

يتكون هذا المكتب من الرئيس ويعاونه سكرتيران حريبان أحدهما برتبة ملازم والآخر برتبة قومندان . وفي هذا المكتب تعد المراسلات اليومية- لعرضها على ناظر الجهادية- ، وبعد الموافقة- عليها يقوم المكتب بتوزيعها على الأقسام والمكاتب المختلفة- .

الأقسام الهيئية المسببة

القسم الأول : ويرأسه القائمقام (عقيد) لونج Long ويعاونه ضابط عظيم ويوزباشيان (نقيبان) وملازمان أول وكاتبان برتبة صف ضابط . ويكلف هذا القسم بكل أعمال التدريب والتسجيل ، وتوزيع ما يصدر الى الجيش من أوامر ، وذلك فيما يتعلق بالتنظيمات العسكرية ، وبالنظام العسكري ، وبحركات تنقلات الجنود من مكان الى آخر . ويختص أيضا بتسجيل الأوامر والمراسلات العامة للظارة .

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du
Chef d'Etat Major sans date.

وقد أشار الأميرالاي دنى في كتابه Moslem Egypt من ٤٧ بأن عدد أقسام الهيئة كان سبعة أقسام وهو ينطبق على ما جاء بالوثيقة.

القسم الثاني : يتولى رئاسته القومندان لورنج Loring ويعاونه ضابط عظيم ويوزباشيان (نقيبان) وملازمان أول وكاتبان برتبة صف ضابط . ويختص هذا القسم بالإضافة الى ما ذكرناه سابقا في اختصاص القسم الثاني بطبع وإصدار الجريدة الحربية (مجلة أركان حرب) ، وكذلك الاشراف على مطبعة النظارة .

القسم الثالث : ويشرف عليه الأميرالاي (العميد) بيردى Purdy ويساعده ضابطان عظيمان وعشرة ضباط مرؤوسين وكاتبان برتبة صف ضابط . واختصاص هذا القسم لم يتغير عما ذكرناه سابقا .

القسم الرابع : وتولى رئاسته بصفة مؤقتة القائم مقام (عقيد) شايه لونج Ch.Long ويعاونه ضابطان عظيمان وثلاثة يوزباشية (نقباء) وملازمان أول وكاتبان أو أكثر برتبة صف ضابط . وأضيف الى اختصاصاته السابقة كل ما يتعلق بشئون الترسانة والمستودعات .

القسم الخامس : خلا هذا القسم من الرياسة واشتمل على ضابط عظيم وثلاثة يوزباشية (نقباء) وثلاثة ملازمين أول وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط . ووكل اليه جميع المسكبات والسجلات الخاصة بالأعمال الادارية والامدادات الحربية ، فيما عدا سلاح المهندسين ومنشئى الجسور والمدفعية .

القسم السادس : خلا هذا القسم أيضا من الرياسة ، وكان يتكون من ضابط عظيم وثلاثة يوزباشية (نقباء) وثلاثة ملازمين ، وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط . واختص بالأوامر والمراسلات الخاصة بالمدفعية ، وسلاح المهندسين ، ومنشئى الجسور ، وإمدادها بالمواد اللازمة . وكذلك كل المراسلات المتبادلة بين رياسة هيئة أركان حرب الجيش العامة وبين أركان حرب المدفعية ، فيما يتعلق بتزويد

الجيش بالمدافع والجرارات والذخائر المختلفة الأنواع ، وكذا الطوربيدات ،
ومختلف الوسائل الأخرى الخاصة بالدفاع عن الحدود .

القسم السابع : (قسم الأشغال العامة) ويشرف عليه رئيس وينقسم الى
ثلاثة فروع : الفرع الأول يتكون من ضابط عظيم وضابطين مرؤوسين أو
أكثر حسب حاجة العمل . ويكلف هذا الفرع بوضع التصميمات الهندسية
للبنشات المعمارية وإقامة الكبارى والسدود وبناء المستشفيات ...

والفرع الثانى يتكون من أربعة ضباط عظام ، وثمانية ضباط مرؤوسين
وكاتبين برتبة صف ضابط . ويختص بقياس ومسح الأراضى وإقامة المباني
ودراسة وسائل رى البلاد ، وحفر الترع والقنوات .

والفرع الثالث ويشتمل على ضابط عظيم وثلاثة ضباط مرؤوسين وثلاثة
كتبة برتبة صف ضابط . ويقوم هذا الفرع بالمراجعة النهائية لعمليات المقايسة
والتقديرات العامة وحسابات الأعمال المنتهية .

هيئة أركان حرب المدفعية

جعل الجنرال استون ل سلاح المدفعية هيئة أركان حرب خاصة به ، ولكنها
خاضعة لرئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصرى العامة ، وتتكون من مكتب
رئيس هيئة أركان حرب المدفعية وقسمين آخرين .

ويختص المكتب بعمليات شراء وحفظ المواد الحربية اللازمة للمدفعية ،
وكذلك جميع الأسلحة والذخائر الحربية . ويتولى أيضا توزيع المدافع المختلفة
الأنواع ، والجرارات الحربية والمهمات الحربية- للجيش ، وكذا شراء الخيول ،

والاطقم الخاصة بالمدفعية السوارى . ويقوم كذلك بالمراجعة الاولى لحسابات
الترسانات الحربية ، ومصانع البارود ، وغيرها وكل ما يتعلق بسلاح الطورييد
وغيره من أسلحة العواصات . ويختص لرئيس هيئة أركان حرب المدفعية جميع
المشرفين على شئون الترسانات ومخازن مهات المدفعية .

أما القسم الاول فيتكون من ضابط برتبة جنرال وضابط عظيم وضابطين
مرؤوسين وثلاثة-كتبة برتبة صف ضابط . ويقوم هذا القسم بكل ما يتعلق
بإدارة الترسانات ، وأعمال الانشاء والترميم ، والإشراف والمدافع ومصانع
البارود . ويختص أيضا بخدمات الطورييد والمراجعة الاولى للحسابات التي يتقدم
بها الضباط بشأن هذه المواد والمشتريات .

والقسم الثاني يشتمل على ضابط عظيم وثلاثة- ضباط مرؤوسين وثلاثة-
كتبة برتبة صف ضابط . ويقوم هذا القسم بتوزيع جميع مهات الجيش . وكذلك
المراجعة الاولى للحسابات المقدمة من ضباط الجيش بشأن المهات الحربية .

ون ١٥ مايو سنة ١٨٧٣ وضع الجنرال استون ترتيبا (١) آخر حدد فيه
ضباط أركان حرب بفيلقين مكوّنين من مئى ضابط على النحو الآتى :

برأس الفيلقين رئيس هيئة أركان حرب الجيش وتحت إمرته ٩٨ ضابط
أركان حرب لاسلحة الجيش المختلفة ، و ٢٦ لمكتب الرياسة و ٧٥ ضابط أركان
حرب للبدريات . واشتمل هذا العدد على الرتب الآتية : رئيس برتبة فريق

(1) Abdi.n. Corrs Fran. Doss. No. 50:1 Bureau du Chef
d'Etat Major, Le Caire, en 15 Mai, 1873.

وضابطين برتبة لواء وثمانية برتبة أميرالاي (عميد) و ٢٧ برتبة قائمقام (عقيد) و ٣٤ برتبة قومندان و ٨٦ برتبة يوزباشى (نقيب) و ٤٢ برتبة ملازم .

وقد وزع هؤلاء الضباط على أسلحة الجيش المختلفة بنسب معينة ، فخص كل سلاح من الأسلحة- ضابطا برتبة لواء أو قائد فرقة وأربعة برتبة قائمقام (عقيد) وثلاثة برتبة قومندان وسبعة برتبة يوزباشى (نقيب) فيكون مجموع هؤلاء ٩٥٠ ضابطا .

وكان نصيب اللواء من الضباط قائمقام (عقيد) واحد وقومندان ويوزباشيين (نقبين) وملازم ومجموع هؤلاء ٥ ضباط .

ولكل مديرية قائمقام (عميد) أو قومندان وأربعة ضباط عظام . وخصص لمكتب رئيس هيئة أركان حرب أربعة أميرالايات (عمداء) وقائمقامان (عقداء) وقومندانان و ٨ يوزباشية (نقباء) و ١٠ ملازمون أوائل . ومجموع هؤلاء ٢٦ ضابطا . وخص المديرية من ضباط أركان حرب خمسة برتبة قائمقام (عقيد) وعشرة برتبة قومندان و ٤٠ برتبة- يوزباشى (نقيب) و ٢٠ برتبة- ملازم أول . ومجموع هؤلاء ٧٥ ضابطا .

اختصاصات هيئة أركان حرب

إن هيئة أركان حرب الجيش من أزم الإدارات في الجيوش الحديثة في وقت السلم والحرب على السواء . ففي وقت السلم تقوم بتدريب الضباط على الأعمال الحربية ، والإشراف على سير الدراسة بالمدارس الحربية ، ورضع النظم الحربية الملائمة لها ، وكذلك إمداد الجيش بالمعدات اللازمة- لموترويه بضباط أركان حرب و صفوف الجيش ، لأن العلاقة- الحسنة- والاحترام المتبادل بينهما

هما الأساس الذى يقوم عليه التعاون بينهما فى أوقات السلم والحرب (١) .

أما فى أوقات الحرب فتقف الهيئة إلى جوار القائد العام للجيش لتعاونه فى إمداد الجيش المحارب بما يلزمه من عتاد حربي ، وكذلك تضع له الخطط الحربية ، وتشرف على حركات القوات المحاربة وتقوم بتوزيع الأوامر التى يصدرها القائد إلى وحدات الجيش المختلفة بسرعة فائقة ، كى تستطيع هذه الوحدات أن تعمل ككتلة واحدة فى إنسجام وتعاون تامين بين أجزائها . وعلى هيئة أركان حرب أيضا أن تمد القائد العام بالمعلومات الوافية عن حالة جيش العدو ، وعن تحركاته وطبيعة الاقليم الذى يحتله ، والاراضى المجاورة له ، ومدى سهولته أو وعورته فى الامداد والحركة (٢) . على أن يكون ضباط أركان حرب من غير ضباط الصفوف حتى يستطيع كل أن يتفرغ لعمله تفرغا تاما . فيختص ضباط الهيئة بأعمال أركان الحرب ، ويترك أمر القيادة لضباط الصفوف .

هذا هو ملخص ما تقوم به هيئة أركان حرب الجيش فى كل الجيوش الحديثة ، وهى تنطبق كل الانطباق على اختصاصات هيئة أركان حرب الجيش المصرى . إلا أننا سنرى أن هذه الهيئة لم تستطع مباشرة كل اختصاصاتها ، نتيجة للعقبات التى وضعت فى طريقها من رجال الجيش القدماء الذين اعتقدوا أن الهيئة ماجامت إلا لتفتتت على حقوقهم التى ورثوها من قديم الزمان ، فأحصرت هذه الاختصاصات فى حيز ضيق جدا لا يمس الحاجيات المباشرة للجيش إلا من بعيد .

(1) Dye : Moslem Egypt P. 69 & 70 .

(٢) المصدر السابق

الصعوبات التي واجهت الهيئة

واجهت الهيئة صعوبات عديدة في سبيل وضع وتنفيذ التنظيمات التي رأت إدخالها على الناحيتين الفنية والادارية في الجيش . وترجع تلك الصعوبات إلى المقاومة العنيفة التي لاقتها الهيئة من رجال الجيش القدامى نتيجة لتأصل جذور و نظام الباشا ، في الجيش منذ أيام المماليك ، وقبل أن ينشئ محمد على جيش مصر الحديث (١) . ونظام الباشا هذا يتلخص في أن الباشا أو البك (الحاكم) كان يقوم بنفسه بأعمال القائد العام والإدارة ، وكذلك الإشراف على الناحية القضائية (٢) . أى أنه كان يجمع في يديه كل السلطة . ويشير الأميرالاي (عميد) داي إلى ذلك بقوله بأنه « من الطبيعي لفرد يجهل تنظيمات الجيوش الحديثة وقواعد الحروب الجديدة ، فرد قد ورث عن أجيال عديدة حقوقا وامتيازات أن ينظر بعين الحقد ، وأن يقاوم كل محاولة لإدخال هيئة أركان حرب في الجيش معتقدا بأن ضباط الهيئة لابد معتدون على سلطته وحقوقه القانونية (٣) ، ولذلك فقد حاربوها شبرا بشبرا وذراعا بذراع (٤) . وسبق أن وقف رجال جيش محمد على نفس الموقف من قبل إزاء البعثة الفرنسية التي إستقدمها محمد على تحت إشراف الجنرال بويه Boyer عندما حاولت إدخال بعض التغييرات الجوهرية في نظم الجيش (٥) . ولكن شخصية محمد على القوية وتعصيده لرجال

(1) Crabités ; Americans in the Egyptian Army P.48 .

(2) Dye : Moslem Egypt P.71

(٣) المصدر السابق

(4) Crabités : Americans P. 47 .

(5) Dye; Moslem Egypt P. 71

البعثة قد أوقفت هذه المقاومة عند حد معين . ومع ذلك فقد عاد ونظام الباشاء من جديد بعد وفاته (١) .

وقد اتخذت هذه المقاومة للنظم الجديدة التي أدخلها الجنرال استون أشكالاً متعددة ، فظهرت في عرقلة أعمال الهيئة ، وفي حجب الدسائس ضد الجنرال استون ورجاله . وكان الغرض من هذا هو إيقاف كل مجهود يبذل للإصلاح (٢) . ولم تكن شخصية اسماعيل على درجة من القوة تعادل شخصية جده محمد على ليستطيع وقف تلك المحاولات عند حدها . ويمزو الأميرالاي (العميد) شاييه لونهج قوة المكائد والدسائس التي كانت تحاك للضباط الأمريكيين إلى ضعف التمثيل القنصلي الأمريكى في ذلك الوقت . وأولى تلك العقبات التي وضعت في طريق ضباط أركان حرب ، هي الخيولة بينهم وبين صفوف الجيش . فهذا الفصل بين ضباط الجيش الواحد قد أوجد نفورا بين ضباط أركان حرب وضباط الصفوف أو الميدان ، وكان له أسوأ الأثر ، إذ خلق جوا من الحقد والكراهية بينها . مع أن من أهم الأسس أو الدعائم التي تعتمد عليها الهيئة في نجاح خططها هو التعاون الوثيق والاحترام الصادق والثقة التامة للتبادلة بين كلا الفريقين ، والتي بدونها لا يمكن لأى جيش من الجيوش أن يأمل في النصر . وكانت الحرب الحبشية سنة ٧٥ - ١٨٧٦ التجربة الأولى التي أظهرت بوضوح وجلاء لإختلاف وجهات النظر ، وتضارب الآراء بين أركان حرب الحملة والقيادة ، وما تمنخص عن ذلك من فشل الحملة . كل هذا يرجع إلى الكراهية المستحكمة بين قيادة

(1) Crabités ; Americans P. 84 .

(2) Dye ; Moslem Egypt P. 71

الجيش وبين أركان حربه ، وذلك لأن قائد الحملة (راتب) كان من رجال الجيش القدماء الذين يمثلون العقلية القديمة التي لا تعترف بهيئة أركان حرب ، ولا بما تؤديه للجيش من خدمات . ويفسر لنا هذه العقلية بوضوح ما ذكره شأبييه لورنج في وصفه لمقابلة الجنرال لورنج ولقيف من الضباط لقائد الحملة راتب بعد تعيين لورنج رئيساً لأركان حربه حيث بادرهم راتب بقوله : ... ليس لدى مكانا لهيئة أركان حرب ، ولا توجد هيئة أركان حرب . أيها السادة إذا احتجت اليكم فسأخطركم بذلك (١) .

وقد رواد الامل الجنرال استون عندما عين الامير حسين (باشا) ناظرا للجهادية في ٩ شعبان سنة ١٢٩٠ (أواخر سنة ١٨٧٣) فظن بأنه سيتمكن بنصائحه وتوجيهاته أن يضم الامير الصغير (ناظر الجهادية) إلى جانب ليعضده ويشد أزره فيها يريد إدخاله من إصلاحات على نظم الجيش . ولكن خاب ظنه وبقيت الهيئة منفصلة كل الانفصال عن جنود الصفوف (٢) ، فحرم بذلك الجيش من الفائدة العملية والخبرة الحربية لهؤلاء الضباط الذين خاضوا غمار حروب كبيرة ، وكانوا يعلون الشيء الكثير عن الفنون الحربية وقتذاك (٣) . ولم يبعد الامر كيون وحدهم عن صفوف الجيش ، بل أقصى عنها كذلك كل الضباط الاجانب (٤) .

1 - Chaillé - Les Trois Prophets P. 98 .

2 - Dye : Moslem Egypt.... P.74 .

3 - Crabités : Americans in P.48

4 - Dye : Moslem Egypt P.75

ولم تقف حركة المقاومة عند هذا الحد ، بل تجاوزتها إلى مخالفة أوامر الهيئة وتخطى سلطتها . فوجد ناظر الجهادية نفسه (الامير حسين) يصدر أوامره مباشرة إلى إدارة الجيش (١) . مع أن التنظيمات التي وضعها الجنرال استون ووافق عليها الخديو تنص على وجوب تولى الهيئة توزيع جميع الاوامر الواردة والصادرة إلى مختلف وحدات الجيش . فإذا كان ناظر الجهادية وهو الرئيس الأعلى والمشرف على تنفيذ تلك الأوامر يتخطى الهيئة ولا يقيم لها وزنا ، فلا نستبعد إذاً أن يقدم على هذا العمل من هو أقل منه شأنًا . وقد تكرّر هذا الحادث مرة أخرى مع الجنرال لورنج الذي وكل اليه مهمة تحصين سواحل منطقة الاسكندرية . وكان تحت إمرته فيلق عرف باسمه Corps de Loring وهو مستقل عن باقي وحدات الجيش وخاضع مباشرة للخديو اسماعيل (٢) . وكان قائد حامية الاسكندرية وقتئذ خالد (باشا) يرسل إلى قيادة الجيش وناظر الحربية مباشرة جميع المراسلات التي تتعلق بحاميته دون أن تمر هذه المراسلات بمكتب الجنرال لورنج بصفته قائد تلك المنطقة . وكان في هذا العمل تحقير من شأن لورنج وهيئة أركان حرب الجيش المصري . فرفع لورنج عهده بالشكوى (٣) إلى الخديو مباشرة في ١٧ يونيو سنة ١٨٧١ طالب فيها تغيير قائد الحامية بآخر يدرك لإختصاصات الهيئة . وقد تقدم الجنرال استون بتقرير (٤) عن هذا

(١) المصدر السابق .

2 - Chaillé - Long : Les Trois Prophets P.93

3 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organisations..
Bureau du Chef d'Etat - Major Alex. en 17 Juin 1871 .

4 - Abdin. Corrsp. Fran Doss. No. 50/7 Bureau du
Chef d'Etat Major en 17 Juin,1871 .

الموضوع رفعه للخديو إسماعيل ، أبرز فيه مخالفة خالد قائد حامية الاسكندرية للتعليمات الحربية ، وأثبت فيه قوله بأن كاتبها واحدا فقط يكفيه عن هيئة أركان حرب (١) ، ورجا الخديو إسماعيل أن يغيره . وفي ختام الخطاب أوضح للخديو أنه إذا استمرت المراسلات بين الفرق والوحدات تتبادل مباشرة دون أن تمر على مكتب هيئة أركان حرب فسيظل جيش الخديو مجموعة من الفرق المنظمة التي لا رابط بينها . ثم قال إن القائد الذي لا يستطيع في تلك الأيام أن يستعين بهيئة أركان حرب لا يحق له أن يطلق على نفسه اسم قائد . فلا يوجد في عصرنا الحاضر الضابط الذي يستطيع أن يملأ بمفرده مركز القيادة ، ووظائف الياور ، ورئيس أركان حرب ، ورئيس الإدارة والسيارة في آن واحد (٢) .

وقد تعقب الاضطهاد تلاميذ مدرسة أركان حرب التي أنشأها الجنرال استون أثناء دراستهم ، فمع أن تلامذة هذه المدرسة كانوا يختارون من صفوة تلامذة المدارس الحربية والمهندسخانة ليقتضون سنة كاملة في الدرس والتحصيل ، نجدهم لا يكافون عن دراستهم هذه مكافأة حالية أو مستقبلية (٣) . بينما نجد زملاءهم الذين تخرجوا معهم من مدرسة حربية واحدة والذين كانوا أقل منهم حظا في التقدم والاجتهاد يعينون في الجيش برتبة الملازم الثاني ، ويتقاضون مرتبا قدره ٣٠٠ قرشا في الشهر . وقد بذلت محاولات كثيرة لمساواة تلامذة مدرسة أركان حرب أثناء دراستهم هؤلاء في المرتب ، فكللت هذه المحاولات بالنجاح واستطاع تلامذة أركان حرب أن يتقاضوا مرتب الملازم الثاني ، ولكن قوة نفوذ رجال

(١) المصدر السابق .

2 - Abdin. Corresp. Fran Doss. No 50/7 Bureau du Chef d'Etat Major en 17 Juillet 1871.

3 Dye : Moslem Egypt P. 72

القداىى مكنتهم من الغناء هذه التسوية العادلة بين خريجي المدرسة الواحدة . وعندما يتخرج تلامذة مدرسة أركان حرب يلحقون بالجيش برتبة الملازم الثانى ، فيرتب على هذا الإجراء أن يصبح لزملائهم -الذين تخرجوا معهم من المدارس الحربية الأخرى دون أن يلتحقوا بمدرسة أركان حرب - أقدمية من حيث الترقيات والعلاوات (١). ونتيجة لذلك أصبح التلاميذ النجباء يضطهدون - لا لشيء - سوى لسكونهم مجتهدين (٢) . وكان الغرض من هذه السياسة - بطبيعة الحال - هو الحط من شأنهم أو الحط من شأن هيئة أركان حرب بطريق غير مباشر .

ولم يستطع الجنرال استون ، رغم ما كان يتمتع به من ثقة الحديو ، أن يوقف هذا التيار المضاد . فكان عليه إذاً أن يختار أحد أمرين ، إما الاستقالة أو البقاء فى منصبه ، على أن يندل مائى وسمه بالطرق التى يراها مجديه- (٣) . وقد فضل الأمر الأخير .

ز مع ذلك فىمكننا القول بأن هذه الصعوبات التى وضعت فى طريق الهيئة فى كل ما يتعلق بالأمور المباشرة للجيش صرفت جهودها إلى ناحية الكشف الجغرافى فى أواسط أفريقيا . وقد أنت هذه الكشوف بنتائج باهرة لانقل أهمية عما كانت ستؤديه للجيش من خدمات . هذا فضلاً عن إنشاء المتحف الحربى ومكتبة أركان حرب ...

(1) Dye : Moslem Egypt ... P.72

ويذكر الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم فى كتابه تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٩ حاشية بأث خريجي مدرسة أركان حرب كانوا يمنعون رتبة الملازم الأول وهذا القول يخالف ما ذكره الضابط الأمريكى داي - من ضباط أركان حرب - من أن مدة السنة الدراضية فى مدرسة أركان حرب لم تعد تلاميذ المدرسة لا فى الحال ولا فى المستقبل 2 - Crabités Américans in ... P . 48

(٣) المصدر السابق ص ٤٩

خطة الدفاع عن الأراضى المصرية

لمساءت العلاقات بين مصر والباب العالى فى سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ نتيجة لمحاولة الخديو أخذ مطايبه بالقوة عـكف الجنرال استون بعد تعيينه مباشرة فى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى وضع خطة حربية للدفاع عن مصر فى حالة مهاجمتها من الساحل . فوجه عنايته أولا الى تحصين سواحل مصر الشمالية المواجهة لتركيا ، وفى ٤ يناير سنة ١٨٧١ رفع مذكرة (١) الى الخديو اسماعيل بشأن الدفاع عن مصر عرض فى مقدمتها الى الجيوش . التى نزلت بأرض مصر فى العصر الحديث بقصد الغزو . فأوضح بأن الحملة الفرنسية تمكنت من لنزال جنودها الى مصر فى يوليو سنة ١٧٩٨ دون خسارة فى الأرواح نتيجة لبقاء حامية الاسكندرية داخل تحصيناتها ، ولم تتعرض للحملة أثناء نزولها الى البر . ثم قارن بينها وبين جنود الانكشارية الذين نزلوا الى سواحل مصر فى نوفمبر سنة ١٧٩٩ بمعاونة الأسطول الانجليزى لطردهم الفرنسيين من مصر ، وكان عددهم لايزيد عن ٨٠٠٠ جندى ، وما تكبدهم من خسائر فادحة نتيجة للهجوم الذى شنه عليهم الجنرال فيردييه Verdier بقوته الضئيلة التى تراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ جندى من المشاة و ٢٠٠ من الفرسان ، حيث تمكنوا من القضاء على قوات الانكشارية قبل نزولهم الى البر . فبلغت خسائرهم ٣٠٠٠ بين قتيل وغريق وأكثر من ٨٠٠ أسير . كل ذلك كان بفضل الهجوم القوى الذى شنته قوات

1 - Abdin. Corrsp. Fran, Doss. Nò 50/4 Defence des Cotés.
Ministère de la Guerre Bureau du chef d'Etat-Major en
7 Fev . 1871.

فيردييه على العدو أمتناء نزوله الى البر . ثم قارن هاتين الحملتين وحملة ثالثة ، وهي الحملة الانجليزية التركية التي تولت لإخراج الفرنسيين من مصر ، حيث اقترب الاسطول الانجليزي من الشواطئ المصرية في فبراير سنة ١٨٠١ ، ولم يتمكن من انزال القوات الى البر إلا في ٨ مارس سنة ١٨٠١ أي بعد مرور ١٢ يوما من وصول الحملة الى مصر ، واستطاعت القوات الانجليزية التركية تحت قيادة الجنرال فريان Friant لئزال ٥٠٠ جندي الى البر بخسارة قدرها ١٢٠٠ جندي ، وذلك لعدم اهتمام الجنرال مينو باستغلال مدة الإثني عشر يوما التي بقيت فيها القوات الانجليزية تجاه الشواطئ المصرية في تعزيز الدفاع الساحلي نتيجة لبطء وسائل النقل إذ ذاك . وخلص الجنرال استون من دراسته لهذه الحملات الثلاث بأنه يجب للدفاع عن مصر ضد أي عدوان أن تتبع الوسائل الآتية (١) :

أولا - يجب تحصين عدد من المواقع على الساحل الشمالي لتكون بمثابة نقاط ارتكاز للقوات المدافعة . وقد عهد الى القائمقام (عتيد) لورنج بهذه المهمة (٢) .

ثانيا : في حالة الحرب (تزوع) مداخيل الموانئ والأنهار المصرية بالطوربيدات .

ثالثا : إن تركيز قوة الدفاع الساحلي لمهاجمة القوات المغيرة أثناء نزولها لمن أهم وسائل الدفاع عن مصر . ولا يتسنى للقوة المدافعة ذلك إلا إذا كانت النقطة الرئيسية على الساحل مجهزة بوسائل نقل سريعة ، تكون على أتم استعداد

1 - Abdin . Corrsp. Fran . Doss . 50/4 en 7 Fev . 1871

2 - Chaillé - Long : Les Trois Prophets p.93.

لنقل قواتها ومعداتها بسرعة تفوق سرعة نقل قوات العدو المهاجم. فمثلا إذا اقترب أسطول معادى من مدينة دمياط لإنزال ما عليه من جنود بها ، ووجد أنه لا يستطيع ذلك لقوة دفاع المدينة ، فإنه يتجه بسرعة محاولا أنزلهم في ميناء بور سعيد أو أبي قير أو رشيد . ولهذا يجب أن يكون ادى حامية دمياط وسائل نقل سريعة عن اليمين وعن الشمال أسرع من بوارج العدو البخارية. ولا يتنى لها ذلك إلا عن طريق سكك حديدية تربط دمياط بالداخل ، وكذلك بإنشاء خط حديدى حربى من ميناء بور سعيد الى الاسكندرية على طول الساحل ، وسيكون لهذا الخط أهمية عظيمة .

بعد أن فرغ الجنرال استون من وضع مشروعاته الخاصة بالدفاع عن الساحل الشمالى وجه عنايته الى ساحل البحر الأحمر. ففي ٧ فبراير سنة ١٨٧١ رفع مذكرة أخرى الى الخديو اسماعيل طالب فيها بضرورة احتلال المنطقة المقابلة لرأس محمد كوقع حربى أمامى لخليج السويس وأوصى بأن يكون لهذا الموقع بطارتان قويتان وأن يصله بالسويس أربعة خطوط تليفونية . ونظرا للصعوبات الكثيرة التى تواجهها الحكومة المصرية فى استيراد الفحم فى أوقات الحرب أوصى الجنرال استون بأن تشتري الحكومة كميات كبيرة من الفحم Anthracite لإمكان تخزينه إذ لا يتطرق اليه التلف بسرعة ، كما يحدث لفحم Bitumineux . وفى ختام مذكرته أشار الى النقص الكبير فى المعدات الحربية لسلاح المهندسين وضباط أركان حرب ، وأوصى بضرورة شراء ١٢ نقالة للجيش ، و ١٠٠ بوصلة عادية ، و ٣٠ بوصلة سميتية ، وثلاثة أجهزة خاصة بقسم الجغرافيا بهيئة أركان حرب . كما أوصى فى مذكرة (١) أخرى له فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٣ بتأسيس مدرسة

1 - Abdin. Corresp. Fran Doss No.50/5 Defence des Cotés.
Bureau du Chef d'Etat - Major en 20 Sept . 1873.

تتسع لخمسین ضابط لتعليم حرب الغواصات ، وذلك للدفاع عن سواحل مصر .

الدفاع الداخلى

تقدم الجنرال استون - بعد دراسة نظام الرى بمصر - بمشروع^(١) فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧١ یرى الى الاستفادة من الترع والقنوات ومن عمليات تطهيرها فى الدفاع الداخلى عن مصر . وقد عرض فى المقدمة الى طيبة الاراضى المصرية وخلوها من الجبال والمرتفعات والاخاديد وهى مـيزة عظيمة القيمة بالنسبة للجيش المهاجم ، ولكنها ليست فى صالح الجيش المدافع . ولهذا كان من الضرورى لإنشاء مواقع صناعية مرتفعة لها قيمة حربية فى الإشراف على ماحو اليها من الاراضى الزراعية . وهذه المواقع المرتفعة يمكن تكوينها بسهولة بوضع ما يتخلف عن عمليات تطهير الترع على إحدى ضفتيها . وتوالى عملية التطهير والتسكويم يصبح لدينا مواقع مرتفعة يمكن تحصينها بتلو بعضها الآخر ، ولها قيمة حربية عظيمة كخطوط دفاع متتالية . وستقوم الترع كذلك بدور هام فى عرقلة زحف الجيش المهاجم إذ ستكون بمثابة أخاديد يمكن زيادة مائها أو خفضه حسب الحاجة للدفاع عن البلاد . وقد أوصى بإقامة هذه الضفاف العالية فى الأماكن القريبة من طرق المواصلات الرئيسية ، وهى الطرق التى يمكن للجيش المغيرة أن تسلكها أو تهاجمها . على أن يوضع نظام خاص تسير عليه عمليات التطهير التى ستحدث فى المستقبل، على أن يشرف على هذا النظام ضابط من سلاح المهندسين . وهذا المشروع لن يكلف الحكومة شيئا وأغلب الظن أن هذا

1 Abdin . Corrsp. Fran . Doss. No . 50/4 Defencè des Côtès
Bureau du Chef d ' Etat - Major en 25, Sep . 1871 .

المشروع الدفاعى - رغم وجاهته - لم يخرج الى حيز الوجود ، إذ لم نعر على أية وثيقة تشير اليه بعد ذلك .

مكتب هيئة أركان حرب

إن إيجاد مكتبة ضخمة تضم الآلاف من الكتب التى تتناول الموضوعات العسكرية المختلفة من أهم مستلزمات الجيوش الحديثة . ففى المرجع الرئيسى لضباط هيئة أركان حرب للاستزادة من المعلومات العسكرية والوقوف على آخر ما وصل اليه فن الحرب والقتال . ولهذا نجد الجنرال استون يخصص القسم (١) الثانى من أقسام الهيئة للإشراف على تكوين المكتبة العسكرية . فوكل اليه جمع وحفظ الكتب العسكرية ، والتقارير التى تدور حول الجيش المصرى والجيوش الاجنبية . وكذلك كل ما يتعلق بالتنظيمات الحربية ، والمناورات العسكرية ، وترتيب هذه الكتب والتقارير وتبويبها لامكان الإفادة منها والرجوع اليها وقت الحاجة . واستلزم إنشاء المكتبة اعتماد مبالغ معينة تخصص لشراء ما تحتاج اليه من كتب . ففى بادىء الامر كان الجنرال استون يستأذن الخديو فى كل ما يرغب فى شراؤه من الكتب ، ولكن نظرا لانتساع مشتريات المكتبة من المطبوعات والنشرات العسكرية ، التمس الجنرال استون من الخديو أن يخول له السلطة فى شراء ما يلزم المكتبة ، ودون الالتجاء الى طلب التصريح له بذلك فى (٢) كل مرة .

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss.No . 50/1 Bureau du Chef d'Etat-
at - Major en 16 Juillet ,1871 .
- Abdin Corrsp. Fran . Doss . 50/2 Bibliothèque . Bureau du
Chef d 'Etat - Major à Son E. Abdel - Gelil Bey en 26 ,
Dec . 1871 .

محتوياتها : كانت المكتبة تضم الكثير من أحدث الكتب التي ظهرت في فن الحرب والتاريخ الحربى ومختلف النشرات الخاصة بالتطبيقات الحربية والتجهيزات العسكرية فى مختلف دول العالم . بالإضافة الى العدد الكبير من الجرائد والمجلات العسكرية الخارجية . وقد أفادت هذه المكتبة ضباط أركان حرب بصفة خاصة ، وضباط الصفوف بصفة عامة .

المتحف الحربى

من الأعمال الجليلة التى قامت بها هيئة أركان حرب الجيش المصرى لإنشاء المتحف الحربى الذى لا يخلو منه قطر من الأقطار التى بها جيوش حديثة . وقد أوصى الجنرال استون على إقامته فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧١ (١) . وكان الغرض من إنشائه وقوف تلاميذ المدارس الحربية وضباط الجيش على تأريخ تطور الأسلحة الحربية المختلفة ، ومدى التقدم الذى وصل اليه الجيش المصرى فى مضمار التسليح ، وكذلك الجيوش الأجنبية فى الأسلحة الحربية المختلفة المستعملة فى الهجوم أم الدفاع . وفى ١٢ مايو سنة ١٨٧٣ اعتمدت نظارة الجهادية مبلغ ألفى جنيه لشراء ما يلزم للمتحف الحربى والمكتبة . كما طلب الجنرال استون فى نفس التاريخ من نظارة الجهادية التصريح له بنقل جميع الأسلحة الدفاعية والهجومية القديمة والحديثة على السواء والموجودة بالمخازن الحربية الى دارالمتحف الحربى (٢) . ومن هذه الأسلحة تكونت نواة المتحف الحربى . وقد عثرت

1 - Abdin . Corrsp . Fran . Doss . No. 50/5 Ecoles Militaires
Bureau du Chef d ' Etat - Major en 1871 .

2 - Abdin . Corrsp . Fran . Doss . No . 50/11 Missions . Bureau
du Chef d ' Etat - Major en 21 , Mai , 1873 .

على ثبت بمحتويات المتحف من مختلف الاسلحة والمعدات الحربية القديمة والحديثة ، مينا به كل نوع من أنواعها ، مع ذكر اسمه ورقه والمصنع الذي استورد منه وتاريخ صنعه . ويقع في أربع صفحات من القطع الكبير . وقد وضعت هذه الاسلحة في عهدة ملازم أول يدعى عبد الرحمن مجدى وقام بتسليمها اليه المستر كنج ويقوم بشئون المتحف ، بالإضافة الى وظيفته الأصلية كأمين مكتبة المدارس الحربية (١) .

محتوياته : كان يضم المتحف كما ذكرت نماذج من مختلف الاسلحة النارية من جميع الطرز المستعملة في الجيش المصرى مع نظائرها في الدول الأجنبية . وقسمت هذه الاسلحة الى قسمين : قسم لاسلحة الهجوم ، وآخر لاسلحة الدفاع من القديم والحديث . وجميعها خالية من البارود والمفرقات ، مع نماذج من القواعد والركائز المختلفة وعربات الاسعاف ...

مطبعة أركان حرب الجيش المصرى

كان لابد لهيئة أركان حرب من مطبعة خاصة تتولى طبع ونشر ما تصدره الهيئة من نشرات ومطبوعات عسكرية . وقد أنشئت هذه المطبعة في سنة ١٨٧٤ ونشرت كتباً عديدة عن البعث الكشافية التي قام بها رجال هيئة أركان حرب في السودان وفي مديريات خط الاستواء . وهذه الكتب وصفا تفصيلاً دقيقاً لكل بعثة من هذه البعث ، وما قامت به من جلائل الاعمال ، مع بيان

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss.No. 50/11 Bureau du Chef d'Etat - Major en Mai,1871 .

بالخرائط الجغرافية التي قام بعملها ضباط الجيش . كذلك تولت المطبعة طبع الكتب الدراسية التي رأت الهيئة تدريسها لتلاميذ المدارس الحربية . كما قامت أيضا بطبع « مجلة أركان حرب الجيش المصري » التي كانت تصدرها الهيئة ابتداء من الجزء الأول (المجلد الأول) للسنة الثانية . وذلك في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (٢٩ يونيو سنة (١) ١٨٧٤) . وكانت تتولى طبعتها من قبل مطبعة وادي النيل المصرية بباب الشعريه (٢) بالقاهرة .

القانون الحربي المصري : في ٢ ديسمبر سنة ١٨٧١ نشر الجنرال استون قانوناً حروبياً جديداً للجيش المصري (٣) ، اقتبس من القانونين الانجليزي والامريكي مع إدخال بعض التعديلات البسيطة عليه ليتمشى مع روح الخدمة العسكرية المصرية ورفعته الى الخديو اسماعيل في نفس التاريخ ، فوافق على العمل به .

مساكن الجنود : تناول نشاط الهيئة مساكن الجنود المصريين كذلك، فرفع الجنرال استون في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٣ (٤) التصميمات الهندسية التي وضعتها

(١) مجلة أركان حرب الجيش المصري . ج ١ (المجلد الأول) السنة الثانية في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (٢٩ يونيو سنة ١٨٧٤) بمطبعة عموم أركان حرب .
(٢) مجلة أركان حرب الجيش المصري . العدد الأول (السنة الأولى) في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (يولييه سنة ١٨٧٣) .

3 - Abdin Corrsp Fran Doss No 50/1 Bureau du Chef d'Etat Major en Dec 2 , 1871 .

4 - Abdin Corrsq. Fran Doss.No 50/3 Constructions Militaires . Ministère de la Guerre . Bureau du Chef d'Etat Major (Stone) à S. E. Abdel Gelil Bey Secretaire de Son Altesse Le Khedive à Costantinople en 13 , Juil . 1873.

الهيئة للساكن العسكرية الجديدة ، وهى عبارة عن مساكن خشبية لاستعمال قوات الجيش روعى فى وضعها البساطة التامة وسهولة الفك والتركيب بمسامير من التلاووظ (١) .

هيئة اركان حرب فى الجزائر

كان بعث هيئة اركان حرب الجيش المصرى من جديد فى سنة ١٨٧٠ عملا جليلا استحق كل تقدير ، لأن هذه الهيئة لا غنى عنها مطلقا لآى جيش يسير على النظم الحربية الحديثة . ولكن الهيئة لم تتح لها الظروف الملائمة لأن تعمل بنجاح ، فقد حوربت من أول الأمر من رجال الجيش القدام ، ولم تلق الهيئة فى شخص اسماعيل الحصن الذى يقبها من هجمات أعدائها ، كما وجدت الهيئة فى محمد على .

ثانيا - إن فصل رجال هيئة اركان حرب عن ضباط وجنود الصفوف حرم الهيئة من أهم اختصاصاتها ، وهو الاتصال المباشر بهؤلاء الجنود وإفادتهم من خبراتهم وتعاليمها . وترتب على هذا الفصل أيضا النفور بين ضباط هيئة اركان حرب وضباط الميدان . وبهذا فقدت الهيئة التعاون الواجب بين الفريقين ، وأصبح لا ينظر أحدهما لآراء الآخر بعين الاحترام .

ثالثا - كانت الإدارات المختلفة لوححدات الجيش يتصل بعضها ببعض مباشرة دون أن تمر مراسلاتها على الهيئة . وكذلك فعل ناظر الجهادية ، إذ كان يتصل مباشرة بالجيش ويصدر اليه الأوامر المختلفة دون أن تعلم الهيئة شيئا عن تلك

الأوامر (١) . بينما نجد ابراهيم (باشا) كان يحترم تعليمات سليمان (باشا) الفرنسي (وكان يشغل وظيفته- رئيس هيئة- أركان حربه) فكان «خير قدوة في الامتثال لأنه كان ينفذ الأوامر (٢) طبقاً لإرادة معلمه . . وقد عقب أحد رجال الجيش الفرنسي (وكان يحمل رتبة- المارشالية) على حملة الشام بقوله «إن ابراهيم (باشا) لم يولد على فطرة القتال والعلم بأساليبه ، لكنه كان موفقاً فيه بالحوادث الطرآنية ، وبوجود رئيس لأركان الحرب معه معروف بالكفاءة العاليه- ، والدراية التامه- بتسيير الجيوش ، ألا وهو سليمان (باشا) (٢) . . فن أهم أسباب نجاح حملات مصر ضد الدولة العثمانية- هو التعاون الوثيق بين هيئة أركان حرب الجيش وقيادته. بعكس ما حدث في الحملة الحبشيه- بقيادة راتب (باشا) حيث كانت تتمسك القيادة بخطتها وتضرب بأراء هيئة أركان حرب الحملة عرض الحائط . فكان هذا التضارب في الآراء من أهم أسباب فشلها .

رابعا - إن ما واجهته الهيئة من صعوبات نتيجة تغلغل (نظام الباشا) السابق شرحه قد أفاد الهيئة في ناحية أخرى ، إذ وجهت كل عنايتها الى حركة الكشوف الجغرافية التي أظهرت استعداد رجالها من المصريين وأنت بأطيب الثمرات .

1 - Dye, Moslem Egypt P .74 .

(٢) ادوارد جامان . مصر في القرن التاسع عشر . ترجمة محمد مصمودي ٦٥٩

(٣) المصدر السابق ص ٧٤٣

الفصل العاشر

قوات الجيش المصرى



قوات الجيش المصرى

كانت قوات الجيش المصرى فى الستينات من القرن التاسع عشر تتكون من ثلاثة أقسام (١) هى :

- ١ - الجيش النظامى والاحتياطى .
- ٢ - القوات غير النظامية .
- ٣ - رجال الشرطة .

فمن هذه الأقسام الثلاثة النظامية وغير النظامية تكونت قوة مصر الحربية. وقد ذكرنا من قبل بأنه فى أواخر عصر سعيد انخفضت قوة مصر الحربية انخفاضاً كبيراً . لاذ كانت تتكون من « أربع أوط (كتيبة) من البيادة وثلاث من السوارى وبطارية واحدة من الطيحية السوارى ، وأخرى من الطيحية البيادة (٢) » . وكان مجموع هؤلاء يبلغ ثلاثة آلاف رجل تقريباً (٣). وهذه القوة الحربية الضئيلة لم تكن تستطع صد أى هجوم تقوم به قوة أجنبية على مصر .

ولما ولى اسماعيل الحكم فى يناير سنة ١٨٦٣ أخذت أعداد الجيش فى الزيادة حتى أصبح فى أوائل تلك السنة يتكون من مائة آلايات (لوات) (٤)

(1) Edwin de Leon, Khedives Egypt p. 375.

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٥

(3) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. 50/1 Organization de l'armée. Dec 25, 1863.

من المشاة، وآلابين (لواوين) من الفرسان، وآلايا من المدفعية الراجلة والراكبة.
وفيا يلي بيانها (١) :

الآلاى (لواء) الاول المشاة

عدد الضباط والجنود

أمير الآلاى (عميد) شاهين كنج (بك)	١
قائم مقام (عميد) على غالب (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلاى	١١٥
الأورطة (كتيبة) الأولى بكباشى (مقدم) عبدالعال حلى	٧٥٦
د عثمان غالب	٦٩٠
د محمد مسعود	٦٩٥
أورطة د الشرخجية (٢) : د عيسى فهمى	٦٤٨
	<hr/>
	٢٩٠٦

الآلاى (لواء) الثانى مشاة

أمير الآلاى (عميد) محمد خسرو (بك)	١
قائم مقام (عميد) اسماعيل زهدى (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلاى	٥٩
الأورطة (كتيبة) الأولى بكباشى (مقدم) حسين سرى	٧٤١

- (١) رسالة من الجيش المصرى فى عصر اسماعيل . نولت اصدارها مجلة الجيش بمناسبة
اتضاء خمسين عاما على وفاة الحديو اسماعيل من ٣ وما يلها .
(٢) مذبذبة خفيفة توضع فى مقدمة الجيش لهاجمة العدو .

الأورطة (كتيبه) الثانية: بكباشى (مقدم) اسماعيل كامل	٧٥٦
د د الثالثة : د محمد سعيد	٧٩١
أورطة د الشرخجية: د اسماعيل أيوب	٥٧١
	<hr/>
	٢٩٢٠

اللاى (لواء) الثالث مشاة

أميرالاي (عميد) اسماعيل صادق (بك)	١
فأتمقام (عقيد) ابراهيم لاط (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلاى	٨٣
الأورطة (كتيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) على لطفى	٧٤١
د د الثانية : د سليم ساطع	٧٦٠
د د الثالثة : د عبدالله صالح	٧٤١
أورطة د الشرخجية: د على صدق	٦٢٨
	<hr/>
	٢٩٥٥

اللاى (لواء) الرابع مشاة

أميرالاي (عميد) سليمان (بك)	١
فأتمقام (عقيد) راشد حسنى (بك)	١
أركان حرب أقسام الآلاى	٥٥
الأورطة (كتيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) محمد كامل	٨٨٦
د د الثانية : د محمد الكريدى	٨٨٦

الأورطة (كتيبه) الثالثه : بكباشى (مقدم) عثمان نجيب	٨٨٥
	<hr/>
	٢٧١٤

الاولى (لواء) الخامس مشاة

أميرالاي (عميد) محمد أمين (بك)	١
قائمقام (عقيد) راشد راقب (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلاى	٩٥
الأورطة (كتيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) احمد وهبى	٦٢١
د د الثانية : د د فرج عبد الله	٦٩٥
د د الثالثه : د د مصطفى (افدى)	٧٨٠
	<hr/>
	٢١٩٣

الاولى (لواء) السادس مشاة

أميرالاي (عميد) بكرى (بك)	١
قائمقام (عقيد) احمد عراقى (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلاى	٥٧
الأورطة (كتيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) محمد شكرى	٧١٤
د د الثانية : د د مصطفى سليم	٨١١
د د الثالثه : د د محمد على	٨٨٢
	<hr/>
	٢٤٦٦

اللاى (لواء) السابع مشاة

أمير اللى (عميد) حسن عاصم (بك)	١
قائم مقام (عميد) حسين الدرہ مللى (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلى	٧٥
الأورطه (كئيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) شحاته	٦٤٤
د د الثانية: د د خورشيد حسن	٦٢٢
د د الثالثة: د د طه لطفى	٦٤٠
	<hr/>
	١٩٩٣

اللاى (لواء) الثامن مشاة

أمير اللى (عميد) خالد (بك)	١
قائم مقام (عميد) عثمان رفقى (بك)	١
أركان حرب وأقسام الآلى	٤٨
الأورطه (كئيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) زكريا حلى	٦٣٨
د د الثانية: د د محمد محمد	٦٤١
د د الثالثة: د د خورشيد عاكف	٦٣٠
	<hr/>
	١٩٥٩

قوات الخيالة (الفرسان)

الالاي (الواء) الاول الخيالة

أميرالاي (عميد) محمد صدق (بك)	١
قائمقام (عقيد) يوسف صبرى (بك)	١
بكباشى (مقدم) أول محمد رضا	١
د د ثان إبراهيم زكى	١
أركان حرب وأقسام الالاي	٦٠
٦ أورط (كتائب) وقائد الأورطه يوزباشى (نقيب)	١٢٨٨
	<hr/>
	١٣٥٢

الالاي (الواء) الثانى الخيالة

أميرالاي (عميد) حسين فهمى (بك)	١
قائمقام (عقيد) حسين واصف (بك)	١
بكباشى (مقدم) أول سليمان (أفندى)	١
د د ثان حسن فهمى	١
أركان حرب وأقسام الالاي	٤٩
٦ أورط (كتائب) وقائد الأورطه يوزباشى (نقيب)	٨٣٨
	<hr/>
	٨٩١

٢٢٤٣ جملة قوات الخيالة

قوات المدفعية البحرية

الاولى (اللواء) الاول المدفعية

الاميرالاي (عميد) على حمدى (بك)	١	
قائمقام (عميد) على رضا (بك)	١	
أركان حرب وأقسام الآلى	٥٦	
الاورطة (الكتيبة) الأولى: بكباشى (مقدم) محمود رشاد	٤٥٦	
بطاريات {	د د الثانية:	٤٥٦
	د د الثالثة:	٤٥٦
	د د الرابعة:	٤٥٦
	<hr/>	١٨٨٢

الاولى (اللواء) الثانى المدفعية

أميرالاي (عميد) على رضا (بك)	١	
قائمقام (عميد) أحمد ثابت (بك)	١	
أركان حرب وأقسام الآلى	٤٦	
الاورطة (الكتيبة) الأولى: بكباشى (مقدم) برهان	٥٢٠	
د د الثانية:	٥٢٠	
د د الثالثة:	٥٢٠	
د د الرابعة:	٥٢٠	
بطاريات {	<hr/>	٢١٢٨

٤٠١٠ جملة قوات المدفعية

مجموع قوات الجيش

المشاة	٢٠١٠٦
الخيالة	٢٢٤٣
المدفعية	٤٠١٠
ضابطا وجنديا	٢٦٢٥٩

أورط الجرخجية (الشرخجية) (١)

كانت هذه الأورط (الكتاب) ملحقة بالآيات الجيش المختلفة، ولكن نظارة الجهادية أمرت في سنة ١٨٦٤ بفرز هذه الأورط ووضعها تحت إدارة مخصوصة مع ملاحظة ما يستلزم ذلك من السهولة والمحسنات الزائدة من حيث التعليقات والإدارة (٢) . وأسكنت هذه الأورط بشكنات قصر النيل وسميت باسم الأورط الجرخجية ، وتعين راشد (بك) أميرالاي (عميد) الآلاي الرابع من المشاة أميرالايا (عميدا) عليها (٣) ، وذلك في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) وكان أنصار الجرخجية (الشرخجية) يختارون من الشبان الصغار الذين تراوح

(١) مدفعية خفيفة توضع في مقدمة الجيش لمهاجمة العدو

(٢) دفتر ٥٣٩ (ممية تركي) أمر كريم رقم ٣٦ ص ٧٩ إلى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٨٠ (النصف الأول من سنة ١٨٦٤) .

(٣) دفتر ٥٣٩ (ممية تركي) أمر كريم رقم ٣٦ ص ٧٩ إلى ناظر الجهادية اسماعيل باشا في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٨٠ (النصف الأول من ١٨٦٤) .

أعمارهم بين ١٥ ، ١٦ سنة ، وأن يكونوا واسعى الصدر أقوياء البنية(١).

فرقة الإصلاحية

كان إذا اقترف أحد الجنود أو الضباط عملا مخالفا للقوانين العسكرية حوكم أمام مجلس العسكرية ، الذى كان يقرر فى أغلب الأوقات مجازاة المذنب بتزويل رتبته ، وإلحاقه بفرقة الإصلاحية لمدة معينة . وكان جنود هذه الفرقة يقومون بأعمال شاقة كالحفر وتمهيد الطرق ومد الخطوط الحديدية . ولكن رأيت نظارة الجهادية لإلغاءها لأنها تعتبر عنوانا للخروج على النظام . فأصدرت أمرا فى ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) بإلغائها وإلحاق الأفراد الذين لم تنته مدتهم الى ليمان الاسكندرية لاستيفائها (٢) .

وفى سنة ١٨٦٥ اجتاح مرض الكوليرا الديار المصرية ، وامتدت براتبته الى قوات الجيش فأخطفت منها عدة مئات من الجنود. وقد بلغت المصادر المختلفة فى عدد الوفيات فوصفها قنصل أميريكال الجنرال فى تقرير له لوزير الخارجية الأميركية بأنها مخيفة (٣) . ولكننى عثرت على إحدى الوثائق التى توضح عدد الوفيات فى مختلف وحدات الجيش المصرى. هذا فضلا عما جاء بها من إحصاء لعدد الفارين من الجندية . وفيما يلى هذا البيان (٤) :

- (١) دفتر ٥٤٨ (ميه تركى) وثيقة تركية رقم ٢٤٣ من ٣٣ من المعية الى ديوان الجهادية فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٨١ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٤) .
- (٢) دفتر ٩٨٧ ج ٢ - ادر ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٨٣٧ فى ١٩ شوال سنة ١٨٦٦ .
- 3 - Abdin. Amr. Vol. 4 despt. No. 41 . Aug. 25 , 1865 .
- (٤) محفلة ٣٤ (ميه تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ من الجهادية الى المعية السنية فى ٢٨ ربيع أول ١٢٨٢ .

أسماء الآليات	أصل الموجود شهم	المترقون من السكر لبرا		الملازبون	الموجودون تحت السلاح
		الجنود	الضباط		
آلاتي (الواء) الذهبية الأول	١٢١١	١٨	٠	١٣	١١٨٠
الطاق	١١٨١	١٠	١	١٤	١١٥٦
الجبهة الأول	٨٨٨	١٥	٠	٢٣	٨٥٠
الطاق	٧٩٣	٠٠	٠	٣٥	٧٥٨
الطاق	٨٧٣	١٢	٠	٧	٨٥٣
الطاق	٧٣٥	١	٠	١	٧٢٣
الطاق الأول	٢٩١٠	٨	٠	٢٣	٧٨٦٩
الطاق	٢٩٩١	٩١	١	٢٣	٢٧٨٦
الطاق	٢٩١٧	١٩	٠	١٩	٢٧٨٦
الطاق	٣٠٨٢	٣٧	٠	٣٥	٢٠١٠
الطاق	٢٩٧٣	٥٥	٠	٤١	٢٨٧٦
الطاق	٢٨٨٥	٨٨	٤	٤٦	٢٧٤٧
الطاق	٢١٣٠	١٧٨	٤	٥	١٩٥٣

الأورط الأربعة البحرية ، المدفعية - الخافطة الاستحكامات	٢٩١٩	٤٣	•	١٥	٧٨٦١
الأورط الخمسة البحرية بالجواز	١١٠٥	٦	•	١٦	١٠٨٣
الأورط الساحلية بالوكات المدفعية - في الطونجاء	٦٩٩	٢٠	٢	••	٦٣٧
أورط - المهندسين صانعي القاطر و فوة الموسيقى	٢٥٩٦	١٢	•	٢٣	٢٥٦١
	٦٢٢	٩	•	••	٦١٣
	٧٨٥	٣	•	١٥	٧٦٨
	٨٣٥	١٢	١	١٣	٨٠٩
	٦١٥	٤	•	٤	٦٥٧
الجملة	٢٥٧٠٤	٦٧٠	١٤	٣٩١	٢٤٦٢٩

قوة الجيش المصري في سنة ١٨٦٦

وفي سنة ١٨٦٦ نتيجة للزيادة المستمرة في عدد قوات الجيش أصبحت قوته تتكون من أربعة آليات (لواءات) طبجية (مدفعية) و ٥٥ آليات سوارى (خياله) و ١١ آليات بيادة (مشاة) (١). وأوصت نظارة الجهادية مندوبها في أوروبا افلاطون (بك) باختيار أحدث البنادق المستعملة في الجيوش الأوروبية لتسليح الجيش المصري (٢) بها .

ومن جراء توتر العلاقات بين الخديو اسماعيل والباب العالي في فترة ما بين سنتي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ زادت قوة الجيش زيادة كبيرة استعدادا للطوارئ ، وما قد تتمخض عنه الأيام من أحداث ، فأصبحت قوته في سنة ١٨٧٠ تتكون (٣) من :

صلاح المشاة

يتألف من ١٨ آلاى (لواء) من البيادة (المشاة) ، منها الآيان من السود ويتألف كل آلاى من ٣ أورط (كتيبة) ، والأورطة من ٨ بلوكات . ويرأس البلوك (فرقة) ضابط برتبة يوزباشى (نقيب) ويعاونه ضابطان أحدهما

(١) دفتر ٩٨٨ ج ٢ صادر ديوان الجهادية وليفة رقم ٢٥١٨ ص ١٠٢ في ١٩ شوال سنة ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٥٥٧ (٥٥٥٠) نركى أمر كريمة رقم ١٠٤ ص ١١٧ الى ناظر الجهادية في ٩ ربيع آخر سنة ١٢٨٢ .

(2) Abdin,Corrsp. Fran. Doss. No. 50/l Orgnization de l' armée. Traduction d'un article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No. 144 du Journal de Cologne en date du 22 Mai 1871 et que l'auteur dit avoir été écrit en printemps de 1870.

برتبة الملازم الأول ، والثاني برتبة الملازم الثاني ، وباشجاويش (رقيب أول) ، وأربعة صف ضباط ، وثمانية أنباشية (عريف) ، و ٦٤ نفرا ، وإثنان بروجية ، وترميتجى واحد ، وباجى ، وكاتب ، وسقاء ، وطباخ .

وعلى رأس كل آلاى ضابط برتبة أميرالاي (عميد) . وتحت لمرته قائمقام (عقيد) وثلاثة بكباشية (مقدمين) ، وثلاثة برتبة صاغقول أغاسى (راشد) ، وثلاثة من كتبة الأورط ، وعلهدار (حامل العلم) ، وثلاثة أطباء ، و ٦ مساعدين ، وثلاثة كتاب عسكريين . ويلحق بالآلاى جوقة مكونة من ضابط وباشجاويش (رقيب أول) وإثنان وثلاثين موسيقيا .

وتضم كل أورطة ثلاثة جنود برتبة صف ضابط كدرسين ومعلمين ، ولكل الآين لواء ، ولكل أربعة الآيات فريق ثان .

وفيا عدا الثمانية عشر آلايا من المشاة ، توجد أربع أورط (كتائب) قناصة Bataillens de Chasseurs ألقوا بالآلاى الرابع والثامن والسادس عشر . كذلك وجدت أورطتين من العرب وعشرة بلوكات من السود منها ستة بلوكات من الهجانة .

سلاح الفرسان

تكون سلاح الخيالة (الفرسان) من أربعة آلايات ، ويضم كل آلاى ستة بلوكات (فرق) من الفرسان ، وعلى رأس كل بلوك رئيسان : أحدهما من الدرجة الأولى ، والثاني من الدرجة الثانية ، وإثنان برتبة الملازم الأول ، وإثنان آخرين برتبة الملازم الثاني، وجاويش (رقيب) ، وثمانية برتبة صف ضابط ، وستة عشر أونباشيا (عريف) ، وثمانون فارسا ، وكاتب ، وأربعة بروجية ، وسروجيان وبيطار واحد ، وطباخان ، وسقاء .

وعلى رأس كل آى من الفرسان أميرالاي (عميد) ويعاونه قائمقام (عقيد)

وبكباشيان (مقدمان) واثنان برتبة صاغقول أغاسى (رائد)، وثلاثة كتبة بلوك ،
وعلدار (حامل العلم) ، وطيبان ، وأربعة مساعدون ، وأجزجيان (صيدليان)
واثنان من الكتبة غير العسكريين ، وأحد الوعاظ ، واثنان وعشرون موسيقيا .
وعلى رأس كل آلايين لواء ، وكل أربعة الآيات فريق ثان .

صلاح المدفعية (العربية)

بصلاح المدفعية أربعة الآيات ، كل منها مقسم إلى ست أوطرط : أربع أوطرط
مشاة ، واثنان خيالة . وبكل بطارية ستة مدافع وست عربات ذخيرة ، وعربة
بمجهزة بفرن ، وكور لاشغال الحدادة . وتتكون البطارية السوارى من يوزباشى
(نقيب) درجة أولى ويوزباشى (نقيب) درجة ثانية ، وملازم أول ، واثنين من
من الملازمين الثوانى وجاويش (رقيب) ، وكاتب أوطرط ، وثمانية صف ضباط وإثني
عشر أونباشيا (عريف)، واثنين وسبعين طوبجيا ، وثمانية وأربعين سائقا ، وأربعة
بروجية ، وثلاثة بياطرة ، ونجار عربات ، وحدادين ، واثنين من السروجية ،
وبيطرى ، وطيبين ، وثلاثة مساعدين .

وبطارية المشاة تتكون بنفس الطريقة مع تغيير طفيف هو أن عدد الطوجية
بها ٦٠ طوبجيا و ٣ بروجية وبيطرين .

ولكل آلاى أميرالاي (عميد) وثانمقام (عقيد) وبكباشيان (مقدمان)
واثنان برتبة صاغ (رائد) واثنان من الاسبراتات ، وعلدار ، و (حامل العلم)
وصول ، ولكل آلايين لواء .

أما أوطرط (كتيبة) المهندسين فترتيبها كترتيب المشاة . أما فيما يتعلق بعدد كل
آلاى فلا يتغير سواء فى أوقات السلم أو الحرب . وفى أوقات الحرب فقط يزداد عدد
هذه الآيات .

وجاء في الوثيقة الفرنسية المستخرجة من مكتبة مجلس الوزراء الفرنى عن الجيش المصرى أن عدد الايات هذا الجيش فى سنة ١٨٧٠ كانت كما يلى (١) :

المشاة

تتكون من ١٧ آلايا من المشاة و ٣ كتائب قناصة ، و ٤ آلايات من الفرسان ، و آلايين مدفعية ميدان ، و ٣ آلايات مدفعية سراجل ، و كتيبة للمهندسين . وتتكون الآلايان التاسع والعاشر من السودانين والنوبيين ، وهما الآلايان قوبان . ويشتمل كل آلاى على ثلاث أروط ، وكل أورطة تضم ستة بلوكات . أما أورطة القناصة فتتألف من ثمانية بلوكات . والبلوك يحتوى على أربعة ضباط ، و ١٤ صف ضابط واثنين من الترميتجية ، واثنين من الباطجية ، و ١٠٠ نفر . وكان عدد أفراد البلوك يتراوح بين ٦٠ و ١٤٠ رجلا .

وخصص للدفاع عن السودان ثلاثة آلايات من المشاة . أما الآلايان السودانيان ، فقد وضع أحدهما فى القاهرة ، والآخر فى الوجه القبلى .

الفرسان

تتكون من أربعة آلايات ، وكل آلاى من أربع أروط ، ، والبلوك يضم فى وقت السلم ١٠٠ نفر ، وفى وقت الحرب ١٥٠ نفرا .

المدفعية

أما سلاح مدفعية الميدان فينقسم كل آلاى منه إلى ثلاث أروط ، وبشكل

(1) Bibliothéque du Cabinet Français. Notes sur l'Armée Egyptienne. Histoire de l'Armée (Paris) 19١3 .

أورطة أربع بطاريات وستة مدافع . والأورطتان الأولى والثانية سواري ،
والثالث مشاة . وعدد أفراد الأورطة ٩٢٥ نفرا .

المدفعية المشاة

وكانوا مكلفين بالدفاع عن المناطق الحصينة وعددهم ٣٨٠٠ رجلا . أما
أورطة المهندسين فتضم ثمانية بلوكات كل منها يشتمل على ١٥٠ جنديا ، منهم
بلوكان لإقامة الجسور والكبارى . وفي أوقات السلم يعمل جنود هذه الأورطة
في بناء الاستحكامات ، ومد الخطوط الحديدية ، وقطع الأحجار من محاجر طره .
أما جنود البلوكات الستة الأخرى فيقومون بمد الخطوط الحديدية ، وحفر الترع
ومن بينها بلوكان من المسجونين يعملون في قطع الأحجار من محجرى طره
وسواكن

ويزيد عدد هذه القوات في وقت السلم عن ١٠٠٠٠ جندي مقسمين على
التحو الآتي (١) :-

الجنسدى	٣٢٠٠٠	المشاة والقناصة
»	١٧٠٠	الفرسان
»	١٩٠٠	مدفعية الميدان
»	٣٨٠٠	مدفعية السواحل
»	١٥٠٠	المهندسين
»	٥٠٠	ناظر الحربية . لواء . بكباشية (مقدمون) أربع فرق
المجموع	٤١٤٠٠	

ومن القوات السالفة الذكر يوجد ٧٠٠٠ جندي بالسودان . وفي وقت الحرب يمكن حشد هذه القوات في جيش يبلغ عدد رجاله قرابة ٦٥ ألفا مزودين بمائة وأربعة وأربعين مدفعا للبيدات على النحو الآتي :

المشاة والقناصة	٥١٠٠٠	جنسدى
الفرسان	٢٥٠٠	د
مدفعية الميدان	٢٦٠٠	د
مدفعية السواحل	٥٠٠٠	د
المهندسين	٢٠٠٠	د
هيئة أركان حرب	١٦٠٠	د
	<hr/>	
	٦٤٧٠٠	د

وتبلغ عدد قوات الجيش الاحتياطى (الإمدادية) ما يقرب من ٢٠٠٠٠ مقاتل موزعين على مختلف مرافق البلاد مثل الجهارك وحراسة القنوات والبوليس . وتتكون قوات البوليس من ٦٠٠٠ جندي من المشاة، و ٢٠٠٠ جندي من الفرسان . ولمدينى القاهرة والاسكندرية بوليس خاص يبلغ عدد أفرادها ١٥٠٠ جندي . ويوجد بالسودان قوات من البوليس قوامها ٦٠٠٠ جندي .

ومجموع هذه القوات جميعها تبلغ ١٠٤٥٠٠ مقاتل (١) بما فى ذلك قوة الجيش العامل البالغة ٦٤٧٠٠ مقاتلا . وهذا التقدير يقرب عما ذكر فى نشرة إدارة الجيش المصرى عن قوة الجيش فى سنة ١٨٧٠ ، حيث قدرت بنحو

(١) المصدر السابق .

٦٥١٠٨ جندي موزعه كآلاتي (١): ٥١٠٣٨ للنشأة و٤٧٢٧ للفرسان، و٢٣٤٦
لمدفعية الميدان و٦٩٩٧ لمدفعية السواحل.

وفي سنة ١٨٧١ (١٦ شوال سنة ١٢٨٨) أدخل تعديل جديد على مدفعية
الميدان ، فأصبح كل آلاي من آلايات المدفعية (الميدان) يضم بطارية سوارى
قوامها أربعة مدافع ، وبطارتين من المشاة (بيادة) ، وبكل منها أربعة مدافع.
وفيما يلي بيان بعدد أفراد كل بطارية من البطاريات الثلاث (٢) :

البطارية السوارى

تتكون البطارية السوارى من يوزباشى (نقيب) أول أو ثانى وملازمين اثنين
من الدرجة الأولى أو الثانية ، وباشجاويش (رقيب أول)، وبلوك أمين، وأربعة
جاويشية (رقيب) وثمانية أونباشية (عريف)، وثمانية وأربعين جنديا (طوبجيه)،
وأربعين (عرجية) ، وثلاثة بروجية ، وبيطرين اثنين، وسروجى واحد، ونجار،
وحداد، وبراد . وبمجموع هؤلاء جميعا ١١٤ جنديا . وتضم البطارية أربعة
مدافع .

البطارية البيادة

تتألف البطارية البيادة من يوزباشى (نقيب) أول أو ثانى ، وملازمين اثنين

(١) رسالة ادارة مجلة الجيش عن الجيش المصرى فى عهد اسماعيل بمناسبة اقتضاء خمسين
عاما على وفاة من ١٩ .

(٢) دفتر ١٥١٣ صادر من ديوان عموم الجهادية الى الالات المستعدة والأورط
المستعدة وثيقة رقم ٨١ من ٩٧ - ٩٩ من ناظر الجهادية الى ٢ جى بطارية فى ١٦ شوال
سنة ١٢٨٨ .

من الدرجة الاولى أو الثانية ، وباشجاويش ، وبلوك أمين ، وأربعة جاويشية ، وأربعين جنديا (طوبجية) ، وأربعين جنديا (عرجية) ، وثلاثة بروجية ، وبيطريين اثنين ، وسروجي ، ونجار ، وحداد وبرد . ويبلغ مجموع هؤلاء جميعا ١٠٦ جنديا . وتصم البطارية- البيادة أربعة مدافع أيضا . ويبلغ مجموع جنود البطارتين البيادة ٢١٣ جنديا .

ويلحق بالآى المدفعية غير هؤلاء ملازم أول أو ثنائي بوظيفة مخزنجي ، وملازم ثاني في وظيفة معاون ، وحكيم بشرى ، وآخر بيطرى ، وثلاثة- أنفاس تومرجية (ممرضين) ، وأوسطة ، بروجي أونوبتجي أو جاويش أو أنباشي ، وجزجي برتبة نفر ، ود أوسطة ، سروجي ، ود أوسطة ، بيطار ، ود أوسطة ، توفكجي (أسطه بناق) ، ود أوسطه ، نجار أو حداد أو برد برتبة أونباشي . ويبلغ مجموع هؤلاء ١٥ جنديا . وبذلك يصبح المجموع الكلي لعدد أفراد بطارية- السوارى وبطارتى البيادة وملحقاتها ٢٤١ جنديا .

قوة الجيش المصرى سنة ١٨٧٤

بعد حصول الحديو اساعيل على الفرمان الشامل فى سنة- ١٨٧٣ أصبح مطلق اليد فى زيادة عدد الجيش إلى القدر الذى يريده . ونظرا لخشيتته من أن يحاول السلطان أن يسترد ما منحه إياه من إمتيازات كما حدث فى سنة- ١٨٦٩ فقد أخذ فى زيادة عدد قوات الجيش لاستخدامه ضد الباب العالى إذا ما سولت له نفسه ذلك . فأمر فى سنة- ١٨٧٤ د بأن يؤلف الجيش المصرى على أساس أربع فرق موزدة تزويدا تاما بكافة- أنواع الأسلحة- . وأن تتكون كل فرقة- من أربعة- آلايات من المشاة وآلايين من الفرسان ، وآلاى من مدفعية- الميدان وكتيبه-

من المهندسين (١) ، ، وثلاثة آليات من مدفعية السواحل لترابط في مختلف الحصون المقامة في المناطق الساحلية . فوضع الآلاى الاول باسكندرية والثانى بدمياط والثالث برشيد . وفيما يلى بيان بترتيب كل سلاح من هذه الاسلحة (٢):

المشاة

يتألف هذا السلاح من أربع فرق هي : فرقة الحرس و ١ جى فرقة و ٢ جى فرقة و ٣ جى فرقة . وكانت كل فرقة من الفرق الأربع مؤلفة من لوائين ، وكل لواء منها مؤلف من آلايين ، كل آلاى من أربع كتائب ، وكل كتيبة من ثمانية بلوكات .

وبناء على ما تقدم أصبح سلاح المشاة يتكون من ٤ فرق مؤلفة من ٨ الوية و ٦٤ كتيبة و ٥١٢ بلوكا . وعدد أفراد البلوك ١٢٤ نفرا ، والكتيبة ٩٩٦ نفرا والآلاى ٤٠٨٤ نفرا ، واللواء ٨١٨٩ نفرا . والفرقة ١٦٤٠٩ نفرا . فيصبح المجموع العام للمشاة ٦٥٦٣٦ جنديا .

الفرسان

يتألف سلاح الفرسان من ثمانية آليات ألحق كل منها بفرقة من فرق الجيش . وعلى رأس كل آلاى أميرالوى (عميد) ويعاونه قائممقام وعقيد و سكباشيان ومقدمان ، وعدد قوات الآلاى ٩٠٦٥ جنديا . ويتكون الآلاى من خمس كتائب ، ويقود الكتيبة ضابط برتبة يوزباشى ونقيب ، وعدد جنودها

(١) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ (يناير ١٩٤٧) مقالة الأمير عمر طوسون من « حرب الصرب عام ١٨٧٦ » ص ١٨٤ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق .

٢٠٥ جنديا هـذا بالاضافة إلى فريق القيادة وأركان حرب ورجاله
وعدددهم ٣٠ جنديا . وبذلك يصبح المجموع العام للفرسان ٨٦٣٥ مقاتلا .

مدفعية الميدان

يتألف هذا السلاح من ٤ آليات ألحق كل منها بفرقة من فرق المشاة الأربع
السابقة . وكل آلاى ينقسم إلى ثلاث كتائب ، يقود كلا منها ضابط برتبة
بكبائى و مقدم . وتتكون كل كتيبة بما يلى :

تتألف الكتيبة الاولى من بطاريتين سوارى ، والكتيبتان الأخرى من ٤
بطاريات مشاة . فيكون مجموع بطاريات كل آلاى ١٠ بطاريات . وكانت كل
بطارية مؤلفة من ٦ مدافع ، فيكون مجموع المدافع فى الآلاى الواحد ٦٠ مدفعا .
وكان يقود الكتيبة ضابط برتبة بكبائى و مقدم ، ويقود البطارية ضابط
آخر برتبة يوزباشى (نقيب) .

وتتألف البطارية من ٢٠٦ جنديا ، والكتيبة الاولى من ٤١٦ جنديا ،
وكلتا الكتيبتين الأخرين من ٨٢٨ جنديا ، والآلاى من ٢١١٢ جنديا . وإذا
أضفنا إلى هؤلاء ضابطا برتبة لواء لقيادة المدفعية ومعه أركان حربه
وعدددهم ٢٠ جنديا ، يكون عدد الآليات الأربعة من ضباط وصف ضباط
وجنود ٨٤٦٩ فردا ، وعدد البطاريات ٤ بطارية مؤلفة من ٢٤ مدفعا .

سلاح المهندسين

يتألف هذا السلاح من ٤ كتائب ، لكل فرقة مشاة كتيبة منها .
وتتألف الكتيبة من ٦ بلوكات ، ويضم البلوك ١٢٤ جنديا ، والكتيبة ٧٤٨
جنديا . فيكون المجموع الكلى ٢٩٩٢ جنديا . أما أركان حرب المهندسين

فيتألف من ضابط برتبة لواء و ٤٣ ضابطا و ٨٠ صف ضابط وجندى .
فيكون المجموع الكلى ٣١١٦ مقاتلا . وبذلك يصبح مجموع الفرقة من الاسلحة
المتخلفة ما يلي :

عدد	
١	فرقة المشاة ١٦٤٠٩ ضابط وصف ضابط وجنود
١	لواء الفرسان ٢١٥١
١	كتيبة المهندسين ٧٤٨
١	آلاى المدفعية ٢١١٢
	<u>٢١٤٢٠</u>

مدفعية المواصل

يتألف هذا السلاح من ٣ آلايات ، كل آلاى منها مؤلف من ٤ كتائب ،
وكل كتيبة مؤلفة من ٤ بلوكات . ويضم البلوك ١٠٣ جنديا ، والكتيبة ٤١٦
جنديا ، والآلاى ١٧٠٤ جندياً . هذا فضلا عن ضابط للقيادة برتبة لواء ،
ويعاونه أركان حربهم وعددهم ٢٠ جنديا فيصبح عدد جنود وضباط الآلايات
الثلاثة ٥١٣٣ مقاتلا .

أركان حرب الجيش العام

ويتألف أركان حرب الجيش من ضابط برتبة فريق و ٣ أمراء ألوية و ٥
أمراء آلايات (عمداء) و ٦ برتبة قائممقام (عقيد) و ٢٠ برتبة بكباشى (مقدم)
و ١٢ برتبة صاغ (رائد) و ١٦ برتبة ملازم أول و ٢٠ برتبة ملازم

ثانى و ٣٠٠ صف ضابط و جندى . فيكون المجموع ٣٨٧ ضابطا و جنديا .

قسم الذخيرة

يرأسه فريق و تحت إدارته بكباشيان (مقدمان) و ٤ برتبة صاغ (رائد) و ٥ برتبة يوزباشى (نقيب) و ٦ برتبة ملازم أول و ٨ برتبة ملازم ثانى و ٣٥٠ صف ضابط و جندى . فيكون المجموع ٣٧٦ ضابطا و جنديا .

قسم الاشفال

يرأسه ضابط برتبة فريق و معاونه أميرالاي (عميد) و قائم مقام (عقيد) و بكباشيان (مقدمان) و ٤ برتبة صاغ (رائد) . و ألحق بهذا القسم ٤ بلوكات يتألف كل منها من ١٥٠ صف ضابط و جندى . و يقود كل بلوك يوزباشى (نقيب) واحد و معاونه ملازم أول و ملازمين اثنين برتبة ملازم ثانى . فيكون المجموع ١٢٤٠ جنديا . و إذا أضيفنا إلى هؤلاء عدد الطلبة و الضباط بالمدارس الحربية و عددهم ٧٨٢ أصبحت قوة الجيش المصرى العامل تتكون بما يلى :

١	أركان الحرب العام	٣٨٧	ضابط و جندى
٤	فرق مشاة	٦٥٦٣٦	د
٤	ألوية فرسان	٨٦٦٦	د
٤	آليات مدفعية ميدان	٨٤٦٩	د
٣	د د سواحل	٥١٣٣	د
٤	كنايب مهندسين	٣١١٦	د

قسما الميهات والذخيرة	٣٧٦	ضابط وجندى
كتيبة الأشغال	٤١١٢	•
المدارس الحربية	٧٨٢	•
المجموع العام	٩٣٨٠٦	•

يضاف إلى القوة السابقة الجنود المرابطون بالسودان ويبلغ عددهم ٣٠.٠٠٠ مقاتل (١).

قوة الجيش المصري سنة ١٨٧٦ (٢)

كانت تتألف قوة الجيش المصري في سنة ١٨٧٦ من فرقة الحرس المشاة (غارديا) ، وثلاث فرق مشاة أخرى ، وتضم الفرقة لواءين ، واللواء ينقسم إلى آلايين ، والآلى إلى أربع أوسط . وكان على رأس فرقة الحرس المشاة الفريق راشد حسنى (باشا) . وعلى رأس كل لواء ضابط برتبة لواء ، والآلى ضابط برتبة أميرالاي (عميد) . وفيها يلي بيان بعدد قوات الآليات الأربعة :

(١) مجلة الجيش - المجلد التاسع - العدد ٣٦ ص ٢٠٦ «عن حرب الصرب عام ١٨٧٦»
(٢) رسالة ادارة مجلة الجيش . عن الجيش المصري في عهد اسماعيل العظيم بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاته ص ٢٣ .

المشاة

	عدد
فرقة الحرس المشاة	١ جى حرس ٤٣٧٤
	٢ جى د ٤٥٦١
	٣ جى د ٣٧٧٦
	٤ جى د ٣٥٣١
	أركان حرب وتوابع الفرقة ٧٣
الجملة	١٦٣٢٥

أما الثلاث فرق المشاة الأخرى فتتألف من

١ جى فرقة مشاة	١ جى مشاة ٤٦٨٣
	٢ جى د ١٦٢١
	٣ جى د ٤٣٦٦
	٤ جى د ٤٧٢٥
	أركان حرب وتوابع الفرقة ٧٣
الجملة	١٥٤٦٨

٢ جى فرقة مشاة	١ جى (٥ جى) مشاة ٣٨١٤
	٢ جى (٦ جى) د ٣٧٩٥
	٣ جى (٧ جى) د ٣٦٩٨
	٤ جى (٨ جى) د ٤١٥٤
	أركان حرب وتوابع الفرقة ٧٣
الجملة	١٥٥٣٤

۳ جی فرقة مشاة	۱ جی (۹ جی) مشاة	۴۴۱۴
	۲ جی (۱۰ جی) د	۴۲۷۵
	۳ جی (۱۱ جی) د	۱۶۶۷
	۴ جی (۱۲ جی) د	۱۴۴۸
	أركان حرب وتوايع الفرقة	۷۳
	الجملة	۱۱۸۷۷

سلاح الفرسان (السوارى)

يتألف من ممانية آليات ، وكل آلايين يكونان لواء . ويتكون الآلاى من خمس أورط يقود كلا منها ضابط برتبة يوزباشى (تقيب) . وفيما يلي بيان بعدد قوات الفرسان :

عدد	
۱۰۱۶	۱ جى سوارى غارديا (حرس)
۹۷۰	۲ جى د د د
۱۱۷۵	۱ جى د
۱۲۵۷	۲ جى د
۱۴۰۸	۱ جى (۳ جى) سوارى
۹۹۸	۲ جى (۴ جى) د
۱۰۲۳	۱ جى (۵ جى) د
۱۱۴۰	۲ جى (۶ جى) د
۱۱۵	لواء وأركان حرب وتوايع اللووات
۸۷۴۲	جملة فرقة الفرسان

سلاح المدفعية

مدفعية الميدان

يتألف هذا السلاح من أربعة آليات ، وألحق كل منها بفرقة من فرق المشاة . وكان كل آلي مكونا من ثلاث أورط ، وفيما يلي بيانها :

عدد	
٢٣٧٨	آلي مدفعية الحرب التابع إلى فرقة الحرس المشاة
٢٨٤٠	١ جى طوبجية د د ١ جى فرقة مشاة
٢٩١٨	٢ جى د د ٢ جى د
٢٣٣٢	٣ جى د د ٣ جى د
٢١	لوامات وأركان حرب وتوابع اللوامات
٩٦٨٩	جملة مدفعية الميدان

مدفعية السواحل

كانت تتألف مدفعية السواحل من ٣ آليات ، يشتمل كل منها على أربع أورط ، وفيما يلي بيانها .

١٥٨٧	١ جى سواحل باسكندرية
١٩٤٢	٢ جى د بدمياط
١٦٦٩	٣ جى د برشيد
٢١	لوامات وأركان حرب وتوابع اللوامات
٥٢١٩	جملة مدفعية السواحل

وكان بالاسكندرية ديوان يسمى بديوان « استحكامات اسكندرية » ومهمته القيام بشئون العساكر المقيمين بها (١) ، ويشرف على شئون الاستحكامات والطوابي في ذلك الوقت الأمير الالى (العميد) أحمد كوجك (بك) وكيل عموم الاستحكامات . ويعاونه القائمقام (العقيد) على طلعت (بك) باشمهندس طوابي اسكندرية والقائمقام (العقيد) محمد شكرى (بك) باشمهندس طوابي دمياط ، والقائمقام (العقيد) محمود فهمى (بك) باشمهندس طوابي رشيد ، والبسكباشى (المقدم) شعبان (أفندى) مهندس طوابي أبي قير ، والصاغ (الرائد) حسنين هلال (أفندى) مهندس طوابي البرلس (٢) .

وبناء على التعداد السابق تتكون جملة قوات الجيش هي :

المشاة	٥٩١٩٤
الفرسان	٨٧٤٢
مدفعية الميدان	٩٦٨٩
مدفعية السواحل	٥٢١٩
الجملة	<u>٨٢٨٤٤</u>

(١) دفتر ١٧٠٤ ج ١ صادر من ديوان الجهادية إلى آلايات السواحل والأورط في تونس سنة ١٥٩٠ (أواخر سنة ١٨٧٤) .
(٢) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ ص ٢٠٦ .

قوة الجيش المصرى فى سنة ١٨٧٨

أثرت الأزمه- المالية والتدخل الأجنبى على قوة الجيش المصرى تأميرا سيثا .
فبينما كانت قوته فى عام ١٨٧٤ تتسكون ٩٣٨٠٤ جنديا نجد هذه القوة تتضامل
عام ١٨٧٦ قتل إلى ٨٢٨٤٤ جنيبها . ويستمر هذا النقصان فى سنة ١٨٧٨ حيث
تصبح قواته تتسكون من (١) :

فرقة الحرس	١٦٠٨٠
فرق المشاة الثلاثة	٣٦١٤٤
فرق الفرسان	٨١٢٣
مدفعية الميدان	٩٥٥٩
مدفعية السواحل	٥١٦٤
الجملة	٥٧٠٧٠

ورغم قلة عدد الجيش فى سنة ١٨٧٨ عنها فى سنتى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ فإنها
تعتبر قوة كبيرة إذا ما قيست بنسبة عدد سكان القطر المصرى فى ذلك الوقت
وهو ٨٤٠٠٠٠٠ (١) نسمة .
وفى سنة ١٨٧٩ أحالت نظارة نوبار ٢٥٠٠ ضابط الى الاستيداع ، وكذلك

(١) رسالة إدارة مجلة الجيش من الجيش المصرى فى عهد اسماعيل بمناسبة انقضاء خمسين
عاما على وافته من ٢٣ .
(٢) الوثائق المصرية العدد رقم ٧٦٧ فى ٢٩ جادى الثانى سنة ١٢٩٥ [٣٠ يونيه
سنة ١٨٧٨] .

استغنت عن عدد كبير من الجنود بناء على توصية لجنة التحقيق التي رأت تخفيض عدد قوات الجيش إلى ما يقرب من ٣٦ ألف جندي، على أن يخفض بعد ذلك حتى يصير عدده ١٨ ألفاً . أى الرجوع إلى أحكام فرمان يونيه سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بعدد الجيش . وبعد تولية الخديو توفيق مباشرة حكم مصر - بعد عزل الخديو اسماعيل - رأى فى أوائل شعبان سنة ١٢٦٦ (منتصف سنة ١٨٧٩) تنزيل عدد جنود الجيش إلى ١٢.٠٠٠ (١) مقاتل .

واختتم هذا البحث بالجدول الآتى الذى يبين عدد قوات الجيش المصرى فى عصر اسماعيل وأوائل عصر توفيق . وقد استخرج هذا الجدول من سجلات ديوان الجهادية بدار المحفوظات بالقاهرة (٢) .

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٢) أمين سامى باشا ، مصر والنيل ص ٢٠ وقد وضع هذا الجدول فى آخر الكتاب .

القوات غير النظامية

الباشبوزق

استعان محمد علي بجنود من الباشبوزق (القوات غير النظامية) الى جانب الجيوش النظامية- . وقد بلغ عددها في سنة ١٨٣٩ ، ٤١٦٧٨ (١) مقاتلا . كذلك نجد أن كلا من عباس وسعيد احتفظ بهذه القوات في عهده أيضا . ففي عصر عباس بلغ عددهم ٤٣٧٧ (٢) مقاتلا . وفي عصر سعيد احتفظ بـ تسعة أراذى (كتيبة) من الباشبوزق وأوردى من العسكر غير النظامية المعروفين بالذب ، عددها مع الباشبوزق ٣٢٠٠ . وكان كل أوردى منهم يعسكر في الغالب بإحدى المديرية الآتية وهي : قنسا ، وجرجا ، وأسيوط ، والفيوم ، وبنى سويف ، والمنيا ، والبحيرة ، والجزيرة . وكان عليهم على (باشا) القوله لى بوظيفة سرجشمه- (القائد العام) (٣) ، وعند تولى اسماعيل حكم مصر احتفظ بجنود الباشبوزق وزاد قوتهم الى ٥٠٠٠ (٤) مقاتل .

شروط الالتحاق بقوات الباشبوزق

كان يشترط فيمن يرغبون الالتحاق بهذه القوات ، أن يكونوا تركا أو اولاد ترك ، وذاقوة وهيمته ، ولا يقين لخدمته- العسكرية ، وسوابقهم حميدة

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٠١ الحاشية و ٢٦١ و ٢٧٥ على التوالي

(٢،٣) المصدر السابق

(٤) Abdin. Corresp. Fran. Doss. No. 50/1 Organization de l'Armée, Avril 1836

(هكذا) (١) ، وأن يكونوا أولاد عرب أو من أهالي مصر أو من العميد (٢) وأن يمتلك حصانا (٣) .

مهمتها : وكان الغرض من الاحتفاظ بهذه القوات المحافظة على النظام ، والقيام بحراسة الواحات التابعة لمديرية أسيوط (٤) . ومن المهام التي أسندت إليها أيضا السفر بالحمل الى الأراضى (٥) الحجازية . كذلك كان يوكل اليهم فى السودان جباية الضرائب ، والمحافظة على الأمن .

توزيعها : وزعت هذه القوات على المديريات المختلفة ، فكان يقيم فى كل مديرية أوردى (كتيبة) على رأسها سر سوارى (قائد) . وفى سنة ١٨٦٥ كان يوجد بمديرية إسنا أوردى رقم ١ وعلى رأسه السرسوارى د بالولى يوسف أغا ، وبجبهه - بلميس أوردى رقم (٣) ويرأسه السرسوارى د اسماعيل (بك) ، ،

-
- (١) دفتر ١٠٩٥ صادر من عموم ديوان الجهادية الى أوردبان الباشبوزق . وثيقة رقم ٥٥ فى ٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٣
- (٢) دفتر ١٠١٦ ج ١ من للباشبوزق الى الجهادية وثيقة رقم ٧٥ فى ٣١ شوال سنة ١٢٨٣ .
- (٣) دفتر ١٠١٦ ج ١ من الباشبوزق الى الجهادية وثيقة رقم ٧ فى ٧ رجب سنة ١٢٨٢ .
- (٤) محفظة ٩ « جهادية » وثيقة رقم ٤٤ من اسماعيل الى سردار وعساكر مصر فى ٧ جاد ثان سنة ١٢٨٤ .
- (٥) دفتر ١٠٩٦ صادر من عموم ديوان الجهادية الى أوردبان الباشبوزق . وثيقة رقم ١٧٣ فى ١٣ رجب سنة ١٢٨٤ .

وبمديرية المنيا أوردى رقم (٥) ويقوده د عبد الفتاح أغا ، ؛ وبجده أوردى رقم (٧) ويرأسه د طالب (١) أغا ، . وبمديرية جرجا أوردى رقم (٩) ويرأسه د رفاعه أغا ، ، وبمديرية قنا أوردى رقم (١١) ويقوده د طوسون أغا ، .

تشكيل أوردى الباشبوزق

يتكون أوردى الباشبوزق من سر سوارى (قائد) ويعاونه وكييل الأوردى ، وع بكباشية (مقدمون) قولتق (مساعدين) ، و١٢ بلوكباشية، وأوضه باشه ، وبيرق دار (حامل العلم) ، وكاتب ، وباش سوارى، وسوارى نفر ، و ٣٨٤ نفرا ، ومجموع هؤلاء ٤١٨ مقاتلا .

تعيين ، جندى الباشبوزق

كان بصرف لكل نفر من جنود الباشبوزق المقادير الآتية (٢):

مسلى	أرز	عدس	فول	مصلح (ملح)	صابون
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
١٠	٢٠	٤٠	٣٠	٦	٦

- (١) دفتر ١٠١٦ ج ١ صادر الباشبوزق الى الجهادية وثيقة بدون رقم س ١ سنة ١٢٨٢ و دفتر ١٠١٧ ج ٢ صادر الباشبوزق الى الجهادية وثيقة بدون رقم س ١ سنة ١٢٨٢ و دفتر ١٠٩٥ صادر من ديوان مجرم الجهادية الى أورديان الباشبوزق س ١ سنة ١٢٨٢ (٢) دفتر ١٠١٦ ج ١ صادر من الباشبوزق الى الجهادية وثيقة رقم ١٥ س ٦ سنة ١٢٨٢ .

بصل	حطب	لحم ضأن
درهم	درهم	درهم
٥	١٥٠	٢٥

فيكون المجموع الكلي ، لتعيين ، النفر من الباشبوزق ٢٩٢ درهما في اليوم .

مراتبهم : لم نعر على وثائق أو وثيقة واحدة تبين لنا ما كان يتقاضاه هؤلاء الجنود - على مختلف رتبهم - من مرتبات . ورغم ذلك أمكننا معرفة مرتب النفر من الباشبوزق في ذلك الوقت حيث كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره - قرشا ٢٥ ١٣٥ (١) . ويتراوح مرتب السوارى في الشهر ما بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ قرشا (٢) .

ديوان السرجشمة (ديوان العساكر غير النظامية)

كان هذا الديوان يتولى إدارة شؤون الجنود الباشبوزق من حيث تفقد أحوالها ، واستبدال أسلحتها ، وتجهيز خيولها ، ومراقبة تطبيق النظم العسكرية عليها . ولم تطل مدة هذا الديوان في عصر اسماعيل إذ أمر (٣) بإلغائه في ١٤

(١) دفتر ١٠٩٥ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى أوردان الباشبوزق سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) .

2 - Douin , Hist. de regne du Khedive Ismail T. III Fasc. B.P. 1139

(٢) دفتر ٥٥٧ (معية تركي) أمر كريم رقم ١٤ س ١٣ إلى الداخلية في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) وإلحاق إدارة جنود الباشبوزق بديوان
الجهادية . وتبع ذلك إلغاء ديوان السرجشمة بالسودان كذلك (١).

مجلس العسكرية

قبل عام ١٨٦٥ كان إذا ارتكب أحد جنود الباشبوزق ما يخالف القوانين
حوكم أمام المحاكم المحلية . ولكن رأت نظارة الجهادية أن هؤلاء الجنود - ولو
أنهم غير نظاميين - إلا أنهم جنود خاضعون للنظام العسكرى . فلا بد إذاً من
محاكمتهم أمام مجلس العسكرية فيما يأتونه من مخالفات . فأصدرت أمرها فى ٢١ رجب
سنة ١٢٨٢ (أواخر سنة ١٨٦٥) بأن وكافة ما يتوقع من الفواصة الترك وعساكر
الباشبوزق المستخدمين بالميرى من المراد اللزم محاكمتهم عليها ، تكون محاكمتهم
بها فى مجلس العسكرية ، ولاتحال على المجالس المحلية (٢) . وكان المجلس يصدر
أحكامه فى بعض الأحوال بنى الجندى المذنب إلى بلده الأصلية إذا وجد
ما يستوجب ذلك (٣).

ویدخل تحت طائفة الجنود غير النظامية والشايقية الذين كثر استخدامهم
فى السودان . ويرتدى الجندى السوارى من هذه الطائفة لباساً من الزرد المصنوع

(١) محظظة ٤٦ (ممية تركى) وثيقة رقم ٨٦ من جعفر باشا صادق حكمدار السودان إلى
مهرداد الجناب الخديو فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٢ .
(٢) دفتر ٧ى الأوامر السكرية والقعود الخاصة بديوان الجهادية . ارادة سنوية رقم
٥٨ فى ٢١ رجب سنة ١٢٨٢ .
(٣) دفتر ٧ى الأوامر السكرية والقعود الخاصة بديوان الجهادية . ارادة سنوية رقم ٨
من ١١٣ (صورة مأخوذ من مجلس عسكرية لسعادة ناظر الجهادية فى ٥ شعبان سنة
١٢٨٢) .

بدقة ومهارة ، ويحملون سيوفاً مستقيمة طويلة كأسيايف الصليبيين القدامى ، ويتدربون بطراز معروف من الدروع ، ويضعون على رؤوسهم خوذات من الصلب لها حامية للأنف على نمط خوذات المماليك ، وتحمل رقباهم قطعة من من الزرد الرقيق ، وجيادهم مدربة على القتال ... أما مشاتهم فكانت مسلحة بالرماح والمدى ، وكلهم من العبيد والفلاحين ،^(١)

وللى جانب هذه القوات السالفة وجدت قوات أخرى من العربان ، كانت تسند اليهم الحكومة تأمين طرق القوافل بين الواحات المختلفة . فكانت نظارة الجهادية تقوم بتعيين مشايخ العرب المقيمين في المناطق المراد حراستها حماة لها . وتعين أحد أبنائهم وكيلاً لآبيه^(٢) ، على أن يستحضر هؤلاء البدو أسلحتهم وخبولهم بأنفسهم ويتوالى رياستهم رؤساء من بينهم . فهم يشبهون القوزاق في مظهرهم وفي خصائص أخرى^(٣) . وبهذه الوسيلة استطاعت الحكومة أن تؤمن هذه الطرق البعيدة عن العمران . ولكن هذه القوات غير نظامية ألغيت نهائياً في سنة ١٨٧٨^(٤) .

(١) مجلة الجيش المجلد ١٢ العدد ٤٨ (يناير مارس سنة ١٩٥٠) ص ٦٦ و ٦٧ .
(٢) دفتر ١٣٩٠ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ١٦ ص ٩٥ أمر إلى الجهادية في ٩ محرم ١٢٨٧ (١٨٧٠) .
3 - Leon , Khedive 's Egypte P. 375 .
(٤) أمين ساي . مصر والنيل ص ٢٠ .

الجيش المصرى بالسودان

كان السودان فى عهد الخديو اسماعيل مقعما الى مديريات على رأس كل منها رئيس ملكى أو عسكرى يلقب بمأمور الادارة ، وله حامية يختلف عددها من مديرية لى أخرى ، ويشرف على هؤلاء جميعا الحكمدار العام للسودان الذى كان يعين من قبل الخديو ومقره الخرطوم ويتولى الناحية الإدارية . وإلى جانبه قائد عام للقوات المصرية بالسودان ويسمى « قائد عسكر السودان العام (١) » ، ويعينه الخديو أيضا ويقوم بالناحية العسكرية . ويعاونه ديوان يسمى « ديوان العسكرية » ومهمته الإشراف على القوات الحربية النظامية بالسودان ، ويعمل على استكمالها وتزويدها بالأسلحة والمهمات اللازمة . ولكن اضطراب الأحوال المالية وتدخل النفوذ الأوربي فى شئون البلاد اضطر الخديو إلى إلغاء هذا الديوان فى سنة ١٨٧٨ ، « وإحالة أشغال العسكرية على قومندانها تحت ملاحظة المديرين (٢) » .

وفى كل مديرية من مديريات السودان قوة حربية من الجنود النظامية والجنود غير النظامية يختلف عددها طبقا لاعتبارات مختلفة ، منها موقع المديرية ، وأهميتها ومساحتها ، وعدد سكانها ، وطبيعة هؤلاء السكان (٣) . وكان هذا الأمر متروكا لتقدير القائد العام .

(١) حقائق الأخبار . ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) دفتر بدون رقم [معية تركى] وثيقة من ٢٨ أسراكريم للجهازية فى ٢٣ رجب ١٢٩٥

[١٨٧٨] .

3 - Eouin , Hist. de Règne du Khedive Ismail T. III
Fasc. B, P, 1137

ديوان السرجشمة

ويعاون القائد العام بالسودان ديوان آخر يطلق عليه اسم «ديوان السرجشمة»، ومركزه الخرطوم . وقد اختلفت بالإشراف على شئون العساكر غير النظامية، أى أنه يقوم بنفس المهمة التى يقوم بها ديوان العسكرية بالنسبة للجنود النظامية . وهذا الديوان عبارة عن صورة طبق الأصل من ديوان السرجشمة بمصر . وكان يرأسه رئيس الفرسان بالسودان ، ويعاونه أربعة كتبة . وتختص مهمته فى المرور وتفقد أحوال الجيش واستكمال أسلحة الجنود والحيل اللازمة لهم . ومنع ما يحدث للنظام من مخالفة للأصول وإجراء ما يلزم لذلك ، وإفادة الحكمدارية أولاً فأول (١) . .

ولكن هذا الديوان حاد عن مهمته الأصلية وأصبحت أعماله قاصرة على رؤية ما يخص الجنود ، وما لهم وما عليهم من الاستحقاق (٢) . ولما كانت هذه الأعمال من إختصاصات المديرية رأى حكمدار السودان وقتئذ جعفر صادق ، ألا فائدة من وجوده فألغاه . وقد سبق هذا الإلغاء خطوة أخرى من جانب الخديو اسماعيل حيث أصدر أمره (٣) إلى ناظر الداخلية فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (أواخر سنة ١٨٦٥) بإلغاء ديوان السرجشمة ، وإحالة جنود الباشيرزق إلى نظارة الجهادية .

-
- (١) محفظة ٣٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٨٦ من جعفر صادق بالحا حكمدار السودان إلى مهردار الجناب المالى فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٢ [أواخر ١٨٦٥] .
(٢) المصدر السابق .
(٣) دفتر ٥٥٧ (معية تركى) وثيقة رقم ١٤ س ١١٣ أمر كريم إلى الداخلية فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ . وتقوم النيل . المجلد الثانى ج ٣ س ٦٢٠ .

وفي سنة ١٨٧١ ألغيت حكمدارية السودان ، وقسم السودان إلى ثلاث إدارات مستقلة هي : الخرطوم ، وسنار ، وفيزوغلي . وعين ممتاز (باشا) مديرا عليها ، على أن يبقى مديروها السابقون يعملون تحت إداراته . وشكلت إدارة خاصة بمديرية كردفان على رأسها مدير عام هو عبد الوهاب (بك) وضمت مديريتا دنقلة وبربر إلى بعضها ، وعين عليها حسين خليفة (بك) . وكذلك ألغيت محافظة عموم البحر الأحمر . وتبع هذا التقسيم الإداري تقسيم في القوة العسكرية فجهات قبلي السودان وضمت تحت إدارة قومندان (باشا) برتبة لواء ، وجهات كردفان عليها أميرالاي (عميد) وجهات مديرية تاكة عليها قائممقام (عقيد) وجهات مديرتي بربر ودنقلة صاغقول أغاسي (رائد) . وكان المقصود من هذا التقسيم تحسين الإدارة بالسودان ، ولكن هذا الاجراء أتى بعكس ما أريد منه .

ونظرا لإتساع الأراضى السودانية التي دخلت تحت الحكم المصرى نتيجة لسياسة التوسع فى الفتح والاستكشاف أصبح من الصعب إدارة هذه الأقاليم البعيدة ، خصوصا وأنها لم تكن تابعة لإدارة واحدة ، فالسودان كان تابعا من الناحية المالية لديوان المالية ، ومن الناحية الحربية لديوان الجهادية ، وفى الشؤون الداخلية لديوان الداخلية . فرأى الخديو اسماعيل فى ١٠ شعبان سنة ١٢٩٢ (أواخر سنة ١٨٧٥) لإجالة تنمية الأقاليم السودانية عموما من الآن إلى ديوان الجهادية وتعيين وكيل مخصوص بالديوان لرؤية حساباتها (١) ، . وعين مصطفى

(١) محظلة ١١ [جهادية] وثيقة عربية رقم ٤٧ ، من الجناح العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٠ شبانات سنة ١٢٩٢ . وتقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ ص ١٣٦٥ .
ودفتر ٢٨٩١ [أوامر جهادية] رقم ١٠ إلى ديوان الجهادية فى ١٠ شبانات ١٢٩٢ .

فهمى (باشا) ناظر الدائرة السنية وكيلا لإدارة عموم الأقاليم السودانية بالجهادية في ١١ شعبان سنة ١٢٩٢ (١) . فأصبحت بذلك أمور السودان من مدنية وعسكرية تابعة لديوان الجهادية منذ ذلك الحين .

عدو قوة الجيش المصرى بالسودان

اختلفت قوة الجيش المصرى بالسودان في - عصر اسماعيل - من سنة إلى أخرى ومن مديرية إلى مديرية . ولهذا لا يستطيع الباحث أن يحدد بالضبط عدد القوات التي خصصت للسودان ، وذلك لعدة عوامل أهمها تعرض الجنود المصريين للوبت والأمراض نتيجة لقسوة المناخ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لعملية تسريح الجنود المستمرة على شكل أجازات طويلة الأمد (٢) . وثالثا الفرار البعض منهم من الجندية (٣) . فكان هناك إذا ، عجز مستمر في عدد جنود السكتائب . فلأسباب السالفة الذكر يصعب تحديد عدد القوة بالسودان تحديدا دقيقا إذا أمكن معرفة عدد السكتائب .

وفي أوائل ١٨٦٣ - أيام حكمدارية موسى حمدى بالسودان - بلغت القوة المصرية بالأقاليم السودانية عددا بلكات المحافظين ثماني أوط (٤) . وتشير بعض الوثائق إلى أن الحكومة المصرية قد خصت السودان في سنة ١٨٦٥ بقوة

(١) دفتر ٢٩٠٣ [أوامر جهادية] وثيقة رقم ١ أمر كريم إلى ديوان الجهادية في ١١ شوال ١٢٩٢ .

2 - Leon , Khedive , s Egypt. P. 375

(٣) محظفة ٣٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ تقرير من ديوان الجهادية في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

(٤) محظفة ٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٧٠ من حكمدار السودان موسى حمدى إلى باشماون الجناح العالى العديو في ٦ شوال سنة ١٢٧٩ .

عسكرية تقرب من ٦٥٠٠ جندي نظامي ، فيها عدا وكثير من خيالة الباشبوزق والشايقية وجيشان من المشاة المتطوعة يقود كل منها (سر بيادة) ثم بطارتان من المدفعية (١) ، ، وما يجدر ملاحظته أن عدد الجنود المصريين كان قليلا إذا قيس بعدد الجنود السودانيين بالسودان ، وذلك لعدم ملاءمة جو السودان لهؤلاء الجنود المصريين . وأهم أسلحة السودان النظامية وأعظمها خطرا سلاح الهجانة . فكان بالسودان من الهجانة سنة ١٨٦٥ أورطان وتآلف الأورطة الواحدة من ستة بلوكات وفيما يلي بيان بعدد أفراد الأورطة (الكتائب) منها (٢) :

يرأس الأورطة ضابط برتبة بكباشي (مقدم) ويعاونه ضابطان برتبة صاغقول أغاسي (رائد) ، و أول وسطى ، بروجي (مقدم بواقين) ، و شنة يوزباشية (نقيب) وستة برتبة ملازم أول ، وستة برتبة ملازم ثاني ، وستة برتبة باشجاويش ، وستة بلوك أمين ، و ٢٤ جاويش ، و ٤٨ أونباشي ، و ١٢ بروجي (بواق) ، و ٤٠٨ أنفار . ويلحق بهؤلاء مطعم ، مدفع جبلي مكون من : جاويش وأونباشي و ٧ أنفار . هذا فضلا عن توابع الأورطة وهم حكيم ، وأجزجي (صيدلي) ، ومرضان اثنان وكاتب . فيكون المجموع الكلي الأورطة ٥٤٠ فردا .

وكل بلوك من البلوكات الستة المذكورة يتكون من ٦٨ جنديا منهم ٦٤ من الجنود الراكبة و ٤ من الجمالين . وكل أورطة مزودة بخمسة وخمسة عشر هجيناً .

(١) محفظة ٥٠٨ [معية تركي] وثيقة رقم ١١ س ٢٨ إرادة إلى حكمدار السودان في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢ [أواخر ١٨٦٥] .
(٢) محفظة ٣٥ [معية تركي] وثيقة رقم ٦٧ أمر إلى حكمدار السودان في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

صاغقول أغاسى	١	١	١	١
يوزباشيه	٤	٢	٢	٨
ملازموں أول	٤	٢	٢	٨
ملازموں ثوانى	٤	٢	٢	٨
باشجاويشيه	٤	٢	٢	٨
بلوكات أمناہ	٤	٢	٢	٨
جاويشيه	١٦	٨	٨	٣٢
أونباشيه	٣٢	١٦	١٦	٦٤
بروجيه	٨	٤	٤	١٦
نفرات راكبون	٢٥٦	١٢٨	١٢٨	٥١٢
نفرات حاملون	١٦	٨	٨	٣٢
الجملة	٣٤٩	١٧٤	١٧٤	٦٩٧
	مع ١ جى أوردطه بالتاكة	مع ٢ جى أوردطه بسواكن	مع ٣ جى أوردطه بمصوع	

وقد أُلحق جنود الهجانة بـ ١ جى أوردطه بالتاكة، و ٢ جى أوردطه بسواكن، و ٣ جى أوردطه بمصوع على النحو الآتي (١):

(١) دفتر ١٨٧ جـ ٧ صادر من ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٨٣٧ في ١٩ شوال سنة ١٢٨٤ (١٨٦٦).

ويمكننا القول بأن أصح الجنود للسودان هم جنود الهجانة ، لأن الهجان الواحد يستطيع بكل سهولة قلع المسافة المعتاد قطعها في ثمانية أيام في ستة أيام ، لسكونه يحمل على هجينه ما يكفيه لمدة ثمانية أيام من المؤونة والزراد والمياه (١) ، وكذلك نجد أن هؤلاء الجنود لا يتكفون نفقات كثيرة أثناء السفيرة كما يتكاف جنود المشاة ، ولا يحتاجون الى الايل لحل أمتعتهم ، بل يكتفى الضباط والجنود بمطاياهم التي يركبونها (٢) ، كما أنهم استطاعوا استعمال المدافع أثناء ركوبهم بمهارة فائقة ، مما كان له أبعاد الأثر في نفوس السودانيين . ويعترف شاهين كنج بحافظ القلاع وفريق الجيش المصرى حينذاك بأهمية هؤلاء الجنود للسودان بقوله : « ولئن أرى أن وجود أورطه من الهجانة في السودان أصلح من وجود آلاى من المشاة وآخر من الفرسان (٣) فيها » .

وكانت حكمدارية السودان تعتمد في الصرف على هذه القوة العسكرية على ما تتلقاه من الحكومة المصرية من إعانة سنوية . بالإضافة الى ما تجمعها من ضرائب . وفي سنة ١٨٦٥ بلغت قيمة الاعانة ٣٦٠.٠٠٠ كيسه (١٨٠.٠٠٠ جنيهها مصرى) . ويذكر نعوم شقير أن في عهد حكمدارية فوسى حمدى (باشا) (١٨٦٣ - ١٨٦٥) بلغ عدد الجنود ما يقرب لمن ٣٠.٠٠٠ من الجنود النظامية والباشبوزق موزعين على المراكز (٤) الآتية :

- (١) محطة ٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤ من هاجين كنج محافظ القلاع وفريق الجيش الى الباشماون الجناب الخديوى في ١٧ رمضان سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .
- (٢) المصدر السابق
- (٣) محطة ٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤ من شاهين كنج الى الجناب الخديوى في ١٧ رمضان سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .
- (٤) عبد الرحمن الرافى . تاريخ الحركة القومية [عصر اسماغيل] ج ١ ص ١٦٦ . ويتفق هذا مع ما ذكر في مجلة الجيش المجلد التاسع ، العدد ٣٢ من ١٨٩ .

دثقله - بربر - الخرطوم - سنار - القلابات - الجيره - (بالقرب من حدود الحبشة) - القصارف - كسلا - ايمديب - سنهيت - سواكن - كردفان - دارفور - بحر الغزال - خط الاستواء - مصوع - هرر - زيلع - بزبره .

وقد روعى في توزيع هؤلاء الجنود عدة اعتبارات منها موقع المديرية ، وعدد سكانها بالنسبة للمدريات الأخرى ، وطبيعة هؤلاء السكان . فاذا جاز لحكمدارية عموم السودان وضوح أشرطة من الجيش في مديرية النيل الأبيض للمحافظة على الأمن بين قبائل الشاوك فإن أقل من أشرطة واحدة يكفى لمديرتى دثقله وبربر الهادتين . فشكل واحدة من هاتين المديرتين كانت تكفى ببلوكين (فرقتين) من الجنود^(١) فقط . وقد قدرت الحكومة الفرنسية عدد القوة المصرية بالسودان في عصر اسماعيل بنحو ٧٠٠٠ (٢) مقاتل .

ويرجع اختلاف المصادر في تقدير القوة الحربية بالسودان الى حالة الأقاليم السودانية في السنوات المتعاقبة في فترة حكم الخديو اسماعيل ، ففي خلال فترات التوتر والحروب بين مصر والحبشة زادت الحامية المصرية في السودان زيادة كبيرة . وكذلك أتمت حركة التوسع والغزو في أقاليم دارفور ، وكردفان ، وهرر ومديريات خط الاستواء . وقد تعرضت هذه القوة للنقص نتيجة لاضطراب المالية المصرية . ولهذا أمر الخديو اسماعيل في سنة ١٨٦٧ حكامدار السودان بعمل الترتيبات اللازمة نحو ، انقاص عدد الجنود والبلوكباشية الى النصف ،

(1) Douin ; Hist. de Khedive Ismail T. III Fasc. B.P.1137.
(2) Notes sur l'Armée Egyptienne.

وكذلك عساكر وقواد الجنود غير النظاميين (١) . ومن جهة أخرى نجد أن القوة المصرية بالسودان تأثرت أيضا بمساعدات الخديو اسماعيل الباب العالي في حروبه ضد روسيا ، مثال ذلك ما حدث سنة ١٨٧٧ عند تعيين غوردون حكامدارا عاما للسودان إذ كانت العساكر المصرية بالافطار السودانية المذكورة قليلة وبعض نواحيها خالية منها ، لأن مصر لما ساعدت الدولة في حربها مع الصرب والروسيا أرسلت قسما عظيما من جنودها لإمدادا . فبقى السودان قليل الجنود ، ولذلك انتشبت (نشبت) نيران الثورة في جهات دافور (٢) .

فتخفيض الحماية المصرية في السودان إذا كان له أسوأ الأثر بالنسبة لمصر ، وخصوصا في الوقت الذي كانت تلتهج فيه الحكومة سياسة العنف والقوة في القضاء على تجارة الرقيق . فهذه السياسة أغضبت تجار الرقيق وأتباعهم من ذوى السلطان والجاه في السودان ، فأخذوا يؤلبون الأهالي على الحكومة ، وكان هؤلاء يتحينون الفرص للثورة والخروج على الحكم المصرى . وقد واتهم الفرصة بظهور المهدي . فقله عدد الجنود المصريين بالسودان شجع على قيام الثورة المهديّة واتساع نطاقها .

ومما يؤخذ على الحكومة المصرية بصفة عامة وعلى نظارة الجهادية بصفة خاصة ، أنها كانت تنظر الى السودان على أنه منقى لإبعاد المشاعين وسببى السلوك ممن يرتكبون مخالفات يستحقون عليها هذا العقاب . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فثلا أسندت الى بعض الملازمين تهمة التلقيق والتزوير وقدموا للجلس العسكرى

(١) المصدر السابق .

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٣٣

للمحاكمة ، فأصدر حكمه عليهم بإزالة رتبهم الى رتبة الأسيران « مع إلحاقهم مدة خمس سنوات بأعمال توافقتهم بالسودان عقاباً لهم على ما ارتكبوه (١) ، . فهذه السياسة التي سارت عليها نظارة الجهادية جمعت في السودان نخبة من المدنيين والمشائغين . فلا غرابة إذا أتى هؤلاء الجنود من الأمور ما قد يسمى الى سمعة الجيش المصرى .

وكانت مدة إقامة الضباط المنقولين الى السودان أربع سنوات يترك لهم الحرية بعد قضائها فى العودة الى مصر أو الإقامة فى السودان(٢) .

(١) محظلة ١٠ (جهادية) وثيقة مربية رقم ٢٦٣ من اسماعيل باشا الى ناظر الجهادية فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٤) .
(٢) عطفة ٧ (جهادية) وثيقة رقم ٢٨٦ من الجناب المالى الى ناظر الجهادية فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) .

الفصل الحادي عشر

الجيش المصري

تجهيزه وأسلحته وملابسه



التعاليم العسكرية

اجه الخديو اسماعيل نحو الفرنسيين الاقتباس من نظمهم الحربية والاستعانة بخبرائهم في تنظيم الجيش المصرى وتدريبه ، كما اتجه جده محمد على من قبل . فبدأ بارسال عدد من الضباط المصريين يبلغ ١٥ ضابطا في أوائل حكمه الى فرنسا للاطلاع على النظم العسكرية الفرنسية والاستفادة منها . ثم عاد هؤلاء الى مصر يحملون المؤلفات العديدة في القوانين الحربية ، وأنواع الأسلحة والملابس . وشرع الخديو في تنظيم جيشه على نظام جيش فرنسا ، وأمر بترجمة قوانينها العسكرية (١) . وصارت نظارة الجهادية تلتفت باهتمام ما يستجد من النظم الحربية وتسارع الى اقتباسها وتطبيقها على الجيش المصرى . ففى سنة ١٨٦٩ وضع بفرنسا قانون دى يحتوى على كافة الخدمات العسكرية المتعلقة بالقلاع الحربية والمدن المحصنة والقشلاقات (٢) العسكرية . فأمر الخديو اسماعيل في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٩) بترجمة الى العربية واتباعه د لما فيه من التحسينات العصرية (٣) .

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) دفتر ٢٨٥٥ دفتر قيد الأوامر العسكرية الصادرة لديون الجهادية وثيقة رقم ١ فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ . وتقوم النيل ، المجلد الثانى ج ٣ ص ٨٢٨ .

(٣) المصادر السابقة .

وبعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا في ١٨٧٠ وظهر للعالم قوة بروسيا الحربية ودقة نظمها العسكرية ، أمر الخديو بتعديل الجيش على النظام الألماني الذي ذاع صيته ، فترجمت القوانين وتعديلت الملابس وغيرت الأسلحة وبقى الجيش على هذا النظام حتى وقت ثورته (١) . بل إن الفرنسيين أنفسهم قد نقلوها عن الألمان بعد هذه (٢) الحرب . ففي سنة ١٨٧٠ كانت التمرينات العسكرية والتكتيكات الحربية المتبعة في سلاح المشاة والفرسان على النظام الفرنسي . أما سلاح المدفعية فقد أتبع النظام البروسي (٣) . ثم أدخلت التعليمات البروسية بعد ذلك في الأسلحة الأخرى فيصدر (٤) في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩١ (النصف الثاني من ١٨٧٤) أمر بإلغاء التعليمات الحربية القديمة واستعمال التعليمات البروسية الجديدة في مختلف أسلحة الجيش ، وترجمة تعليمات السوارى ، وتشكيل قومسيون من الضباط العظام برياسة فريق السوارى للاشراف على تنفيذ هذه التعليمات على الآليات علما (٥) وعملا .

وبالإضافة الى ذلك فقد وافق الخديو اسماعيل على تطبيق القانون الحربى

(١) - حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١١ .

2 - Mc Coan ; Egypt as it is p.102.

3 - Abdin . Corresp . Fran , Doss No . 50/1 Hans
Wachenhusen

(١) دفتر ٢٨٩١ قيد الأوامر الكرام الواردة لديوان الجهادية وثيقة رقم ٤ فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٩١ و دفتر ٢٨٩١ قيد الأوامر الكرام الواردة لديوان الجهادية وثيقة رقم ١٠ فى ٧ هوال سنة ١٢٩١ .

(٥) المصدران السابقان .

الذى وضعه الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧١ على الجيش . وهذا القانون يشتمل على الكثير من الاقتباسات من القانونين الانكليزي والامريكى مع إدخال بعض التعديلات البسيطة عليها ليتمش مع روح الخدمة العسكرية بالجيش المصرى (١) . ولكن ارتباك مالية البلاد فى أواخر حكم اسماعيل حالت دون لإصلاح شئون الجيش ، فلم يكن لهذه التحسينات أى أثر .

الأسلحة والمعدات الحربية

زودت فرق الجيش المختلفة بالأسلحة والمعدات الحربية المختلفة الطراز ، ففي سلاح المشاة نجد آلاى (لواء) المشاة يضم فريقا من الجنود المزودين ببنادق من طراز شاسيو . وقد كثر إستعمالها فى أوائل حكم اسماعيل ثم استعير عنها ببنادق رمنجتون عندما ظهرت أهميتها فى عالم الحرب . وكان لدى الجيش المصرى منها ٢٠٠٠٠٠٠ بندقية كاحتياطى (١) . والفريق الآخر كان مزودا بالرماح والقرايين . وقد أصبح رجال الجيش جميعهم تقريبا مجهزين بالبنادق إلى جانب الرماح والمسدسات (٢) . بعد التحسينات التى أدخلت على فرق الجيش المختلفة بعد سنة ١٨٧٠ . وقد أرسل الخديو اسماعيل كميات هائلة من هذه المعدات إلى القسطنطينية على سبيل (٣) الهدية وذلك لوفرتها لدى الجيش .

أسلحة الفرسان

يوجد بكل آلاى (لواء) من آلايات الفرسان أربع أروط، اثنتان منها مزودة بالرماح أو الحراب ، ويمتطى جنودها جيادا خفيفة سريعة ، والاثنتان الأخرى مزودتان بالقرايين ويركب ضباطها جيادا ثقيلة . والخيول المستعملة

(١) الياس الأيوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٨٠ .

(2) Abdin. Corrs. Fran. No.50/1 Organistion de l'Armée. Traduction' d'un Article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No. 144 du Journal de Cologne en da'e du 22 Mai 1871 et, que l' Auteur dit avoir été écrit en printemps de 1870 .

(3) Leon , Khedive , Egypt P. 376 .

في الجيش من الخيول العربية المستوردة من سوريا وجنوب روسيا ، ولا يركب هذه الجياد سوى ضباط الجيش فقط (١) .

اسلحة مدفعية الميدان .

يتألف آلاى مدفعية الميدان من ثلاث أورط وبكل أورط أربع بطاريات من ستة مدافع . والأورطتان الأولى والثانية سواري والثالثة مشاة . أما أسلحتها فمكونة من مجموعة كبيرة من المدافع المختلفة الأحجام والطرز بعضها مصنوع من البرونز المصقول عيار ٨ سم طراز لاهيت (٢) La Hitte . وفي سنة ١٨٧١ زود سلاح مدفعية الميدان بأربع بطاريات من المدافع الصلب المششخنة عيار ١٢ سم على الطراز الروسى (٣) . وقد بلغ مجموع هذه المدافع في وقت ما ١٠٠ مدفع من مدافع كروب Krupp و ٥٠ مدفعا خفيفا أرمسترونج . وزودت الحاميات كذلك بمدافع وهرندورف عيار ٨ و ١٠ بوصة و ٣٠٠ مدفع خفيف مختلف الطرز (٤) . ومدافع الاستحكامات من أعيرة متباينة فيمضها من عيار ١٢ و ٢٤ و ٣٢ و ٤٨ لبرة ، ومدافع أرمسترونج من عيار ٨ و ٩ ، ومدافع كروب من عيار ١١ (٥) .

(1) Bibliothèque du Cabinet Française. Notes sur l' Armée Egyptienne Histoire de l, Armée .

(2) Leon , Khedive , s Egypt P 376 .

(٣) و (٤) المصدر السابق .

(٤) تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٨ .

(5) Abdin. Corrs. Fran. Doss. No 50/1 Article de Hans Wachenhusen en 1870

أسلحة مدفعية السواحل

يتألف سلاح مدفعية السواحل من ثلاثة آليات (لوامات) . يربط الآلاى (الواء) الأول فى حصون الاسكندرية ، وكان بها ٣٢٠ مدفعا منها ٦٠ مدفعا من نوع الششخانة من طراز أرمسترونج عيار ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ بوصات ، و ٢٦٠ مدفعا من طراز قديم يرجع عهدها لى محمد على وعباس وسعيد .

ومركز الآلاى (الواء) الثانى مدينة دمياط وبورسعيد والبرلس وبحصونها ٤٠ مدفعا من نوع الششخانة ، و ١١٥ من طراز آخر .

ويقوم الآلاى (الواء) الثالث فى المنطقة بين رشيد وأبى قير ، وبحصون هذه المنطقة ٧٠ مدفعا من نوع الششخانة من طراز أرمسترونج ، و ١٧٠ مدفعا من غير هذا الطراز . وعلى ذلك يكون مجموع هذه المدافع جميعها ٧١٥ مدفعا (١) .

أعلام الجيش

كان لكل آلاى (لواء) من آلايات الجيش علمه الخاص ، وهذا العلم مصنوع من الحرير الأبيض ، ويحيط بأطرافه سجف من الحرير الأصفر النياتى (نوع من الحرير) طرزت عليه آيات من القرآن الكريم مقرونة برقم الآلاى (لواء) .
وفى ذروة العلم توضع رمانة (حلية توضع فى أعلى سارى العلم) من الفضة المطلاة بالذهب ، وزانة (سارى) العلم مدهونة بدهان أخضر اللون (١) .

أما الأعلام الخاصة بالأورط فقماشها من الحرير الأخضر السادة وبدائرة (ويحيط به) سجف من الحرير الأخضر النياتى (٢) .

وعندما أعيد فتح السودان سنة ١٨٩٨ و رقت على أعلام الكتائب أسماء المعارك الدائمة التى لانتصرت فيها . ومن هذه المعارك فركة والجميزة والعظيرة والخرطوم ... (٣) .

-
- (١) دفتر ٩٨٨ ج ٢ صادر من هيوان الجهادية . وثيقة رقم ٣٠١١ س ١٩٨ فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) القائمة عبد الرحمن زكى . العلم المصرى ص ١٢ .

ملابس الجيش المصرى فى عصر اسماعيل

لهم محمد على عند تشكيل الجيش المصرى الحديث باختيار الزي العسكرى فقد شاهد فوضى الملابس وتنوعها عند المالك ، إذ كانت كل فئة منها تحافظ على ملابسها القديمة المستعملة فى مواطنها الاصلية . فهذا الاختلاف والتنوع فى الملابس لا يتفق وجيش حديث يسير على النظام الفرنسى . وهذه الملابس كما ذكر كلوت (بك) ، تتألف من طربوش أحمر وسترة ضيقة (صدرية) وبنطلون (مروال واسع) ومنطقة تشد على الخصر ورباط للساق (طوزلق) وخذاء بلدى أحمر (١) . أما ألوانها فقد اختلفت فى تحديدها آراء المعاصرين . فبعضهم ذكر بأن السترة والبنطلون كانا يصنعان من الجوخ الأحمر ، والبعض الآخر ذكر بأن السترة ذات لون أحمر والبنطلون من قماش أبيض . ويمكننا القول أن الجنود فى فصل الصيف كانوا يرتدون الملابس البيضاء المصنوعة من القطن السميك . وفى فصل الشتاء يلبسون الجوخ ويرتدى الفرسان ملابس مختلفة تبعاً للوحدة مدرعة أو مزودة . ولكنهم كانوا بوجه عام يتفقون مع رجال المدفعية وجنود الحرس فى ارتداء الصدرية الزرقاء شتاء . أما رجال الاسلحة الأخرى فيلبسون صدرية حمراء ، ويضع الفرسان المدرعون على رؤوسهم خوذة من طراز العصور الوسطى . والفرسان الغير مدرعين يلبسون على رؤوسهم القالوطة المصنوعة من الصلب تحيط بها عصابة من نفس المعدن وواقيتان أحدهما للعينين والأخرى للأنف (٢) .

(١) القانام عبد الرحمن زكى . ملابس الجيش المصرى فى عصر محمد على ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

ولا تختلف ملابس الضباط عن ملابس الجنود إلا في نوع الجوخ وما يزين الأولى من تطريز . ويلبس الضباط فقط صدرية ذات أزرار تحت السترة . كذلك وجد تفاوت في اللون بملابس هؤلاء الضباط عندما أصبحوا يلبسون على نفقتهم الخاصة . واقد وصف المستر جون بورنج في تقريره الذى وضعه عن مصر فى سنة ١٨٣٨ ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على بقوله : إنها وسط بين الزي الشرقى والذى الفرنجى وهو عبارة عن سترة تحمها صدرى ، وعن سروال كبير فضفاض مشدود إلى ما تحت الركبتين . أما الحزام فعادى ، والحذاء فواسع ، ولا يبدو على أيها أنه من لباس العسكريين . وكلاهما لا يساعد على السير أو الحركات السريعة من أى نوع (١) .

الشارات

أما الشارات فقد اختلفت باختلاف الرتب ، فالأمباشى كان يحمل على صدره شريطا واحدا ، والجاويش (رقيب) اثنين ، والباشجاويش (رقيب أول) ثلاثة ، والصول (مساعد) نصف هلال من الفضة ، والملازم الثانى نجما من الفضة ، والملازم الأول نصف هلال ونجما من الفضة ، والبيوزباشى (الرقيب) هلالا ونجما من الذهب ، وقائم المقام (عقيد) هلالا من الذهب ونجما من الذهب مرصعا بالماس (٢) ، والميرالاي (عميد) هلالا ونجما مرصعين بالماس ، والمير لواء هلالا ونجمن مرصعين بالماس ، والمير مران هلال وثلاثه أنجم مرصعة بالماس (٣)

(١) تقرير بورنج مرطب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على س ٤٧٨ .
 (٢) القائمة عبد الرحمن زكى - ملابس الجيش المصرى فى عصر ١٨٤٠ على الكبير س ٢٨
 (٣) نجادج من المتحف الحربى بالقاهرة .

وقد اختار محمد على جنوده الملابس المشار إليها دون تدخل من الباب العالي، ولكن بعد الحروب التي حدثت بينه وبين السلطان أصدر الباب العالي فرماني فبراير ومايو سنة ١٨٤١ فرض فيها على والى مصر ، بالألا تختلف هيئة الملابس والعلامم المميزة ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقى الجنود العثمانية، وكذا ملابس الضباط وعلامم امتيازهم (١) ، . ولم يترك لوالى مصر إلا اختيار نوع الأقمشة التي تتلائم وجسو مصر . ولهذا اعتبر الجيش المصرى جزءا من الجيش العثمانى ، أى ليست له صفة مستقلة يتميز بها وتبدو فى ملبسه .

واستمرت الملابس العسكرية حتى أوائل عصر سعيد كما هى عليه ، ولكن فى أواخر حكمة طرأ عليها تغيير وتبديل نتيجة للمحاولة التي قام بها الوالى سعيد لادخال الزى الأوربى الحديث فى الجيش ، والمزج بينه وبين الزى الشرقى . فادخال البنطلون الحديث (٢) الذى حل محل السودان المتفتخ . وليس معنى هذا أن الطراز الشرقى قد اختفى كلية من الجيش ، بل يمكننا القول اعتادا على ما شاهدناه من صور لرجال الجيش فى عصر سعيد أن الطرازين الشرقى ، والشرقى الأوربى عاشا رديحا من الزمن جنبا الى جنب .

ولما اعتلى اسماعيل ولاية مصر شرع فى التخلص من قيود فرمان سنة ١٨٤١ قيودا فقيدا . فاستطاع بمقتضى فرمان ٣٧ مايو سنة ١٨٦٦ التخلص من القيد المفروض على وراثة حكم مصر وعلى عدد قواتها . وقد أغفل هذا فرمان كل ما يتعلق بملابس الجيش أو الإشارة الى وجوب مطابقتها لملابس الجنود الشاهانية وكذلك لم ينص فرمان الشامل الصادر فى سنة ١٨٧٣ على شىء ما يتعلق بها، بل

(١) فيليب جلاذ بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٥ .

(٢) ملابس الجيش المصرى فى عصر عماد على الكبير ص ٣٧ .

اكتفى ، بأن تكون أعلام وصناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة في
الخطوة المصرية كأعلام وصناجق سائر عساكرنا الشاهانية (١) .

وفي أوائل سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) أرسل والى مصر الى فرنسا خمسة عشر
ضابطاً تحت إشراف الجنرال برنسبو ، لمشاهدة التعليمات العسكرية الفرنسية
والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية (٢) . ثم عادت بعد الانتهاء
من مهمتها تحمل معها الكثير من المؤلفات العسكرية الفرنسية وأنواع الأسلحة
والملابس التي أعجب بها أفرادها . وكان لهذه البعثة والبعثة الفرنسية التي استقدمها
اسماعيل من فرنسا في سنة ١٨٦٤ برئاسة ميرشير وعضوية راباتيل ولارمى وبولار
لتنظيم المدارس الحربية أثرها في إدخال الزي الفرنسى بالجيش المصرى . فيصدر
ناظر الجهادية (٣) أوامره في ٢٠ ربيع أول سنة ١٢٨٣ (النصف الثاني من سنة
١٨٦٦) الى الممات العسكرية بعدم تفصيل الملابس العسكرية على الطراز القديم
بل حسب الطراز المتبع في فرنسا واستمر هذا الطراز متبعاً في الجيش
الى قدوم البعثة العسكرية الأمريكية في سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ . وبانهزام
فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠ استبدلت النظم العسكرية الفرنسية
بالنظم الألمانية ، كما استبدل الزي الفرنسى بالزى الأمريكى في الجيش المصرى .

وسنحاول في الصفحات القلائل الآتية عرض صورة واضحة للملابس رجال
الجيش في عصر اسماعيل ، معتمدين على ما جمعناه من وثائق بدارالوثائق التاريخية
بقصر عابدين . وإذا تكلمت عن ملابس الجيش فلإنما أقصد بذلك الملابس بمصر

(١) ناموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٥ .

(٢) خفائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) دفتر ٩٩٠ ج ٥ مصادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٥٤٦ ص ٢٦٥

في ٢٠ ربيع أول سنة ١٢٨٣ .

والسودان . فالملابس في كليهما تكاد تكون واحدة ، مع اختلاف بسيط في ملابس الجنود بالسودان تطلبها طبيعة الأرض ومناخ الاقليم .

ففى مصر كان لرجال الجيش ملابس صيفية وأخرى شتوية ، ولا تختلف ملابس الجنود عن ملابس الضباط إلا في نوع القماش والتطريز . وفيما يلي بيان بالملابس التي كانت تصرف للجندي الواحد في فصل الصيف (١) :

كان يصرف للجندي طقمان (سترة وبنطلون) من بفته سمراء أو كتان (٢) ، وشغل الفابريقه ، وقمصان ، ولباسان ، وطرشوش ، وزر حرير ، وسجادة ، وطوذلك بفته .

وتختلف هذه الملابس عن ملابس فصل الشتاء في أن الجاكت والبنطلون ، كانا من الجوخ الرمادى المائل الى الزرقة (٣) . كذلك كان يصرف للجندي حزام لوضعه على كتفيه ، وكبود من الجوخ (٤) . وكانت السكايبيد التي تصرف

(١) دفتر ٩٨٦ ج ١ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٢٤٣ في ٣ جادى الأولى ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٣١٦٤ ص ٢٠ في ٦ ذى الحجة ١٢٨٢ . ومحظنة ٤١ (عمية تركى) وثيقة رقم ٢٨٨ من داود فتحى وكيل الجهادية لى العمية العينية فى ١٦ ربيع ثان سنة ١٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق . ودفتر ٥٣٧ (عمية تركى) أسركريم بدون رقم الى شاهين كنج س ٥٨ فى أول ربيع آخر سنة ١٢٨١ .

(٤) دفتر ٢٨٠٩ دفتر قيد الأوامر الكرام الواردة للجهادية . وثيقة رقم ٧ فى ٢٢ رجب سنة ١٢٨٣ (أواخر نوفمبر سنة ١٨٦٦) .

للعساكر والصف ضباط مصنوعة من الجوخ الأسود (١) ، يضاف اليها معطف من الجوخ الرمادي (٢) .

أما عن ملابس الضباط في فصل الصيف فكان يصرف لللائم الثاني طقم (٣) من يفتة بيضاء (جأكت وبنطون) ، وقميصان من اليفتة ، ولباسان من نفس القماش ، وطربوش ، وزر حرير ، وحذاء ، وصدريان من اليفتة .

أما في فصل الشتاء فيستبدل الطقم والصدري اليفتة بطقم وصدري من الجوخ ، ويصرف له كجود من الجوخ الأسود (٤) ، ومعطف من الجوخ الرمادي (٥) .

كذلك كان يصرف لليوزباشي (٦) (نقيب) طقم (سترة وبنطون) من الجوخ

(١) دفتر ٩٨٨ ج ٢ صادر ديوان الجهادية . وثيقة رقم ٢٧٨٣ في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .

(٢) دفتر ٢١ صادر عابدين . وثيقة رقم ١٣ من الجناح المال إلى القبروكتخدأ في ١٣ محرم سنة ١٢٨٠ [١٨٦٣] .

(٣) دفتر ٩٨٦ ج ١ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٧٩٨ س ١٦٣ في ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ . ودفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٨٦١ في ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٤) دفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٧٨٣ في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٥) دفتر ٢١ صادر عابدين . وثيقة رقم ١٣ من الجناح المال إلى القبروكتخدأ في ١٣ محرم سنة ١٢٨٠ [١٨٦٣] .

(٦) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٣٧٨٦ س ١٦٧ في ١٩ محرم سنة ١٢٨٣ .

و طربوش أفرنكى ، برز وثلاثة أطقم (الطقم مسكون من قميص ولباس)
وحذاء مان بكبسول (شرخجى) ، وسيف بطقم فضة ، وقايش سيف من
جلد لماع .

كذلك كانت سترة الجنود الشرخجية (الجرنجية) من الجوخ ذى السلون
الاحمر القرمزى (١) ، وكباييدهم من الجوخ الأزرق (٢) . ولرجال الجيش
ملايس خاصة يرتدونها فى التشريفات العسكرية مصنوعة من الجوخ الأسود (٣) .
ولقد وصف مراسل جريدة « الجورنال دى ديباه » الفرنسية الجنود المصريين
الذين أرسلوا لمساعدة تركيا فى حربها ضد روسيا سنة ١٨٧٧ بقوله « إن العساكر
تامة الملابس والمهندام والتجهيز ، طرايبشهم حمره وسترهم زرقاء كلون السماء ،
وينطلوناتهم كذلك ، إلا أنها ملفوفة من الأسفل داخل ترالك بيضاء (٤) . وقد
أعجب الضابط الروسى هانز واشنهوزن Hans Wachenhusen فى تقريره
الذى نشره فى جريدة J. de Cologne سنة ١٨٧٠ بملايس الصف ضباط ،
وذكر بأنها حيكيت على الطراز الفرنسى وكانت فى غاية الاتقان (٥) .

- (١) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٥٣١ من ١١٤ فى ٦
محرم سنة ١٢٨٣ .
(٢) دفتر ٣٩٨٨ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٧٨٣ فى ٥ ذى القعدة
سنة ١٢٨٢ .
(٣) د ٥٥٧ [معية تركى] أمر كريم إلى ناظر الجهادية وثيقة ٣١ من ٢٨ فى ١٣ جمادى
الآخرة سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .
(٤) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ من ٢٤٣ و ٢٤٤ .
5-Abdin. Corrs. Fran. Doss. No. 50/1 Hans Wachenhusen
1870 .

أما أنفار المدفعية الترك والقواسة السوارى والبيادة فكان يصرف لكل منهم بدلتان من تيل وحزام من حرير (١) .

وكان صغار الضباط حتى رتبة اليوزباشى (نقيب) يلبسون على نفقة الحكومة (٢) ، ولهذا السبب لم يوجد إختلاف في نوع أو لون الأقمشة التي كانوا يلبسونها . أما ضباط الجيش العظام من رتبة صاغقول أغاسى (رائد) فما فوق فكانوا يلبسون على نفقتهم الخاصة ولهذا تنوعت ملابسهم من حيث النوع واللون، وفي هذا مخالفة للنظم العسكرية . ولهذا السبب أصدر ناظر الجهادية أمره في ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ (النصف الاول من ١٨٦٥) إلى المهات العسكرية للقيام بعمل ملابس الضباط العظام وصرفها لهم على أن يخضع ثمنها من إستحقاقهم ، حتى تكون ملابسهم جميعا على نسق واحد (٣) ، ، وبذلك توحد زي الضباط جميعا صغيرهم وكبيرهم .

وقد استعملت شرائط من القصب الأبيض والأصفر لوضعها على أكمام الملابس الجوخ للضباط من رتبة يوزباشى (نقيب) فما دون ذلك (٤) .

(١) محظلة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ١٠١ من دواد فتحى وكبل ديوان الجهادية الى المية السنية في ٤ شعبان سنة ١٢٨٣ .

2 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No.50/Hans Wachenhusen 1870 .

(٣) دفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهيات عسكرية وثيقة رقم ٢٨٦٠ س ١٦٩ في ١٢ ذى القعدة ١٢٨٢ .

(٤) ٢١٠ عابدين وثيقة رقم ٣٧٣ أسمرال الى القوقكتخدا في ٢٧ شوال سنة ١٢٨٠

وكانت هذه الاشرطة تشتري من الدولة العثمانية من النوع المستعمل في الجيش التركي (١) .

أما عن ملابس الجيش المصرى بالسودان فيذكر المؤرخ جورج دوان G . Douin بأن المعلومات عنها قليلة فالبدل الرسمية كانت نادرة وكذلك الاحذية (٢) . وقد تمكنت من جمع ما أمكننى الحصول عليه من الوثائق المتعلقة بملابس الجيش المصرى بالسودان فى تلك الفترة ، ومن هذه الوثائق المشار إليها استطعت أن أكون صورة واضحة نوعا ما عنها .

تتضمن ملابس الجندى السودانى (٣) على طاقمين (سترة وبنطلون من البفته السمراء) وطربوشين ، وزر حرير ، وحذاءين . وقد صرفت نفس الأنواع المذكورة للصف ضباط والعساكر الذودكجية (الزمارين) والبروجية والبلطجية (٤) .

أما ملابس الضباط بالسودان فكانت تتكون من (٥) ستريين من بفته

(١) دفتر ٢١ عابدية وثيقة رقم ٤١٨ أمر من جناب الخديو الى القموكتبخدا فى ٣ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ .

2 - Douin , Hist. de règne de Khedive Ismail T . 111 Fasc . B P. 1156 .

(٣) دفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٤٤٨١ س ٩٤ فى ٢٣ صفر سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٤) المصدر السابق . دفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهمات عسكرية وثيقة رقم ٥٤٣٤ س ٢٧١ فى ربيع أول سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٥) المصدر الأخير .

بيضاء ، وصديرين (١) ، وثلاثة أظنم (الطقم قميص ولباس) ، وطرבוشرين ،
وزر من حرير ، وحنامين .

كما يرتدى الجنود أثناء تجوالهم فى أنحاء السودان المختلفة كوفية بيضاء على
رؤوسهم (٢) لتهيئهم أشعة الشمس المحرقة . وقد حدث هنا أثناء رحلة السير صمويل
بيسكر إلى جهات خط الاستواء فى الفترة ما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٣ . وهذا
الزى يشابه - إلى حد كبير - زى الجنود المهجاة بالسودان (٣) .

وقد وزع السير صمويل بيسكر على كل فرد من رجال الحملة المرافقين له فى
١٣ ديسمبر سنة ١٨٧١ : قبضا أحمر اللون من الفانزىلا ، وسروالا أبيض (٤) .
كذلك ارتدى رجال بمشة أرنست دى بلفون التى أرسلت إلى أوغندة فى سنة
١٨٧٥ هذا الزى نفسه (٥) . وكان منظر هؤلاء الجنود بسترهم الحمراء وسراويلهم
البيضاء جميلا (٦) . وأغلب الظن أن هذا الزى كان يلبس للتشريفه بالسودان .

-
- (١) محظلة ٤٠ (ممية تركى) وثيقة رقم ١٠٨ من وكيل ديوان الجهادية دواد نعى الى
مهردار الغزيو فى ٨ شعبان سنة ١٣٨٣ .
- (٢) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية : ج ١ ص ٣٦ و ٣٧ .
- (٣) هودم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٨١٨ (ارادة لخمروا باشا قومندان الفرقة الثالثة)
فى ٤ صفر سنة ١٢٨٦ .
- (٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٦١ .
- (٥) المصدر السابق ص ٢٣٣ .
- (٦) المصدر السابق .

الفصل الثاني عشر

حالة القوات المصرية بمصر والسودان



حالة القوات المصرية بمصر والسودان

عندما ولى الجنرال استون منصب رئاسة أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٠ عكف على دراسة الجيش المصرى من جميع نواحيه ، واستغرقت هذه الدراسة مدة ستة أشهر . وفى نهايتها رفع تقريرا (١) الى نظارة الجهادية بنتائج دراسته وملاحظاته عن الجيش وتوصياته بشأنه . ولهذا التقرير أهمية كبيرة ، إذ يصور لنا حالة الجيش المصرى فى عصر اسماعيل قبل سنة ١٨٧٠ . وقدعالج فى هذا التقرير كل سلاح من أسلحة الجيش على حده مبينا ما فيه من أوجه القوة وأوجه الضعف . وفيما يلى أهم ما جاء به :

بدأ الجنرال استون بسلاح المشاة فذكر بأنه اشتمل على جنود أقوياء أصحاب الأبدان دربرا تدريبا جيدا ولهم مقدرة على احتمال المشاق . وحالتهم على العموم جيدة إذا ما قورنت بحالة القوات التركية أو قوات الممالك الشرقية فى ذلك الوقت (٢) . أما فيما يتعلق بملابسهم وثكناتهم فحسنة .

أما عن سلاح الفرسان فيتكون من جنود مهرة يجرى تدريبهم بانتظام ويمتطون صهوات جياد أصيلة ، ويستطيع هؤلاء الجنود أن يقوموا بدورهم فى وقت الحرب على أتم وجه . أما عن بنادقهم فأثرها ضعيف ويجب أن تستبدل بأخرى (٣) قوية . وهذا الوصف يختلف عما ذكره المستر جورج بتلر - قنصل

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1. Le Caire 15, Dec. 1870.

2 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 19 Butler to Fish. oct. 23, 1870.

3 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1. Le Caire 15, Dec., 1870.

أمريكا الجنرال بمصر في سنة ١٨٧٠ - من أن هذه القوات غير مدربة (١)
إطلاقاً « Utterly Undrilled » .

ويضم سلاح المدفعية نواة صالحة من الجنود المدربين والضباط المتقنين ،
ولكن تنقصهم سرعة الحركة التي تتطلبها المناورات العسكرية . كما أن طلقات
مدافعهم ليست قوية لأن المدافع من النوع الرديء . أما عن عدد بطاريات هذا
هذا السلاح فقليلة (٢) . وقد رى المستر جورج بتلر هذا السلاح بالضعف ضعفاً
متاهياً (٣) « Wretchedly deficient » .

وقد وجه الجنرال استون نقداً شديداً الى نظارة الجهادية لتركيزها كل ما يتعلق
بشئون الجيش من أمور سواء أكانت صغيرة أم كبيرة في يدها . وكذلك لم يكن
بالجيش هيئة أركان حرب عامة أو خاصة . كما كان الجيش يفتقر الى سلاح للمهندسين ،
وإلى أسلحة أخرى تتولى شؤون النقل والمهمات والقومين . وقد حاول الجنرال
استون أن يسد هذا النقص للنهوض بمستوى الجيش . فأنشأ هيئة أركان حرب
عامة ووضع ترتيباً جديداً يحدد اختصاصات نظارة الجهادية وفروعها المختلفة ،
ويوضح العلاقة بين عموم هيئة أركان حرب ومختلف الفروع . كما استطاع إنشاء
سلاح للمهندسين . ومن الإصلاحات الأخرى التي أدخلت على الجيش قصر الترقى

- 1 - Adin' Amr. Vol. 6 despt, No. 19 ,Butler to Fish Alex.
in oct. 20, 1870.
- 2 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 , Bureau de chef
d ' Etat - Major in 15 Dec. 1870.
- 3 - Abdin , Amr . Vol . 6 despt . No . 19 , Butler to Fish
Alex. in oct. 20, 1870.

على من له إلمام بالقراءة والكتابة من ضباط الجيش بعد تأدية امتحان يتقدمهم بهذا الخصوص (١). كذلك كوفي الضباط الذين قاموا بمجهود على كتأليف الكتب العسكرية أو ترجمتها وترقيتهم الى رتب أعلى، وذلك لبيت الروح العلمية بين صفوف الضباط (٢). ولكن رغم هذه الجهود الكبيرة التي بذلت في الإصلاح فلم يرتفع شأن الجيش لأسباب مختلفة أهمها :

أولا لم يجد الخديو اسماعيل من رجاله من يستطيع أن يملا منصب القائد العام بجدارة ، فالجيش المصرى فى عهده كان يفتقر (٣) الى القائد العبقري الذى يستطيع أن يبت روح الجهاد والتضحية فى نفوس الجنود ، وأن يلبس حماسهم ، ويذكرهم بما ناله آباؤهم فى عصر محمد على من انتصارات . إذ أن الجيش لا يخرج عن كونه مقنودا ناريا قويا يحتاج الى الراى الماهر (٤) . وهذا الرامى أو القائد بمعنى آخر يجب أن يكون من ضباط الصفوف ، وليس من ضباط أركان حرب . كذلك لم يجد الجيش ضالته الممشودة فى شخص اسماعيل الذى لم يرث عن أبيه الروح الحربية ولم يتعود خوض المعارك .

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر جهادية) عربى وثيقة بدون رقم س ١١٩ أمرالى ديوان الجهادية فى ٦ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ (فبراير سنة ١٨٧١) .
(٢) محفظه ١٠ الجهادية) وثيقه تركيه رقم ١٣٤ أمرالى ناظر الجهادية فى ١٢ ربيع ثانى سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

3 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss No. 50/1 Rostilas à Khedive Ismail. Le Caire. Mai 9, 1875.

4 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Rostilas à Khedive Ismail . Le Caire, Mai 9, 1875.

قائما : أن وقوف كبار ضباط الجيش في وجه ضباط أركان حرب وعدم السماح لهم بالاتصال بجنود الصفوف للإشراف على تدريبهم ومعرفة ما يحتاجون إليه جعل من هذه الإصلاحات حبرا على ورق ، فظل الجيش يتكون من كتائب مختلفة لا رابط بينها (١). هذا فضلا عن الارتباك المدلى الذي شل حركة الإصلاح في أواخر عصر اسماعيل .

ومع ذلك نجد أن الجيش المصري قد امتاز عن الجيش التركي المعاصر له بميزة هامة وهي تعليم وثقافة ضباطه . فضباط الجيش المصري قد تلقوا تعليما فنيا خاصا في مدارس خاصة على أيدي معلمين مهرة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد امتاز عنه أيضا باتخاذ الامتحان أساسا للترقى . وبذلك إنعدم الضباط الاميون بالجيش المصري ، بينما كان لا يزال بالجيش التركي من أمثال هؤلاء من يعدون بالعشرات (٢)

أما فيما يتعلق بالجيش المصري بالسودان فكان في عهد حاكمه إدارة موسى حدى (أى في أواخر حكم سعيد - أغسطس سنة ١٨٦٢ -) قليل العدد ، ومع قلته فلم يكن كامل العدة . ففي كل من كردفان والخرطوم ودنقله مائتى فارس تحت إمرة أحد الرؤساء . ومن هؤلاء من لا يصلحون للخدمة (٣) . فلما ولي اسماعيل حكم مصر رغب في استكمال الأورط الموجودة في السودان

(١) ذ. محمد محمود السروجي : العلاقات بين مصر وأثيوبيا في القرن التاسع عشر ص ١٢٨

2 - Mc Coan ; Egypt as it is P. 101 - 102 .

(١) محظلة ٢٩ (معية تركي) وثيقة رقم ٧٤ من موسى حدى حاكم السودان الى ناظر الجهادية في ٤ صفر سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢).

لتستطيع صد أى هجوم قد يقوم به الاحباش فى أى وقت من الاوقات . فاضطر حكمدار السودان لى قبول هاجاز الذين رقتوا من الجنديّة وعتقاء الحكومة الذين أتوا بمجرد (بمحص) رغبتهم (١) . . وهؤلاء الذين لا يصلحون للخدمة إستطاع حكمدار السودان استكمال هذه الاورط . وقد اقترح على الحديو أن يأخذ من مشايخ الياثل نصف الضرائب المفروضة عليهم أنقارا للجهادية نظير تنازل الحكومة عن كيس (خمسة جنيهات) من النقود فى مقابل كل فرد يقدم للجنديّة، والنصف الآخر نقودا . وهذه الطريقة إستطيع إمداد الجيش بالجنود الصالحين . ويرر مطالبه هذا بأنه لا يتنافى مع إبطال الرق لأن دخول هؤلاء الجنديّة هو فى نفس الوقت خروج من عالم التوحش مدخولهم دائرة الانسانية ونوالهم الحرية التامة (٢) . . ولكن الحديو لم يوافق على ذلك.

وكان استمرار النقص فى قوات الجيش المصرى بالسودان راجعا لى

سببين رئيسيين :

أولها : عدم ملائمة جو السودان للجنود المصريين المقيمين به ، ولهذا كثرت الوفيات بينهم ووزادت عن حد الاعتدال (٣) . . وأدى هذا لى الخلل والنقص الفاحش فى المنظمات العسكرية والادارة المسديّة (٤) ، فمثلا

(١) محظفة ٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٠ من موسى حمدى - حكمدار السودان لى باشمعاون الجناب الدالى لى الحديو فى ٦ شوال سنة ١٢٧٩ (أوائل سنة ١٨٦٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) محظفة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٦٦ من - حكمدار عموم السوهان نور أظهر عبده جعفر لى صاحب السعادة مهردار الجناب الحديو فى ٢٨ رمضان ١٢٨٣ [أوائل ١٨٦٧] .

(٤) المصدر السابق .

وجدنا أن القوة الحربية البالغة عددها ٢٥٠ جنديا التي اصطحبها غردون معه من القاهرة في ذهابه إلى مقر عمله بمديرية خط الاستواء وقد عاجلت المنيصة نصفهم واضطر أن يرجع إلى مصر مائة منهم (١) ، كذلك كان ما يقرب من نصف المساکر المصرية التي ترسل إلى السودان - وخصوصا مديرية خط الاستواء - يقعون فريسة المرض في الأيام الأولى من وصولهم إلى تلك البقاع (٢) . فاضطرت حكمدارية السودان إلى سد هذا النقص من الجنود السودانيين المفصولين والمسرحين ، وكان أغلبهم من العناصر الهزيلة التي لا تتوافر فيها شروط الجندية . ولكن السلطات المحلية كانت مضطرة لقبولهم . وسرعان ما كان يدب النقص في صفوف الجيش من جديد لموت هذه العناصر الضعيفة بعد التحاقها بالصفوف بمسدة وجيزة . ويتوالى سد النقص بجنود من الأهالي زاد عدد السودانيين عن عدد الجنود المصريين زيادة كبيرة . وقد أبدى الجنرال غردون تخوفه من هذا التفاوت بين القوتين المصرية والسودانية في خطاب أرسله إلى نوبار (باشا) ناظر الخارجية عند وصوله إلى غندكرو في ١٧ أبريل سنة ١٨٧٤ حيث يقول : ولا أرى من المستحسن والصواب أن يكون لدينا عدد قليل من الجنود المصريين كالعدد الموجود الآن يقابله عدد كبير من السودانيين (٣) . وكان تخوف الجنرال غردون من هذه الكثرة السودانية

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Publications of the Egyptian Gen. Staff, Province of the Equator, Summary of letters & reports of H. E. The

قد أيدته الحوادث من قبل حينما ثارت الحامية السودانية باستحكامات مدينة كسلا ، وكان عددها ٤٠٠٠ من العساكر السود (١) في عهد ابراهيم أدهم مدير كسلا (سنة ١٨٦٥) . واستمرت الثورة عدة شهور سيرت اليهم حكمدارية السودان في خلالها قوات عديدة من الباشبوزق (٢) لإخضاعهم فكان نصيبها الفشل . وتمادى الثوار في أعمالهم فنهبوا المتاجر (٣) وقتلوا كل من وقف في طريقهم . وأخيرا أرسلت اليهم الحكومة المصرية جيشا تحت قيادة آدم (بك) إستطاع لإخماد الفتنة بعد معركة حامية أسفرت عن القبض على ٧٥٩ جنديا ووفاة ١٦٣٧ (٤) . ويمكننا القول أنه لو كان بالسودان وقتئذ قوة كبيرة من الجنود المصريين لما استفحل أمر هذه الثورة ، ولما استمرت هذه المدة الطويلة .

ولقد كانت القوات السودانية موضع شكوى مستمرة من المديرين الذين تعاقبوا على حكم السودان حتى اضطر الخديو اسماعيل في ٢٤ رجب سنة ١٢٨٢

Governor General. Part 1 Year 1874 - P.4 .

- وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٥ .
- (١) نوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٣ ص ٤٠ .
- (٢) محظظة ٣٤ [مبية تركي] وثيقة رقم ١٧٢ من عمر فخرى بك وكيل حكمدار السودان الى الميه في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) محظظة ٣٥ [مبية تركي] وثيقة رقم ٢٥ من فخرى بك وكيل حكمدار السودان الى الميه في ٥ جادى الأولى سنة ١٢٨٢ . ومحظظة ٣٥ [مبية تركي] وثيقة رقم ٩٦ من عمر فخرى وكيل حكمدار السودان الى الميه في ٢٢ جادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

(أواخر ١٨٦٥) بعد ثورة التماكة إلى إلغاء الآليات السودانية بالسودان ، وفرض أنفازها لاستبعاد من لا يصلح منهم للخدمة، وإرسال الباقي إلى مصر لتوزيعهم على الآليات المختلفة ، حيث أن الفرضي المتخلطة بين الجنود السودانيين في الأقاليم السودانية لا يمكن كبح جماحها طالما هؤلاء الجنود في بلادهم (١) ، . وكثيرا ما كان الجنود السودانيون يفرون من صفوف الجيش قبل إرسالهم إلى مصر أو في أثناء الطريق رغم علمهم أن الفرار من الجندي عقابه الإعدام (٢) . ويرجع سبب كره السودانيين للجندي إلى أيام محمد علي عندما حاول تكوين قوة سودانية مات أغلبها من البرد . كذلك لزيادة استياؤهم من الجيش لما علموا بنياً لإرسال الخديو اسماعيل الفرقة السودانية التي سافرت إلى مصر للاشتراك في حرب المكسيك (٣) .

والعامل الثاني الذي ساعد على استمرار العجز في قوات الجيش بالسودان هو أن إدارة السودان كانت تجمع من السودانيين ما تحتاج إلى استخدامه في صفوف الجيش بعد أن تضع على ذراعهم الأيسر علامة وح ، بمعنى جهادى بطريقة الكنى بالثار (٤) . ثم تتولى إرسالهم إلى القاهرة لتدريبهم على النظم العسكرية . وقد لا يصل من هذا العدد سوى ٥٠٪ من مجموعة نظرا لوفاة البعض منهم نتيجة تغير

(٤) دفتر ٥٥٧ [معية ترى] أمر كريم رقم ٤٦ ص ٥٧ إلى ناظر الجهادية في ٢٤ رجب سنة ١٢٨٢ .

(٢) محفظة ٣٩ [معية ترى] وثيقة رقم ١٠٣ من جعفر عبده نور أظهر حكمدار السودان إلى مهرداد الجنب المال في ٢١ ربيع ثاني سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(2) Shukry , The Khedive Ismail & Slavery in Sudan P. 140 .

(3) Douin , Histoire de règne du Khedive Ismail T, III Fasc. B. P. 1147 .

الطقس والغذاء والفرار البعض الآخر (١) ، حتى إذا ما وصل الباقى منهم إلى القاهرة تعرض للإصابة بالبرد الشديد خصوصا في فصل الشتاء . وكثيرا ما أودت نزلات البرد بحياة عدد غير قليل منهم رغم ما بذلته الحكومة لوقايتهم بمختلف الوسائل ، بتوزيع اللحم والبطولة عليهم (٢) . لذلك وجدنا أن عدد الجنود الذين كانوا يعادون إلى السودان بعد إتمام تدريبهم على النظم العسكرية لا تسد العجز المستمر الموجود في صفوف الجيش .

هذا فضلا عن أن منظم هذه القوات - في أول الأمر - كان مشتتا في أنحاء السودان لجباية الضرائب . وقد يطول هؤلاء المقام بعيدا عن مراكزهم الأصلية بين صفوف الجيش ما يقرب من ثلاث أو أربع سنوات تظل أما كنهم شاغرة . وفي تلك الفترة يكون هؤلاء الجنود بمعزل عن الحياة العسكرية والتريينات الحربية . وهذا أمرت نظارة الجهادية بعد أن رأيت استحالة إلغاء جمع الضرائب بطريق الجنود بين عشية وضحاها ، بأن يوكل إلى تلك الموجود من العنساكر بتحصيل الضرائب وجباية الأموال على أن يبقى الثلثان دواما شاكين السلاح لاهم لهم إلا التلميم والتدريب الحربى (٣) .

ولكن بالرغم مما ذكر فقد كانت حكمدارية السودان تعتنى بنظافة الجنود وحسن نظاهم ونستدل على ذلك بما كتبه الجنرال غردون إلى خديرى (باشا)

(١) المصدر السابق .

(٢) محظلة ٤٠ (ممية تركى) وثيقة رقم ٤٢٨ من دواذ فنى وكبل ديوان الجهادية إلى مهردار الخديوى فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ .

(٣) محظلة ٥٤ (ممية تركى) وثيقة تركية رقم ٣١٨ من عثمان رفقى إلى مهردار الخديوى فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ (أواخر سنة ١٨٢٧) .

عند وصوله الخرطوم في ١٤ مارس سنة ١٨٧٤ مهنتا الخديو على وحالة جيشه الطيبة وللعناية والرعاية التي تستحق الشكر والثناء التي يسبقها حاكم دار السودان على الجيش . فتنظيمه للسكنات العسكرية وترتيبه للمستشفى مرضى للغاية . ولقد أعجبت كل الاعجاب بروح الرضا التي تسود الجنود وبما يرفلون فيه من رخاء (١) .

وقد بعث غردون بخطاب آخر إلى نوبار ناظر الخارجية عقب وصوله إلى غندكرو في ١٧ إبريل سنة ١٨٧٤ قال فيه : لقد استقبلني رؤوف بك (قائد القوات المصرية بمديريات خط الاستواء والمدير بالنيابة) أحسن استقبال . وهو إنسان يستحق الحمد والثناء العاطر لعنايته بجندى وإهتمامه بشئونهم ، فمسكره غاية في النظافة ويلوح أنه محبوب من عسكره (٢) .

كذلك عندما وصل شاييه لونج إلى محطة فويرا العسكرية في ١٦ مايو سنة ١٨٧٤ في طريقه إلى أوغنده تفقد معسكرها فوجده مشالا للنظام والنظافة (٣) .

(1) Abdin. Corresp. Fran. Doss, No 71/3 Cordon à Khairy Pacha Kartoum en 14 Mars . 1874 .

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٤ .

Provinces of the Equator . Summary of letters & reports of H. E. the Governor General Part 1 P. 3

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦٣ .

الفلاح المصرى كجندى

تضاربت الآراء فى صلاحية الفلاح المصرى كجندى ، فمن قائل بأنه جندى مثالى ، ويقابلة رأى آخر يرميه بالجبن والخور . ولكى نستطيع أن نصدر عليه حكما عادلا بعيدا عن أى تحيز لابد أولا من الإلمام بالشروط الواجب توافرها فى أى فرد ليكون جنديا صالحا . ثم نحاول بعد ذلك تطبيق تلك الشروط على الجندى المصرى لمعرفة مدى نصيبه منها . ويمكننا تلخيص تلك الاستعدادات أو الشروط فيما يلى : القوة الجثمانية - الطاعة - الصبر - قوة الاحتمال - الاخلاص فى العمل - الشجاعة - الثقافة العسكرية والتدريب الحربى - حسن السير والسلوك - الوطنية - الذكاء ...

أما عن سلامة البدن وقوته وصلاحيته للخدمة العسكرية فتوفرة فى الفلاح المصرى ، نظرا لاشتغاله طول يومه فى الحقل فى الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس دون ملل أو سأم .

كذلك نجد أن الجندى المصرى كان يطيع أوامر ضباطه طاعة عمياء سواء أكان ذلك عن رغبة أو عن رهبة (١) . وبما اتصف به أيضا وقرره رؤسائه من الضباط الأجانب الذين خدموا بالجيش المصرى قوة الاحتمال ، فيذكر الاميرالاي (العميد) الأمريكى داي Dye - ضابط أركان حرب - بأن الجنود الفلاحين يتمتعون بالصبر وقوة الاحتمال الى حد غير مألوف (٢) . ولو أنه قلل

1 - Dye ; Moslem Egypt.....P. 42

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

من أهمية هذه الصفة وجعلها في المرتبة الثانية من الأهمية، وفضل عليها الطبيعة الحربية. وقد ذكر أيضا الاميرالاي (العميد) الأمريكي شايبه لونج Chaillé-Long ضابط أركان حرب - « بأن الفلاح ليس شجاعا ولكنه مزارع صبور (١) » . ورغم إنكار هذا الضابط الأمريكي على الجندي المصري صفة الشجاعة ، مع ما في هذا القول من تجني على الحقيقة ، وتدحضه المواقف الباسلة لأبناء النيل في حروب المورة والشام ، إلا أن خاصية الصبر التي أعترف بها هي - في حقيقة الامر - وجه آخر من وجوه الشجاعة .

ولكن الضابط الامريكي داي يخالف زميله السابق في هذا الرأي فيعترف بأن الجندي المصري لا يتقصه الشجاعة ، إلا أنه ينسبها إلى الدافع الديني (٢) .

وإذا كان لهذا الدافع أثره في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية المسيحية واشتركت فيها القوات المصرية ، فإن هذا الدافع لم يكن له وجود في حروب الشام حيث أبلى المصريون من ضروب الشجاعة الشيء الكثير .

وقد حدد الجنرال داي الدوافع التي تثير حمية الجندي وشجاعته وتدفعه إلى التضحية هي حبه للحرية الفردية وخوفه من الاسترقاق والعبودية ، وحبه لوطنه ، وملكيته ، وتقاليده المتوارثة . فاذا ما تعرضت هذه الدوافع للخطر هب الفرد للدفاع عنها والذرد عن حماها . ثم عاد فذكر بأن الفلاح المصري لم يكن يأبه لتلك الدوافع ، نظرا لأنه كان يساق إلى الجندية مكبلا بالأغلال في أغلب الأحيان ، مما أفقده إحترامه لنفسه . كما كان عليه أن يخدم مدة طويلة دون أي أمل

(1) Chaillé - Long ; Les Trois prophets P. 88

(2) Dye : Moslem Egypt P. 45 .

في تحسين حالته (١) ولهذا فقد نسب الضباط الأجانب الشجاعة التي أبدتها
الجندي المصري إلى الدافع الديني وتعصبه لمسلته (٢) .
ولإ جانب صفة الصبر فالجندي المصري مخلص أمين يعتمد عليه
ويوثق به (٣) .

ويتصف الجندي المصري كذلك بالذكاء ، ولكن الجزال الأمر يكتفى دأى
يقول بأنه ذكاه المقلد الذي لا يفكر في المسببات والظروف والنتائج (٤) . وربما
يكون لطبيعة أرض مصر ومناخها - كما يذكر الجزال - أثر كبير في ذلك ،
فسهولة أرضها وخلوها من الجبال ، واعتدال مناخها ، هذا بالإضافة إلى المعيشة
التي كان يحياها الفلاح على وتيرة واحدة . كل هذه الأسباب مجتمعة لاتساعد على
نشاط الذهن وتفتته .

أما عن أخلافه فطيبة وذلك نتيجة لتربيته الدينية (٥) . وإذا نظرنا إلى
الجندي المصري من ناحية طبيعته الحربية كما يراها الخبراء العسكريون وجدناه
محاربا جيدا ، يقابل بصبر وجلد خلف الحواجز ، تعود كل أنواع الحرمان ينام
في معسكره ملتحفًا ببطانيته على الارض العراء ، واضعا رأسه فوق (مخلته)

(١) المصدر السابق ص ٤٥

(2) Dye : Moslem Egyqt P. 24 .

(3) Chaillé - Long Les Trois Prophets Page 89

(4) Dye : Moslem Egypt P 58

(5) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No 50/1 Hens Wascherl -
husen Journal de Cologne 1780 .

لا يملك سريرا ولا لوجا من الخشب ، ورغم ذلك لا يشعر بأى حرمان (١). وما ذكره السير درامند وولف في خطاب له إلى الماركيز سلسبورى بشأن الجنود المصريين في ٢٧ يناير سنة ١٨٨٦ قوله ، إن الجنود المصريين يمتازون ببعض الصفات العالية ، فقد تعودوا الصبر بوجه باس ، وجبلوا على العمل ، ويحاربون بمهارة من وراء الاستحكامات . ولكنهم على العموم ليسوا على مقدرة كبيرة في الحروب المكشوفة (٢) .

وإذا قارنا الجندي المصري بزميله التركي بالجيش العثماني وجدنا أن المصري يتميز عنه بنظافته ونشاطه ، وعدم ميله إلى الكسل . ولكن الجندي التركي كان أكثر مرانا على التجريبات الحربية الصغيرة التي كان يقوم بها الجيش التركي من حين لآخر (٣) . كذلك إمتان الجندي المصري بسلاح الفرسان على زميله بالجيش التركي يتمكن في ركوب الخيل (٤) .

كان طبيعة أرض مصر أثرها في طباع الفلاح وميوله ، إذ جعلته يميل إلى الهدوء والاستقرار والالتصاق بأرضه التي أحبها ، وعدم رغبته في مفارقتها مهما كانت الأسباب . فهذا الولع في الهدوء والميل إلى الاستقرار لا يتفقان وطبيعة الحياة العسكرية . ولهذا قيل بأن الجندي المصري ليس محاربا بطبيعته . ومن ثم

(1) bidl

(2) The Blue Books . Egypt . No.3 Corrsp . respecting reorganisation of the Egyptian Army . P.2

(3) Abdin. Corrsp. Franc. Doss. No. 50/1 Rostilas, Caire 22, 1873

(4) Abdin. Corrsp. Franc. Doss. No. 50/1 Rostilas, Journal de Cologne en 1870 .

تفوقت عليه عناصر أخرى في هذه الناحية ، مثل البدو الذين يعتبرون محاربون
ممتازون بطبيعتهم . ولكنهم كانوا يحتفرون الخضوع لسلطة الحكومة ويرون في
نشأتهم الصحراوية حرية وطلاقة (١) .

كذلك إذا قمارنا الجندي المصري بالجندي الزنجي نجد أن الأخير كان
يفرقه في بعض النواحي ، ويقبل عنه في نواحي أخرى ، فالجنود الزوج كانوا
أصلح الجنود للمل في مناطق السودان المختلفة ، وفي جهات خط الاستواء
ولا غرابة في ذلك فقد تربي هؤلاء في أحضانها واعتادوا مناخها . أما الجندي
المصري فلم يتعود مثل هذا المناخ ، فخر صريع الحمى . ومن هنا كان إعجاب
السير صمويل بيسكر بالجنود السود وسخطه على الجنود المصريين الذين رافقوه
في رحلته إلى منابع النيل سنة ١٨٧٠ وما بعدها . وقد دون آراءه هذه في
مذكراته التي نشرت في كتاب الاسماعيلية Ismailia . ومن هذه المذكرات ما كتبه
في ٢٣ مارس سنة ١٨٧٠ حيث يقول : شغلنا طوال النهار في جر المراكب خلال
القناة وقد خارت قوى الجنود المصريين . أما السودانيون فهم من أحسن الجنود ،
فلم يشعر أحد منهم بأى مرض ، وهم يعملون بعزم صادق . وكنت أقدم لهم
الجوز كل مساء . أما الفلاح المتعصب فلم يكن يقرب الخبز ولطنا
خر صريع الحمى . وسرعان ما كان يفقد السيطرة على أعصابه إذا ما
أنهكه التعب نتيجة للبرد الذي يعتريه أثناء عمله طوال اليوم في الماء والوحل (٢) .
مع أن هؤلاء كانوا من خيرة الجنود قوة ومظهرا .

كذلك أخذ السير صمويل بيسكر على الجنود المصريين تعرضهم للبرص إذا

(1) Cheillé-Long : LesTrois Prophets . P.98

(2) Samuel Baker ; Ismailia P.29

حرموا من أكل الخضروات التي إعتادوا أكلها في مصر (١) . وأطرى على نشاط الجنود السود واسترخاء المصريين في العمل (٢) . كما امتداز السود بحدة البصر وقوته ، ولهذا فقد تفوقوا على المصريين في إصابة الهدف بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ و ٤٠٪ . ولا يرجع هذا إلى قوة البصر فحسب بل إلى قوة الأعصاب والثقة بالنفس والرغبة في النفوق (٣) .

ويمكننا انرد على أقوال السير صمويل بيكر بأن عدم ملاءمة جوار السودان للمصريين ، وكذلك عدم مقدرتهم على الاستغناء عن أكل الخضروات لايقللان من قيمتهم كجنود . فلا يجوز لنا أن نعيب على سكان المناطق الباردة عدم إستطاعتهم المعيشة في المناطق الحارة أو التمس . بل لقد رأينا الجنود السود الذين كانوا يرسلون من السودان إلى مصر لتدريبهم على النظم الحربية كان يسقط معظمهم فريسة المرض لشدة البرد في فصل الشتاء . وفي أغلب الأحيان كان يموت أكثر من نصفهم رغم ما كانوا يتمتعون به من قوة ونشاط في بلادهم . فمذه النتيجة لا تحملنا على أن نقلل من قيمة هؤلاء الجنود كمحاربين ماهرة جيلوا على الحرب والقتال .

ولكن الجنود المصريين كانوا يمتازون على زملائهم السود بميزات أخرى ، منها أن الجنود المصريين تمود بالطاعة والنظام ، بعكس الجنود السود الذين كانوا مصدر متاعب للحكمدارية السودان لكثرة غشاقفتهم للأوامر التي يصدرها اليهم رؤساقهم . كذلك كان الجنود المصريون يكتفون بالقليل من المواد الغذائية

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٦٥

بعكس الحال بالنسبة للجنود السود، فيقول السير صمويل بيكره أما هؤلاء السود فلا يفكرون في غدهم فكانوا خلال رحلتهم إلى التوفيقية (١) يسرقون الغلال ويشربون المريسة فهم لا يفكرون في المستقبل (٢) . ورغم ما كان يحبوهم بيكر من عطف إلا أنهم كانوا يفضلون حياتهم الأولى ، حياة البدائية الطليقة من كل قيد ، المتحررة من كل نظام (٣) . .

مقارنة بين الضباط والجنود المصريين

اختلف الضباط والجنود بعضهم عن بعض في النشأة والتكوين والتربية والتعاليم والاخلاق ... فمن ناحية النشأة نجد أن معظم الضباط كانوا ينحدرون من أصل تركي أو شركسي من أبناء الباشوات والبيكوات . وينشأ هؤلاء الأبناء في بيئة لا تعددهم الإعداد الذي يؤهلهم لأن يكونوا من رجال الحرب ، فلم توجد هيئات رياضية أو إجتماعية تنمي فيهم صفة الاعتدال على النفس ، وتفرض فيهم الخلق الحربي . بل إن الأمر على العكس من ذلك فقد كانوا يحاطون في صغرهم بمؤثرات نسائية فاسدة مثل الجوارى ، ويتركون في هذه البيئة دون أن يوجهوا الوجهة الصحيحة لبناء أجسامهم وإتماء عقولهم النمو الطبيعي . وعندما يبلغون سناً معينة يرسلون إلى الكتائب لحفظ وترتيل القرآن . ثم يدخلون بعد ذلك المدارس الإعدادية حيث يمكثون فيها عدة سنوات يتلقون علومها لا تنمي الجسم ، ولا تعددهم للدارس الحربية التي سيلاحقونها (٤) لقتضاء أربع أو أربعمائة سنوات ، يلحق بعدها الخريجون بالجيش في رتبة الملازم الثاني . وكان

(1) Samuel Baker ; Ismailia p. 153

(٢) بلدة في أعلى النيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٣

4 - Dye ; Moslem Egypt P.63 & 64

من نتيجة هذه التربية أن أصبح ه من النادر أن يرى أحد الضباط الذين مروا بهذه المدارس يزيد طولاه عن المتوسط . وعلى العموم فهم أقل من الفلاحين طولاً وعرضاً ، وأقل منهم قوة في العضلات والتكوين (١) .

أما عن الجنود المصريين فمعلمهم من طبقة الفلاحين ذوي الأجسام القوية التي كونها العمل في الحقل طول النهار تحت أشعة الشمس المحرقة . فهم من تكوين الطبيعة ، وهم عماد الجيش ، ومنهم طبقة صف الضباط الذين تلقوا قسطاً كافياً من التعليم الحربي بمدرسة ضباط الصف ، فدرّبوا تدريجاً تاماً على مختلف الفنون الحربية ، وكذلك على سلاح الإشارة ليقيموا بتدريب الجنود . فهم بذلك يفضلون الضباط من خريجي المدارس الحربية في هذه الناحية (٢) .

أما من الناحية الأخلاقية فيجد أن الجندي المصري قد نشأ نشأة دينية فيها تقشف وحرمان ، فهو لا يعرف غير حقله وبيته وماشيته ، فهو يمتاز من هذه الناحية على ضباطه الأتراك الذين انغمسوا في المدنية وأخذوا عنها الكثير من رذائلها (٣) . كذلك امتاز هؤلاء الضباط بعجزتهم وكسرياتهم وقسوتهم لاعتقادهم برفعة مولدهم ونبل محتدهم عن الفلاحين المصريين . فلا عجب إذا ما أساء هؤلاء الضباط إلى الجنود الذين تحت إمرتهم وإلى زملائهم من الضباط المصريين ، في نفس الوقت الذي كان يعامل فيه الضباط والجنود المصريون بعضهم بعضاً معاملة الأخوة القائمة على العطف المتبادل . فكانت هذه

(١) المصدر السابق من ٦٣ و ٦٤

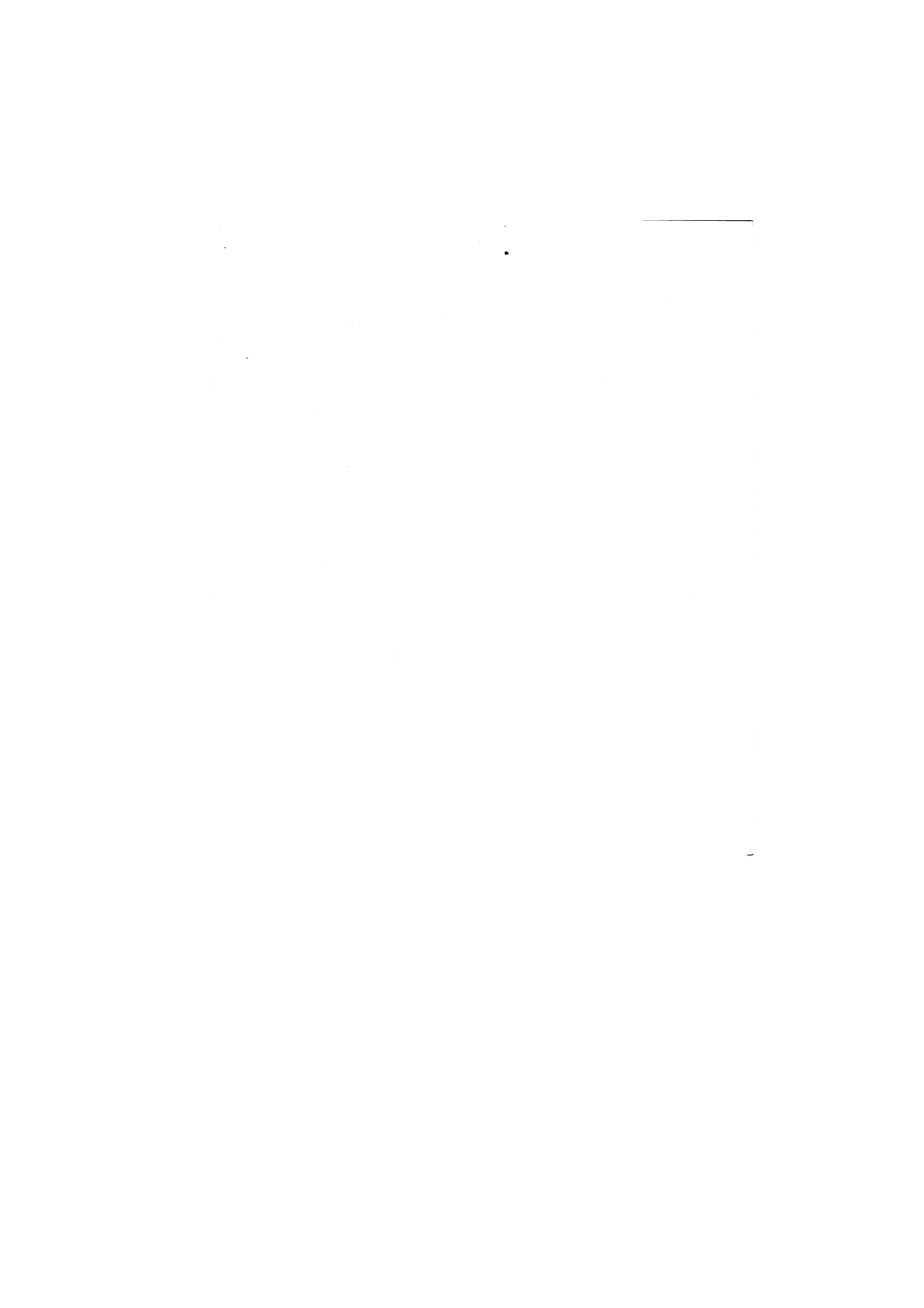
(٢) المصدر السابق من ٦١

(٣) المصدر السابق من ٦٥

المعاملة الشاذة من جانب الضباط الأتراك والشراكسة من أهم أسباب قيام الثورة العراقية .

كذلك تفوق الضباط المصريون على زملائهم الأتراك في النواحي الحربية المختلفة ، وكان الدافع إلى هذا التفوق أن الضباط المصريين رأوا أن زملاءهم الأتراك والشراكسة يصلون إلى أرفع المناصب - لالسبب ما - سوى أنهم من نسل تركي أو شركسي . أما هؤلاء الضباط المصريون فليس لديهم من سبب يستطيعون الاعتماد عليه للوصول إلى هذه المناصب الرفيعة إلا الاجتهاد والتفوق . ومع ذلك فلم يكن مانالوه من تفوق يعادل مازعمه الأتراك من نبيل المحتد ورفعة الأصل .

أما من ناحية ثقافة ضباط الجيش المصري واستعدادهم الحربي فلم تكن تقارن بثقافة الضباط الأوربيين في ذلك الوقت . ولكنهم أرقى من ضباط سائر الجيوش الشرقية وقتئذ مثل تركيا وغيرها من الدول .



الفصل الثالث عشر
الجيش ومقاومة تجارة الرقيق



الجيش المصرى ومقاومة تجارة الرقيق

لمشارك الجيش المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى حروب عديدة ، بعضها كان لمعاونة الباب العالى فى حروبه مع روسيا أو لإخضاع الثورات التى نشأت فى بعض المناطق الخاضعة للحكم التركى . والبعض الآخر كان لمساعدة فرنسا فى المكسيك أو التوسع فى السودان وما نتج عنه من توتر العلاقات بين مصر والحبشة وقيام الحرب بينها فى النهاية . هذا بالإضافة إلى ما قام به الجيش من كشوف جغرافية بالسودان . وسوف لا أتعرض فى بحثى هذا لتفصيلات تلك الحروب لأن هذا موضوع بحث آخر (١) . وسأقتصر على ذكر الفتوحات التى لها علاقة ولبدة بمقاومة تجارة الرقيق التى سأتناولها بالبحث .

من الأعباء التى أقيمت على عاتق الجيش فى عصر اسماعيل القضاء على تجارة الرقيق . ولم تكن مشكلة الرق وليدة عصر اسماعيل ، بل بدأت قبل عصر محمد على بأمد طويل ، فى الوقت الذى تمكن فيه العرب من تأسيس ملكهم فى النوبة وسنار ودرافور وكردفان . وقد ساعد على إنتشار هذه التجارة فى عصر محمد على نظام الاحتكار الذى فرضه على التجارة فيما عدا تجارة الرقيق . وهذا الإجراء جعل الطامعين فى الربح يقبلون على تجارة الرقيق التى ظهرت وحدها حرة (٢) ، كما أن إلغاء نظام الاحتكار كان له نفس الأثر على هذه التجارة ، إذ شجع الإلغاء المغامرين على تكوين قوة مسلحة من الزنوج المعروفين باسم

(١) ورد ذكر بعض تلك الحروب فى كتابى « مصر والمسألة العرقية » .

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته . مقالة الأستاذ محمد نؤاد شكرى «صفحة

من تاريخ مكانة الرق والنخاسة فى السودان » ص ٢٠٤

(البانجر) « بعثوها إلى بلاد الدنكة والشلك بجهات مديرية فاشودة ، واتخذوا لهم فيها مشارع، وشيد كل واحد منهم في مشاريعه مراكز مخصوصة تسمى بالديوم (واحداهم ديم) ، يجمع فيها جنوده المسلحة وتجارته التي يجلبها من مشاريعه وينقلها إلى الخرطوم على سفنه . وبذلك صار لهم نفوذ وسطوة عظيمة في تلك الجهات (١) . »

وفي أواخر القرن الثامن عشر في إنجلترا أخذت جماعة الكويكرز يتجاهد في سنيل لإبطال الرق حتى استطاعت إصدار قانون من البرلمان الانجليزي بتحديد يوم أول أغسطس سنة ١٨٣٤ لتحرير جميع الأرقاء في كل الممتلكات البريطانية مع دفع تعويض لموالمهم (٢) . وحدثت حذوها الدول الأوروبية الأخرى مثل فرنسا والدمرك والسويد وهولاندة . ثم اتجهت بريطانيا بعد ذلك صوب العالم الاسلامي محاولة لإبطال تجارة الرقيق ، فأملت على السلطان عبد المجيد أن ينص في فرمان سنة ١٨٤١ على إبطال هذه التجارة التي تتنافى مع المبادئ الانسانية . ولكن محمد علي ظن أن المقصود بهذا منعه من تجنيد الأرقاء عن طريق الغزوات (٣) . ولم يكن هدف إنجلترا من وراء ذلك تحقيق المبادئ الانسانية بقدر ما كان لتحقيق أطماع إستعمارية بعيدة المدى .

وقد أحدثت هذه الضجة القائمة حول الرق أثرآ في نفس محمد علي ، فسار على سياسة تقييد هذه التجارة، لأنه أدرك إستحالة إلغائها دفعة واحدة . فأعلن في

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٦

(٢) تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣٠٤

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٥

سنة ١٨٣٨ لإلغاء الرق في السودان وإبطال الغزوات ، ولكن مع ذلك ظلت حكومة الخرطوم ترسل الغزوات لجمع الرقيق لما يجنيه من وراء ذلك من أرباح طائلة (١) .

وقد نشطت هذه التجارب نشاطا كبيرا في عصر عباس وسعيد نتيجة لضعف الحكامداريين بالسودان في الفترة ما بين سنة ١٨٤٨ و ١٨٦٣ . فأسس بعض المغامرين في ذلك الوقت شركات لهذه التجارة أهمهم أحمد موسى العقاد ، وعلى أبو عمري ، والربير رحمت ، وكوتشك على ، وغطاس باسيلي ، وحسب الله ، وسركيس ، وخليل سامي ، وبارثليميو ، وديبونو ، وجون بريك . وعند زيارة سعيد للسودان في يناير سنة ١٨٥٧ أمر ببناء محطة عسكرية على نهر السوبات لمنع تجارة الرقيق ومطاردة المشتغلين بها (٢) .

ولما تولى اسماعيل ولاية مصر في سنة ١٨٦٣ كانت تجارة الرقيق مزدهرة لزهارة عظيمها ، حتى أصبح الرق في أوائل القرن التاسع عشر متغلغلا في كيان السودان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، لدرجة يتعذر معها منعه أو محاولة تحريم النخاسة من غير حدوث إنقلاب أو قيام ثورة خطيرة (٣) . بل كانت حكومة السودان تساعد شركات الرقيق على هذا العمل ، فاستطاع أحد مؤسسي هذه الشركات ويدعى العقاد من الحصول في سنة ١٨٦٨ من حكامدار عام السودان على حق لإحتكار هذه التجارة في مساحات واسعة بأعلى النيل تبلغ ٩٠.٠٠٠

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة «منفعة من تاريخ مكانة الرق والنخاسة في السودان» ص ٢٠٥

(٢) المصدر السابق

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٨

ميلا مربعا على طول ضفاف النيل المرتفعة ، لمدة أربع سنوات في مقابل مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه سنويا (١) .

ونظرا لتغلغل الرق في مختلف نواحي الحياة بالسودان كان من الصعب على والى مصر الجديد إلغاءه طفرة واحدة ، وكان غردون يرى هذا الرأي إذ كتب لاخته أثناء إقامته الأولى بالسودان لحكمदार مديرية خط الاستواء يقول ، ولقد أذن الله لتجارة الرقيق أن تعمر ستين عديدة فالأهالى مطبوعون عليها . وأرى أنه بفتح تلك البلاد تزول تجارة الرقيق من تلقاء نفسها (٢) ، . وقد سارت الحكومة على هذه الخطة بالفعل ، فسجد أن التوسع فى السودان أمثله لإعتبارات خاصة تتعلق بالتضييق على تجار الرقيق ، واستيلاء الحكومة على المنافذ التي كان يستخدمها الجلابون فى تهريب تجارتهم غير المشروعة .

وعقب تولية اسماعيل الحكيم مباشرة أصدر أوامر مشددة لى موسى حمدى حاكم السودان العام وقتئذ بمطاردة تجار الرقيق والقبض عليهم وعتق ما يضبظ معهم من أرقاء (٣) . كما أمره بمراقبة مرور التجارة بالنيل مراقبة دقيقة عن طريق قوة عسكرية من الجنود المقيمين بالخرطوم توزع على طول النيل الأبيض . فوضع فى كاك حامية مكونة من ألف جندى ، وأنشئت عدة مراكز عسكرية أخرى على طول النيل الأبيض . هذا فضلا عن أربع بوأخر أرسلتهم الحكومة

1 - Shukry : The Khedive Ismail and Slavery in Sudan P.148 .

2 - Gordon , letters of Gen. Gordon to his Sister P.90

(٣) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣١٠

المصرية إلى الخرطوم للمساعدة في مطاردة تجار الرقيق (١) . وقد كلف حاكم دار السودان بتقديم تقرير دورى إلى المسئولين في مصر عن حركة الملاحة في هذا النهر . وكان يقوم بعمله رجال الحاميات المقيمين في المراكز العسكرية على ضفاف النهر . وفيما يلي أحد هذه التقارير التي أرسلت إلى الخديو في ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ (يناير ١٨٦٣) (٢) :

تجار وسائون

نفر	
أبناء ترك	٢
أولاد عرب	٢١
أورباويين (٢ تاجر و ٨ سائح)	١٠

انفسار

أتباع التجار	٢٤٨٢
نوتية المراكب	٧٩٨
عدد	
مركبا	٨٦
خيول	١٠

وقد ضيقت الحاميات العسكرية القائمه على ضفاف النيل الخناق على الجلابة

1 - Shukry , The Khedive Ismail and Slavery .. P.136

(٢) محظظة رقم ٢٩ (مسية تركي) وثيقة رقم ٣٥٣ من موسى حدى حاكم دار السودان الى حضرة صاحب السعادة مهردار الخديو في ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ [يناير ١٨٦٣] .

(تجار الرقيق) . فحاول هؤلاء تصريف تجارتهم عن طريق موانئ البحر الاحمر . ولذا رأت الحكومة المصرية أن تطلب إلحاق ميناءى سواكن ومصوع بمديرية التاكة التابعة للحكومة المصرية . وبعد مفاوضات طويلة (١) وافق الباب العالي على إلحاقها (٢) فى سنة ١٨٦٥ (١٧ رمضان سنة ١٢٨١) . وتم تسليمها للخدو فى سنة ١٨٦٦ (٣) . وكذلك سلبت مديرية كسلا فى مقابل ٧٥٠٠ كيسة (٣٧٥٠٠ جنبيها مصريا (٤)) . واستطاع والى مصر اسماعيل بعد مفاوضات أخرى مع الباب العالي إلحاق ميناء زيلع بالأراضى المصرية بمقتضى خط شريف أصدره الباب العالي فى غرة يوليه سنة ١٨٧٥ (١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢) ، نظير دفع مبلغ خمس عشرة ألف ليرة عثمانية سنويا (٥) . وامتلاك الخديو لزيلع دفعة إلى الاستيلاء على بزبره ، والاندفاع منها نحو الجنوب بمحاذاة الساحل الشرقى لأفريقيا إلى أن وصل إلى قساوى ، وذلك لى

-
- (١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٧٦١ من الجناح العالى إلى القبوكتبخدا فى ٢٧ رجب سنة ١٢٨١ [١٨٦٤] و دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٧٨٨ من الجناح العالى إلى القبوكتبخدا فى ١٩ شبان سنة ١٢٨١ [١٨٦٥] .
- (٢) دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٨١٣ من الجناح العالى إلى القبوكتبخدا فى ١٧ رمضان سنة ١٢٨١ [١٨٦٥] .
- (٣) اسماعيل بنسابة سرور ٥٠ هاما على وفاته . مقالة الفكتو محمد صبرى فى نقد مصر إجمالاً ١٢٨١ ص ٦٦ .
- (٤) مجلة الجيش المجد التارث العدد ٣٢ . مقالة « الحملة المصرية فى حرب الصرب سنة ٧٥ - ٧٦ ص ١٤٧ » .
- (٥) دفتر ٤٣ عابدية رقم ٣٨٣ من إبراهيم باشا إلى لمعية السنية فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ [١٨٧٥] . وقاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٧ .

يضرب حصاراً قويا على تجارة الرقيق ، ولغلق جميع المنافذ التي كانت تسرب منها هذه التجارة إلى خارج السودان .

ويمكننا القول بأن مصر منذ سنة ١٨٦٩ بدأت تنظر إلى النخاسة والنخاسين كخطر سياسي تخشاه ، ولكنها لا تريد استعمال العنف لمحاربة النخاسة إلا عند الضرورة القصوى (١) . وكان للوسائل الحربية التي اتخذتها الحكومة في تضيق الخناق على تجارة الرقيق في جهات السودان الشمالية ، أن نزع هؤلاء التجار إلى أقاليم النيل الأعلى حول غندكرو وبحر الغزال ، وهما من أهم مواطن الرقيق في ذلك الوقت فاضطر الخديو اسماعيل إلى تسيير حملة إلى هذه الجهات : الأولى على رأسها السير صمويل بيكر إلى أعلى النيل ، والثانية بقيادة الحاج محمد البلالى إلى بحر الغزال للقضاء على هذه التجارة في مواطنها الأصلية .

حملة السير صمويل بيكر

قام السير صمويل بيكر الرحالة الانجليزية في أواخر ديسمبر سنة ١٨٦٢ برحلة لكشف منابع النيل على حسابيه الخاص . وفي خلالها اكتشف بحيرة اليرت نيانزا . وبعد عودته من هذه الرحلة صور للشعب الانجليزي ما يفعله الجلابون في أواسط افريقيا من فظائع جسيمة . فارت تائرة جمعية مكافحة الرق Anti Slavery Society وهذه بدورها أثارت الرأي العام الانجليزي . فاضطرت الحكومة الانجليزية تحت ضغط الرأي العام إلى التدخل لدى الخديو اسماعيل لتشجيعه على إتخاذ إجراءات فعالة لمكافحة هذه التجارة الشائنة . فضلا عن ذلك فقد ألح ولى عهد إنجلترا (الملك ادوارد السابع فيما بعد) على تعيين السير صمويل بيكر

(١) الدكتور محمد صبرى . الامبراطورية السودانية في القرن ١٩ ص ٢١ .

حاكما عاما على مديرية خط الاستواء ، واعطائه السلطة التامة للقضاء على الرق .
والواقع أن السير صمويل بيكر قد فرضته الحكومة الانجليزية على الخديو (١)
فاضطر لإرضاء لإنجلترا الى قبوله ، فأبرم معه عقدا لمدة أربع سنوات بمرتب
سنوي قدره عشرة آلاف جنيه انجليزي نظير قيادته للحملة العسكرية المزمع
ارسالها الى أعلى النيل . وفيما يلي نص الخطاب الذي أصدره الخديو بتعيينه (٢):

بعد المقدمة ، تؤلف حملة لإخضاع النواحي الواقعة في جنوب غندوكرو
لسلطاننا ، ولإبطال النخاسة وإيجاد تجارة منظمة . وافتتح طرق الملاحة مع
البحيرات الكبرى الواقعة في خط الاستواء ، وإقامة خط من النقط العسكرية
ومستودعات للتجارة يبعد بعضها عن بعض مسافة ثلاثة أيام للماشى في أنحاء
أفريقيا الوسطى ابتداء من أول ابريل سنة ١٨٦٩ ، وقلدناه حقوق السلطة المطلقة
حتى السلطة المتعلقة بحياة واعدام كل من له علاقة بالجملة . وقلدناه كذلك نفس
هذه السلطة على كل النواحي التابعة لحوض النيل جنرب غندوكرو . كذلك
منح السير صمويل بيكر الحق في إدارة شئون هذه البلاد التي ستلحق بمصر طبقا
للنظم العسكرية ، وحق ترقية العساكر والضباط المرافقين له الى رتبة صاغقول
أغاسى (رأئد) (٣) .

-
- (١) عمر طوسون تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٣ .
(٢) الدكتور مجل صبرى . الامبراطورية السودانية في القرن ١٩ ص ٣٦ .
(٣) دفتر ٥٧٣ [معية تركى] وثيقة رقم ٥٦ ص ٢١٧ من الجناح العالى الى ناظر الداخلية
في ٤ صفر سنة ١٢٨٦ [١٨٦٩] .

تشكيل الحملة

تألفت الحملة من ١٦٤٥ جندياً ، منها ٢٠٠ من الفرسان غير النظاميين ، وبطارتان من المدافع . أما قوة المشاة فكانت تتألف من أورطتين (كتيبتين) لإحداهما سودانية اختيرت من أحسن الضباط والجنود الذين خدموا عدة سنوات في حرب المكسيك تحت قيادة المرشال الفرنسي بازين Pazine . أما الأورطة الثانية المصرية فكان معظمها من المجرمين الذين أبعثوا عن مصر لإرتكابهم جرائم عديدة (١) . وجهزت الحملة بمدافع جبلية مششخنة (ذات ماسورة حلزونية) من البرونز تزن ماسورة المدفع ٢٣٠ رطلا وتزن قذيفته ٨ ½ من الأبطال و ٢٠٠ صاروخ هال Hale زنة ثلاثة أطلال و ٥٠ بندقية من طراز سنيدر و ٥٠٠٠٠ طلقة (٢) .

وصحب السير صمويل بيكر زوجته وابن أخيه الملازم جولييان بيكر Jullien Alleyne Baker ، وسكرتيره ومهندس ملكي ، ورئيس مخازن ، ومترجم ، ورئيس مهندس البواخر ، ورئيس بنائى البواخر وغيرهم (٣) . وأرادت الحكومة المصرية أن تكون الحملة بعثة لنشر المدنية والحضارة في أواسط أفريقيا بينما أصر السير صمويل بيكر على اعتقاده الخاطيء بأنها مجرد حملة حرية أرسلت للحرب (٤) . وقد أدى تشيئه باعتقاده هذا إلى استعمال سياسة العنف والتعسف التي أغضبت أهالى السودان .

(1) Baker ; Ismailia P.8

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٧

(4) Shukry , The Khedive Ismail & Slavery P 162

أقلعت الحملة من السويس في ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ متجهة صوب ميناء
سواكن حيث نزلت بها واتجهت صوب بربر على النيل حيث استقلت باخرتين إلى
الخرطوم (١) . وفي فبراير سنة ١٨٧٠ أبحر السير صمويل بيكر من الخرطوم
ومعه ٨٠٠ جندي على ظهر باخرتين و ٣١ مركبا شراعيا ، فوصل إلى فاشودة
التي تبعد ١٠٠٠ كيلو متر تقريبا عن الخرطوم (٢) . وقد استعمل بيكر منتهى
الشدة في القضاء على تجارة الرقيق لا مع تجار الرقيق فحسب - بل وضد الزوج
الوادعين من أهل تلك البلاد (٣) . كذلك كانت حاجته المستمرة إلى المؤن سنيا
آخر لكره الأهالي له (٤) . ويصور لنا الضابط الإيطالي جيى ما ناله أهالي
البلاد على يدى بيكر بقوله : نزلت بسكان البلاد ويلات كثيرة أيام السير
صمويل بيكر منها أنه هبط ذات يوم أرض المدينة ومعه ثلاثمائة جندي وفاجأ
الأهالي ، واستولى على اثنتى عشرة ألف من البقر ، وحمل معه في نفس الوقت كل
ما لديهم من محصول الذرة . ومنذ ذلك الوقت إزداد فقر المدينة التي تحتاج إلى
سنوات عديدة كي تستطيع إستعادة ما كان لديها من بقر وهو المصدر الوحيد
لثروتها (٥) . ويؤكد الضابط جيى هذه الواقعة وغيرها من الوقائع بقوله
وقد علمت بهذه الأخبار من استعلاماتى التي حصلت عليها من الوطنيين ،

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) محمد أحمد الجابرى : فى شأت الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله ص ٤٥

(٤) Shukry , Khedive Ismail & Slavery p.169

(٥) Gessi , Seven Years in the Sudan p.91

وكذلك من الضباط والجنود الذين اشتركوا في هذه الاعمال (١) ، . وهذا التصرف من جانب السير صمويل بيكر يعتبر مخالفة صريحة لأوامر الحكومة المصرية التي كانت تقضى بعدم التعرض للأهالي (٢) بسوء . ودفعت حاجته إلى المؤن والرجال إلى الاتفاق مع شركة العقاد (أحد تجار الرقيق) على أن يقوم بإمداده بالحبوب والماشية في غندكرو ، وتزويده بثمانية عشرة ألف جندي غير نظائى إذا ما نشبت بينه وبين الوطنيين حرب (٣) ، بالرغم من علم بيكر بالطرق غير المشروعة التي يستعملها العقاد في الحصول على هذه المحاصيل والرجال . ومن أمثلة ما قدمه أبو سعوز (مندوب العقاد) إلى بيكر في يونية سنة ١٨٧١ بمدينة غندكرو من ماشية وحجوب أخذها عنوة من قبيلة وشير ، بعد قتال عنيف (٤) . وبلغ عدد الابل التي استولى عليها بيكر نتيجة غزواته التي شنّها على الأهالي ٣٠٠ ألف رأس من الماشية (٥) .

ولقد تعهد السير صمويل بيكر للخديو اسماعيل بإنشاء عشر نقط عسكرية جنوب غندكرو إلى منابع النيل . على أن يكون البعد بين كل نقطة وأخرى مسيرة ثلاثة أيام حتى يضمن بذلك مواصلاته مع غندكرو . ولكن بيكر لم يستطع لإنشاء هذه المحطات العشر ، وبرر قصوره هذا بنقص عدد الجنود التي زود بها عما

(١) Gessi , Seven Years in the Sudan P.82 .

(٢) Shukry , The Khedive Ismail and Slavery P. 169

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧

(٤) المصدر السابق ١٦٩

(٥) المصدر السابق ص ١٧٠

اتفق عليه بمقدار ٣٥٠ رجلاً . بل إن عدد الجنود الذي كان تحت إمرته في غندكرو وقتئذ قد إنخفض من ١٧٠٠ رجل إلى ٥٠٠ رجل . وعلى ذلك فلم يشأ أن يترك أقل من ٣٤٠ مقاتل بمركز قيادته (غندكرو) . فأصبح ماني حوزته من جنود ٢١٢ بين ضابط وجندي ليبدأ بها رحلة طويلة غير مأمونة العواقب (١) . وفيما يلي بيان بالمحطات العسكرية التي أنشأها بيكر : شكل (١)

محطة التوفيقية . بدأ بيكر بإنشاء هذه المحطة العسكرية في ٢٣ أبريل سنة ١٨٧٠ عند ملتقى نهر سوبايط بالنيل الأبيض (٢) في غابة تقع في الشرق على مرتفع من الشاطئ . وفي هذا المكان أقام تلك المحطة على أرض ثابتة ومرتفعة لاتعلوها مياه الفيضان . فضلا عن أن هذه الغابة ستكون ينوعا لا ينضب يستورد منه ما يلزم من الأخشاب للبناء والوقود (٣) . وقد أطلق عليها اسم التوفيقية نسبة إلى ولي العهد محمد توفيق . وقد اصطفت خيام الجنود في صفوف مستقيمة وحفرت خنادق حولها من جميع الجهات ، وجعل للمحطة ميناء على النهر طوله ٥٠٠ ياردة ليرابط به الأسطول النهري (٤) . وتقع هذه المحطة في منتصف الطريق بين الخرطوم وغندكرو (٥) . وقد أصبح لها أهمية كبرى إذ سدت مدخل النيل الأبيض في وجه تجار الرقيق .

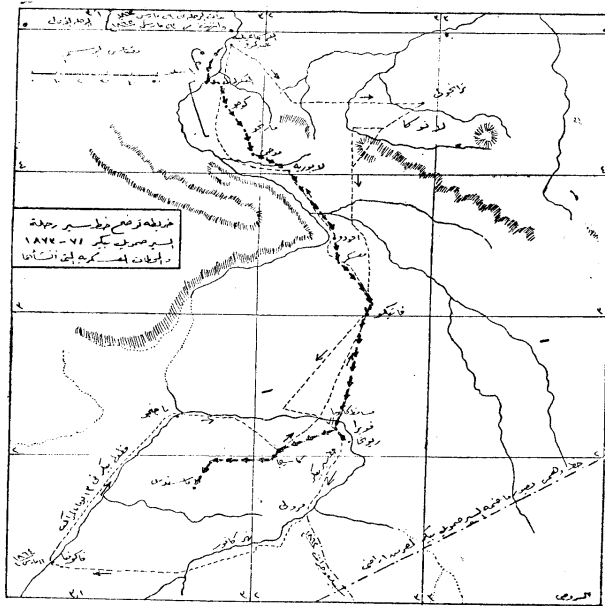
(١) Barer ; Ismailia ... P.217

(٢) نوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث ص ٣٠

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢٨

(٤) Bakea ; Ismailia ... p.51

(٥) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢٩



خط سبز رنگ در این نقشه مرز سیستان است
 خطوط قرمز رنگ در این نقشه مرزهای دیگر است
 (۱)

محطة غندكرو (الإسماعيلية) : وصل السير صمويل بيكر إلى غندكرو في ١٥ أبريل سنة ١٨٧١. وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ أعلن بصفة رسمية ضم مديرية خط الاستواء إلى الأملاك المصرية في حفل مهيب ، ورفع العلم المصرى عالية فوق غندكرو (١) . وفي أثناء إقامته بها هاجمه الأهالى ليلا فأمر بيكر باتخاذ الاجراءات اللازمة نحو تحصينها . فحضر خندقا و حول نشز من الارض مقام عليه المخازن ، ومنسوب فوقه ستة مدافع (٢) . كما أقام مساكن للجنوده ، ووضع تصميما لبناء إستحكامات بها ، وكلف المستر هيجنبو تام Higginbotham كبير المهندسين بتنفيذه (٣) . وبذلك أصبحت حامية غندكرو بمأمن من هجمات الأهلين .

محطة الابراهيمية (أنودو Affouddo) : بينما كان بيكر ميمها وجبهة شطر د فاتيكو ، وصل في ٢ مارس سنة ١٧٨٢ إلى سهل متسع جميل أطلق عليه اسم الابراهيمية نسبة إلى ابراهيم بن محمد على ، وكان يعرف لدى الأهل باسم أفودو . ويقع هذا المكان على مسافة ستين كيلو مترا من محطة لا بوريه (٤) . وعلى خط ٣٢° ٣٠' وجعله في حراسة قوة صغيرة (٥) .

محطة فاتيكو : تقع هذه المحطة على خط عرض ٢° ٣٠' شمالا وعلى بعد

(١) المصدر السابق ص ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٤٩

(3) Baker ; Ismailia P. 151 .

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٦٥

(5) Ismailia p.217

مائة ياردة إلى الجنوب من محطة أبي سعود (أحد تجار الرقيق) ، وبدى في بناء تحصيناتها في ٢٨ أغسطس ١٨٧٢ ، وتم العمل بها في ٢٥ ديسمبر من نفس السنة . بسبب يبوسة وصلابة الطابوقة التي تحت سطح الأرض يبوسة وصلابة متناهية (١) . ويقع الحصن على أرض مرتفعة وبقى ظهره صخور عالية (٢) . ويرتكز هذا الحصن الذي يحميه خندق عرضه ثمانية أقدام وعمقه ثمانية أقدام كذلك على صخرة تشرف على البلد (٣) ، وشيد بداخلها مخزن للبارود من الحجر الشديد الصلابة (٤) ، وسقفه من الأسمنت . وفاتيكو من المحطات التي يتولى حمايتها جنود نظاميون (٥) .

محطة فويرا : تقع فويرا على خط عرض ٥٦ ° ٥٤ شمالا في مكان معسكر سليمان بن الزبير القديم . وعندما وصل إليها بيكر في ٢٤ يونيو سنة ١٨٧٢ استخدم الأخشاب التي كانت مستعملة في حظيرة سليمان القديمة في عمل حواجز . ثم غرست أوتاد طويلة من الخشب القوي في الأرض ، بحيث ما يبقى منها ظاهرا فوق سطح الأرض يسكون لإرتفاعه نحو ٧ أقدام ، وأن تسد فرجة الخمسة وعشرين سنتيمترا الفارقة بينها بالواح طويلة توضع بالغرض الواحد فوق الآخر . وأن تشاد طابقتان فوق كل زاوية من زوايا المربع لحماية واجهة الحصن على وضع منحرف (٦) ، وكان بهذه المحطة من الجنود غير النظاميين ٦٥ مقاتلا

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٩

(2) Bakea ; Ismailia P.280

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٩

(4) Baker ; Ismailia p 280

(٥) المصدر السابق ص P. XVI

(٦) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٩٠

ثم زاد عددهم بعد ذلك ١٧ مقاتلا ، فأصبح مجموعهم ٨٢ (١) .

مهمة ماسندي : هذه عاصمة اقليم « اونيورو » ، وهي عبارة عن « نجد غير مستوى السطح يمتد منه البصر لى مسافات شاسعة ، وتحجب الأفق الغربى منه على بعد ٨٠ كيلو مترا سلسلة جبال ممتدة على شاطئ البرت نيانزا ، وتغطى الأعشاب الطويلة كل مكان فى ذلك النجد (٢) . . . وعندما وصل إليها السير صمويل بيكر فى ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٢ وقع لإختياره على موقع تحت شجرة ضخمة أقام بها معسكر الجنود . وتقع هذه البقعة على خط عرض ١٠° ٥٤ على مسافة ٧٩ ميلا من فويرا و٣٢٢ ميلا من الاسماعيلية (٣) (غندكرو) . ونظرا لما يكنه الأهالى من كره لبيكر فقد قام ببناء حصن على شكل دائرة يحميه مرتفع من التراب ، ويحيط به خندق اتساعه ١٠ أقدام ، وعمقه ٧ أقدام ، وطول القطر الخارجى ٦٠ قدما ، والقطر الداخلى ٣٦ قدما . وبمعاونه الملازم بيكر إستطاع تخطيط الرسم على الأرض وبدأت قوات الحملة تعمل بهمة ونشاط عظيمين فى أعمال الحفر والبناء . وقد استخدم فى بنائه كتل من الأخشاب القوية طول الواحدة تسعة أقدام . وبداخل الحصن ثلاث حجرات واقية من الحريق لحفظ المؤن والذخائر . وكل حجرة من هذه الحجرات مبنية من أقوى الأوتاد ، وفوقها سقف من الكتل السميكه المغطاة بطبقة من الطين الرطب والقش بلغ سمكها قدما واحدا . وتم هذا العمل فى أربعة أيام قضاها الجنود فى عمل مستمر . (شكل ٢)

(1) Baker ' Ismailia p.292

(٢) المصدران السابقان .

(٣) المصدر الأخير .

وفى أواخر مدة خدمة السير صمويل بيكر أراد الخديو اسماعيل أن يستميل لإنجلترا إلى جانبه حتى لا تقف في طريق توسعه في أواسط أفريقيا فعقد معها فى ١٨ مايو ١٨٧٣ إتفاقية لتسهيل مراسلات البريد ما بين البلاد المصرية والانجليزية ومستعمراتها (١) . . وقد اشتملت الاتفاقية على ٢٨ بنداً تتعلق جميعها بالشئون الخاصة بالبريد .

وعاد السير صمويل بيكر إلى القاهرة فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٢ بعد أن لمتهى من مهمته ، فنحى الخديو اسماعيل النيشان المجيدى من الدرجة الثانية مكافأة له على خدماته (٢) ، وقد بلغت نفقات الحملة ٨٠٠.٠٠٠ ر. جنيهاً مصرياً (٣) . وقد أثقل هذا المبلغ كاهل الميزانية المصرية فى نفس الوقت الذى كانت تعاني فيه مصر ضيقاً مالياً شديداً .

نتائج الحملة

لحملة بيكر نتائج عديدة ، فمن حيث الغرض الذى أرسلت من أجله ، نلاحظ أنه فيما عدا إنشاء المحطات العسكرية فى غندكرو ، وفاتيكو ، ومحطة فويرا ، والتوفيقية ، فالحملة فشلت فى تحقيق غرضها الرئيسى وهو منع تجارة الرقيق وفتح الأقاليم للتجارة ، ووضع سفينة فى بحيرة البرت نيانزا (٤) .

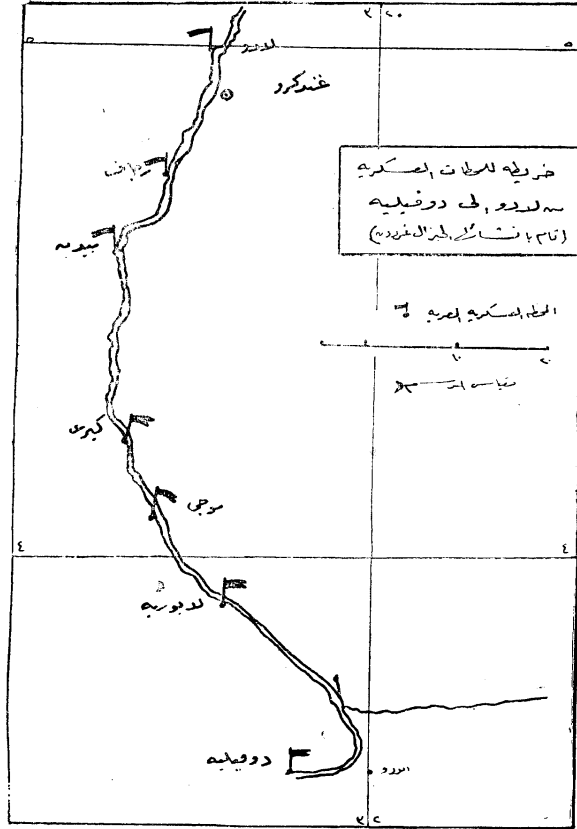
(١) خفائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٤

(٣) تاريخ الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٢١ .

(٤) Shukry ; The Khedive p.174

والعصر المصرى فى الودان ص ١٧٦



شكل (٤)

تقلا عن الأصل الذي وضعت غردوت سنة ١٨٧٨

أما فيما يتعلق بنتائجها بالنسبة لاهل السودان أنفسهم فقد اعتقدوا أن في تعيين الخديو اسماعيل لنصراني لإدارة شئون المسلمين وإبطال الرق ، قد أصاب الدين في الصميم وزلزل قواعده (١) . . هذا فضلا عن أن سياسة إحتكار تجارة الأبنوس والعاج قد أضاعت تجارة السودانيين وثرواتهم وجرت عليهم الخراب (٢) . فأصبح الأهالي ينقمون على الحكيم المصري نقمة شديدة . وهذا العداء دفعهم الى التحالف مع تجار الرقيق (٣) . . وهكذا فلم يمض سوى عام واحد على عودة السير صمويل بيكر من مأمورية خط الاستواء حتى كان قد ضاع كل نفوذ للحكومة في تلك الجهات ، وبات لا يجرؤ انسان على مغادرة غندكرو دون التعرض لموت محقق ، بسبب عداء قبائل السود المنتشرة حول عاصمة المأمورية (٤) . .

ومن جهة مصر فتعيينها للسير صمويل بيكر الانجليزي حاكما عاما على منطقة خط الاستواء يعتبر بمثابة فتح ثغرة أمام النفوذ الانجليزي للتدخل في شئون السودان ، وشئون مصر في نفس الوقت . كما كان للخطة التي سار عليها أثناء خدمته أثرها الفعال في تدخل انجلترا وضغطها على الخديو لترشيح غردون خلفا له لتنفيذ أغراضها الاستعمارية البعيدة . فكانت مصر في هذه الصفقة الخاسرة رغم نبل مقصدها .

(١) محمد أحمد الجابري . في شأن الله س ٤٦

(2) Sabry ; L' Empire Egyptienne sous Ismail p.459

(3) Shukry ; The Khedive Ismail and p.174 °

(٤) المصدر السابق . والحكيم المصري في السودان ص ١٧٦

حملة البلال

في سنة ١٨٦٩ قام من الخرطوم شخص يدعى محمد البلال على رأس قوة صغيرة تتألف من مائتين من الجنود السودانيين بقيادة محمد (أفندي) منيب وأربعمائة من الباشبوزق وستمائة من الخطرية (١) . ووضعت القوات غير النظامية تحت إمرة أحد تجار الرقيق ويدعى كوتشوك على بأمر من جعفر مظهر باشا حاكم السودان العام بعد منحه رتبة اليوزباشى (نقيب) (٢) ، وذلك لمطاردة تجارة الرقيق في مديرية بحر الغزال . ولم يكتب لهذه الحملة النجاح لإنعدام التعاون بين البلال ومعاونيه ، وقلة عدد الحملة بالنسبة لما يملكه الجلايون من قوة حربية . هذا فضلا عن سلوكه مسلك التمسف مع تجار الرقيق ، وتوغله داخل منطقة بحر الغزال بعيدا عن مراكز الإمدادات . وانتهت الحملة بهزيمة أمام الزبير والقضاء عليه (٣) . وقد ساعدت هزيمة البلال على زيادة نفور الجلايين وانتشار تجارتهم . ولكن الزبير خشى مغبة عمله هذا فبادر بتقديم كل البلاد التي فتحها في بحر الغزال وشكا الى الحكومة المصرية التي كافتته على ذلك بمنحه رتبة البكوية وتعينه حاكما على بحر الغزال .

غردون ومكافحة الرق

أشار ولي عهد إنجلترا على الخديو اسماعيل أثناء مروره بمصر في طريقه الى

(١) محمد أحمد الجابري . في شأن الله من ١١٣

(2) Shukry ; The Khedive Ismail & P. 153 .

(٣) المصدر السابق .

الهند بتعيين غردون خلفا لضمويل بيكر (١) ، فأصدر الخديو اسماعيل أمرا (٢) في ٢ محرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنة ١٨٧٤) بتعيين الأميرالاي (العميد) غردون حكامدارا لمديرية خط الاستواء على أن يكون مستقلا في حكمها ، وغير خاضع لحكمدارية عموم السودان . ولم يكن مع ذلك مرتاحا لتعيين غردون في مأمورية بالسودان خيفه أن يكون من ورائه تنفيذ مقاصد إنجلترا التي لا تخفى عليه فعينه وهو كاره (٣) . والواقع أن بيكر وغردون ومليكولم (الذي دخل في خدمة الحكومة المصرية لإلغاء تجارة الرقيق في البحر الأحمر) قد فرضتهم لإنجلترا على اسماعيل في السودان (٤) . ومديرية خط الاستواء التي عين حكامدارا عليها تشمل الأراضي الخاضعة للحكومة المصرية جنوب فاشودة وما يلحق بها من أقاليم منابع النيل . أما شمال فاشودة فتخاضع لحكمدارية عموم السودان .

وفي ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ أرسل الخديو اسماعيل خطابا بالفرنسية (٥) الى الأميرالاي (العميد) غردون يتضمن تعليماته فيما يتعلق بمهمته في مديرية خط الاستواء . وتتلخص في العمل على تنظيم الإدارة في هذه البعثة النائية ، وسراقة نشاط تجار العاج والرقيق ، وعدم التعرض لحاصلات الأهالي . إذ أن مثل هذا العمل يدعو تلك القبائل الى سوء الظن بالحكومة فضلا عن أنه منافي لإرادة الخديو الذي يود كسب ثقة الأهالي وحسن ظنهم (٦) . كذلك لفت اسماعيل

(١) حقائق الاخبار ج ٣ ص ٣١٧

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٠٨

(٣) إبراهيم فوزي باشا . السودان بين يدي غردون وصك: نشر ص ٢

(٤) محمد صبرى . الامبراطورية السودانية في القرن ١٩ ص ٣٦

(٥) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١١٠

(٦) المصدر السابق . ص ١١٢

نظر غردون إلى ضرورة الاهتمام بتأمين المواصلات بين جنوب السودان وشماله
وأن يجعل نصب عينيه لإقامة خط للنقط العسكرية خلال المديرية التابعة له ،
يربطها مع بعضها من طرف إلى آخر ، بحيث تستطيع جميعها أن ترسل الخرطوم
مباشرة . ويجب أن يتبع هذا الخط ضفة النيل ويتمشى معها إلى أقصى
حد ممكن (١) .

والى جانب غردون عين (٢) الخديو اسماعيل الأميرالاي (العميد) محمد
رؤوف (بك) قومنداننا عاما لساكن مديرية خط الاستواء . واصطحب
الأميرالاي (العميد) غردون معه القائمقام (العقيد) شاييه لونج بصفة رئيس
أركان حرب الحملة ، والملازم حسن واصف (افندي) من ضباط أركان حرب
الجيش المصرى بصفة ياور لغردون . وغادر غردون ورفاقه القاهرة في ٢١
فبراير سنة ١٨٧٤ (٣) في طريقه إلى مقر عمله الجديد . وأبحروا من السويس
إلى سواكن ، ومنها بالطريق البرى إلى الخرطوم . ثم اتحدوا مع النيل جنوبا إلى
أن وصلوا إلى غندكرو عاصمة مديرية خط الاستواء في ١٧ ابريل سنة ١٨٧٤ .
وبوصول غردون إليها أرسل خطابا إلى نوبار ناظر الخارجية يصف المديرية
وجالتها في ذلك الوقت . فيذكر بأنه وجد في غندكرو حامية تتألف من ٣٠٠
جندي سوداني و ١٦٠ جنديا مصرياً ، وفي فاتيكو ٢٠٠ جندي سوداني (٤)
وفي فويرا قوة مكونة من ٢٠٠ جندي سوداني من الجيش النظامى (٥) . وقد

(١) المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٥) Abdin. Amr. Vol. No. 10 deapt. No. 305 Beardsley
to Fish. in Nay 3, 1875 .

ذكر أيضا المسر بيردزلى - فنصل أمريكا الجنرال بمصر في سنة ١٨٧٥ - بأنه حال وصول غردون إلى مديرية خط الاستواء لم يكن بها وقتذاك سوى ٧٠٠ جندي لا يجرأون على الإبتعاد عن تحصيناتهم أكثر من مئة ياردة إلا في جماعات مسلحة تسليحا قويا ، وذلك نتيجة لعدم قبائل البارين للحكومة منذ أيام النير صمويل بيكر (١) .

المحطات العسكرية التي أنشأها غردون

أسس غردون محطة سوباط عند التقاء نهر سوباط بالنيل الأبيض ، ووضع بها بلوكا من الجنود تحت قيادة اليوزباشى (نقيب) محمد (أفندى) أحمد (٢) . ولهذا المحطة أهمية خاصة إذ أنها تشرف على خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب ، وتهدد تجارة الرقيق مهددا مباشرة .

ثم أسس محطة شمبي Shambé على الضفة الشرقية لبحر النيل حيث توجد زرائب كبار تجار الرقيق مثل أبو عمورى ، وكشك على ، وغطاس وغيرهم . وعين لها بلوكا من الجنود تحت قيادة اليوزباشى (النقيب) مصطفى فتحى (أفندى) (٣) .

وفي أثناء رجوع غردون إلى غندكرو في أواخر أغسطس سنة ١٨٧٤ وجد بمحطة بور ٤٠٠ جندي من الجنود غير النظاميين التابعين لتجار الرقيق فأدخلهم

(١) المصدر السابق

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٣١ .

(٣) المصدر السابق .

في خدمة الحكومة ، وعين على قيادتهم ضابطا سودانيا يدعى آدم (افدى) عامر.

وقد استعان غردون بخدمات بعض الرؤساء المحليين من أمثال ابي سعود ورجالهم الذين كانوا يعملون في خدمة تجار الرقيق وكانت لهم دراية وخبرة بهذا الموضوع . ولكنه خشى أن يسيء هؤلاء الرؤساء لاستخدام الجنود النظامية وغير النظامية التي تحت قيادتهم . ولهذا فقد جعل الجنود النظاميين غير خاضعين لهؤلاء الرؤساء غير النظاميين ، بل وضعهم تحت سلطة الضابط النظامي الأقدم رتبة الذي كان عليه أن يرجع في كل الأمور إلى الحاكم العام (١) .

ونتيجة للسياسة التي سار عليها غردون في محاربة الرق ربط أجزاء السودان المختلفة بسلسلة من المحطات التي سنوردها فيما يلي :

غندكرو : عند ولاية غردون لمديرية خط الاستواء سنة ١٨٧٤ كانت حامية غندكرو تتكون من عدد من الجنود السودانيين و ١٥٠ من الجنود المصريين (٢) . وقد اختيرت غندكرو منذ حكمادارية بيكر لتكون مركزا للعمليات الحربية في منطقة خط الاستواء . ولكن هذا الاختيار لم يكن موقفا ، فوقع المحطة الطبوغرافي غير مناسب . فن شهر ابريل إلى منتصف شهر سبتمبر تندفع مياه الأمطار من قسم الجبال المحيطة بها وتكون مستنقعات راكدة حول المدينة ، فينتشر البعوض ويحمل معه مرض الحمى الذي قاست منه الجنود المصرية الشيء

(١) المصدر السابق ص ١٣٧

(2) Publications of the Egyptian Gen. Staff. Province of the Equator. Summary of letters & reports of H. E. The Governor General P.3.

الكثير ، والذي كان سببا (١) في موت العديد منهم . ولا يخفى هذه المستنقعات إلا ببطء شديد . وفي فصل الصيف يصبح الماء ضحلا فلا تستطيع البواخر والصنادل الاقتراب من الشاطئ إلا بصعوبة . هذا بالإضافة إلى أن الأخشاب اللازمة للطبخ ولوقود البواخر كانت تستجلب من غابة تبعد عن المحطة مسيرة ساعتين . كما أن جرها غير صحي وأرضها رملية غير صالحة للزراعة (٢) . وقد وصفها يونكر Junker أثناء إقامته بها في نوفمبر سنة ١٨٧٦ بقوله (٣) : « كان للمحطة رصيفا عظيما على ضفة النهر ، وبها أكواخ عديدة يأوى إليها الموظفون المدنيون وكذلك الجنود واستعمل بعض هذه الأكواخ كخازن للبؤن والذخيرة . وخططت شوارعها في زوايا ضيقة ، وأحيطت بسور من الأشجار ذوات الأشواك تدعمها أوتاد قوية . وقد درأ عنها هذا السور هجمات الوطنيين . وتمتد الأراضي الزراعية التي تفتح الخضروات ، وكذلك أشجار الموز خارج السور . » وتقدر عدد الأكواخ بها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ كوخ . وقد بذل رؤوف بك أثناء إقامته بالسودان كل مافي وسعه ليكشف الراحة التامة لحاميتها (٤) . ونظرا لرداءتها من الناحية الصحية ، ولعدم صلاحيتها من الناحية الاستراتيجية ، نقل غردون مركز عملياته إلى اللادو لجودة مناخها وقربها من الغابات حيث توجد الأشجار اللازمة للوقود .

(1) Gessi ; Seven Years in the Sudan. P.78

(٢) المصدر السابق .

3 - Histoire de la Nation Egyptienne. Le Soudan Egyptien de Moh. Aly à Ismail Pacha par Henri Dehérain Vol. VI P.497 .

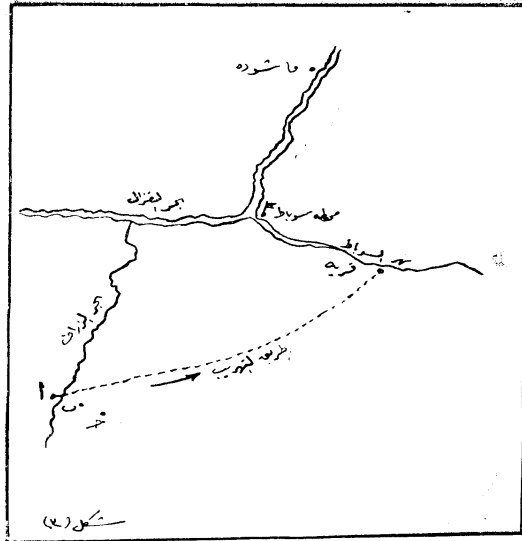
4 - Gessi ; Seven Years in the Soudan P. 78

محطة سوبااط : أنشأها غردون في يونيه سنة ١٨٧٤ على نهر سوبااط على مسيرة ١٨ ساعة من فاشودة . وهي محطة قوية أقيمت للقضاء على الزرائب الموجودة في هذه المنطقة وقد أغلقت المحطة النيل الأبيض في وجه السفن التي تعمل في نقل التجارة غير المشروعة لتحكمها في مدخل النهر . ولا يسمح لأية سفينة بالمرور إلا بعد إجراء تفتيش دقيق عليها (١) . والمحطة تتكون من أربعين كوخا أقيمت في مكان غير مأهول بالسكان ، والأرض التي تقع فيها المحطة منخفضة نسبيا وعرضه للقيضانات (٢) .

ويذكر الضابط المصرى ابراهيم فوزى - أحد ضباط غردون هذه المحطة بقوله : لقد أمر غردون بلوكات العساكر وجماعات الأهالى بحفر خندق لمحطة (سوبااط) ، وقرر للعمل أجرة فوق مرتبات العساكر لهم وللأهالى مثل ذلك . فلم يمتض أسبوعان حتى تم ما أراد ، وشيدت عليه الطوائى كما رسمها . ثم أنشأ مركزا للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا هو اليوزباشى (القيب) محمد أحمد (افندى) وأمره بحسن المعاملة والرفق بالأهالى ، وشدد عليه في منع تجارة الرقيق وعدم مرورها عليه (٣) .

وفي أواخر سنة ١٨٧٤ بلغت عدد حامية نهر سوبااط ٥٠ جنديا سودانيا نظاميا (٤) وبإنشاء هذه المحطة حاول تجار الرقيق فى أعلى بحر الزراف في المحطات أ، ب،

- 1 - Shukry ; The Khedive Ismai & P.194 & 195.
- 2 - Gassi , Seven Yerrs in the Souean P.26
- (٣) الأميرالوى ابراهيم فوزى باشا . السودان بين يدي عردون وكنتشتر ص ٦
- 4 - Publications of .. Province of the Epuator' Summary of Letters & Reports of the Epuator P. 32 .



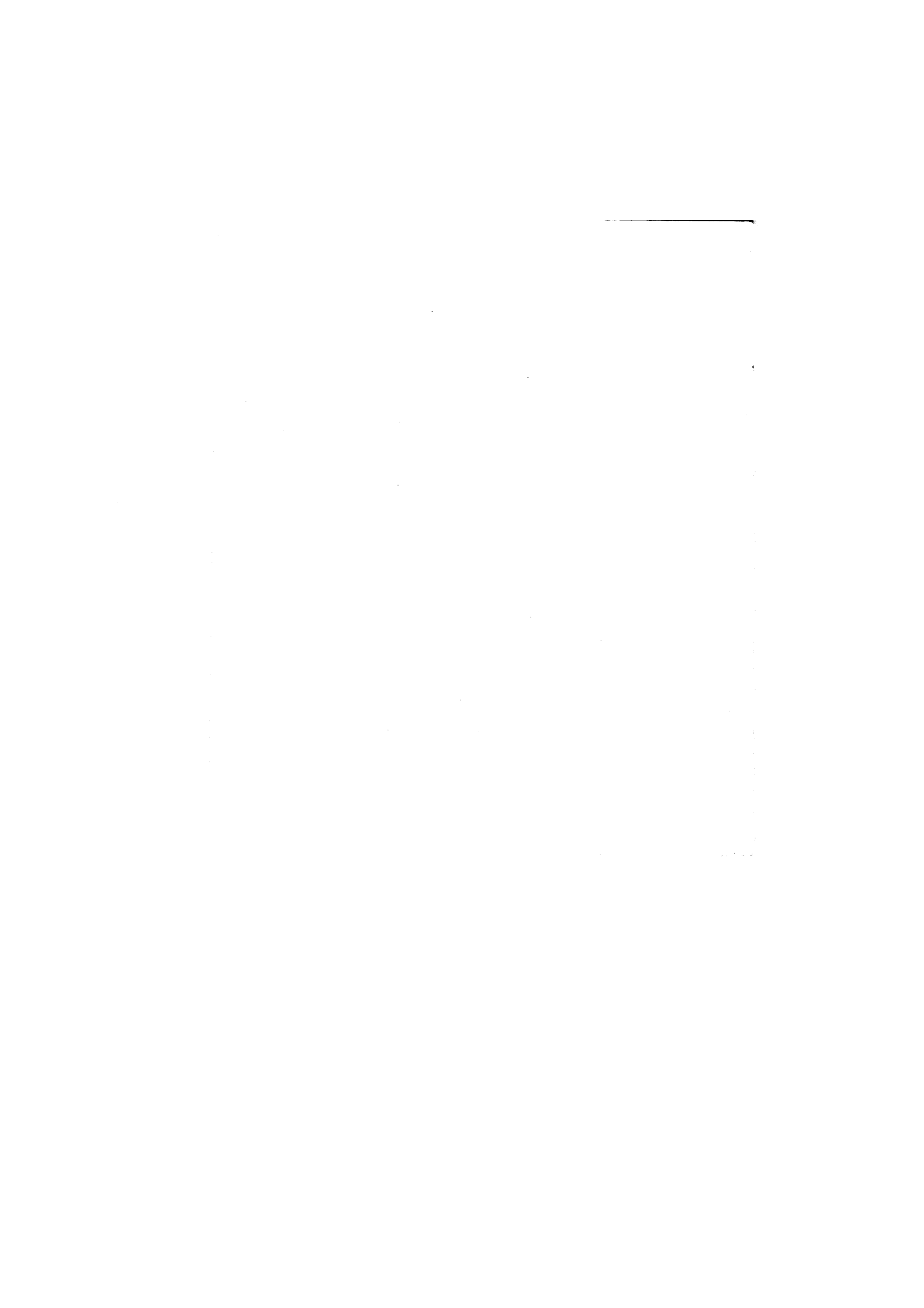
خطه استوا به کوه دیو دله تویه لرینوه

نقشه کتابی

Provinces of the Equator

By

H. E. Gordon



ج تفادى إرسال شحنات العبيد عن طريق بحر الزراف وبحر الغزال حتى لا تمر على محطة سوباوط العسكرية . فسلكوا طريق الغابات إلى موضع القرية المبنية على نهر السوباوط شكل (٢) . وبهذه الخيلة استطاعوا الهروب بتجارهم الشائنة وتفادى محطة سوباوط . فلما علم غردون بخطتهم هذه دهمهم في المحطات السالفة الذكر أ ، ب ، ج وقبض عليهم وأطلق سراح العبيد الموجودين بالزرائب (١)

محطة نصر : تقع هذه المحطة على نهر سوباوط وكان الغرض من إقامتها الاشتراك مع محطة سوباوط في مراقبة التجارة في النيل الأبيض وبحر الغزال وبحر الزراف . وعدد حاميتها ١٠٠ جندي من الدناقلة غير النظاميين (٢) .

محطة شمسي : أنشأها جيسى سنة ١٨٧٥ بأمر من الجنرال غردون في مكان غير مأهول بالسكان ، وبذل جهودا كبيرة في استجلاب الأهالي ليقموا بجوارها وليساعدوه في بناء الأكواخ والمخازن ولإمداد الجنود بالذرة واللحوم من غندكرو . وقد اتعمشت هذه المحطة بعد مدة وجيزة من إنشائها (٣) . وتم حفر الخندق المحيط بها في مدة ٢٠ يوما وأنشأ هناك مركزا ترك به اليوزباشي (النقيب) مصطفى (افندي) فتحى ببلوكه وساه مأمور جهات شانييه (٤) ، وأمره بمنع تجارة الرقيق ، ولإبلاغ الأهالي بأنهم أصبحوا تابعين لسلطة الحكومة المصرية (٥) .

1 - Summary of Letters P.10 .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ وتاريخ مديرية خط الاستواء ص ١٥٢

3 - Gessi ; Seven years P.203

(٤) السودان بين يدي غردون وكنتشتر ص ٨

(٥) المصدر السابق

محطة مكراكا : تقع في بلاد المكراكا (نيام نيام) وتمتاز هذه المنطقة بكثرة الجبال وغزارة الماء ووفرتها . وسكانها د من آكلى لحوم الإنسان (١) ، ، وقد جندتهم الحكومة . وبدخولهم في سلك الجنديّة أصبح د لِقبا لهم على التَغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهة ، وصعوبة الحصول على اللحم البشرى في محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى (٢) ، .

وفي أواخر سنة ١٨٧٤ كان بها حامية تتكون من ٢٠ جنديا سودانيا نظاميا و ٢٠٠ من الدناقلة (٣) . ثم أصبحت هذه المحطة تتكون المركز (المديرية) التاسع ويتبعه عدة محطات عسكرية أخرى هي : كاباتيدى وهي عاصمة المركز ، وواندى ، وكودورما Kudurma ، ومديرفى Mdirfi ، وريمبو Rimo ، ومكراكا الصغيرة ، وجوزا Gosa ، وكالیکا Kalika ، وواتاكو Watako وكوروبيك Korobek ، وجاندا Ganda ، واومبمبا Ombimba ، ونونجوما Nuguma ، ودانجو Dango ، ودانجو الكبيرة (٤) .

وكان بكل نقطة من هذه النقط العسكرية ٣٠ جنديا نظاميا مسلحين ببنادق رومنتجون ، وحوالى ٥٠ جندي غير نظامى من المحاربين الذين خدموا تجار الرقيق والعاج . وبعض الجنود المسمون بالبازنجر وهم من الأهالى السود

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٥

3 Summary of letteas and Reports P.32

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٥

المجندين محليا (١) . كذلك عينت الحكومة بعض المترجمين في نقط معينة كجنود اتصال بين قائد النقطة ورؤساء القبائل (٢) .

محطة بور : تقع هذه المحطة في قرية بور شرق النيل الأبيض شمال غندكرو وأرض هذا المركز تكثوها الغابات الكثيفة بالأشجار ، وفيها عدا بور لا توجد أى محطة عسكرية أخرى في مركز جور (٣) . وقد بناها الضابط الإيطالى جيسى في ١٨ أغسطس ١٨٧٤ (٤) ، ووضعت بها حامية تتكون من ١٠ جنود سودانية نظامية ، و ١٥٠ جنديا من الدناقلة (٥) . ويذكر الاميرالاي (العميد) إبراهيم فوزى أنه كان بالقرية المذكورة قبل إنشاء المحطة . . من العساكر المسلحين الذين يعملون في خدمة تجار الرقيق ، فأدخلهم غردون في خدمة الحكومة ، وكون من بور والأراضى المحيطة بها مديرية بور ، وجعل آدم (افندى) عامر أحد الضباط السودانيين وكيلا لها (٦) . وقد أصبحت بور عاصمة المديرية الأولى من مديريات خط الاستواء .

1 - Hist. de la Nation Egyptienne. Le Soudan P.512

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٥٥

4 - Shukry, Khedive' Ismail and P.194

5 - Provinces fo the Equator . SummaryP. 153

(٦) السودان بين يدى غردون وكنتفر س ٩

محطة لادو (١): أنشأها غردون في سنة ١٨٧٤ ووضع بها حامية من ١٠ جنود سودانية و ١٥٠ من الدناقلة (١). ثم جعلت المركز السادس من مراكز (مديريات) إقليم خط الاستواء، وتبعها محطات عسكرية فرعية هي: أركلو Okello، ونزانجول، وأبوريه Obur، وعبو (٢).

محطة لادو: اتخذها غردون في سبتمبر سنة ١٨٧٤ مركز عموم حكومة خط الاستواء (٣)، وبها المعسكر العام لقوات مديريات خط الاستواء وذلك لأن موقع غندكرو - مركز العمليات السابق - كان غير ملائم من الناحيتين الصحية والاستراتيجية (٤). وتوافرت في محطة لادو ميزات هامة، فوقعها ممتاز من الناحية الحربية، ومياه النيل تجاهها عميقة تصالح لرسو السفن، وتجاورها غابات تمتد إلى مسافات بعيدة يمكن الاعتماد عليها في إستهلاك الوقود اللازم للحامية. كما أن أرضها خصبة وجوها أحسن من غندكرو (١). وتبعد اللادو عن غندكرو مسافة عشرة أميال. والمسافة بين الخرطوم واللاذو تبلغ نحو ١٠٠٠ ميل تقريبا. وكان بها من الجنود في أواخر سنة ١٨٧٤ ١٨٠ جنديا سودانيا

1 - Provinces of the Equator . Summaryp.153

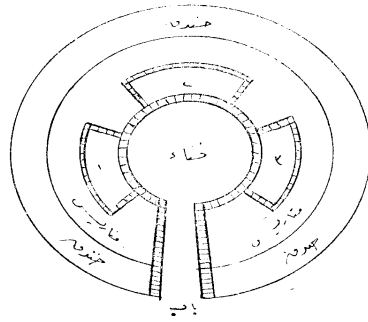
(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٠

(٣) السودان بين يدي غردون وكشتر ص ١٧

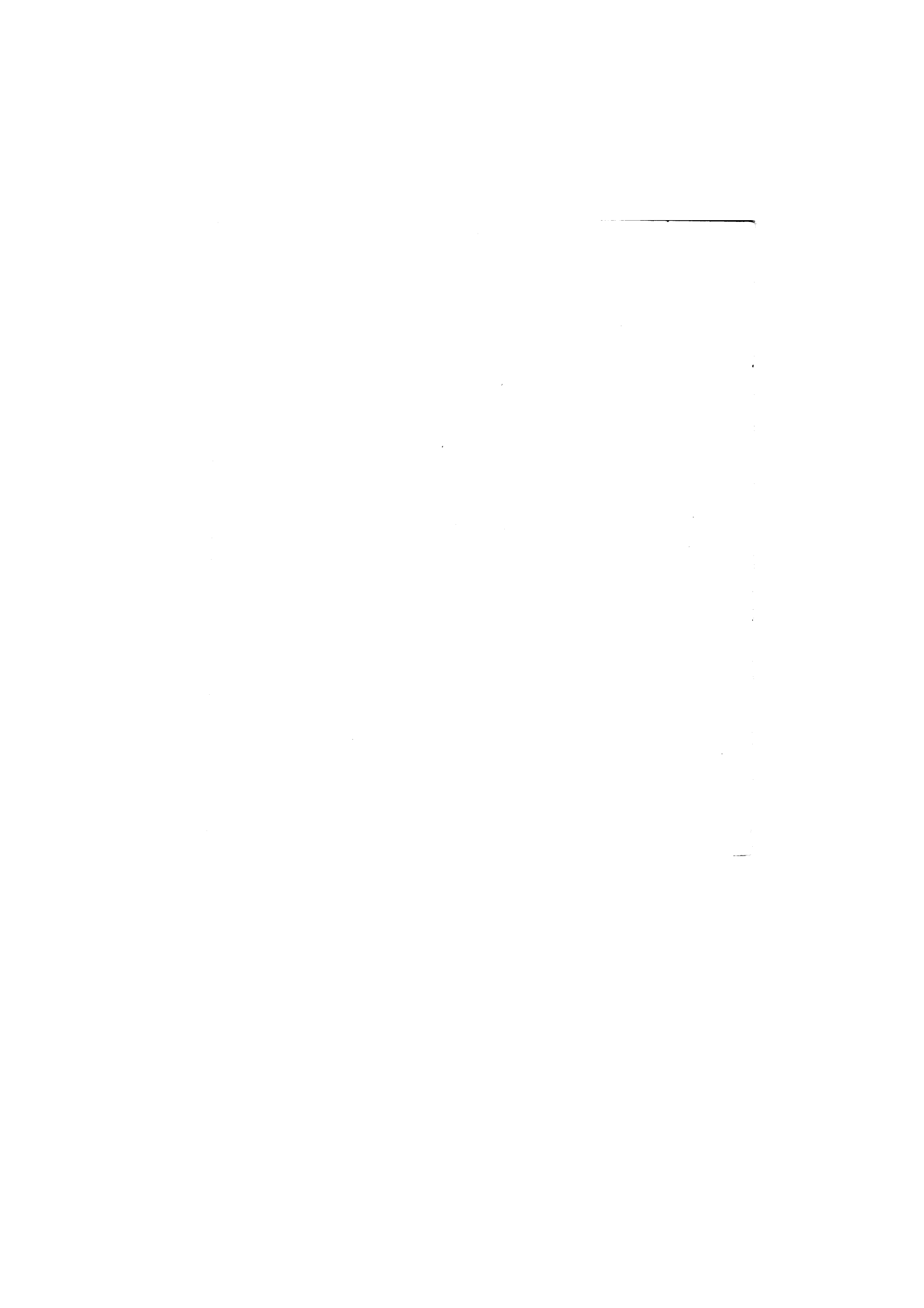
4 - Dr. Abbate Pacha , Le Soudan sous le Règne du Kh. Ismail P. 16 .

5 Abdin Amr. Vol.10 despt. No.305 Deardslez to F sh cairo MaY 3 , 1875.

6 Gessi ; Seven years p.88



تخصيات ماسدي
٣٤٢٤١ حجرات غير قابلة للاحتراق
مقياس الرسم ١ بوصة : ٣٤ قدما
شكل (٢)



نظاميا (١) . وتبع مركز اللادو محطات عسكرية أخرى هي غندكرو والرجاف
وييدن (٢) . (شكل ٤)

محطة الرجاف : أنشأها غردون في سنة ١٨٧٤ ولم يكن متوفرا بها كل
الشروط اللازمة للمحطة العسكرية ، ولكنها أنشئت لموقعها الاستراتيجي (٣)
فقط ووضع بها حامية تتكون من ٨٠ جنديا سودانيا نظاميا (٤) . وتبعث هذه
المحطة المركز الثاني في لادو .

محطة الابراهيمية : (أنودو Affouddo) أول من وضع بها قوة عسكرية
صغيرة السير صمويل بيكر . وكان ذلك في مارس سنة ١٨٧٢ . فلما تولى غردون
حكمدارية خط الاستواء أسس بها محطة عسكرية في سنة ١٨٧٤ بناء على تقرير
قدمه شاييه لونج إلى غردون بهذا الخصوص . ووضعت بها حامية تتكون من
٢٥٠ جنديا سودانيا نظاميا (٥) .

فاتيكو : أنشأها السير صمويل بيكر وتقع في أرض سهلة تكثفها جبال
عديدة تحيط بالمنطقة وتدفع قممها إلى ارتفاع شاهق وتتوفر فيها المياه العذبة

1 - Provinces of the Equator . Summary p.32

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٠

3 - Cessi; Seven Years .. p. 88.

4 - Provinces of the Equator, Summary p. 32

وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص

(٥) المصدران السابقان .

التي تخرج بقوة وبصوت مسموع (١) ، وهي من بلاد (كبريكا واريونجا) وتقع على شاطئ بركة (٢) . وقد وجد بها غردون عند توليته حاكما عاما على مديرية خط الاستواء في سنة ١٨٧٤ ٢٠٠ جنديا سودانيا (٣) . وحين وصل اليها شأيه لونيح في ٦ مايو سنة ١٨٧٤ في طريقه إلى اقليم أوغنده قدمت له حاميتها التحية ، وكانت هيئة ونظام أولئك الجنود على ما ينبغي وبالغين حد السكال (٤) . وفي أواخر عام ١٨٧٤ وصلت حاميتها إلى ٢٥٠ جنديا سودانيا نظاميا و ١٠٠ من الدناقلة (٥) . ثم أصبحت هذه المحطة تابعة لمركز دوفيليه وهو المركز (المديرية) الرابع من مراكز خط الاستواء .

محطة فويرا : أنشأها السير صمويل بيكر في أثناء حكمداريته وهي تبعد عن غندكرو مسافة ٤٠ كيلو مترا تقريبا (٦) ، وعلى مسير ساعتين من مساقط كاروما (٧) . وحال وصول غردون إلى مديرية خط الاستواء وجد بها ٢٠٠ جندي سوداني من الجيش النظامي (٨) . وقد شيدت المحطة على ضفاف نيل

1 provinces of the Equator , Summary p.32

(٢) السودان بين يدي غردون وكنتشر ص ٢٠

3 - provinces of the Equator , Summary p 4

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦١

5 - provinces of Equator. Summary p.33

6 Chaillé - Long : L: Egypte et ses provinces perdues

p.37

7 - provinces of the Equator. Summary p.45

(٨) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٦ .

فمكتوريا الغربية المرتفعة ، ويتولى حمايتها ٦٠ من الدناقلة وقوة نظامية تقرب من ١٥٠ جنديا سودانيا (١) . ومعظم ضباطها وجنودها من خدموا في حرب المكسيك . وقد وضعت الحامية داخل مربع من المتاريس والاستحكامات . وجنودها في غاية النظافة كنظيرتها فاتيكو (٢) . وفي أواخر سنة ١٨٧٤ أصبحت حاميتها تتألف من ١٠٠ من الجنود السودانيين النظاميين و ١٠٠ من الدناقلة (٣) . وتبعث هذه المحطة محطة افودو العسكرية (٤) .

محطة دوفيليه : أمر بإنشائها غردون في سنة ١٨٧٤ وتقع على ضفة بحر الجبل الغربية . وترك بها غردون حامية تحت رئاسة قومندان ومأمور الجهة (٥) ، وتقدر الحامية بمائة جندي من السودانيين النظاميين (٦) . وكان بها ترسانة لتصليح السفن ثم أصبحت المركز الرابع من مراكز (مديريات) خط الاستواء . وأهم النقط التابعة لها . فابو ، وفاتيكو ، ووادلاي . (٧) .

محطة لا بوريه : أنشأها غردون بناء على تقرير من شاييه لونيغ في أواخر سنة ١٨٧٤ على ربوة عالية . وقد رحب أهالي المنطقة بحامية غردون وساعدوا الجنود في

1 - Provinces of the Equator . Summary p.45

2 - Provinces of the Equator . summary p.32

(٣) المصدر السابق

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٠

(٥) السودان بين يدي غردون وكينشاسا ص ١٦

6 - Provinces of the Equator . Summary d.32

(٧) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٥٩

حفر الخندق المحيط بالمعسكر وكذلك في بناء الاستحكامات (١) . وقد تبعت هذه المحطة ، وكذا محطات خورايبو ، وموجى محطة كبرى الواقعة بين محطتى لادو ودوفيليه ، وهى المركز الثالث من مراكز خط الاستواء (٢) .

محطة ماجنجو : أنشأها الجنرال غردون على ضفاف بحيرة البرت وضمت لى الأراضى المصرية فى ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ (٩ أبريل سنة ١٨٧٦) (٣) .

محطة مروى : أنشئت بعد مفاوضات دارت بين غردون والملك امميزه ملك أوغنده أسفرت عن موافقة الأخير على لإنشائها . وقد اعتبرت مروى آخر حدود السلطة المصرية ، وكانت هذه المدينة مركزا للديرية المسماة باسمها ، وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من مواليد السودان (٤) (شكل ٥) .

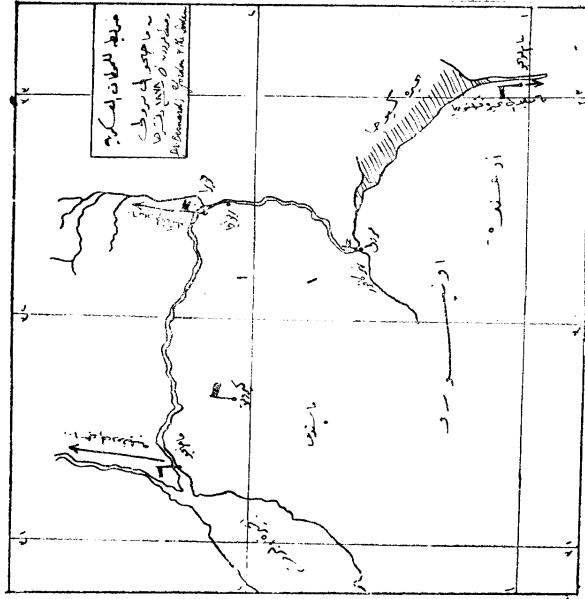
كذلك أنشئت محطات عسكرية أخرى فى فاديك المركز السابع من مراكز خط الاستواء ، وتقع بين لانوكا ، وفويرا وتبعها محطتى لابور وجالى . ومحطة رول (حاضرة المركز الثامن) وتشتمل على الأراضى الواقعة غرب النيل الأبيض لغاية مديرية بحر الغزال . وهو أهم مركز بالمديرية ، وحافل بعدد كبير جدا

(١) السودان بين يدي غردون وكنتشر س ١٤

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء، ج ٢ ص ٥٧

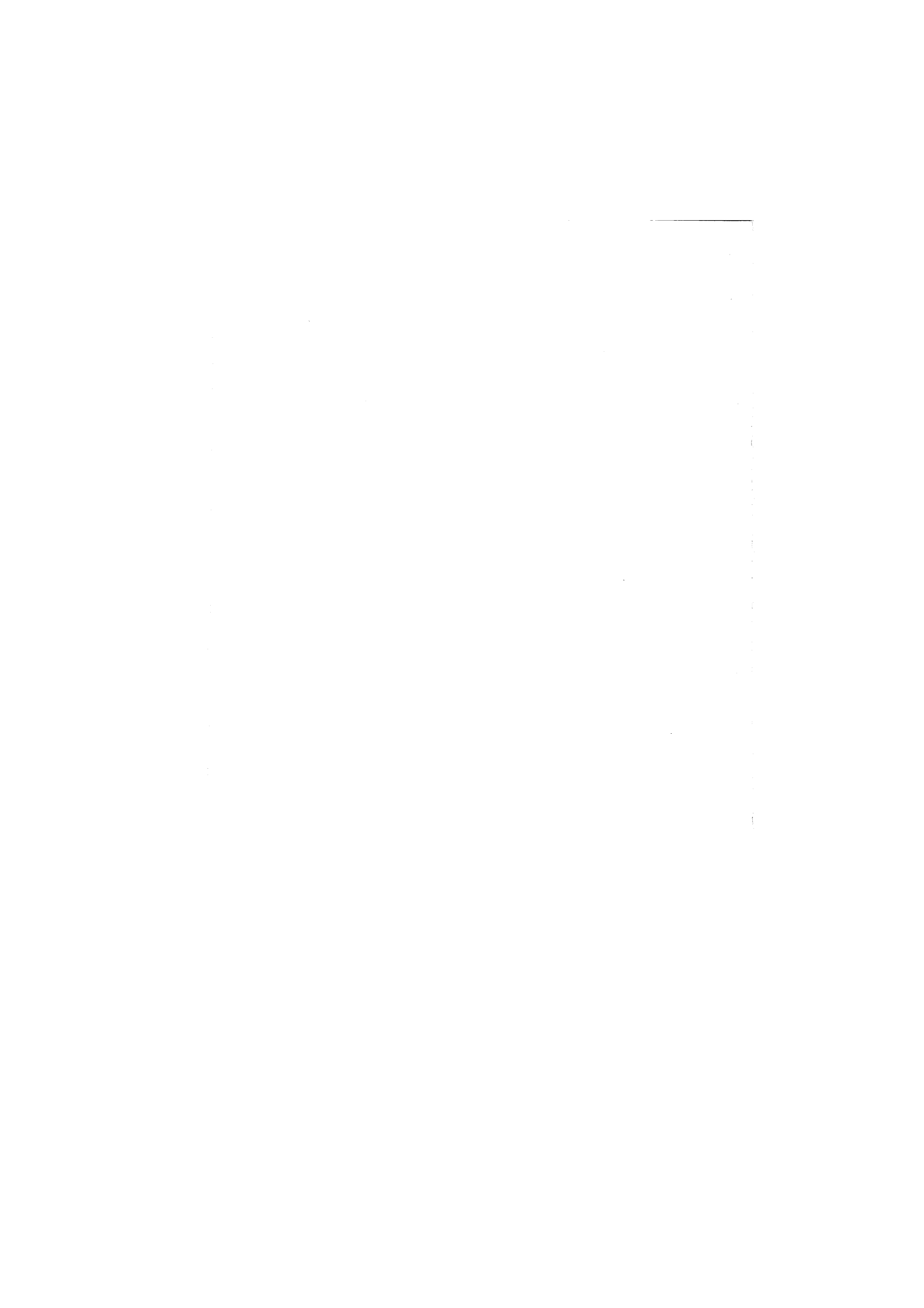
(٣) مجله الجيش ، المجلد الثامن . العدد ٣٨ (يناير ١٩٤٦) مجلة المصرية فى حرب العيشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ للامير عمر طوسون ص ١٤٧ .

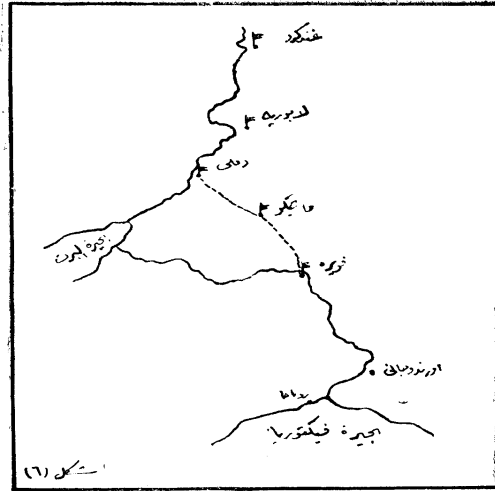
(٤) السودان بين يدي غردون وكنتشر س ٢٦ .



(شكل ٥)

خريطة للمصبات العسكرية من ماجيجو إلى مروك من وضع غردوت سنة ١٨٧٨





نقشه للمطالعات اسکریه به شنگرد و رودها

نقشه کتاب

Provinces of the Equator

By

H. E. Gordon

من السكان (١) . والمحطات العسكرية التابعة له هي : أجاك، وشمبي، ورومبيك وروفي، وصيادين، وليس، وأفارد، والجوك مختار (٢) .

والمركز العاشر ممبسا أو جرجورو وهو آخر مركز من مراكز خط الاستواء وهو يمتد ويتصل ببلاد الكنفو . وأهم المحطات العسكرية التابعة له هي تنجازي، وكوبي، وأونيبيرون، ومبيريا، وجانجا، وريسي، ومسوه (٣) **محطة روباجا** : بناها غردون في سنة ١٧٨٦ . في روباجا عاصمة أوغنده، ووضع بها حامية تبلغ ١٦٠ جنديا تحت قيادة نور (افندي) (٤) محمد، وذلك بناء على رغبة الملك امتيزه ملك أوغنده (٥) . ولكن غردون عند تركه الخدمة في سنة ١٨٧٦ لانتفاء مدة عقده مع الحكومة المصرية و أمر بسحب الحاميات المصرية المقيمة في أونبور وأوغنده . وعلى ذلك أخليت المحطات العسكرية الآتية وهي : فويرا، وكيروتو، ومازندى، ومرولى، وفاكوفيا، واوندوجاني، وروباجا (٦) . ثم عادت إليها حاميتها في عهد حكمدارية أمين (باشا) لمديرية خط الاستواء . (٧) . (شكل ٦)

- (١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٢
- (٢) المصدر السابق
- (٣) المصدر السابق
- (٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٩
- (٥) الإمبراطورية السودانية في القرون ١٩ ص ٦١
- (٦) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٣ ص ٣٨٠
- (٧) المصدر السابق

ومن العرض السابق نلاحظ أن عدد كل حامية كان يختلف عن الأخرى تبعاً لمركز المديرية وعدد سكانها وطبيعتهم . وإلى جانب مدير المديرية توجد الحامية العسكرية اللازمة له . وتتألف هذه الحاميات في مجموعها من ثلاث عناصر هي : (١)

- ١ - جنود نظامية من السودانيين وكانوا يجندون من الأهالي .
- ٢ - الخطرية وهم من العرب المتطوعين وأغلبهم من الدناقلة .
- ٣ - التراجمة وهم من متطوعي الزنوج .

وقد استعان غردون في مقاومته للرق وإنشاء المحطات العسكرية بضباط آخرين أمثال شايبه لونج وجيسى وغيرهم .

فتح دارفور

باستيلاء الجيش المصرى على بحر الغزال وبحر الجبل انتقل بحار الرقيق من هذه الجهات إلى إقليم دارفور حيث كان من الأسواق الهامة لهذه التجارة . فأصبحت دارفور إذاً منطقة تهدد الحكومة في الخرطوم بما تضمه من تجار ، ومن أجل ذلك كان إخضاع دارفور من شأنه أن يساعد على إلغاء تجارة الرقيق الشائنة لإلغاء سريعاً (٢) .

وقد طلب الزبير مدير بحر الغزال من اسماعيل أيوب حاكم دار السودان أن يسمح له بغزو دارفور للقيام بهذه المهمة ، وللإنتقام من ملكها نظراً لما بينهم من عداوة .

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٨

(٢) مصر والسيادة على السودان ص ٣٩ « قلاع الوفائع المصرية العدد ٥٥٨ » .

فندجعت الحكومة الزبير على ذلك وأمدته ببعض الجنود النظامية وأمرته بالرحف على درافور من الجنوب على أن يقود اسماعيل أيوب في نفس الوقت جيشا آخر مكونا من ٣٠٠٠ (١) من الجنود النظامية السودانية والمصرية والباشبوزق والشايقية ، ويزحف على درافور من ناحية الشرق . فتقدم الزبير بسرعة فائقة وهزم جيشا قوامه ٢٠ ألف (٢) مقاتل يقوده الوزير أحمد شتا من قبل ملك دارفور (السلطان ابراهيم) . ثم هزم جيشا آخر تحت قيادة المقدم سعد السنور (٣) كذلك . وباتزام الجيش الأخير أرسل ملك دارفور عمه الامير حسب الله على رأس جيش آخر يقرب من المائة ألف مقاتل بينها كان جيش الزبير لا يتجاوز ١٢ر٠٠٠ (٤) مقاتل . فحاصر جيش العدو الزبير في دارا ولكن الزبير استطاع هزيمته وقتل عدد كبير من رجاله في ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ . وبهزيمة الجيش الثالث جرد السلطان ابراهيم نفسه جيشا كبيرا يقرب من ١٥٠ر٠٠٠ مقاتل (٥) ، بينهم ثلاثون ألف فارس ، وعدد من الرجال المسلحين بالبنادق ، وثمانية مدافع (٦) ، وهاجم أسوار مدينة دارا أربع مرات كان نصيبها الفشل ، وذلك بعد قتال عنيف . تراجع السلطان ابراهيم بعد هذه الهزيمة فلحق به الزبير في بلدة منواشى ، وكان لدى السلطان قوة تقرب من ٣٠ر٠٠٠ مقاتل .

(١) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٣ ص ٧٤

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٢١

(٣) المصدر السابق

4 - Shukry ; The Khedivs Ismail and Slavery .. P. 229

(٥) المصدر السابق . وتاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٥٤

(٦) المصدر السابق ص ٥٤

فهاجمه الزبير وتمكن بعد معركة حامية الوطيس من التغلب عليه وقتله . وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامه لدخول مدينة الفأشر حاضرة دافور في ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٤ .

وفي نفس الوقت كان جيش اسماعيل أيوب يتقدم ببطء من ناحية الشرق . ولكن هذا البطء كان لإستئالة الأهالي وكسب ودهم وتأمينهم وقد حرر في أثناء زحفه أكثر من ١٦٠٠ من العبيد (١) . ويدخل اسماعيل أيوب مدينة الفأشر شرع في بناء حصن منيع على المرتفع الغربي منها . ثم أحاط المدينة بسور مربع بني من الطوب سمكه ٣ أقدام وطول ضلعه ٢٠٠ قدم . وشيد في كل ركن من أركانه الأربعة برجا مسلحا بالمدافع وحفر وراء السور خندقا بلغ عمقه ١٥ قدما وغرس حوله الأشواك . وبني داخل السور دارا للحكومة ومنزلا للحاكم العام وثكنة للعساكر النظامية، وجعل مقر العساكر غير النظامية خارج أسوار المدينة (٢) . وبعد أن استتب الأمر للحكومة المصرية في البلاد قسمت دافور إلى خمس مديريات هي : الفأشر ، وداره ، وكلسكل ، وكبكييه ، وأم شنجه و أقسام في كل من مركزى داره وكلسكل حصنا كالذى أقامه في الفأشر . ورتب في كل مديرية أورطين من العساكر المنظمة وستة سناجق من الباشبوزق والشايقية والأتراك والمغاربة ، وبطارية بستة مدافع . وأما إدارة أم شنجه فرتب فيها بلوكين من العساكر المنظمة وسنجا واحدا من الباشبوزق لقرنها من الأبيض (٣) .

1 - Shukry ; The Khedive Ismail and Slavery p. 230

(٢) تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٥٩

(٣) المصدر السابق

ثم تبع هذا الغزو الحربى غز على قيام به ضباط أركان حرب سنذكره فى الفصل الخاص بحركة الكشوف الجغرافية .

التوسع فى السودان الشرقى

بعد أن قضى الجيش على تجار الرقيق فى مواطنهم الأصلية فى أعلى النيل وفى دارفور وجه إهتمامه إلى الاستيلاء على الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندى مثل تاجوره ، وزيلع ، وبربره وهى التى كان يتخذها تجار الرقيق منافذ لهم لتصدير تجارتهم الشائنة إلى العالم الخارجى (١) . ولقد اقترح الجنرال غردون أثناء حكمدارته لمديرية خط الاستواء على الخديو اسماعيل إرسال ١٥٠ رجلا على ظهر سفينة بخارية إلى ممبسا التى تبعد ٣٥٠ ميلا شمال زنجبار لإقامة نقطة عسكرية- بها . ثم تتقدم صوب أوغنده على أن ينشئ فيما بينهما نقطة عسكرية (٢) ، تستطيع القضاء على تجارة الرقيق وتصل وسط أفريقيا بالعالم الخارجى .

ضمت مصر إلى أملاكها مينائى سواكن ومصوع فى سنة ١٨٦٦ نظير دفع جزية سنوية للباب العالى . وكانت مصوع حوالى سنة ١٨٦٤ أهم سوق لهذه التجارة فى هذا الجزء من القارة الافريقية (٣) . وفى سنة ١٨٧٠ عين الخديو اسماعيل رجلا سويسريا يدعى منزجر munzinger

(١) مصر والسيادة على السودان ص ٣٩

2 - Hist. de la Nation Egyptienne . Le Soudan Egyptien
p. 489 ,

(٣) مصر والسيادة على السودان ص ٤٠

محافظة لمصوع وكان هذا الرجل يشغل وظيفة قنصل فرنسا بهذه المدينة من سنة ١٨٦٢ . فاتخذ منزجرا مصوعا كنقطة إرتكاز للتوسع فيها حولها من الجهات طبقا لرغبات الخديو ، فألحق بها بلاد البوغاسى وبركة ، والقضارف والوديان الشرقية التى نصب فيها مياه بلاد الحماسين (١) .

وقد سعى الخديو اسماعيل لى الباب العالى لنقل ميناء زيلع التسابع للواء الحديدية اليه حتى يستطيع بذلك غلق جميع الموانى الشرقية وفى وجه تجار الرقيق فتنازل له الباب العالى عن زيلع وملحقاتها نظير مبلغ سنوى تدفعه مصر وقدره ٣٦٥١٣ ليرة مصرية (١٥٠٠ جنيتها تركيا) فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ (يوليه ١٨٧٥) (٢) . ثم أرسل الخديو قوة حربية تحت قيادة اللواء البحرى رضوان (باشا) على قرويت الصاعقة إلى ميناء بربرة فاستولى عليه وعين محافظا له (٣) . وقد كتب الضابط وود إلى السير اليوت سفير إنجلترا فى الأستانة فى ٦ أغسطس سنة ١٨٧٥ يقول : إن التنازل عن ميناء زيلع والاستيلاء على بربرة يجعلان ساحل البحر الأحمر الغربى كله فى قبضة مصر (٤) . ووضعت الحكومة المصرية بهذا الميناء مركبا حريبيا طوال فصل الشتاء لتولى حراسته والمحافظة على الأمن فيه (٥) .

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٣

(٣) المصدر السابق

(٤) الدكتور محمد صبرى . مصر فى افريقيا العرقية ص ١٨

(٥) المصدر السابق

فتح هرو :

بعد استيلاء مصر على ميناء زيلع سارت فرقة من الجنود في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٥ تحت قيادة رؤوف (باشا) قاصدة الاستيلاء على هرو ، وكانت مؤلفة من خمس أوط من المشاة ونحو ٢٣٦ من الباشبورق ومدفعين جبليين (١) ، ، ، يرافقتها ضباط أركان حرب تحت رئاسة البيكباشي محمد (افدى) مختار . ولم تلق الحملة مقاومة تذكر إلا حين وصولها لجروجورا على حدود النولى (٢) حيث قامت قبائل الجالا فقتطعت عليها الطريق . واسكن رؤوف (باشا) لاستطاع التغلب عليهم ودخول بلدة هرو حاضرة إمارة هرو في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ (١٤ رمضان سنة ١٢٩٢) . وبلغ عدد سكان البلدة ٣٠.٠٠٠ نسمة ، ودخل طاعة الحكومة ٦٢ قبيلة يقدر عددها بنحو مليون ونصف مليون نسمة (٣) . وقد فسر قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتذاك المستر بيردزلى استيلاء مصر على هرو بأنه تحرش من جانبها بالحباشة (٤) .

ولاستقرار الأحوال في تلك البلاد مهد رؤوف (باشا) الطريق الذي يصل مصر إلى صالبحا للعربات ، وأنشأ عليه محطات عسكرية مزودة

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٢٣

(٢) مصر في أفريقيا العرقية ص ٦١

(٣) الوقائع المصرية العدد ٦٣١ في يوم الأحد ١٦ شوال ١٢٩٢ الموافق ٢٤ نوفمبر

سنة ١٨٧٥

4 - American Doc . Vol.11 , despt . 378 Beardsley to Fish Cairo Nov 26 , 1875

بالماء (١) . ونتيجة لإنشاء تلك المحطة أن نشطت حركة التجارة ، وأغلقت هذه المناطق في وجه تجار الرقيق .

التوسع في أفريقيا الشرقية

بوقوع هرر وموانى تاجوره ، وزيلع ، وبربره في أيدي القوات المصرية ، اتجه تجار الرقيق إلى تصريف تجارتهم عن طريق نهر جوبا وميناء قسايبو (٢) . ولهذا وجد الخديو اسماعيل أن من الواجب للقضاء على هذه التجارة الاستيلاء على تلك الجهات . وفي نفس الوقت فتح منطقة البحيرات للتجارة المشروعة . وكلف الخديو اسماعيل ميكلوب (باشا) القيام بهذه المهمة بمعاونة شاييه لونج الذى غادر ميناء السويس في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٥ ع. إلى رأس قوة مكونة من أورطه تمثل الأسلحة الثلاثة (٣) . وقد تكتم الخديو أمر الحملة حتى أن شاييه لونج نفسه لم يكن يعلم بغرضها إلا بعد أن قطع مسافة ٥٠٠ ميلا جنوب ميناء السويس حيث رفض الخطاب الذى تسلمه من مندوب الخديو ، وذلك بناء على تعليمات الخديو نفسه . ووصل شاييه لونج إلى بربره وسلم ميكلوب (باشا) تعليمات الخديو في ٢٥ سبتمبر ١٨٧٥ . وفى ٣٠ منه زودت الحملة ببلوكين من الجنود وبعض المدافع ، وأبحرت فى اتجاه رأس جورداوى فى ٤ أكتوبر (٤) .

(١) الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر ص ٤٥

(٢) اسماعيل بناسية هرور ٥٥ عاما على وفاته . مجلة الدكتور محمد فؤاد شكرى

« صنعة من تاريخ مكانة الرق ... » ص ١٢٠

3 - Chaillé - Long : L' Egypte et ses provinces perdues
P. 112 .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦

ثم تسلق بعض رجال الحملة قمة المرتفع المطل على الرأس ، ورفعوا فوقه العلم المصرى لإعلاننا بوضع تلك الجهات تحت سلطة الحكومة المصرية (١) . واحتلت الحامية فى طريقها بلدة برافا Brava دون مقاومة فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٧٥ ، وكان يقوم على حمايتها حصن به بعض الجنود التابعين لسلطان زنجبار . ثم حاولت الحملة بعد ذلك التوغل فى مصب نهر جوبا ، ولكن الرياح حالت بينهم وبين هذا الهدف فارتدوا إلى الجنوب حيث توجد قسمايو ، وهذه البلدة تقع على بعد ١٥ ميلا ، وأرضها رملية ، وميناءها تكثر به الصخور ، وسكانها يبلغون نحو ١٥٠٠ رجل بالإضافة إلى الحامية المكونة من ٤٠٠ جندي تابعين للسلطان سعيد برغش . وكانوا يحتلون قلعة بها خمسة مدافع قديمة من عيار ١٢ بوصة (٢) وكان سكان قسمايو وقتئذ من ذوى السمعة السيئة فهم يتألفون من حشالة سكان البحر من تجار الرقيق . ولهذا كانت قسمايو مركزا مهما لهذه التجارة فى شرق افريقيا (٣) . ونزل رجال الحامية إلى البر ، واستولوا على البلدة دون إراقة دماء ، وكان بحظيرة حامية البلد وقتئذ ٤٠٠ من الأرقاء معدين للتصدير فأطلق ميكلوب سراحهم (٤) . ثم أزل علم زنجبار ، ورفع العلم المصرى فى إحتفال مهيب .

ونقل ميكلوب مقر قيادته إلى نهر جوبا على بعد ١٦ ميلا من قسمايو حيث

1 - Chaille - Long L'Egypte et ses Provincs p. 117

(٢) المصدر السابق ص ١١٩-١٢٠

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق ص ١٢٢

أنشأ معسكرا بنى من الخشب المستخرج من شجر الدوم . وقد أرسلت اليه الحكومة المصرية مددا حربييا تحت قيادة فردريجو (باشا) فبلغت قوة الحامية ١٣٠٠ رجلا (١) . وكانت الحملة في انتظار تعليمات الخديو للتقدم في نهر جوبا والوصول إلى منطقة البحيرات . وفي نفس الوقت لم يقدم غردون أية معونة حربية أو مادية لهذه الحملة التي وضعت تحت إشرافه . ويعزو شايبه لوتنج هــذا الاغضاء من جانب غردون إلى احتفال وصول تعليمات اليه من قبل بريطانيا بهذا الخصرص (٢) . ثم تقدب ميكلوب ١٥٠ ميلا في نهر جوبا قام في خلالها الضابط حسن واصف برسم خريطة لهذا النهر (٣) . ويوصل الحملة إلى هــذا الحد وردت اليها رسالة من الخديو اسماعيل إلى قائد الحملة بالانسحاب حيث يقول : إنسحب بقواتك وارجع إلى مصر (٤) ، دون أن يذكر الاسباب وكان ذلك بطبيعة الحال راجع إلى تدخل الحكومة الانجليزية . فأنسجت الحامية من جوبا في ٥ يناير سنة ١٨٧٦ (٥) . وهــكذا أخفقت الحملة في تحقيق أغراضها رغم الجهود التي بذلتها الحومة المصرية ، ولم تـل مصر من ورائها سوى تدخل بريطانيا وعدواة الحبشة .

(١) المصدر السابق ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

3 - Abdatè ; Le Soudan sous le Règne du Khedive Ismail
p. 18 .

4 - Chaillé - Long ; L'Egypte et ses provinces p. 150

5 - " " " " " " 151

غردون ومقاومة الرق :

سعت الحكومة الانجليزية لدى الخديو اسماعيل لتحقيق هدفين يكفلان لها السيطرة على شئون مصر : الهدف الاول تعيين غردون حاكما عاما للسودان رغم لارادة اسماعيل لاذ أن ضغط السياسة الانجليزية والتماس الخديو النجدة منها في محنته المالية ، كل ذلك مال به الى التساهل والتسليم (١) . فأصدر الخديو أمره في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٧ بتعيين غردون (باشا) حاكما عاما لعموم الافاليم السودانية . بالاضافة الى دارفور ، وخط الاستواء ، وسواحل البحر الاحمر ، وهرر مع منحه حق الحكم بالقتل والعفو ، ومنع تجارة الرقيق ، وتحديد التخوم بين مصر والحيشة (٢) .

أما الهدف الثاني فقد انتهزت إنجلترا فرصة انشغال الدولة العثمانية في حربها مع روسيا وعقدت مع مصر معاهدة في ٤ أغسطس سنة (٣) ١٨٧٧ بشأن تعاون إنجلترا مع الحكومة المصرية في إلغاء الرق . وتتضمن المعاهدة سبعة بنود تنص على إلغاء تجارة الرقيق . وألحق بها ذيل يوضح الطرق التي تتبع في مدن القطر المصري لعتق ما بها من أرقاء . وتبع ذلك إصدار ديكر يتو (٤) من قبل الخديو اسماعيل يشتمل على أربعة بنود : ينص البند الاول على إلغاء الرق نهائيا في جميع القطر المصري في مدة نهايتها سبعة أعوام ، وبملاحقات مصر في مدة اثني عشر سنة

(١) تاريخ الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٦٢

(٢) الوقائع المصرية . العدد ٦٩٨ في ١٢ صفر سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٥ فبراير

سنة ١٨٧٧

(٣) تفوؤم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٤٨٦ وما بعدها

(٤) المصدر السابق ص ١٤٨٧

من تاريخ المعاهدة وفي المواد الأخرى نص على العقوبة التي توقع على كل من من يخالف هذا الأمر .

ويذكر اسماعيل سرهناك هذه المعاهدة بقوله « ولم يكن الخديو اسماعيل مصيبا في إرتباطه مع إنجلترا في معاهدة لإلغاء الرق في مدة معينة ومحدودة لأن ذلك من المستحيل إيقافه نهائيا في ذلك الوقت (١) » . وقد أجبرت هذه المعاهدة الحكومة المصرية على إتخاذ إجراءات متطرفة وبعيدة عن الحكمة حتى تتمكن من تنفيذ نصوصها (٢) . هذا فضلا عن أنها احتوت نصوصا تمكن الانجليز من الاقتيات على سيادة مصر ومصالحها . إذ أباحت لهم الرقابة على السفن الحاملة للراية المصرية وتفقيشها بحجة تعاطيها تجارة الرقيق (٣) . وأخيرا وليس آخرا فقد تكلف تنفيذ المعاهدة أموالا طائلة وأوقعت الحكومة « في مشاكل كانت في غنى عنها . هذا بصرف النظر عما فيها من المحاسن بإبطال هذا الاسترقاق المنافي لأصول الشرع الشريف (٤) » .

اعتراف إنجلترا بسيادة مصر على سواحل الصومال

في نفس الوقت الذي كانت تقوم فيه الحكومة الانجليزية بمشاوراتها بشأن عقد معاهدة لإلغاء الرق كانت تدور مفاوضات بينها وبين مصر بخصوص إعتراف

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٧

(٢) مصر والسيادة على السودان ص ٥٣

(٣) الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٣٦

(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٦

انجلترا بسيادة مصر على سواحل الصومال حتى رأس حافون ، لإتحت بتوقيع معاهدة في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ ، وتشتمل على ستة بنود أهمها (١) :

١ - أن يكون لبريطانيا مركز ممتاز في سواحل الصومال ، وألا تعطى الحكومة الخديوية أية احتكار لآى دولة أجنبية أخرى ، وكذلك تحديد الرسوم الجمركية .

٢ - أن يتعهد الخديو عن نفسه وعن ذريته بألا يعطى قطعة أرض لدولة أجنبية .

٣ - أن يكون لبريطانيا حق تعيين مأمورى قنصليات فى جميع سواحل الصومال وأن يكون لهم مركز ممتاز .

٤ - أن يقوم الخديو بمنع تجارة الرقيق فى تلك البلاد وتقوم بمساعدته السفن الانجليزية .

٥ - تنفذ هذه الشروط بعد أن يتعهد السلطان بعدم إعطاء أية دولة قطعة من سواحل الصومال .

وقد أفادت إنجلترا من هذه المعاهدة فائدة كبرى ، إذ اشترطت فى نظير الاعتراف بسيادة مصر على تلك البقاع أن تجعل مصر موانئ زيلع ، وبلهار وبربره ، موانئ حرة . وكان هذا الشرط - كما قال غردون - شرطا مجحفا بمصر ، إذ خسرت الحكومة المصرية الضرائب التى كانت تؤخذ على ١٠٠٠٠ رأس بقر و ٦٠٠٠٠ رأس من الغنم كانت تصدر كل عام عن طريق الموانئ

المذكورة (١) . هذا فضلا عن ٧٠.٠٠٠ جنيتها أنفقت على إنشاء منارة وحوض للسفن وبعض المنشآت العامة ، و ٤٠.٠٠٠ جنيتها مصريا لإقامة القوات البحرية وإنشاء سفن بالميناء . في نفس الوقت الذي كان لا يتعد دخل الحكومة منها ١٧٠ جنيتها في السنة (٢) .

كذلك قيدت المعاهدة من حركة التوسع والفتح بإفريقيا ، إذ اعتبر رأس حافون نهاية حدود ممتلكات مصر الجنوبية .

وكان للسياسة التي سار عليها غردون في تنفيذ نصوص هاتين المعاهدتين ، والتشدد في إبطال الرق بالقوة ، أن اشتغلت الثورات والفتن في أنحاء السودان فشغلت معظم مدته التي استمرت ما يزيد قليلا عن عامين . وأهم ما قام به في تلك الفترة هو إخماد ثورة الأمير هارون الرشيد في دارفور ، وحركة صياحي في كردفان ، وسليمان بن الزبير في بحر الغزال ومنع تجارة الرقيق ، والنظر في مد السكك الحديدية ، وإصلاح البين بين الحبشة ومصر (٣) .

ثورة الأمير هارون الرشيد

وصل غردون إلى الخرطوم بعد تعيينه حاكما عاما للسودان فوجد نيران الفتنة مشتعلة بدارفور تحت قيادة رجل يدعى محمد هارون من قبيلة فيلاتا (٤) . وكان سبب قيام الثورة تضيق الحكومة على تجار الرقيق ، وكثرة الضرائب التي

1 - Sabry ; L'Empire Egyptienne sous Ismail p. 406

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ السودان القديم والحديث ص ٩٣ - ١٠٤

(٤) حقائق الاخبار ج ٣ ص ٣٣٣

فرضت على الأهالي والاجراءات التعسفية التي اتبعها عساكر الباشا شوبزق في جبايتها . وكان حسن (باشا) حلى مديرا على دارفور في ذلك الوقت ، فعزله غردون وعين بدله ميسيداليا الإيطالي ، وعهد اليه بإخماد ثورة هارون الرشيد . فاستعان هذا بسلاطين (بك) مدير داره ، ونور (بك) عنقره مدير كلكل على محاربه (١) فقضى ثلاثتهم على هارون بمهاجمتهم لإياه بالتتابع . وتم قتله على يدى مدير كلكل في مارس سنة ١٨٧٨ (٢) . وبذلك انتهت الثورة .

ثورة صباحى بكردفان

كان صباحى هذا أحد قواد جيش الزبير ثم انفصل عنه بعد سفره إلى مصر . فلما حجز الزبير بمصر جمع هذا الرجل تحت إمرته ٤٠٠ رجلا وهاجم الأضوية بكردفان (٣) . فأرسل اليه غردون وهو في طريقه إلى دارفور في مارس سنة ١٨٧٩ قوة من الجنود استطاعت القبض عليه وحوكم أمام محكمة عسكرية قضت بإعدامه .

ثورة سليمان بن الزبير

بعد رحيل الزبير إلى مصر أقام ابنه سليمان بشكا ومعه جيش قوامه ٤٠٠٠ رجل ، وعزم على مناوأة الحكومة لمنعها لإياه من الرجوع إلى السودان . فطلبه غردون للشول بين يديه هو وجيشه فلبى سليمان الدعوة . فنصحه غردون بالإمتثال لأوامر الحكومة وعدم الخروج عليها . وفي نفس الوقت عزم غردون

(١) المصدر الحيات س ٣٣٤

(٢) تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ج ٢ س ٦٢

(٣) المصدر السابق

على تمزيق جيش سليمان وتشتيته ، فاتصل باثنين من كبار قواده هما : سعيد حسين ونور عنقره ، فأعطى الأول ألف جندي وعينه مديرا على شكا وكذلك فعل بنور عنقره وأرسله إلى كيبكييه . ثم أمر سليمان بالرجوع إلى شكا بعدد قليل من الجنود (١) . ومع ذلك فقد استمر سليمان على طاعته للحكومة فعينه غردون مديرا على بحر الغزال ، فوجد بها ادريس أبتى الذى عينه الزبير وكيلا له قبل سفره إلى القاهرة قد أدخل بإدارة البلاد فعزم على محاكته (٢) . ففر ادريس إلى الخرطوم « ووشى بسليمان وقومه (٣) » ، فصدق غردون الوشاية وعينه مديرا لبحر الغزال بدلا من سليمان ، وأرسله على رأس قوة مكونة من ٢٠٠ جندي نظامى ومدفعين إلى ديم قنده ، حيث طلب من سليمان ومن أصحاب الزرائب الدخول فى طاعته . فجرد سليمان جيشا ، وهجم على ادريس فى خور غطاس ففر تاركا ما لديه من ذخائر وأسلحة (٤) . فأمر غردون الضابط الإيطالى جيسى بالذهاب على رأس قوة حربية لإخضاع سليمان . فسارت الحملة بطريق النهر ، وانضم اليه أحد تجار الرقيق ويدعى على ابو عامورى ، فأصبحت قوة جيسى تبلغ ١٤٠٠ جندي . ثم زادت هذه القوة إلى ٣٥٠٠٠ مقاتل (٥)

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٦

(٢) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٦٤

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٧

4 - Gessi ; Seven Years in the Sudan P. 191

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠

(٥) المصدر السابق ص ٢٥٥

فلما علم سليمان بمقدمه ، جمع ما يقرب من ١١٠ مقاتل ، منهم ٥٠٠٠ مقاتل من رجال سليمان ، والستة آلاف من انضموا اليه بعد ثورته من رجال الزرائب (١) . وقد حمل سليمان على جيشي عدة حملات لم تأت بنتيجة ما . وأخيرا اضطر إلى الإنسحاب وبصحته ألف مقاتل (٢) . وفي تلك الاثناء علم الزبير نبأ الثورة التي قام بها ابنه فارسل اليه خطابا يأمره بضرورة الرجوع إلى طاعة الحكومة . فلما وصله هذا الخطاب قبل أن يسلم نفسه لجيشي كما طلب منه (٣) . ونظرا لوجود عدد كبير من الدناقلة في جيشي - وكان هؤلاء يكرهون سليمان - فوشوا به فأمر جيشي بقتله هو ومن معه من أقاربه . وبذلك تنتهي هذه الثورة التي ذهب ضحيتها العدد الكبير من الانفس .

وفي أواخر حكم غردون أخذت يضيق الادارة المصرية التي كان وسع نطاقها في المرة الأولى ، فترك بلاد هرر وتخلي عن إقليم اورنيورو ، وترك محطات اورندو جاني ، وأم رولي ، ومانسدي ، وكورته ، وفاويره (٤) . . فتتج عن هذه السياسة عودة تجار الرقيق مرة أخرى إلى هذه البلاد التي تخلت عنها الحكومة المصرية . وذهبت بذلك كل الجهود التي بذلها الجيش المصري في القضاء على هذه التجارة الشائنة ادراج الرياح . ولم تكن مصر من وراء كفاحها إلا شنخط

(١) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٦

(٣) تاريخ مصر في عهد التتديو اسماعيل ج ٢ ص ٩٧

(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٥

الأهالى وغبهم نتيجة للسياسة الصارمة التي سار عليها غردون تنفيذاً لمعاهدة إلغاء الرق .

وترك غردون السودان فى سنة ١٨٧٩ وهو على وشك الانفجار ولا يحتاج إلا لليد التي تتقدم وتشعل الثقاب . وقد وجدت هذه اليد فى شخص المهدى ، فاشتعلت نيران الثورة فى السودان ، وضاعت جميع الجهود التي بذلت فى سنيل تأمين السودانين وذلك للسياسة الخرقاء التي سارت عليها الحكومة المصرية بإعزاز من إنجلترا لإلغاء تجارة الرقيق .

الفصل الرابع عشر

الجيش وحركة الكشوف الجغرافية



حركة الكشف الجغرافية بالسودان

كان ميدان الكشف الجغرافي هو أبرز الميادين التي أظهرت نشاط هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وقد أشرف على حركة الكشف هذه القسم الثالث من أقسام الهيئة السبعة (قسم الجغرافيا والاستحكامات) . وليس معنى ذلك أن أقسام الهيئة الستة الأخرى لم تؤد واجبها في ميادينها الخاصة ، ولكن نظرا لأن اختصاص هذه الأقسام الستة كان يمس أمور الجيش الجوهري في الصميم ، ولما كانت سياسة الجيش ترى إلى الفصل بين هؤلاء وبين التدخل الفعلى في شئون الجيش ، فذلك لم تتمكن من المضى في طريقها ، ولم تستطع القيام بما اعترمت تنفيذه من إصلاحات ، فاشتركت هي الأخرى في حركة الكشف الجغرافي .

ولما كانت هذه الحركة - في حقيقة الأمر - توجيه لنشاط الهيئة خارج نطاق الناحية العسكرية ، لهد لم تجد الهيئة صدى ما في القيام بها على أحسن وجه . خصوصا وأن الحركة قد لقيت تعصيذا كبيرا من قبل الخديو اسماعيل . وفيما يلي بيان بالرحلات العسكرية الكشفية في شيء من الإيجاز :

رحلتا الكولونيل بيردى

الرحلة الأولى

أوفدت هيئة أركان حرب الأميرالاي (العميد) بيردى في سنة ١٨٧٣ ليجوب الصحراء الشرقية بين القاهرة والسويس شمالا وقنسا والقصر جنوبا . وكانت البعثة تحت رئاسة الكولونيل (العميد) بيردى ، ويعاونه نفر من ضباط أركان حرب المصريين . والغرض من إرسالها مسح أراضي هذا الجزء من القطر

المصرى والتحقق من إمكان مد خط حديدي بين بربر على النيل وبرنيس على البحر الأحمر (١). وكذلك قامت بجمع المعلومات الوافية عن هذه المنطقة من الناحية الجغرافية والجيولوجية ، وبيان ما بها من ثروة معدنية ، وتحديد المناجم والمحاجر الموجودة بها . وفي نفس الوقت كانت هناك بعثة أخرى تحت إشراف الأميرالاي كولستون تقوم بأعمال الكشف والتنقيب في المنطقة الصحراوية الواقعة بين قنا وميناء برنيس . وقد تقابلت البعثتان في هذا الميناء ، وتعاوتتا معا في كشف المنطقة بين برنيس وبربر (٢) . وقد أمضت بعثة بيردي عاما في هذه المهمة وضعت في خلاله تقارير عديدة عن مشاهداتها ، وأوضحت أن العقبة الوحيدة في مد الخط الحديدي بين بربر وبرنيس هي عدم وجود الماء في هذه المنطقة .

الرحلة الثانية

كانت وجبة هذه الرحلة لإقليم دار فور وتكونت من (٣) :

الأميرالاي (العميد) بيردي رئيسا والقائمقام (العقيد) ماسون ، واليوزباشي (التيق) محمود صبرى (٤) والملازمان الأول محمود سامى وسعيد

1 - Crabités : Américains in the Egyptian Army P.60

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

(٣) تقويم النيل المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٩٥ . والوقائع المصرية العدد ٥٨٥ في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٤] .

(٤) محظلة ١٠ [أوامر جهادية] وثيقة تركية رقم ٨ من الجناب العالي إلى ناظر الجهادية في ٢٨ محرم سنة ١٢٨٨ . ومحظلة ١٠ [أوامر جهادية] وثيقة تركية رقم ١٩٠ من

نصر (١) . والملازمان الثانيان أحمد فوزى (٢) وخليل حلمى وأحمد أطباء العسكرية ويدعى محمد أمين ، واثنان عشر من أنفاسار وضباط وصفوف وأركان حرب لأعمال المساحة ، وأربعة من ضباط الصفوف ، وثلاثة وستون من أنفاسر العساكر الصناع .

الفرض من البعثة : وكان الغرض من هذه البعثة العلمية ، إصلاح ماقى الطريق من الآبار وحفر غيرها للإستحصال على مايكفى أهل قوافل دارفور من المياه العذبة مع كمال الراحة (٣) .

خط سير البعثة : قامت البعثة فى ١٠ ديسمبر (٤) سنة ١٨٧٤ من مصر متجهة إلى وادى حلفا ، ثم على الابل إلى (وادى الواميد) ، ثم إلى واحات السالمية

=الجناب المالى إلى ناظر الجهادية فى ١٤ محرم سنة ١٢٩٠ . ويذكر الأستاذ مصطفى عامر بك باسم محمد صبرى فى مقالة « مساهمة المصريين فى الكشف . . » بكتاب اساعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما . . س ١٨٧ رغم ماذكرته الوثيقان العالقتان باسم محمود صبرى .

(١) ذكره الأستاذ مصطفى عامر (بك) باسم سميد نصر فى المصدر السابق س ١٨٧ وهذا هو الاسم الصحيح . وقد ذكر خطأ فى عدد الوقائع المصرية رقم ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٤] .

(٢) ذكره الأستاذ مصطفى عامر (بك) فى المصدر السابق أيضا باسم أحمد فوزى . ولكنه

ذكر فى عدد الوقائع السالف باسم أحمد رزى .

(٣) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٤] .

4 - Col. R E. Colston ; Report on Northern and Central Kordofan submitted to Gen. C Stone chief of the Gén. Staff (Printing office of the General Staff) 1878

ومنها إلى دارفور من طريق القوافل (١) . وقد قسم الأميرالاي (العميد) بيردى العمل بين مرؤسيه من ضباط أركان حرب المصريين ، فحدد لكل مجموعة منهم منطقة لكشفها ووضع تقرير عنها . فكلف مشلا اليوزباشى (التقيب) محمود صبرى بكشف حدود دارفور الشمالية ، فقام بمهمته خير قيام ، وكتب تقريرا عن (٢) أحوال أهلها ومايزاولونه من صناعات ، وبين أنواع المعادن والاحجار وطبيعة الاقليم بصفة عامة . وكان على كل ضابط من المكلفين بالكشف أن يقدم تقريرا عن أعماله أولا بأول إلى رئيس البعثة بيردى الذى يقوم بدوره بجمعها وكتابة ملخص عنها وإرساله إلى الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب .

وقد نشرت البعثة تقريرا هاما يتضمن أبحاثها ودراساتها لتلك المنطقة ، ورسمت خريطة قيمة لدارفور تعتبر « أول خريطة صحيحة لتلك البلاد (٣) » ، وقام بهذه الاعمال الضباط المصريون محمود صبرى، ومحمد سامى، وسعيد نصر، وخلييل حلى وغيرهم . وفى سنة ١٨٧٦ نشر اليوزباشى (التقيب) صبرى تقريرا عن الجهات الشمالية الغربية لدارفور ، ونشر الملازمان سعيد نصر وأحمد فوزى خريطة لبلدة الفاشر .

(١) المصدر السابق

(٢) الوقائع المصرية العدد ٦٤٥ فى ٢٥ محرم سنة ١٢٩٣ [٢٠ فبراير ١٨٧٦]

وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٩٥ .

(٣) اسماعيل بناتسية مرزر ٥٠ عاما على وفاته « مقالة الأستاذ مصطفى عامر (بك) عن

مساعدة المصريين فى الكشف عن مجاهل افريقيا » ص ١٨٦ .

رحلتنا الأميرالاي (العميد) كولستون

الرحلة الاولى

قام بها الأميرالاي (العميد) كولستون في ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٣ بناء على أمر الجنرال استون . وكانت مهمتها القيام بأبحاث جيولوجية في المنطقة الواقعة بين قنا على النيل وبرنيس على البحر الأحمر . ومن البحر الأحمر إلى بربر على النيل . وقد استغرقت هذه البعثة سبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً (١) . وقد وضع الأميرالاي (العميد) كولستون عدة تقارير عن هذه المنطقة ضمنها أبحاثه ومشاهداته .

الرحلة الثانية

قامت هذه البعثة في ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ ، وصدرت الأوامر إليها بأن تصحب البعثة الأولى (بعثة بيردي الثانية) حتى وادي (الواميد) حيث تبعد بعثة بيردي عن النيل في اتجاه واحات السالمية . وتواصل بعثة كولستون سيرها ركوبا في النيل في لى (الديه) ومنها إلى دارفور . وتتكون البعثة من (٢) :
الأميرالاي (العميد) كولستون من ضباط هيئة أركان حرب رئيسا، ويعاونه

(1) Colston : Report on Northern & Central Kordofan .
Letter from Gen. Stone to Col. Colston in 3 Dec.
1874. P. XII .

وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٤٨ .
(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٨٠ في ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٣]
وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٩٠

القائمقام (المقيد) ريد والصاغقول أغاسي (رائد) أحمد حمدي ، ويوسف حلي ،
ويوسف حلي ، وعامر (عمر) رشدي (١) ، وخايل فوزي ، ومحمد ماهر ، وأحد
أطباء العسكرية ويدعى محمد فريد والدكتور بفوند Pfund أحد مدرسي علم
النبات والتاريخ الطبيعي ، واثنان عشر من أنفار وضباط صفوف أركان حرب .

الفرغى من البعثة : هو كشف إقليم كردفان والبحث عن أقصر الطرق بينه
وبين النيل ، مع حفر الآبار اللازمة لها . وكذلك رسم الخرائط اللازمة
للإقليم مع بيان طبيعته من ناحية الثروة المعدنية والزراعية والحيوانية وأحوال
سكانه . وقد قسم الجنرال استون أعمال البعثة الى ثلاثة أقسام (٢) :

القسم الأول كشف الطريق الممتد من الدبة إلى الأبيض (عاصمة كردفان)
كشفاً دقيقاً مع رسم خريطة للطريق أثناء السفر . وكذلك اصلاح الآبار
ومنايع المياه تسهيلاً للقوافل ، وعمل د مقايسة لطرق عربات تركب من
(دبه) الى (عبيد) ذهاباً وإياباً (٣) ، ، مع رسم خريطة للمنطقة
وما يجاورها .

(١) يذكره الأستاذ العياد باسم [عمر رشدي] في كتاب اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠
عاماً على وفاته مقالة « ما أفادته الجغرافيا في عهد اسماعيل من ١٩٥٠ . ولكنه ذكر في
المصدرين السابقين باسم عامر وشدي .

(2) Colston : Report on Northern & Central Kordofan .
Letter ' from General Stone to Col. Colston in 3 Dec 1874
P. XII .

(٣) المصدر السابق . والوقائع المصرية العدد ٥٨٥ في ٤ ذى القعدة ١٢٩١ [١٣
ديسمبر ١٨٧٤] . وتقوم النيل المجلد الثالث ج ٣ من ١٢٩٥ .

القسم الثاني - تعاونت البعثتان - بعثة بيردى وبعثة كولستون - فى اتمامه ، فكان عليها كشف المنطقة بين عبيد ودارفور مع تحرير التقرير الكاشف عن منبع ثرواتها ومزاج اقليمها وهوائها وحال اهلها وغير ذلك (١) ، ثم تفترق البعثتان بعد ذلك على أن يلتقىا فى فاشودة حيث يقومان بكتابة التقارير ، وعمل الخرائط اللازمة وارسالها إلى رئيس هيئة أركان حرب بالقاهرة (٢) .

القسم الثالث عبارة عن كشف المرتفعات الغربية التى تربط بحيرة البرت فى الغرب بجنوب خط الاستواء . وكلفت البعثتان القيام به متضامتين ، فتتولى إحداهما كشف الممالك فى غرب الجبال الشاهقة التى على الغرب من تلك السواحل وملككة (نيام نيام) (٣) ، . وقد اصطحبت البعثة معها آلات للمساحة والرصد والمعادن والطلومبات (٤) .

ولم يستطيع الاميرالاي(العميد) كولستون من اتمام رحلته نظرا لمرضه فاضطر إلى تركها لزميله القائمقام ريد ، ولكنه لم يستمر فى الرئاسة لمرضه كذلك ، فتنازل عنها لزميله البسكباشى بروات (Prout) فى ٥ يونيه سنة ١٨٧٥ ، وكان يشغل القسم الثالث من أقسام هيئة أركان حرب وقتئذ : وزودت البعثة بقوة عسكرية

(١) المصادر السابقة

(٢) المصادر السابقة

(٣) تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ س ١١٩٥

(٤) المصدر السابق

(٥) حقائق الأخبار ج ٢ س ٢٣٨

وأمكن الجنرال استون شدد بضرورة إستعمالها للدفاع فقط لا للهجوم (١). وقد
اختص الدكتور بفوند بدراسة المنطقة من الناحية الجيولوجية والمناخية
والتبوغرافية وكذلك من ناحية الثروة الطبيعية والصناعية والانتاجية (٢).

وقد وضع الأميرالاي (العميد) كولستون تقريرا ضمنه نتيجة أبحاثه وتولت
هيئة أركان حرب الجيش المصرى طبعه وإخراجه تحت عنوان .

Report on Northern & Central Kordofan

وتناول التقرير المظهر العام لكردفان من حيث تركيبها الجيولوجى - طبيعة
الأرض - الزراعة والتجارة - الطرق وأهميتها للإقليم - التجارة وأهم المتاجر
الموجودة به - الأمطار والآبار ومستودعات المياه - رسم قطاع أرضى للطريق
بين الدبه والأبيض . وقد وضع هذا التقرير الصاغ (الرائد) حمدى وزملاؤه
الذين صحبوه فى تلك الرحلة أمشال محمد ماهر ، وخلييل فوزى ، ورشدى ،
ويوسف حلى . كما ساهموا أيضا فى رسم الخرائط التى وضعت لهذا الإقليم (٣).

وقد استغرقت الرحلة مدة ثلاث سنوات فرسمت خريطة كردفان
بالتفصيل ، وخريطة جبل مرة بدارفور والطرق الموصلة إليها ، وخريطة لجها

(1) Colston : Report on Northern & Central Kordofan
P. 47 .

(٢) المصدر السابق

(٣) أسباعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مجلة الأستاذ مصطفى عامر (بك)
مساهمة المصريين . ١٨٦ .

مسكركة ونيام نيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء (١) . .

بعثة القائمقام شاييه لونيغ الى أوغنده من ٢٤ فبراير ١٨٧٤ - ١٦ أكتوبر ١٨٧٤
اختار غردون القائمقام (عقيد) شاييه لونيغ واسمه في الاوراق الرسمية شارلز
س. لونيغ Charles C.Long ليكون ضابطاً لاركان حربه عندما عين مأموراً
لمديريات خط الاستواء في ٢ المحرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنة ١٨٧٤) . وقد
أمره الخديو اسماعيل بالذهاب فور تعيينه إلى ملك أوغنده لعقد محالفة عسكرية
معه ، لانه علم بأن الحكومة الانجليزية في صدد إرسال شخص يدعى استانلي لرفع
العلم الإنجليزي على أوغنده (٢) .

الغرض من البعثة : كان الغرض الاساسى من هذه البعثة هو ضم أوغنده إلى
مصر بطريق المحالفة ، فهى إذا مهمة وسياسة أكثر منها عسكرية (٣) . . وإلى
جانب ذلك كلف القائمقام لونيغ بارتياذ هذه المنطقة وكشف مجالها .

خط السير : غادر القائمقام (العقيد) شاييه لونيغ القاهرة في ٢١ فبراير سنة
١٨٧٤ وبصحبته الملازم أول حسن واصف (هندي) ، ضابط أركان حرب ،

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٨

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١١٦ .

Chaillé - Long ; My life in Four Continents p.67

" - " : L'Egypte et Ses Provinces Perdues P. 12

Grabités : Americans in the Egyptian Army P.93 ;

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٥٧ .

وياور الامير الالى (عميد) غردون وأبحر المركب من ميناء السويس إلى سواكن فوصلها في ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٤ ، ومنها إلى الخرطوم في ١٣ مارس بطريق القوافل . وقد رافقه (١) غردون إلى غندكرو حيث زوده بالتعليقات والمؤن اللازمة . ولكي لا تثير البعثة شكوك ملك أوغنده رؤى أن يصحب القائم مقام (العقيد) لونج جنديين سودانيين فقط هما : سعيد بقارة ، وعبد الرحمن الغوراوى ببناء على تزكية (٢) رؤوف بك (قومندان عساكر مديريةية خط الاستواء) وقتذاك . وألحق بهم ابراهيم (افندى) بصفة مترجم ، وفراش يدعى كلرمان Kellrman من بلاد الالزاس ، وطاهى يدعى آدم . ثم ضم لونج إلى البعثة شخصا آخر يدعى سليم لإمامه بلغة أهل أوغنده (٣) .

واصطحب القائم مقام (العقيد) لونج معه هدية للملك امتيزه ملك أوغنده ردا على هديته التي أرسلها للخديو اساعيل ، وتتكون من أقنعة قطنية ، وعقود ، وأساور ومراة كبيرة مذهبة ، وصندوق بداخله آلة موسيقية ، وأنواع من الخرز وبعض الهدايا الأخرى (٤) . وقد رافق لونج في ذهابه من غندكرو إلى

(١) المصدر السابق ص ١٢٧

2 - Crabités ; Americans in the Egyptian Army P.L03

(٣) الوقائع المصرية العدد رقم ٥٩٢ في غرة المحرم سنة ١٢٩٢ [٧ فبراير ١٨٧٥] ،

وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٠٤

وتاريخ مديريةية خط الاستواء ج ١ ص ١٥٧ .

4 - Crabités ; Americans in the Egyptian Army p.103

(والأمير) عمر طوسون . تاريخ مديريةية خط الاستواء ج ١ ص ١٦٦ .

فاتيكو قوة من الجنود مؤلفة من ٦٠ جنديا . وفي يوم ٦ مايو سنة ١٨٧٤ بلغت البعثة فاتيكو (المحطة العسكرية المصرية) ومنها إلى محطة فويرا العسكرية . وفي ٢١ يونيو قابل لونج ملك أوغندا وأبلغه تحيات خديو مصر ، ثم قدم له الهدايا التي استحضرها معه . وبعد أن مكث لونج في ضيافة الملك ما يقرب من ثلاثة أسابيع نجح خلالها في إبرام معاهدة معه أقر فيها الملك بوضع مملكته تحت حماية مصر . وهذه المعاهدة التي أبلغت لسمر الخديو واتخذت أساسا لصدور تبليغ رسمي قررت بموجبه مصر ضم جميع الأراضي الواقعة حول بحيرة فكتوريا والبرت نيازا قد اختفت من دار المحفوظات بالقاهرة (١) . . وقد أبلغ القائمقام (العميد) لونج الخديو اسماعيل بهذه المعاهدة في تقرير رقبته اليه في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ (٢) . ومهما يكن من أمر هذه المعاهدة فكان من نتيجتها أن وضعت الحكومة المصرية قوة عسكرية قوامها ١٦٠ جنديا في عاصمة مملكة رواجيا ، ثم زيد هذا العدد بعد ذلك تسعين جنديا لتعزيزها .

وفي ١٤ يولييه سنة ١٨٧٤ أتجه شاييه لونج صوب البحيرة فبلغها بعد مسيرة ثلاث ساعات (٣) . ثم أبحر فوق سطح بحيرة فكتوريا ورجع بطريق النهر من أوردوجاني إلى فويره . وقد هاجمه عند مرولي نحو أربع مائة مقاتل من ناحية

1 Chaillé - Long ; L: Egypte et Ses Provinces Perdues
P.25 .

(٢) المصدران السابقان . ويضيف (الأمير) عمر طوسون إلى ذلك بأنه قد بحث في أرشيف عابدين ودار المحفوظات وفي غيرها فلم يعثر على أثره لهذه المعاهدة ولا على التقرير الذي رفع للخديو في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ .

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٧١ .

كرازي ، فدافع هو ومساعداه عن أنفسهم دفاعا مجيدا . من وقت الظهر الى غروب ، الشمس ، وقتلوا اثنين وثمانين نفرا والباقون ولوا هاربين (١) . ثم واصل السير الى غندكرو في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٤ . وقد رفع القائم مقام (العقيد) لونيغ عدة تقارير عن رحلته هذه وأوضح فيها النتائج التي أمكنه الحصول عليها . ولهذا الرحلة جانبان : جانب سياسي . والآخر علمي جغرافي ، وقد نجحت في كليهما نجاحا باهرا . فن الناحية السياسية تمكنت مصر من عقد تحالف مع ملك أرغنده ، بمقتضاها استطاعت بسط حمايتها على تلك البلاد ووضع حامية عسكرية لها في روباغا (عاصمة أرغنده) . أما من الناحية العلمية أو الجغرافية فسيما يلي بيان بنتائجها (٢) :

- ١ - استنتج القائم مقام بأن بحيرة فسكتوريا قليلة العرض جدا وتتكون من عدة برك لا تعرف مساحتها .
- ٢ - تمكن من إثبات صلاحية النهر للملاحة بين أروندوجاني وفويره .
- ٣ - الكشف عن بحيرة ابرهيم وتقع على مقربة من درجة ٣٠° شمال خط الاستواء ودرجة ٣٠° و ٢٠° طولية شرق جرينتش .

(١) اوقائع المصرية العدد ٥٨٢ في ١٣ شوال سنة ١٢٩١ [٢٢ نوفمبر ١٨٧٤] .
وتقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١١٩١ .
(٢) اوقائع المصرية العدد ٥٩٢ في غرة المحرم ١٢٩٢ [١٨٧٥] .
وتقويم النيل المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٠٧ .

٤ . أقام اندليل على أن نهرسومرست تنصب فيه مياها نهر آخر خارج من تلك البحيرة .

وبناء على ما أحرزه القائمقام (العقيد) لونغ من نجاح أنعم عليه الخديو برتبة الأميرالاي (عميد) مع تقليده التيشان المجيدى من الدرجة الثالثة (١) .

معمة ميتشل Mitchell

قامت هذه البعثة بعد قيام بعثتى كولستون وبيردى فى ٥ ديسمبر ١٨٧٤ بأيام قلائل ، وكانت تتكون من المستر Mitchell وهو مهندس مختص بأعمال التعدين والمناجم ، وكان يعمل فى جيش أمريكا الشمالى لإبان الحرب الأهلية سنة ٦١ - ١٨٦٥ . وقد التحق بالجيش المصرى كمهندس مدنى، ولكنه كان يتقاضى مرتب قائم مقام (عقيد) (٢) ، واثنين من ضباط أركان حرب ، وبعض ضباط الصف والانتفا (٣) . وقد رافقه فى البعثة المسيو امليانو Emiliano الايطالى (٤) ويذكره سرهنگ باسم امليانى Emilianiani (٥) .

1 - Publications of the Egyptian Staff . Province of the Equator. Summary of Letters & Reports of His Excellency The Governor, Cairo Printing Office of the General Staff 1877 P.28

وتاريخ مديرية خط الأستواء ج ١ ص ١٤٨

2 - Dye ; Moslem Egypt P. 500 .

(٣) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ . وتقوم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١١٩٥

4 - Edwine de Leon ; Khedivé's Egypt p. 431

(٥) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٢٩

الغرض منها : كان الغرض من هذه البعثة ، استكشاف أصول الطبقات الأرضية والمعدنية بالمملكة التي بين نهر النيل والبحر الأحمر وبلاد النوبة وشرقي السودان إلى الجهات القريبة من نهر الصوبات (١) .

وبعد أن قامت البعثة بأعمال الكشف والتنقيب في المنطقة بين قنا والقصر ، توجهت إلى ميناء زيلع (٢) . ثم عادت إلى مصوع لكتابة تقرير عن طبيعة الجهات الشرقية من الحبشة لتقديمه إلى قيادة الجيش المصرى ، لتسليح القوات المصرية الإسترشاد به في زحفها على الحبشة (٣) .

بعثة اقليم هرر

قام بكشف اقليم هرر في سنة ١٨٧٥ البكباشى (المقدم) محمد مختار الذى كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب (٤) محمد رؤوف (باشا) قائد حملة هرر . فبعد أن استتب الأمر لمصر في هذا الإقليم أخذ البكباشى (المقدم) محمد مختار (وقد منح لقب باشا فيما بعد) يجوب الإقليم لجمع المعلومات الصحيحة عنه ، فرسم له بعض الخرائط الجغرافية . وكان لهذه الخرائط أهمية كبرى وقتذاك ، لأن الدول الأوربية في ذلك الوقت لم تكن تعلم شيئاً عن هذا الإقليم سوى اسمه فقط . ثم كتب تقريراً مفصلاً بنتائج كشوفه اشتمل على

-
- (١) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٤] وتكوين النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١١٩٥
- (٢) الوقائع المصرية العدد ٦٢٧ فى ١١ رمضان سنة ١٢٩٢ [١٠ أكتوبر ١٨٧٥] وتكوين النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٧٦ .
- 3 - Crabités , Americans in the Egyptian Army P 201
- (٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٣٩

وصف لمدينة هرر ومساحتها وعدد سكانها وأهم أنواع المتاجر بها (١) .

بعثة الجاديبورسي

يقع إقليم الجاديبورسي جنوب غرب ميناء زيلسح ، وكان هذا الإقليم مجبولا أيضا للعالم الغربي حينئذ ، فقام محمد مختار بالكشف عنه بمرافقة الملازم محمود خير الله . وقد وضع محمد مختار تقريرا هاما عن رحلته هذه ضمنه مشاهداته ، فوصف الإقليم من الناحية الجغرافية . ومن ناحية الغلات ، وما يمارسه الأهالي من ضروب الحرف ، مع إبداء ملاحظاته الخاصة عنها (٢) .

بعثة الاميرالاي (الدهيد) جريفز Graves

كان من نتيجة إمتداد النفوذ المصري على الساحل الغربي للبحر الاحمر واجتيازه لباب المنذب أن أقدم الخديو اسماعيل على التقدم صوب الجنوب في محاذات الساحل الصومالي . وكان الغرض من ذلك هو البحث عن أصلح الأماكن لإقامة فنار إهداية السفن الآتية من المحيط الهندي أو الخارجة إليه ، فأمر القائمقام جريفز في سنة (٣) ١٨٧٨ بارتداد الشاطئ الصومالي لإختيار المكان المناسب لذلك ، ورافقه في هذه المهمة القائمقام محمد مختار . وبعد معاينة

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . « مقالة الأستاذ اصياد » « ما افادته

الجنرافيا . . . » ص ١٩٦

(٢) المصدر السابق

(٣) وهو أميرالاي من ولاية جورجيا . بأمريكا تخرج من أكاديمية آنابوليس البحرية Annapolis Naval Academy واشترك في الحرب الأهلية الأمريكية وخدم في جيش القوات المتحالفة .

الساحل استقر الرأى على بناء (الفتنار) على بعد ثمانية أميال جنوبي رأس جوردفوى Gaurdafui على أن يكون ارتفاعه ١٨٥ قدما عن مستوى سطح البحر (١) . وقد رسم محمد مختار خريطة لهذا الاقليم، لإلا أن بناء (الفتنار) لم يبدأ فيه لعزل الخديو اسماعيل عن ولاية مصر في يونيه سنة ١٨٧٩ .

كذلك قام الضابط الإيطالى روهولو جيسى Romolo Gessi بالكشف عن بحيرة البرت نيازا في ٧٥ - ١٨٧٦ بأمر من غردون الحاكم العام لمديريات خط الاستواء، وبإشراف من هيئة أركان حرب الجيش المصرى (٢) . وقام غيره بكشوف أخرى سنذكرها بعد قليل.

وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٦ رفع الجنرال استون لى الخديو اسماعيل تقرير اضافيا (٣) عن أعمال الكشف التى قام بها ضباط أركان حرب الجيش من مصريين وأجانب على السواء . ونظرا لما لهذا التقرير من أهمية رأينا نشره زيادة فى الايضاح :

نظارة الجهادية

مكتب رئيس هيئة أركان حرب

مصر فى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٦

1 - Grabités ; Americans in the Egyptian Army P.234
(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦٩ و المصدر السابق ص ٢١٤
3 - Åbdin. Corrs. Fran. Doss. No. 72/1 Ministère de la Guerre. Bureau du Chef d'Etat-Majer A Son A]tesses le Khedive. Le Gaire en 15 Ovtobre 1876 .

فيا يلي ملخص لحركة الكشوف الجغرافية والعلمية التي قام بها ضباط أركان حرب في خلال السنوات الثلاث من ١٨٧٤ - ١٨٧٦ :

١ - الكشف الدقيق للنيل الأبيض من غندكرو إلى بحيرة ألبرت ، وقام به غردون بمساعدة واطسون Watson وشينيدال chippendal وجيسى Gessi .

٢ - كشف النيل الأبيض من الخرطوم إلى غندكرو وكشفا دقيقا يفوق كل ماتم من قبل ، مع تحديد خمسة مواقع تحديدا فلكيا . وقام به وطن وشينيدال تحت إشراف الاميرالاي (العميد) غردون .

٣ - في ديسمبر سنة ١٨٧٤ قام كل من وطن وشينيدال ببعث الأرصاد الجوية في الرجاف بالقرب من غندكرو بأمر من الاميرالاي (العميد) غردون .

٤ - الكشف عن بحيرة ألبرت سنة ١٨٧٦ ، وقام به جيسى Gessi تحت إشراف غردون .

٥ - إنشاء خط ملاحه تجارى في بحيرة ألبرت قوامه بعض المراكب البخارية تحت إشراف غردون .

٦ - تحقيق مجرى النيل بين بحيرة فيكتوريا ومرولى Mrolli وكشف بحيرة ابراهيم . قام به القائمقام (العقيد) لونج بأمر من الاميرالاي (العميد) غردون .

٧ - تحقيق مجرى النيل بين شلالات كاراما وبحيرة ألبرت قام به لينان ، وجيسى ، وبياديجيا Piadiggia تحت إشراف الاميرالاي (العميد) غردون .

- ٨ - كشف الفرع الذى يخرج من النيل بالقرب من بحيرة ألبرت فى الاتجاه الشمالى الغربى ، قام به جيسى تحت إشراف غردون .
- ٩ - كشف الفرع الذى يخرج من بحيرة ابراهيم فى اتجاه شمالى ، وقام به بياديجيا تحت إشراف غردون كذلك.
- ١٠ - تحقيق لجرى النيل بين فويره ومرولى قام به غردون نفسه .
- ١١ - كشف المنطقة بين النيل الابيض بالقرب من غندكرو وبلاد الميكراكا ونيام نيام قام به الاميرالاي (العמיד) لونج بمساعدة مارنو Marno تحت إشراف غردون .
- ١٢ - كشف الطريق بين الديبه و ماطول ، وبين الديبه وأريبال ، وعمل خريطة له قام به الاميرالاي (العמיד) كولستن بمساعدة خمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب ، ووضع تقريرا عن المنطقة الشمالية لإقليم كردفان.
- ١٣ - كشف عام لاقليم كردفان إلى خط عرض ١٢ شمالا مع رسم خريطة له قام به البيكباشى (المقدم) بروت Prout بمساعدة خمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب ، وبلغ مجموع ما كشف من طرق ٦٠٠٠ كيلو مترا ، وبلغ ماحدد من المواقع تحديدا فلكيا ١٧ موقعا .
- ١٤ - كشف أنواع النباتات المختلفة - مع تكوين مجموعة كبيرة منها - بمديرىات كردفان ، قام به الدكتور Pfund تحت إشراف كولستن ، والبيكباشى (المقدم) بروت Prout .
- ١٥ - الكشف عن أنواع النباتات مع تكوين مجموعة منها أيضا ، وذلك

بالمنطقة الوسطى لإقليم دارفور . قام به الدكتور Pfund تحت إشراف
الأميرالاي (العميد) بيردى .

١٦ - كشف الطريق بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور . قام به
الأميرالاي (العميد) بيردى بمساعدة القائمقام (العميد) ماسون Mason
وخمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب .

١٧ - كشف عام لإقليم دارفور ومنطقة دار فريت إلى حفرات النحاس
وشكا في الجنوب وجبل ميدوب في الشمال وحدود وادايء في الغرب ،
مع رسم خريطة لهذا الإقليم ، وكتابة تقرير عن المنطقة قام به الأميرالاي
(العميد) بيردى بمساعدة القائمقام (العميد) ماسون والبكباشي (المقدم)
بروات وتسعة ضباط مصريين آخرين من هيئة أركان حرب . وبلغ
مجموع الطرق التي تم كشفها ٦٥٠٠ كيلو مترا ، والأماكن التي تم تحديدها
٢٢ موقعا تحديدا فلكيا .

١٨ - القيام بكشوف جيولوجية ومدنية في المنطقة بين الرودية وقنا على
النيل والبحر الاحمر بالقرب من القصير ، مع عمل خريطة جيولوجية
ورسم قطاع لها ، وكتابة تقرير عنها قام به المسر ميتشل Mitchell بمساعدة
ضباط مصرى من أركان حرب ، واميليانو Emiliano مع مجموعة ضخمة
من النماذج .

١٩ - القيام بكشوف طبوغرافية وجيولوجية للمنطقة التي تقع إلى الجنوب
الغربي لميناء زيلع بالقرب من ناجور ، قام به المسر ميتشل Mitchell

بمساعدة ضابط أركان حرب واميليانو ، ورسم خريطة للمنطقة وتكوين مجموعة من النماذج الجيولوجية .

٢٠ - كشف المنطقة بين زيلع وهرر ورسم خريطة لها ، وكذلك رسم خريطة لمدينة هرر وما يجاورها من البلدان . قام به البكباشى (المقدم) مختار من هيئة أركان حرب بمساعدة الصاغ (الرائد) فوزى من هيئة أركان حرب المحققين بحملة رؤوف (باشا) .

٢١ - كشف المنطقة بين ساحل البحر الأحمر بالقرب من مصوع وهضبة الحبشة كشافا طبوغرافيا ، مع رسم خريطة لها . قام به البكباشى (المقدمون) دليو Duliu ، ودينيسون Dennison ، ودى أوهولى Duiholy ، واليوزباشى (القيب) ايرجنس Irgens وضابط آخر من المصريين من هيئة أركان حرب .

٢٢ - كشف المنطقة بين مصوع وهضبة الحبشة كشافا جيولوجيا مع تكوين مجموعة من النماذج ، قام به المستر ميتشل Mitchell بمساعدة اميليانو .

٢٣ - كشف ومسح المنطقة بين بربر وجبل دوبار مع عمل خريطة لها قام به اليوزباشى نظمى ، وبعض ضباط آخرين من هيئة أركان حرب .

٢٤ - كشف مينائى قسايرو ودمفوردد Dumford على ساحل المحيط الهندى ، وعمل خريطة لها مع بيان عمق المياه بها ، قام به

الأمير الالى (العميد) وارد Ward بمساعدة اليوزباشى (القيب) صدقى وضباط آخرون من هيئة أركان حرب .

٢٥ - كشف الطريق الصحراوى بين أسيوط وعين الأجية قام به (البكباشى) (المقدم) Duiholy بمساعدة ضباط مصرى من هيئة أركان حرب .

٢٦ - كشف المنطقة بين تاجور وأوسه ، قام به الملازم محمد عزت تحت إشراف منزجر (باشا) .

٢٧ - تسجيلات بارومترية قام بعملها ضباط مديريات خط الاستواء وكردفان ودارفور وضباط البعث الكشفية المختلفة .

أرفع لسموكم هذا التقرير مع فائق لإحترامى

الامضاء

استون

رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى

الدور الذى لعبه الضباط المصريون في حركة الكشوف الجغرافية

يستطيع الدارس لحركة الكشوف الجغرافية في عصر الخديو اسماعيل أن يلاحظ أهمية الدور الذى لعبه الضباط المصريون فيها ، فممع أن أغلب البعث الكشفية كان يرأسها ضباط غير مصريين إلا أن العبه الأكبر كان يقع على عاتق هؤلاء الضباط المصريين . وكان لرؤساء البعث فضل المعاونة والتوجيه الصحيح ، فامتدت الحركة من شمال الوادى الى جنوبه حتى جنوب خط الاستواء .

شمال الوادى : فنى شمال الوادى قام الضباط المصريون تحت إشراف بيردى بسمح الصحراء الشرقية بين القاهرة والسويس شمالا ، وجنوبا بين قنا والقصير. واشتركوا مع الأميرالاي(العميد) كولستن فى كشف الطريق بين قنا ورأس بناس على البحر الاحمر . وقام الضباط المصرى عبد الفتاح حلمى معح المستر ميتشل الجيولوجى بالكشف عن مناجم الذهب فى شمال شرق قنا وسواحل البحر الأحمر .

شرق الوادى (شرق افريقيا) : قامت بعثة فى سنة ١٨٧٥ تحت إشراف ميتشل والضابط عبد الفتاح حلمى للبحث فى الصحراء الشرقية عن مناجم الذهب بين النيل والبحر الاحمر : ثم مرت بثغور البحر الاحمر وخليج عدن وزيلع ومصوع وشرق الحبشة .

وفى لإقليم هرر قام محمد مختار (باشا) بارتباد مجاهله ووضع تقرير مفصل تناول فيه جغرافيته ، وسكانه ، وتجارته ، ودرجات الحرارة اليومية المختلفة (١) . وقد قام محمد مختار وعبد الله فوزى برسم خريطة للمنطقة الواقعة بين خليج عدن وبلاد الحبشة نشرت سنة ١٨٧٦ بمجلة أركان حرب الجيش المصرى ، ، وهى أول خريطة صحيحة لحكندارية هرر وما جاورها (٢) . كما رسم هندان الضابطان خريطة تخطيطية لمدينة هرر طبعت سنة ١٨٧٧ . والخريطة موضح

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الاستاذ الصياد عن « ما أفادته الجغرافية فى عهد اسماعيل » ص ١٩٦ .
(٢) المصدر السابق

بها حدود المدينة وطرقها وبساتينها . واشتهر غير هؤلاء من ضباط أركان حرب بأعمالهم في هذه المنطقة ، أمثال رؤوف ، ومهدى ، وعبد الرزاق نظمي .

كذلك قام القائم مقام محمد مختار في سنة ١٨٧٧ بإرتياد إقليم الجاديورسي ، ويمتد إلى الجنوب الغربي من زيلع ومعه الملازم محمود خير الله . وقد وضع محمد مختار تقريراً هاماً عن سكان هذه المنطقة وطرقها وموارد المياه بها ...

قام الأميراي (العميد) جريفز Graves في سنة ١٨٧٨ بإرفاقه القائم مقام محمد مختار لإرتياد شواطئ الصومال على المحيط الهندي لتفقدته ، وإختيار أحسن المواقع لإقامة منار لهداية السفن . وقد حدد محمد مختار موقع المنار على بعد ثمانية أميال جنوبى رأس جوردفوى . ثم رسم خريطة مفصلة لرأس جوردفوى بمقياس ١ : ٤٠٠٠٠٠ . وتمتاز بدقتها وتفصيلها (١) وقد عمل في هذه المنطقة غير هؤلاء صديق وحسن واصف .

غرب الوادي : قام ضباط أركان حرب الجيش المصرى بأعمال جلية في إقليمى دارفور وكردفان ، فلمعت أسماء محمود صبرى ، ومحمد سامى ، وسعيد نصر وخلييل حلمى ، ومحمد ماهر ، وخلييل فوزى ، وعامر رشدى ، ويوسف حلمى . وقد رسمت خرائط عديدة لهاتين المنطقتين ، فتقام بروت والملازمان ماهر وفوزى برسم خريطة لمديرية كردفان بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠ ورسم الميجر بروت والملازم محمود ماهر خريطة للطريق من سواكن إلى بربر بمقياس ١ : ٨٠٠٠٠٠٠ . كذلك رسم الضابط خليل فوزى ، وعمر رشدى ، ويوسف حلمى خريطة لمدينة الأبيض بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وفاته «مقالة الاستاذ الصياد (ما أفادته الجغرافيا ص ١٩٨»

كما وضع الميجر (مقدم) بروت خريطة لتوزيع الغابات بمديرية كردفان وخريطة لمنطقة جبل مره بمقياس ١ : ١٠٠.٠٠٠ ووضع الضابط صبرى خريطة لشمال دارفور (١) .

جنوب الوادي : قام اليوزباشى (التيب) أركان حرب مصطفى (افندى) صدق برسم خريطة للطريق الذى سلكه الأمير الالى (العميد) شايبه لونيح فيما بين غندكرو وأوغنده ، ذلك فى شهر مارس سنة ١٨٧٥ (٢) . وفى هذه الخريطة تبدر بحيرة ابراهيم وبحيرة البرت اللتين كان لمصر فخر الكشف عنها وعن وحل لغز ، نيل فيسكتوريا بهاتين البحيرتين (٣) .

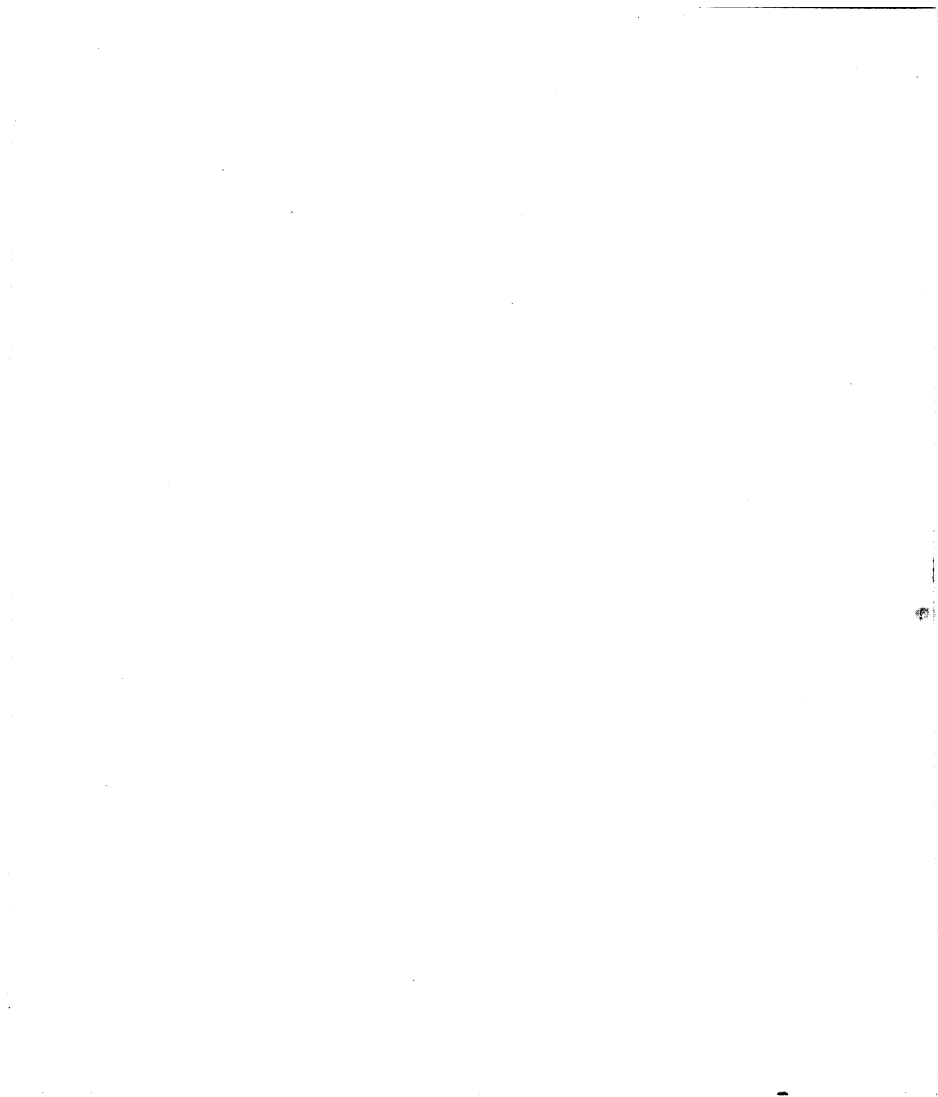
وقد وضع ضباط أركان حرب أيضا خريطة عامة لمصر والسودان فى عهد الحديو اسماعيل من سنة ١٨٦٨ - ١٨٧٨ مقياس ١ : ٨٠٠.٠٠٠ (٤) (وقد وجه اليها الدكتور محمد صبرى عدة إنتقادات بالملحق الخاصة بكتابة الامبراطورية المصرية فى القرن التاسع عشر ،) . كما وضع ضباط أركان حرب سنة ١٨٧٧ خريطة مفصلة لافريقيا لشارك فى وضعها الأمير الالى (العميد) لوكت Lockett ، والقائمقام (العقيد) محمد مختار ، والصاغ (الرائد) عبد الله فوزى ، وعبد الرازق نظمى ، والضابط محمد صبرى ، وإبراهيم حلمى ، ومحمد جودت ، ومحمد خير الله ، ويوسف ضيا (باشا) ، وعلى حيدر (باشا) ، وأحمد رشيد ، وتعتبر الخريطة أدق خريطة عرفت حتى ذلك الحين (٥) .

1 - Publications of the Epyptian Gen. Staff ; Major Prout . P.

- (٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ آخر الكتاب
(٣) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وافته . مقال مصطفى عامر (بك) ص ١٦٨
(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ نهاية الكتاب
(٥) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقال الاستاذ الصياد ص ١٩٩ .

الفصل الخامس عشر

الأزمة المالية وأثرها في الجيش



الأزمة المالية وأثرها في الجيش

كان لسياسة التبذير والإسراف التي سار عليها اسماعيل ، وما بذله من أموال للحصول على الفرمانات المتتالية أثره على الناحية المالية ، وبالتالي في حالة الجيش المصرى في تلك الفترة . فحالة المالية السيئة اضطرت الحكومة إلى تأخير صرف مرتبات الجيش والموظفين ، فساد النذمر جميع الطبقات ، وانزعج الباب العالى لما وصلت اليه الأزمة المالية بمصر ، وخشى على البلاد من عواقب التدخل الأجنبي فأصدر فرمان سنة ١٨٦٩ الذى حرم على الخديو الاستدانة من الدول الأجنبية إلا بعد موافقته . فاضطر الخديو إلى التصرف فى أملاكه الخاصة فرهنا للحصول على المال اللازم له . ولكن هذه الأموال لم تكن كافية لسد العجز ، فلجأ إلى الاقتراض بعد ذلك مرات . غير أن هذه القروض لم تقم بحاجته الملحة إلى المال فقرر فى سنة ١٨٧١ لإصدار قانون المقابلة ، وهو ينص على أن كل من يدفع من الأهالى للحكومة ضرائب ستة أعوام يعفى بعد ذلك من نصف الضريبة المطلوبة بصفة دائمة . ولكن هذه الضريبة أيضا رغم ما سببته لمصر من خسائر لم تؤد الغرض المطلوب . فاضطر الخديو فى سنة ١٨٧٥ إلى بيع أسهم مصر فى قناة السويس بشمن بخس ويعتبر بيع تلك الأسهم د أكبر نصر أحرزه دزرائيلى ، وأعظم غلظة سياسية ومالية ارتكبها الخديو (١) ، إذ كانت سبباً فى خراب مصر المالى وإضماها من الناحيتين السياسية والعسكرية . وتبع ذلك تدخل الدول الدائمة فى الشؤون المالية ، فوفدت إلى مصر فى

سنة ١٨٧٥ بعثة كيف Cave لفحص مالية البلاد بنساء على طلب الخديو . ثم أنشئ في سنة ١٨٧٦ صندوق لضمان تسديد الديون المصرية . ثم شكلت في ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ «لجنة التحقيق» لفحص مالية البلاد وتقديم مآثره من مقترحات . وكان أهمها اقتراح يرى إلى تخفيض عدد الجيش المصرى لتخفيف العبء عن الميزانية . واقتراح بإنشاء وزارة مسؤولة شكلت في ٢٩ شعبان ١٢٩٥ (٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨) برئاسة نوبار لتتولى تحمل تبعة الحكم فى البلاد تقييدا لسلطة الخديو . ورغم ذلك لم تتحسن الحالة المالية فى عهد تلك النظارة بل إزدادت سوءا .

تاخر صرف مرتبات الجيش

ذكرنا من قبل أن الحالة المالية لم تتحسن بفرض الرقابة الثنائية عليها ، بل إزدادت سوءا فلم تستطع الحكومة صرف مرتبات الموظفين بما فى ذلك رجال الجيش . وإذا ألقينا نظرة فاحصة على ميزانية نظارة الجهادية فى سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وجدنا أن ماريط لنظارة الجهادية فى سنة ١٨٧٧ هو مبلغ ٤ - قرشا ٣٦٨ كية (أى ما يقرب من ٩٧٩٠٠٠ جنيبها (١)) وهو مبلغ ضئيل إذا قيس بما تتطلبه نظارة الجهادية من مال وفير للإففاق على التحسينات العديدة التى أدخلت على الجيش . هذا فضلا عن تجهيز الحملات لمساعدة الباب العالى فى حروبه المستمرة . ولكن رغم قلته لم تكن نظارة الجهادية تستطيع الحصول عليه . وسبب ذلك يرجع إلى أنه فى تلك السنة كان الدخل العام للدولة يقرب

من ٩٥٤٣٠٠٠ جنيهاً . وكان نصيب الدائنين منه مبلغ ٧٤٧٣٩٠٩ جنيهاً ونصيب إنجلترا من أرباح القناة ، مضافاً إليها الجزية السنوية للباب العالي يقرب من ١٠٠٠٠٠٠٠ جنيهاً . أما الباقي وهو يزيد قليلاً عن مليون جنيه ففسد ترك لفتحات الحكومة بما في ذلك مرتبات رجال الجيش والمرتبات الضخمة للموظفين الأوروبيين . وتكرر هذا الاجراء أيضاً في سنة ١٨٧٨ (١) . فلا غرابه إذا ما عجزت الحكومة عن صرف مرتبات الضباط والجنود حتى يتيسر لها دفع أقساط الديون في مواعيدها المحددة . ونتيجة لهذه السياسة المقرضة تأخر صرف رواتب الضباط والجنود ثلاث سنوات متتالية من سنة ١٨٧٦ إلى ١٨٧٨ ، فعمت الشكوى وزاد تدمير الجند ، وتوالى التفرقات العديدة على نظارة الجهادية من مختلف وحدات الجيش طالبة إرسال المرتبات المتأخرة . ولنذكر بعضاً من هذه البرقيات على سبيل المثال لا الحصر :

من القمام (عقيد) ٢ جى سوارى بيجرجا (٢)

الاستحقاقات الباقية لغاية سنة ١٨٧٨ بعد المنصرف لغاية ابريل سنة ١٨٧٨

قرشا		
٥٨٢٧٨	علايق الضباط (سنة ١٨٧٦
١٢١٣٠	الماهيمات (
٨٥٨٩١	علايق الضباط (سنة ١٨٧٧

1 - Farman , Egydt and its Betrayal , P.235 & 236

(٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التفرقات لديوان الجهادية . برقية رقم ١٤ س ٥ ق ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

		قرشا	
سنة ١٨٧٧	(علايق الضباط)	٦٥٨٩١	
	(العسكر)	١١٥٦٠	
سنة ١٨٧٧	(الماهيات)	١١٢٠٩	
	(علايق الضباط)	٤٨١١١	
	(العسكر)	٤٠٧٠٠	
سنة ١٨٧٧	(الماهيات)	٨٥٢١	
	الجملة	٢٥٦٤٠٠	

من ٢ جى سواحل بدمياط (١)

قرشا	قرشا	قرشا	قرشا
ماهيات	علايق و ١٤٤٧٢	١٢٠٣١٤	باقى استحقاق من سنة ١٨٧٦
د	و ٥٦٦١٢	٢٤٨٩٠١	د د د ١٨٧٧
د	و ٤٦١٧٢	١٦٢٢١٦	د د د ١٨٧٨

من قومنجان الايات (الوية) رشيد (٢)

باقى استحقاقات الآلايات (الالوية) برشيد بعد المنصرف لغاية ابريل

سنة ١٨٧٨ .

قرشا	قرشا	قرشا	قرشا
سنة ١٨٧٦	ماهيات ٤٤٢٣٨	ضباط ٢٦٧٤٧٧	وعسكر ١٠٨٢٤٦

- (١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورد التنفراقات لداوان الجهادية . برقية رقم ٣٤ من ٥ في ٥ جادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .
- (٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التنفراقات لدايون الجهادية . برقية رقم ٨ من ٥ في ٦ جادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

سنة ١٨٧٧ ماهيات ١٨٢٨٣٠ ضباط ٦٣٦١٧٧ وعسكر ٢٠٠٥٩١ قرشا
سنة ١٨٧٨ ماهيات ٧١٧٥٢ ضباط ٤٤٦٢١٥ وعسكر ١١٨٣٥٤ قرشا

من قائم مقام (عقيد) برنجي بيادة و ٢ جي فرقة بالقناطر (١)

سنة	ماهيات	صف ضباط	ضباط	جملة
-	قرها -	قرها -	قرها -	قرها
١٨٧٦	١٠٥٦٤	٣٠ ٤٤١٢٢	٣٠ ١٥٢١٦٤	١٧١٨٥٠
١٨٧٧	٣٠ ١٤٨٢١	٢٠ ٩٢٨٨٨	٣٠ ٢٢٧٠٠٤	٢٣٤٧١٤
١٨٧٨	٣٥ ٩٩٢٩	١٠ ٧٢١٦٦	٢٥ ١٣٦٢١٠	٢١٨٣٠٦
	٢٥ ٣٥٣١٥	٣٠ ١٧٩١٨٦	٣٥ ٥١٥٣٧٩	٧٢٩٨٧٢

من وكيل فابريكة الدكمان بطره (٢)

قرها -
١٠٣٩٤
٦١٢٣ ٣٣
٣٩٠٩٧ ١٧
٣٢٢٤ ٢٨
٧٩٠٣
٣٢٤٨ ٣٠
٢٤٤ ١٧
٧٠٥٣٦ ٥

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التنازعات لديوان الجهادية برفقة رقم ٢١ من ٢٧ في ١٦ جادى الآخرة سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) .
(٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد ورود التنازعات لديوان الجهادية برفقة رقم ٧ من ٧٢ في ٧٢ يناير سنة ١٨٧٩ .

هذه هي بعض البرقيات التي وردت تستحث ديوان الجهادية على سرعة صرف متأخرات الرواتب ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر . فلا عجب إذا اضطر ضعفاء الحمال الى الاستدانة- وبيع ما يملكون (١) . بل لقد بلغت الحال إلى ما هو أسوأ من ذلك ، إذ لم يستطع هؤلاء الضباط أن يجدوا من يرضهم ، فقد الكثير منهم يده للسؤال حتى صار يضرب يومئذ بعوزهم المثل (٢) . وظهروا أمام الأهالي في أسهل بالية (٣) ، فاستحقوا بذلك الرثاء . وليت الخطب كان مقصورا على الضباط أنفسهم ، بل شاركهم فيه أسرهم فيبلغ حالها مبلغا كبيرا من اليأس والفاقة (٤) . فكان النساء والأطفال يصرخون من ألم الجوع ويمدون أيديهم طلبا للعيش (٥) . وقد صور فنصل أمريكا الجنرال حينئذ المستر فارمان E E. Farmrn حالة هذه الطبقة في تقرير (٦) رفعه الى وزارة الخارجية الأمريكية أصدق تصوير . كما أن استدانة الضباط من الأهالي حالت دون نقلهم من مكان إلى آخر ما لم تصرف لهم النظارة جزما من مرتباتهم لسداد الأهالي قبل مغادرتهم البلد (٧) .

(١) - حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) المصدر السابق

3- W.W.Loring , A Confederate soldier in Egypt, P.177

4 - Farman ; Egyqt and its Betrayal P.239

5 - Loring , A Confedsrate soldier in Egypt P. 177

6 - Abdin Amr. Vol. 15 Agency & Cons.-Gen' of U.S.A. in 21 , Marah , 1879

(٧) دفتر ٢٩٥٩ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية . برقيته ص ١٢ من لواء

آلايات البيادة والسواحل باسكندرية في ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ .

وقد صرفت هذه الحالة الضباط وسائر موظفي الدولة عن أعمالهم، وجعلتهم لا يفكرون إلا في الطرق المختلفة للخلاص من هذه الأزمات المستحكمة التي تعانيها البلاد. فنشأ من بين هؤلاء الحزب الوطني، و لما انتشرت أفكار هذا الحزب انخرطت تحت لوائه من العلماء والضباط والموظفين العدد الكبير (١)، ومنذ ذلك الحين بدأ تدخل الجيش في الأمور السياسية، وحمل لواء الحركة القومية التي كانت ترمى إلى التخلص من كل نفوذ أجنبي.

اضراب عموم الجيش

لم يتطرق فساد الإدارة إلى مراتب الجيش فحسب، بل تناول تموين الجيش كذلك. فأصبحت أنواع الأطعمة التي تنفذ لا يشتري بدلها إلا بعد مدة طويلة تتبادل فيها وحدات الجيش المختلفة وديوان الجهادية مئات البرقيات. وما ينتج عن هذا التأخير من اضطراب في سير الأمور بمختلف وحدات الجيش. وفيما يلي بعض هذه البرقيات على سبيل المثال.

من محافظ أسكندرية إلى الجهادية

د من مدة لم تصرف للبرية ولا للبحرية رز لعدم وجوده بالخازن فقوميل لإجراء ما يمكن منه للحصول على سرعة وروده للصرف (٢)، (مسكدا في النص)

(١) - دقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٠ و ٢٦١

(٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد وأرد التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٢٩ من ٢٦ في

١١ مارس سنة ١٨٧٩ .

من قائم مقام (عقيد) ٢ جى سواري بجرجا

و أصناف العدس ، الفول انتهى بأورط الآلاى خصوصا ه جى أورطة المقيمة بجرجا . الباقي يكفى خمسة أيام وأيضا صنف القمح الجارى أعماله خبز قارب الانتهاء ولم موجود منه لاشيء بأشوان المديرية وليس معلوم ماذا يصير فى الطبخ نورمل الافادة (١) ، (هكذا فى النص)

من ناظر مخبز القباوى

و الدقيق الموجود يكفى التشغيلات لباكر (٢) ، (هكذا)

من مدير جرجا

البقساط الموجود بأورطة البيادة انتهى ولم يفاد عنما كتب عنه للجهادية رسميا بمر ٣٣ (٣) ، (هكذا)

كذلك أضرب متعهدو توريد المواد الغذائية عن تنفيذ التزاماتهم ، نظرا لعدم صرف قيمة ما قاموا بتوريده سابقا لديوان الجهادية . فاضطر رؤساء الوحدات الى رفع عقيرتهم بالشكوى طالبين من ديوان الجهادية سرعة تدراك هذا الأمر . فنجد مثلا قومندان آلايات (ألوية) اسكندرية يبعث الى الجهادية بالبرقية التسالية :

-
- (١) دفتر ١٩٥١ قيد وارد التلغرافات إلى ديوان الجهادية . برقية رقم ١٠ من ١٢ فى ٧ رجب سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .
(٢) دفتر ١٢٩٥ قيد ورود التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٢٥ من ١٢ فى ١٥ رجب سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .
(٣) دفتر ١٩٥٩ قيد وارد التلغرافات إلى ديوان الجهادية ، برقية رقم ٣٥ من ٢٦ فى ١٦ مارس سنة ١٨٧٩

مخازن التعمينات خالية من صفى الزيت والصابون والمتعمد متوقف في التوريد متعللا بعدم وجود نقود بطرفه . ثم خالية أيضا من صنف المسلى تؤمل المداركة (١) ، (هكذا)

كذلك أرسل ٢ جى سواحل بدمياط إلى ديوان الجهادية البرقية التالية :

، متعمد تشغيل المخبز أجرى قفل المخبز بالنسبة لإحتياجه وعدم مداومة الصرف اليه تؤمل مداومة لإرسال ٥٠٠ خمماية جراية يوصى بالوابور أو بقساط للصرف منه (٢) .

كذلك اجتاحت المجاعة الوجه القبلى في أوائل سنة ١٨٧٩ لشدة القحط نتيجة لانخفاض النيل ، ولزيادة الفقر ، وقسمة المواد الغذائية ، وفداحة الضرائب المفروضة على الأهالى . وقد بلغ عدد الموتى بسبب قلة الغذاء في فبراير سنة ١٨٧٩ مالا يقل عن عشرة آلاف نسمة . وبما لا يقل عن هذا العدد أيضا نتيجة للبرص والتعب . وتقع مسؤولية هؤلاء التعساء على عاتق كل من إنجلترا وفرنسا لإمتصاصها دماء الفلاحين لمصلحة المرابين (٣) . كما تقع التبعة فى المقام الأول على الحديو اسماعيل الذى تمادى فى الاستدانة من الدول الأجنبية فى وقت كان يدرك فيه نوايا تلك الدول الاستعمارية لإزاء مصر .

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التنفراغات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٤٣٤ ص ١١ فى ٢٤ جادى الآخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .
(٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التنفراغات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٤٤ ص ١٨ فى ١٩ رمضان سنة ١٢٩٥

وتتيجة لما وصلت اليه حال البلاد من الفوضى والاضطراب رأى الساخظون على النظارة الاوربية ، كما كانت تسمى - ومنهم رجال الجيش - في ديسمبر سنة ١٨٧٨ ضرورة إعادة مجلس النواب القديم ، ومنحه السلطة الواسعة في إدارة شئون البلاد ، على أن تكون الوزارة مسؤولة أمامه . وقد شجع الخديو هذه الحركة الدستورية للتخلص من النفوذ الأجنبي . واضطرت النظارة أمام ضغط زعماء الحركة إلى إجابة مطالبهم فاجتمع المجلس بالقلعة في ٢ يناير سنة ١٨٧٩ . ومنذ ذلك الوقت تزعم المجلس حركة المعارضة .

ومن القرارات التي أوصت بها لجنة التحقيق لتخفيف العبء عن كاهل الميزانية وقامت النظارة فعلا بتنفيذها ، طرد معظم الموظفين والاستغناء عن خدماتهم ، وفي مقدمة هؤلاء الضباط الأمريكيون بالجيش المصري الذين أبلغوا - دون سابق إنذار - بانتهاء عقودهم ، وكان لكل منهم استحقاقات متأخرة (١) . فكانت هذه الأزمة المالية فرصة طيبة لإنهائها إنجذرا للتخلص من هؤلاء الضباط الذين لم تنتظر اليهم بعين الارتياح منذ دخولهم الخدمة بالجيش المصري . بل لقد بلغ بها الأمر حد الاحتجاج لدى الخديو اسماعيل عند تعيينهم .

وليت الأمر اقتصر على الاستغناء عن الضباط الأمريكيين فحسب ، بل إن مجلس النظارة قد وافق على تقرير لجنة التحقيق ، فيما يتعلق بتخفيض عدد قوات الجيش المصري إقتصادا في المصروفات ، ولسير المالية على نظام ثابت يكفل أداء الديون وسير مصالح البلاد (٢) . وقد جرى هذا التخفيض على النحو الآتي :

(١) المصدر السابق

(٢) تقويم النيل المجلد . الثالث ج ٣ ص ١٥١٩

إلى		من	
ضابط	جندي	ضابط	جندي
٥٧٠	٢١٣٦٠	٦٤٦٢٨	١٦٣٤
١٠٦	١٧٣٨	٦٨٤٤	٤٣٤
٢٢٥	٩٧١٥	١٥٥٧٣	٤٥٩
٩٢	٣٤٣٤	٣٤٣٤	٩٢
٩٩٣	٣٦٢٤٧	٩٠٤٧٩	٢٦٠٩

وقد وضع في الاعتبار ألا يقف الخفض عند هذا الحد ، بل عليه أن يستمر حتى لا يكون في القطر سوى نصف هذا العدد من الضباط والجنود أي ١٨ ألف جندي فقط . وترتب على ذلك أيضا إلغاء المدارس الحربية الآتية : المدفعية ، والمشاة ، وأركان حرب ، والطب البيطري بالباسية ، والخيالة .

وقد برر السير ريفرز ولدن هذا الاجراء بقوله « إن من ينم النظر في حال مصر السياسية يتبين أن الجيش أكثر مما يلزم ، رَأْفَلْ مَا يَلْزَم . أما كونه أقل مما يلزم فلأن حدود مصر واسعة ولا يمكن بهذا العدد أن يرد العدو عنها . وأما كونه أكثر مما يلزم فلأنها في الواقع تحت الحماية الأوربية للدول ، وليس من المقصود أنهم يكلفونها للدفاع عن نفسها إذا بدأها أحد بالعدوان . من أجل ذلك إستقر الرأي على إلغاء البحرية تماما ، وإنقاص الجيش إلى سبعة آلاف (١) . أي أن الهدف المقصود من تلك السياسة ليس الاقتصاد في النفقات كما تدعى الوزارة الأوربية ، بل المقصود

إضعاف مصر حربيًا تحت حماية الدول الأوروبية .

فدعوى الاقتصاد في النفقات كانت إذاً دعوى باطللة إذ أن الموظفين الأجانب الذين في خدمة مصر كانوا يجلبون أقاربهم وأصحابهم من بلادهم ، ويخلقون لهم الوظائف بالراتب الكثير ، ولو أدى ذلك لإخلاء سبيل عدة من أبناء البلاد الذين لا يعرفون وطنًا سواها (١) .

وقد بلغ عدد الضباط المحالين إلى الاستبداد ٢٥٠٠ ضابط دون أن يصرف لهم متأخراتهم من المرتبات . وكان لقرار طرد هؤلاء الضباط وتخفيض عسدد الجنود دوى كبير في جميع أنحاء البلاد ، إذ شمل قرار خفض هذا جميع وحدات الجيش المقيمة في مختلف الأماكن مثل : لواء السواحل والبيادة بالمشية بأسكندرية (٢) ، ، وبحرية (٣) أسكندرية ، وآلاى شواحل دمياط (٤) ، ومدرسة البحرية بأسكندرية (٥) ، وقوات الجيش المصرى الموجودة بالقاهرة ومختلف المديرات: بل إن سياسة تخفيض قوات الجيش المصرى قد طبقت على السودان كذلك في سنة ١٨٧٦ عندما أحس الخديو بوطأة الدين اضطر إلى تخفيض الاعتمادات

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٦٠

- (٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٦ من ٣١ في ٢
ابريل سنة ١٨٧٩
- (٣) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٥٥ من ٣٣ في ٧
ابريل سنة ١٨٧٩ .
- (٤) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٣١ في
٣ ابريل سنة ١٨٧٩
- (٥) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٦٠ من ٣٣ في ١٣
ابريل سنة ١٨٧٩

المخصصة للقوات المصرية (١) بالسودان . وترتب على ذلك إنقاص عدد عساكر الشايقية والباشبوزق إلى النصف . وقد سار على هذه السياسة محمد رؤوف (باشا) الذي خلف غردون على مديريات خط الاستواء في أكتوبر سنة ١٨٧٦ ، إذ جعله إدارته قاصرة على إلغاء الحاميات اقتصادا للنفقات ، وأنزل مرتبات الموظفين إلى النصف (٢) . فكانت هذه السياسة سببا في إتساع حركة المهدي بالسودان .

المظاهرة العسكرية

لهذه المظاهرة العسكرية عدة أسباب بعضها مباشر والآخر غير مباشر . أما الأسباب المباشرة فتتلخص في إحالة ٥٠٠ ضابط على الاستيلاء دون أن يصرف لهم متأخر إستحقاقهم ، ولم يكن لهم طريق آخر للعيشة غير العسكرية التي تربوا في أحضانها (٣) . أما الأسباب غير المباشرة فترجع إلى حالة البوس التي وصل إليها ضباط الجيش وأولادهم وزوجاتهم نتيجة لعدم صرف مرتباتهم ، ولكثرة الضرائب (٤) الملقاة على عاتق طبقة الفلاحين ، في نفس الوقت الذي يعاني فيه الوجه القبلي القحط والمجاعة (٥) .

-
- (١) مخنطة ٤٠ [معية تركي] وثيقة رقم ٢٠٢ من نور أظهر عبده جعفر حاكم دار السودان إلى مهردار الجناب البندوبو في ٧ رمضان سنة ١٢٨٣ .
(٢) السودان بين يدي غردون وكشفت من ٤٩
(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٦٠
Farman , Egypt and its Betrayal P.236 .
(٤) المصدر الاخير .
(٥) المصدر السابق ص ٤٢٠

فكل هذه التسيكات التي حلت بمصر كانت نتيجة لتدخل الأجانب في أمور البلاد وإستشارهم بها على عهد الوزارة الولسونية ، واشتداد وطأنهم على العسكرية ، وطموح أبصارهم إلى ما أوجب يؤمئذ استحكام الضغائن في صدور الجهادية عموما ، واستتارهم من الأجانب أوريين كانوا أو سوريين أو أتراكا أو جراكسة أو أرمن أو غيرهم (١) . فثورة رجال الجيش في ذلك الوقت كانت تعبر عن ثورة الخواطر الخفية التي كانت ضاربة أطنابها في أواسط عهد اسماعيل (٢) . واتجهت هذه الثورة إلى القضاء على التدخل الأجنبي بصوره المختلفة . وبما أزرى في نفوسهم هذه الروح العدائية شعورهم المكبوت ضد كبار رجال الجيش من الأتراك والجراكسة الذين كانوا يتمتعون بالمراكز الرئيسية في الجيش ، ويقفون في سبيل ترقية المصريين اليها مع أن الكثير من الضباط المصريين قد وصل إلى تلك المراكز أيام سعيد . هذا بالإضافة إلى تعصب الأتراك والجراكسة لبني جلدتهم وسوء معاملتهم للضباط المصريين .

وقد لقي تدمير الضباط المصريين من التدخل الأجنبي في شئون البلاد تشجيع الخديو اسماعيل الذي وجد في حركة هؤلاء الضباط ستارا يحتمى خلفه في مواجهة الضغط الأوربي لاستعادة نفوذه المسلوب . وقد وصف أحمد عرابي ذلك بقوله : لقد اضطرب (الخديو) وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التي كانت برباسة نوبار (باشا) وعضوية رياض رعل مبارك... وأراد أن يتخلص منها ويسقطها . فأوعز إلى جاهين (باشا) كنج (صنيتمته المشهور) بخلق تلك الحركة

(١) سليم نقاش . مصر للمصريين ج ٤ ص ٥

(٢) المصدر السابق

الصيانية ، وهذا حمل صهره لطيف بك سليم الضابط بالمدرسة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب إلى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء (١) .

ومع إعرافنا بتشجيع الخديو لهذه الحركة إلا أنها كانت في الواقع تعبر عن السخط المكثرت في صدور رجال الجيش ومظمرا من مظاهره . فاجتمعت كل هذه الدوافع التي ذكرناها ثم تبلورت واتخذت شكل مظاهرة عسكرية في يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ . إذ اجتمع من هؤلاء الضباط نحو ٤٠٠ ضابط ، وقدموا إلى الخديو عرائض ملتمسين فيها صرف مرتباتهم المتأخرة فأحالهم على نظارة المالية . فسار هذا الجمع من الضباط تحت رئاسة البيكباشي (المقدم) لطيف (بك) المشار إليه وتبعهم نحو ألف جندي وتقاطر الناس من كل صوب لينظروا ماذا يكون من أمرهم . فقبضوا على نوبار (باشا) وأهانوه هو والمستر ريفرس ويلسون ناظر المالية وألزموهما بصرف مرتباتهم . ووقع المرح واللغط والتراحم حتى خيف من حدوث فتنة كبيرة (٢) . ولم تهدأ هذه العاصفة إلا بعد حضور الخديو بنفسه إلى نظارة المالية ، وأخذ يعد المتظاهرين بإجابة مطالبهم .

ويذكر عرابي بأن المتظاهرين قد انصرفوا حائقين ، د وهاج الضباط في جميع الآلايات (الألوية) واتفقوا على وجوب عزل هذا الخديو واعتلاء ولي عهده توفيق مسند الخديوية المصرية . فلما علم الخديو بذلك ذهب إلى مركز

(١) أحمد عرابي باشا : كشف الستار عن سر الأمرات س ٤٣ و ٤٤

(٢) المصدر السابق س ٤٥

كل آلاى على حده وطيب خواطر الضباط ، ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة (١) .

واتهم أحمد عرابى بتدبير الحادث بتحريض جنوده على الاشتراك فى الحركة ، وقدم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى ، وعند استجوابه عن السبب فى اشتراك جنود الآلاى التابع له فى هذه المظاهر أجاب بقوله ، و انه لو فرض وجود أحد منهم (يقصد ضباط الآلاى التابع له) فيها ، فهو غير ملوم لأن نساء الضباط وأولادهم فى العباسية بلا مأوى ولا دراهم فى أيديهم يتفقون منها على عائلاتهم ، ولا خبز ولا تعيين يصرف لهم (٢) . وأغلب الظن أن هذه المحاكمة كانت ذرا للرماد فى العيون وذلك لتغطية موقف الخديو اسماعيل ازاء الحركة .

استغل الخديو اسماعيل هذه المظاهرة العسكريه لاسقاط نظارة نوبار وتم له ما أراد ، وعين مكانه نجله الأكبر محمد توفيق ، ثم أوعز الى المجلس الذى جمعه من الأعيان وأعضاء الشورى بوضع قانون مالى عام يتمكن به من إلغاء القرارات السابقة التى أقر الخديو عليها مضطرا (٣) ، فاجتمع المجلس فى ١٠ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ (ابريل ١٨٧٩) وأقر الجميع لائحة عرفت باسم اللائحة الوطنية ، واشتملت على ثلاثة أقسام : الأول فى تسوية الإيرادات ، والثانى فى تسوية الديون والثالث فى تسوية مصروفات الحكومة . فأقرها الخديو وكلف شريف بتفنيدها

(١) المصدر السابق ص ٤٦

(٢) المصدر السابق

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٦١

لم تستقر الأمور بتولية شريف رياسة النظارة رغم ما كان متمتعاً به من ثقة الأمة وزعماء البلاد ، وذلك لإبعاد العنصر الأوربي منها . بالإضافة إلى الأوامر التي أصدرها الخديو بزيادة عدد الجيش إلى ستين ألف جندي والتي أمارت فائرة الدول الأوربية ، خصوصاً إنجلترا وفرنسا ، لأنها اعتبرت أعمال الخديو هذه عدوانية فسمياً إلى الانتقام منه بكل ما لديها من الوسائل (١) ، فطلبتا إليه في أول الأمر إعادة الوزيرين الأجنيين فرفض . ثم ألتنا عليه بالتنازل عن العرش لابنه توفيق ، فرفض أيضاً بحجة أن هذا ليس من سلطته ، بل من سلطة الباب العالي وحده . فسمعت الدولتان لدى الباب العالي وساعدتها بروسيا ، فاضطر السلطان تحت ضغط هذه الدول إلى الرضوخ لمطالبها . فأرسل في ٦ رجب سنة ١٢٩٦ (٢٤ يونيو سنة ١٨٧٦) برقية إلى الخديو اسماعيل بعزله عن ولاية مصر ، وإسنادها إلى أكبر أبنائه محمد توفيق . وبذلك استطاعت الدول الأوربية التخلص من الخديو اسماعيل للقضاء على آخر معارضة تقف في طريقها .

✕ وعزل الخديو اسماعيل أراد السلطان أن يتخلص من الامتيازات التي منحها له بمقتضى فرمان الشامل في سنة ١٨٧٣ والرجوع إلى نصوص فرمان سنة ١٨٤١ . ولكن إنجلترا وفرنسا عارضتا في ذلك ، لأنه لم يكن من مصلحتها خضوع مصر خضوعاً تاماً للباب العالي . فاضطر السلطان مرغماً إلى إصدار فرمان في ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ (أغسطس ١٨٧٨) بتولية الخديو توفيق مع احتفاظه بشرطين هامين وهما : ألا يقوم الخديو بعتد قروض مالية إلا بعد موافقة السلطان . والشرط الثاني د ألا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألفاً لأن هذا المقدار كاف

لمحافظة أمنية إيالة مصر الداخلية فى وقت الصلح . وانما حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هى مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز أن يزداد مقدار العساكر بالصورة التى تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة . وتكون رايات العساكر البحرية- والبرية- والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم، ويباح لخدو مصر أن يعطى الضباط البرية- والبحرية- الى غاية- رتبة ميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية. ولا يرخص لخدو مصر أن ينشئ سفنًا مدرعة إلا بعد الاذن وحصول رخصة قطعية اليه من دولتنا العلية (١) . وبذلك رجعت مصر الى نصوص فرمان سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بعدد قوات الجيش .

(١) قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٩ و ٦٩٠

الفصل السادس عشر

الجيش المصرى فى مواجهة التدخل الأوروبى

الثورة العراقية

الجيش المصرى فى مواجهة التدخل الأوروبى

الثورة العرابية

أرضنا فى الفصل السابق كيف أدى خضوع البلاد للإشراف المالى الأجنبى إلى إحالة عدد كبير من ضباطه إلى الاستيلاء ، وتسريح عدد كبير من أفرادها بحجة ضغط المصروفات توفيراً لأقساط الديون. كما خفضت أو ألغيت بمعنى أصح الإعتمادات الخاصة بتسليحه .

ثم أتت الضربة الثانية من جانب السلطان العثمانى فى فرمان تولية التخديو توفيق (أغسطس ١٨٧٩) بتحديد عدد جنود الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندي فى وقت السلم. على أن تكون درايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ، . وبذلك يسقط الامتياز الذى منحه مصر بمقتضى فرمان ١٨٧٣ الذى كان يخول لها الحق بتكثير أو تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية على حسب اللزوم بغير قيد ولا تحديد .

وبداية حكم توفيق يوجه إلى الجيش المصرى الضربة الثالثة ، وذلك بتخفيض عدده إلى ١٢ ألف جندي فحسب زيادة فى ضغط النفقات . هذا فضلاً عما وصلت إليه الروح المعنوية فى الجيش من سوء ، نتيجة تأخر صرف المرتبات ، وما سبب ذلك من فوضى واضطراب .

تكاثفت عوامل الهدم على النيل من قوة مصر الحربية فى وقت وصل فيه

التدخل الأجنبي مداه ، ووصلت فيه الدعوة إلى حركة الجامعة الإسلامية إلى ذورتها وزاد التذمر من ضعف الحكومة وسوء إدارتها وتهاونها في حقوق المصريين ، وتخاذلها أمام التدخل الأجنبي.

كان لهذا كله أكبر الأثر في قيام الثورة العرابية ، وفي أن يكون الجيش المصرى طليعة الحركة الثورية- في مصر وقوتها الدافعة .

ونظرا لأهمية الثورة العرابية في تاريخ النضال الثورى في مصر ، ونظرا لخطورة الدور الذى قام به الجيش المصرى في الإعداد لهذه الثورة وقيادة الأمة في نضالها ضد الظلم الاجتماعى والتدخل الأجنبي والحكم الاستبدادى ، ونظرا لأن هذه الثورة هى ثمرة تفاعلات هامة تمت في المجتمع المصرى في النصف الثانى للقرن التاسع عشر على وجه الخصوص ، فإن دراستها دراسة حقة تتطلب منا أن نتتبع أصولها التاريخية في النصف الاول من ذلك القرن حيث بدأت عملية تحول المجتمع المصرى نتيجة دخول مؤثرات حضارية غربية على الحضارة المصرية- الاصلية فى صورة بعثات علمية إلى الخارج ، وفى شكل خبرات أجنبية استقدمت من أوروبا لتنفيذ المشروعات الإنتاجية الكبرى فى البلاد .

هذا بالإضافة إلى العديد من المدارس التى فتحت لتعليم المصريين طبقا للنظام الغربى . وقد آتت تلك المؤثرات أكلها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فبدأ المجتمع المصرى يموج بتيارات فكرية- أتجه بعضها نحو الاصلاح الدينى ، وبعضها نحو الاصلاح الدستورى ، والبعض الثالث نحو الاصلاح السياسى .

وفى نفس تلك الفترة بدأ المجتمع المصرى يتحول فى عصر محمد على من

مجتمع إقطاعى إلى مجتمع رأسمالى ، وجاء هذا التحول نتيجة لعدة عوامل : منها سياسة محمد على الاقتصادية التى سار عليها والتي أدت إلى القضاء على الطبقة الوسطى التى كان من الممكن لو أتاحت لها الفرصة فى أن تنمو نموًا طبيعيًا لأمسكتها لإحداث هذا التحول على أساس الاقتصاد الرأسمالى الحر . كما أن جزماً كبيراً من هذا التحول كانت الدوافع إليه لإعتبارات تتعلق بإمبراطورية محمد على وبالنظام الاحتكارى الذى كان أساس سياسة الاقتصادية .

زد على ذلك أن انهيار النظام الاحتكارى الذى وضعه محمد على قد فتح الباب على مصراعيه أمام تدفق رؤوس الأموال الأجنبية لاستغلال موارد البلاد ، وخصوصاً فى شكل قروض أجنبية .

ومن سوء حظ مصر أن تتوالى عليها الكوارث والنكبات بشكل لم تمهده البلاد من قبل، فبثاء أسرة محمد على فى الحكم قد مكّن للمصالح الأجنبية بأن تتدعم وأن تزدهر . كما هيأ لرأس المال الأجنبى الفرصة ليسيطر ويتحكم فى مصير البلاد من النواحي الاقتصادية .

وكانت الرأسمالية الأجنبية والنفوذ السياسى الأجنبى يتعاونان على تحويل مصر إلى جزء من النظام الاستعمارى العالمى . ومأماهدة لندن . ١٨٤٠ الإبدائية لهذا الاتجاه الجديد الذى أخذ ينمو بشكل واضح فى السنوات التى أعقبت المعاهدة بشكل أضر بمصالح البلاد وفرض عليها شبه وصاية دولية .

لم تصبح العلاقة بين مصر والدولة العثمانية تهماً وحدهما ، وإنما أصبح كل من والى مصر والسلطان العثمانى حريصاً على إرضاء الدول الكبرى وخصوصاً إنجلترا وفرنسا حفاظاً على مصلحته .

وفي نفس الوقت وقفت الدولة العثمانية عاجزة عن صد تيار التدخل الأجنبي في مصر . ولم يكن في استطاعتها أن تفعل شيئاً ، لاسيما بعد هزيمتها في الحرب التركية الروسية عام ٧٧ - ١٨٧٨ وفرض معاهدة برلين عليها وانتزاع ممتلكاتها الأوروبية ، فخرجت من الحرب ضعيفة منهوكة القوى ، ولذا لم يكن لوجودها أثر في مدافعة التدخل الأجنبي .

ويقابل التدخل الأجنبي المالى والدياسى فى الجانب المصرى نضوج سياسى واقتصادى وفكرى بصورة أدت إلى أن تستجمع تلك القوى طاقاتها للوقوف أمام التدخل الأجنبي .

وقد انقسمت القوى المناهضة للتغلغل الأجنبي إلى جناحين : جناح اقتصادى ويمثله كبار الملاك الزراعيين الذين أصبحوا يمثلون طبقة واضحة المعالم لها مصالح أساسية تتركز حول نقطتين هامتين هما : تثبيت الملكية الفردية ، والمشاركة فى الحكم .

أما الجناح الآخر فهو الجناح الفكرى أو فريق المثقفين الجدد الذين تحالفوا مع طبقة كبار الملاك الزراعية والذين أصبحوا المعبرين عن الفكر الحر فى ذلك الوقت . وقد عمل التحالف بين الجناحين الاقتصادى والفكرى إلى قيام الثورة العرابية .

ولن نستطيع الإمام بالتيارات الفكرية والسياسية التى قامت عليها الثورة ما لم نرجع الى الأصول التاريخية التى استمد منها كل من الجناحين الاقتصادى والفكرى وجوده .

الجناح الاقتصادى

ولبيان السياسة التى سار عليها الجناح الاقتصادى لتحقيق هدفه فى تثبيت الملكية الفردية والمشاركة فى الحكم يجب أن نتتبع تطور النظام الاقتصادى فى مصر من النظام الاقطاعى لى النظام الرأسمالى . وهنا نجد إختلافا واضحا بين ظهور الرأسمالية فى أوروبا وبين ظهورها فى مصر : ففى مصر بدأت الرأسمالية فى مجال الزراعة أولا بعكس ما حدث فى أوروبا من ظهور هذا النظام فى مجال النشاط التجارى أولا ثم الصناعى فالمالى بعد ذلك فى مواجهة الاقطاع الزراعى .

وقد ساعد على تركيز رؤوس الاموال فى الزراعة فى مصر على نمو الانتاج السلمى فى الزراعة كالقطن ، ونشوء الملكية الفردية وما صاحب ذلك من تطورات . وسيعمل محمد على من جانبه على إلغاء نظام الالتزام أو ما يمكن أن نسميه بالإقطاع التركى المملوكى وذلك فى عام ١٨١٣ ، فيقوم بانتزاع الارض من أيدي الملتزمين ثم يعيد توزيعها فى شكل قطع صغيرة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أفدنة على صغار الفلاحين لاستغلالها فى الزراعة . وتظل تلك القطع فى أيديهم طالما كانوا قادرين على دفع التزاماتها . أى أن محمد على قد حرم عليهم التصرف فى الارض بالبيع أو الشراء أو التوريث . وكل ما كان يمتلكه المنتفع بالارض هو حق الانتفاع لحسب، وذلك باعتبار أن الدولة هى المالكة الوحيدة للارض.

فهذه المحاولة من جانب محمد على تعتبر تحولا من الاقطاع المبعثر التقليدى لى الاقطاع الموحد، وهو على أى حال خطوة فى سبيل ملكية الارض لزراعية.

خطت بعد ذلك الملكية الفردية خطوة أخرى نحو الامام عندما عقدت بريطانيا مع الدولة العثمانية معاهدة عام ١٨٣٨ التى حولت لها حق التعامل الاقتصادى الحر المباشر مع رعايا الدولة العثمانية بما فيهم أهل مصر . ومعنى هذا

القضاء على نظام الاحتكار الذى سار عليه محمد على . وكان عقيد تلك المعاهدة بمثابة المعول التى انقضت على هذا النظام فهدهم ، مما حدا بمحمد على أن يصدر لائحة ١٨٤٢ التى منح بمقتضاها أصحاب الجفالك والأبديات حق ملكيتها والتصرف فيها كيفما شاءوا بالبيع أو الهبة ولم يكن لها من قبل سوى حق الانتفاع فقط .

وفى سنة ١٨٤٦ أصدر محمد على لائحة جديدة توسعت فى حقوق الملكية بعض الشيء فأجازت لمستغلى الأرض أن يتصرفوا فيها بالرهن أو التنازل للغير عن حق الانتفاع . وإذا ما هجر الزارع أرضه أو أهمل زراعتها سحبت منه ، ويكون له حق العودة إليها واستردادها إذا ما عاد إليها ثانية . وكذلك حرم على الزارع حق الإلتفاع بالأرض إذا ما توقف عن الضرائب المفروضة عليها .

ثم تطورت القوانين بعض الشيء فى صالح المزارعين فأضافت لائحة ١٨٥٤ حقوقا جديدة تتعلق بحق الورثة فى وضع أيديهم على الأرض التى تركها مورثهم .

على أن أهم خطوة فى تطور نظام ملكية الأرض قد تم بصدر اللائحة السعيدية عام ١٨٥٨ ، إذا منحت لمستغلى الأرض حق تأجيرها لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات وكذلك حق رهنها أو بيع حق استغلالها للغير . وأكدت حق المستغلى فى توريث الأرض لورثته ، وكذلك المنشآت القائمة عليها . كما أطلقت يد الزارع فى زراعة ما يشاء من المحاصيل دون تدخل من قبل الحكومة .

كذلك كان رواج القطن كسلعة رابحة ، لاسيما عندما ارتفعت أسعاره نتيجة قيام الحرب الأهلية الأمريكية . (١٨٦١ - ١٨٦٥) حافزا على تهافت الزراع على اقتناء الأرض . كما كان للإستثمارات المالية الاجنبية فى صورة رهونات أو قروض مصرفية أثره فى ذلك .

وكان لصدور قانون المقابلة ١٨٧١ أثره في تطور الملكية الزراعية ،
وخصوصا الملكيات الزراعية الكبيرة . فهذا القانون الذى أجاز لكل من يدفع
مرة واحدة ستة أمثال الضريبة السنوية على الارض التى فى حيازته تصيح تلك
الارض ملكا له مع إعفائه من نصف الضريبة المربوطة عليها . ولم يستفيد من
هذا القانون بطبيعة الحال سوى كبار الملاك الزراعيين القادرين على دفع تلك
الضريبة .

كل تلك العوامل قد أدت إلى ظهور طبقة من الملاك الزراعيين الكبار الذين
أخذوا يتجهون بالنظام الزراعى نحو الرأسمالية ويستهدفون تثبيت الملكية الزراعية
من ناحية والمشاركة فى الحكم من ناحية أخرى، والعمل من ناحية ثالثة على
تخفيف عبء الضرائب عليهم . ولكنها لم تحاول تغيير علاقاتهم بالفلاح ، فظل
مدين لها بالتبعية كما كان من قبل .

كان من الطبيعى أن يتجه نشاط طبقة ملاك الاراضى الزراعية الى مجلس
شورى النواب حيث بدأت المعارضة ضد التدخل الاجنبى تظهر بشكل واضح فى
أواخر حكم اسماعيل كنتيجة للضغط الأوروبى المتزايد من النواحي السياسية
والمالية ، ممثلا فى صندوق الدين والمراقبة الثمانية ، وفرض وزيرين أوريين على
الوزارة المصرية .

وقد عبر هؤلاء النواب عن نشاطهم فى موضوعين :

الاول : عندما أصروا على عرض ميزانيه- الدولة على مجلس النواب، وكذلك
كل ما يتعلق بالشئون المالية .

والثانى : إقدام هؤلاء الملاك على تنظيم حزب سياسى أطلق عليه اسم
جمعية حلوان ، ضم كبار الملاك الزراعيين وبعض العناصر من الرأسمالية

التجارية الوطنية ، سمي باسم «الحزب الوطنى» ، و «الحزب الاهلى» ، واتخذ من بلدة حلوان مركزا له . وكان يضم أعضاء عديدين من أشهرهم محمد شريف (باشا) ومحمد سلطان (باشا) وشاهين (باشا) وعمر لظ في (باشا) وراغب (باشا) . وكان من الناقبين على محمد رياض (باشا) رئيس وزارة الخديو توفيق .

وفى ٤ نوفمبر عام ١٨٧٩ أعلن قيام هذا الحزب وأصدر الأعضاء منشورا يحددون أهدافه وهى : إنقاذ البلاد من التدخل الأجنبى والاستغلال الأوروبى . كما ندد بسياسة الحكومة الإستبدادية ، وأوضحوا بأن برنامجه ينطوى على النهوض بالامة المصرية عن طريق التعليم .

وقد أدرك زعماء هذا الحزب أن تلك الأهداف لن تتحقق إلا إذا حدث التحام بينهم وبين قطاع المثقفين . ولذا ما أن بدأ نجم عرابى يبدغ بعد حادثة قصر النيل ومظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ العسكرية الشعبية ضد الخديو توفيق إلا وبدأ أعضاء الحزب الوطنى يلتقون بعرابى ويزميليه عبد العال حلى وعلى فهمى .

الجناح الفكرى

ينقسم هذا الجناح إلى قسمين : قسم مدنى . وقسم عسكرى ، فإذا تساونا القسم الاول نجد أنه كان أكثر تجاوبا مع الحركة الجديدة ، وكان أسرع من القسم الثانى فى الالتحام بطبقة كبار ملاك الارض .

نشأ أنصار هذا القسم نتيجة حركة البعث العلمية التى أوفدت إلى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، وكذلك نتيجة حركة التعليم والترجمة . وقد وضع هؤلاء المثقفون أنفسهم فى خدمة طبقة كبار الملاك الزراعيين فاشتغلوا فى صحافة الحزب الوطنى التى تمثلت فى جرائد مصر والتجارة والوطنى . وحلوا حملة شعواء

على التدخل الأجنبي . وكان لكتباتهم أكبر الأثر في خلق الرأي العام الواعي في مصر .

ومع إيماننا بالدور الذي قامت به الطبقة المثقفة يجب ألا ننسى أثر حركة الجامعة الإسلامية على الحزب الوطني . ولما كانت حركة الجامعة الإسلامية حركة شعبية فقد استطاعت بذلك أن تربط الحزب الوطني بالقاعدة الشعبية . ويدل على ذلك ما كتبه الشيخ محمد عبده في هذا الصدد قوله :

« .. وكان طلبة العلم وطلبة جمال الدين ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم فاستيقظت وانتبهت عقول ، وخف أصحاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد وبخاصة في القاهرة .. »

ولقد تصادف ظهور الحركة الإسلامية ضغط متزايد من قبل الدول الأجنبية صاحبة الديون ، وحكما استبداديا مطلقا من قبل الحديو . ومن ثممة وجدت مبادئ الدعوة الإسلامية التي استهدفت تكثيل العالم الاسلامي في مواجهة الزحف الإستعماري الغربي وإقامة حياة ديمقراطية سليمة آذانا صاغية من جانب المصريين .

وإذا انتقلنا إلى القسم الآخر من طبقة المثقفين نجد جماعة العسكريين المصريين الساخطين على الأوضاع القائمة بالبلاد ، بالإضافة إلى ما كانوا يعانونه من أوضاع غير طبيعية في الجيش ، فاستثار الأتراك والشراكسة بالمراكز الرئيسية فيه قد حالت بينهم وبين السيطرة على هذا الجيش وتوجيهه وفق مصالح البلاد ، كما أن معاملتهم من قبل هؤلاء الشراكسة لم تكن فوق مستوى الشبهات ، ولم يكن

تمتّع هؤلاء الشراكسة بالمناصب الرئيسية قائم على أساس تفوق حربي ، وإنما على أساس عنصرى تعصبى . وأقرب مثل على ما نقول الحملة المصرية على الحبشة (١) ١٨٧٥ - ١٨٧٦ وما منيت به من فشل على أيدي هؤلاء الشراكسة .

وكان عرابى ممن اشتركوا فى تلك الحملة ، وعين نددوا بالحكومة القائمة لتقصيرها فى توفير الأسلحة والذخائر بما كان له أعمق الأثر فى فشلها .

أضف الى ذلك الاخطاء العسكرية الجسيمة التى تردى فيها هؤلاء ، التى أودت بحياة الآلاف من أبناء مصر . وكانت النتيجة النهائية لتلك الحملة أو إن شئت فقل المهزلة الاحتفال بهؤلاء القادة عند عودتهم الى مصر والإنعام عليهم بالأوسمة والنياشين .

ظهرت آثار تلك الحملة فى نفس عرابى وفى كتاباته (٢) التى سجل فيها أخبار تلك الحملة فما أن عاد عرابى وزملاؤه من تلك الحرب إلا وقاموا بتأسيس جمعية سرية فى ١٨٦٧ سميت «جمعية مصر الفتاة» ، وكان من بين أعضائها عدد من المفكرين والادباء . وكان على الروبى زميل عرابى وصديقه المؤسس الأول لها ، كما ضمت الجمعية أيضا على فهمى . وبمرور الوقت أصبح أحمد عرابى أبرز عضو فيها .

واتخذ الأعضاء من جريدة أبو نظارة التى كان يصدرها يعقوب صنوع لسان حالهم والمعبرة عن آرائهم . وكانت تصدر باللغة العامية وفى أسلوب ساخر مرير

(١) راجع كتاب د. محمد محمود المروجى . العلاقات بين مصر وأثيوبيا فى القرون التاسع عشر .
(٢) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ص ٣٣ - ٤٥

بما اضطر السلطات الحاكمة الى غلقها ونفى صاحبها إلى باريس . ومع ذلك ظلت تصدر في المنق وتهرب إلى مصر .

وكانت الجريدة تحمل على التدخل الأجنبي والامتيازات الأجنبية ، وتحكم الأتراك والشراكسة في الجيش ، وتطالب بفتح باب الترقى أمام الضباط المصريين . ولقد فكر الأعضاء بصفة جديدة في عزل اسماعيل بصفة أس الفساد . ولاعتقادهم بأن أى إصلاح لن يؤتى ثماره طالما كان الخديو متربعا في الحكم .

وبما ضاعف من غضب الضباط المصريين التجاهل زيارة نوبار في فبراير ١٨٧٩ إلى إحالة ألفين وخمسمائة ضابط إلى المعاش بنصف مرتباتهم بحجة الاقتصاد في ميزانية الدولة ، مما اضطر أربعائة من هؤلاء الضباط إلى مهاجمة نوبار (باشا) ومستتر ولسون الوزير الانجليزي في الوزارة المصرية والاعتداء عليها وحبسها لولا تدخل الخديو اسماعيل لاطلاق سراحها . ويقال أن الخديو أوعز إلى هؤلاء الضباط للقيام بهذا العمل انتقاما من نوبار لمملأته النفوذ الانجليزي ولكي يثبت لبريطانيا أنه مازال صاحب النفوذ والسلطان ، وأنه لولا تدخله لما استطاع كليهما الإفلات من قبضة الثائرين .

ويمكننا أن نقسم المراحل التي مرت بها الثورة إلى أربع :

المرحلة الاولى

وفيما حدث تقارب والتحام بين جمعية مصر الفتاة التي تمثل جناح العسكريين بالحزب الوطني الذي يتركز فيه كبار ملاك الأرض . وقد حاول عرابي في ذلك الوقت أن يقنع أعضاء الحزب الوطني بخلع اسماعيل وعلان النظام الجمهوري وقد عبر عن هذا المعنى بقوله :

وأن تتحد ونخلع اسماعيل... ولكنه لم يوجد يومئذ من يقود الحركة، ولذلك فان اقتراحى لم ينفذ وإن حاز القبول - وقد ألقى عزل اسماعيل بعد ذلك عبثا ثقيلا عن كواهلها وعم الفرح ، ولكن لو فعلنا ذلك بأنفسنا لكان أفضل إذ أننا كنا نتخلص من أسرة محمد على كلها وكنا نستطيع إقامة جمهورية .

ففكرة عزل اسماعيل كانت موجودة لدى الفريق العسكرى ، وكان عدم إخراجها الى حيز التنفيذ فى ذلك الوقت أن الرعامة لم تكن قد عقدت لواها لمران بعد . وبدل هذا بمعنى آخر على أن حزب مصر الفتاة أو حزب العسكرين كان أكثر ثورية من الحزب الوطنى . ومع ذلك فقد استمر الحزبان يسيران جنبا الى جنب فى هذه المرحلة .

المرحلة الثانية

فى هذه المرحلة تتضح الرؤية أمام الباحث بشكل أكبر فيعملن الحزبان السريان عن نفسيهما ويدعوان الى عقد اجتماعات عامة على كافة المستويات لدراسة الأوضاع القائمة وإعداد الرأى العام للكفاح من أجل المطالب الوطنية . وقد أدت تلك الاجتماعات الى عقد مؤتمر فى أبريل سنة ١٨٧٩ حضره اثنان وستون من رجال الدين وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر ، وقاضى القضاة ، وبطريارك الأقباط ، وحاخام اليهود ، وسبعة وثلاثون من ضباط الجيش ، وواحد وأربعون من كبار الملاك الزراعيون والتجار ، وستون من أعضاء ومجلس شورى النواب ، أسفروا عن تدوين محضر بما دار بهذا الاجتماع سمي بـ المحضر الأهلى . تقدموا به الى الخديو اسماعيل طالبين فيه منح مجلس شورى النواب من الحقوق مالمجالس النيابية فى دول أوروبا . وكذلك تعديل قاعدة الانتخاب وتشكيل وزارة مصرية صرفة ، والإبقاء على قانون المقابلة . وكان هذا الطلب الأخير بناء على إلحاح أعضاء الحزب الوطنى من كبار المزارعين .

وقد ظنت إنجلترا وفرنسا خطأ أن الخديو اسماعيل وراء تلك الحركة - وإن كنا لا نتقن بأن الخديو اسماعيل قد حاول الاستفادة منها لأنه وجد فيها جبهة أخرى معارضة للتدخل الأجنبي - فأوعزت إلى الباب العالي بخضه . ولما كان هذا العمل يتفق مع هوى السلطان العثماني ، لما قد يتيح له من الظروف ما تمكنه من سحب الامتيازات التي حصلت عليها مصر بمقتضى فرمانات ، ولاسيما فرمان الشامل (١٨٧٣) ، باعتبار أن تلك الامتيازات إنما منحت للخديو بصفته الشخصية ، فقد رحب بهذا الطلب فأصدر فرمانا بعزل اسماعيل وتعيين ابنه توفيق بدلاً منه . ولكنه لم يستطع أن يمس الامتيازات السابق منحها لمصر إلا فيما يتعلق بتحديد عدد قوات الجيش المصرى بشانية عشر آلاف جندي .

حاول توفيق في أول الأمر أن يظهر عطفه على الأمانى الوطنيه لتهديمه الحركة ريثما تمهياً له الظروف المناسبة لإعلان نوابه الحقيقية . وسرعان ما عصفت بالمكاسب الوطنية فألغى مشروع اللامحة الأساسية لمجلس النواب وأعاد المراقبة الثنائية على مالية البلاد ، وأعلن الحكم المطلق ، وأصدر قانون التصفية الذى ألغى قانون المقابلة . كما أغلق الصحف الوطنية لإسكات الأصوات الحرة ، ونفى السيد جمال الدين الأفغانى خارج البلاد . وهذه الوسائل والاجراءات التعسفية تبدأ المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة

تتسم تلك المرحلة بالزعامة المطلقة للحزب العسكرى وتردد طبقة كبار الملاك الزراعيين في مواصلة الشوط إلى نهايته وتقايسهم في نهاية الأمر . وفى هذه المرحلة . ظهر عرابى كزعيم وطنى لامنازع له للحزب العسكرى بإجماع الآراء . حدث ذلك عندما اجتمع بمنزل أحمد عرابى في مساء ١٦ يناير سنة ١٨٨١ عدد

من الضباط الوطنيين في الجيش وهم : الميرالاي (عميد) عبد العال حلى قائد
آلاى طره ، والبكباشى (مقدم) خضر خضر ، والميرالاي (عميد) على فهمى الديب
قائد الآلاى الاول ، والبكباشى (مقدم) محمد عبيد من ضباط نفس الآلاى ،
والبكباشى (مقدم) ألقى يوسف من ضباط الآلاى الرابع ، والقائمقام (عقيد)
احمد عبد الغفار بآلاى الفرسان . وتناقشوا في أمر سياسة عثمان رفقى ناظر
الجهادية التعسفية ، ونواياه العدوانية تجاه الضباط الوطنيين . وبعد أن استمع
عراي الى شكاياتهم قال لهم : « ماذا تريدون إذا ؟ فقالوا انما جئنا لئرى رأيك ،
فقلت : رأيي أن تطيبوا نفوسكم ، وتهذبوا روعكم ، وتعتمدوا على رؤسائكم
وتفوضوا اليهم النظر في مصالحكم ، وهم يتخذون من بينهم رئيسا يثقون به كل
الوثوق ، ويسمعون قوله ويطيعون أمره ، ويحفظون بمعاضدتكم اذا أرادت
الحكومة به شرا ؛ فقالوا كلهم : إنا فوضنا اليك هذا الأمر ، فليس فينا من هو
أحق به وأقدر عليه منك ، فقلت كلا ، بل انظروا غيرى وأنا اسمع له وأطيع ،
وأنصح له جهدى . فقالوا : إنا لا نبغى غيرك ، ولا نثق إلا بك ، فأبنت لهم أن
الأمر عصيب ، ولا يسع الحكومة إلا قتل من يتصدى له ، فقالوا نحن نفديك
ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا ، فقلت لهم أقسموا لى على ذلك ، فأقسموا على
السيف والمصحف (١) .

وباتضح تلك الحقيقة وبانتقال زمام المبادرة من أيدي حزب كبار ملاك
الى أيدي حزب العسكريين ينسحب كبار الملاك من مصكر الثورة رغم حرص
عراي على توكيد الرابطة بين الحرب الوطنى والفريق العسكرى حتى ذلك الوقت .

(١) أحمد عراي كشف الستار عن سير الأسرار ص ١٥٢

وبانتقاد لواء الزعامة لأحمد عرابي بدأ الصدام بين الحزب العسكري والحديوي يأخذ مظهرا خطيرا تمثل في أول الأمر في حادثين هاميين : الأول : حادث قصر النيل . وحادث قصر عابدين .

حادث قصر النيل

أما عن الحادث الأول فيرجع السبب فيه الى سوء سياسة عثمان رفقى وتمصبه لبني جنسه ، ففي ٣٠ يوليو ١٨٨٠ صدر مرسوم خديوي ينص على بقاء الجندي في العسكرية العاملة أربع سنوات ، ثم يبقى رديفاً مدة خمس سنوات ، على أن يتردد خلال تلك الفترة على مديريته شهرين من كل عام لممارسة التمرينات العسكرية. وبعد انقضاء تلك المدة يصبح المجند جندياً احتياطياً تحت الطلب لمدة ست سنوات آخر .

ولما كان عرابي وزملاؤه رفقوا من تحت السلاح فقد وجدوا في هذا القانون لإجحافاً بحق المصريين . وفي هذا الصدد يقول عرابي : « تخيلت له نفسه (يقصد عثمان رفقى) أن يمنع ترقى المصريين العاملين في الآليات تحت السلاح . ثم شرع فعلا في سن قانون فحواه الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح . وصدرت أوامره بذلك ليتمكن من النكاية بأبناء الوطن وحرمانهم من الرتب، وجعلهم أنفارا تحت تسلط الترك والجرکس . ويكون هؤلاء الخط الأوفر والنصيب الأكمل من الارتقاء الى الدرجات السامية والرتب الشريفة . » (١)

(١) صحف السفار عن مصر الاسرار ص ١٥١

هذا فضلا عن اضطهاد عثمان رقى للضباط الوطنيين مثل الاميرالاي(العميد) عبد المال حلى والقائمقام (العقيد) أحمد عبد الغفار .

وفي منتصف يناير ١٨٨١ تقدم أحد عرابي وعبد المال حلى وعلى فهمى نيابة عن ضباط الجيش بعريضة الى رئيس النظار يطلبون فيها مايلي: (١)
أولا - عزل ناظر الجهادية المذكور . وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقوانين التي بأيدينا .

ثانيا - تشكيل مجلس نواب من نهباء الامة تنفيذيا للأمر الخديوى الصادر عقيب ارتقائه مسند الخديوية .

ثالثا - إبلاغ الجيش العامل الى ١٨٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطاني .
رابعا - تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الاجناس والمذاهب .

وبدلا من أن تؤخذ الامور بشيء من اللين وبعد النظر تسرع الخديوى فى القبض على هؤلاء الزعماء الثلاثة واعتقالهم وتقديمهم للحاكمه أمام مجلس عسكري .

وعندما علم رجال الجيش بهذا النبأ زحف الضابط محمد عبيد بجنوده على قصر النيل وهاجم السجن وأخرج عرابي وزميله عنوة . ثم توجه الجميع الى قصر عابدين مجددين مطالبهم السابقة . ولم يكن أمام الخيو توفيق بعد أن وصلت

الأمور الى هذا الحد ، إلا الاستجابة الى رغباتهم فمزل عثمان رفق وعين محمود
سامى البارودى بدلا منه .

الحديو يسترضى الضباط

كان الحديو توفيق حريصا على استرضاء الضباط حتى لا يبقى في نفوسهم
شيء من أثر الحادثة ، فدعا في ١٢ فبراير ١٨٨١ الى قصر عابدين ضباط الآليات
بالعاصمة من رتبة البكباشى (المقدم) فما فوقها . ثم ألقى فيهم خطبة تقتطف منها
بعض العبارات التي تؤكد المعنى الذى ذهب اليه الحديو ، (١) فيقول : « انكم
تملئون حق العلم ما عندى من الميل والمحبة للعساكر والالتفات الى شئونهم من
يوم استلأى لزام الحكومة ... فلذلك لا أخفى عنكم ما حصل لى من الأسف
بأسباب الحركة التي حدثت وانقضت ، ومع هذا فاني قد عفوت ولم يبق في قلبي
من أثرها شيء بالكلية » .

ورغم ذلك فلم يكن الضباط الوطنيون يأمنون على أنفسهم من غدر الحكومة
ويطش الحديو . ولذا كانوا يتقلون تحت حراسة دائمة . وأخذوا يكتفون من
الاجتماعات السرية التي كانت تمتد ليلا في منزل عرابي . ولكن بعد عزل
البارودى وتولية داوود (باشا) أصدر أمرا بمنع اجتماع الضباط في المنازل والتفرغ
لأعمالهم . « وأن كل من تسكلم منهم مع آخر في الأمور السياسية سجن بالقلعة ،
وكان داوود باشا يتفقد لإنفاذ هذه الأوامر بنفسه لخرج الحالة وبث عبد ، القائد
باشا مأمور ضبظية القاهرة العيون على منازل رؤساء الحزب العسكري لمنع
اجتماعهم » (٢).

(١) الوقائع المصرية عدد ١٢ فبراير ١٨٨١

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ٢٠ ص ٣٧٨

وقد ترتب على هذا الحادث نتائج خطيرة، فانتصار العسكريين قد منحهم الثقة بأنفسهم وبمقدرتهم على تغيير الأوضاع القائمة وفق ما يشامون . كذلك كان لهذا الانتصار صدى قويا في الأوساط الشعبية فبدأ تعلق الجماهير بعراي وأخذوا يلتفتون حوله ، فثورته ضد الخديوية المستبدة ، ونجاحه في الوصول الى أهدافه قد رفعه في أعين هؤلاء الى منزلة الأبطال. كما أن هذا النجاح الذي أحرزه العسكريون قد أزعج الحزب الوطني وأزعج الرأسماليون المصريون .

كان النجاح الذي لقيه العسكريون في الجولة الأولى دافعا لهم ليخطوا الخطوة التالية وأن ينتقلوا من مرحلة المطالب الخاصة بالجيش الى مرحلة المطالب العامة المتعلقة بالامة بأسرها والتي يمكن بلورتها في المطالبة بحياة نيابية سليمة ومناهضة التغلغل الأجنبي في البلاد . وقد وجدت هذه الخطوة تأييدا من جانب طبقة كبار الملاك الزراعيين باعتبار أن تلك المطالب تتفق مع أهدافهم الرئيسية .

وكان وجود البارودي على رأس نظارة الجهادية مشجعا لجميع الآلايات على التقدم بعريضة (١) تطلب فيها ادخال اصلاحات معينة على الجيش . وقد أجابت الوزارة على معظمها . وبناء على التقرير الذي تقدم به رياض (باشا) رئيس النظار أصدر الخديو مرسوما بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ يقضى الأول بزيادة رواتب الضباط والجنود ، ويقضى المرسوم الثاني بتأليف لجنة (قومسيون) برئاسة ناظر الجهادية والبحرية للاطلاع على القوانين والنظم العسكرية الحالية ، ومحاولة ادخال ما يرويه من اصلاحات عليها ، وكان عراي أحد أعضاء هذه اللجنة .

(١) كصف السناج ١٦٦

أما عن زيادة المرتبات فكانت على النحو التالي :

المهام القديمة	المهام الحالية
قرشا	قرشا
٧٥٠٠	فريق ٨٠٠٠
٦٠٠٠	لواء ٦٥٠٠
٤٠٠٠	أميرالاي (عميد) ٥٠٠٠
٢٥٠٠	قائم مقام (عقيد) ٣٥٠٠
٢٠٠٠	بكباشي (مقدم) ٢٥٠٠
١٢٠٠	صاغ قول أغاسي (رائد) ١٥٠٠
٥٠٠	يوزباشي (نقيب) ٩٥٠
٤٠٠	ملازم أول ٧٥٠
٣٥٠	ملازم ثاني ٦٠٠
١٣٠	صواقول أغاسي (مساعد) ٢٥٠
٥٠	باشجاويش (رقيب أول) ٨٠
٤٠	بلوك أمين (رقيب) ٧٠
٣٠	أونباشي (عريف) ٤٠
١٩	نفسر ٣٠

حادث عابدين

أما عن الحادث الثاني فقد صاحب عرابي فرقة العسكرية في ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وذهب إلى قصر عابدين وسط الآلاف من سكان القاهرة حيث توسط ساحة القصر ورابط هناك . وعندما شعر الخديو بذلك نظر لإستجلاء حقيقة الأمر

وكان برفقته تشارلز كوكسن القنصل الانجليزي وسير أوكلاند كولين المراقب
المالى البريطانى والجنرال جولد سميث مراقب الدائرة السنوية والجنرال ا.تون
رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى وبعض الضباط الاوربيين .

وفى هذا اللقاء اجتمع النقيضان ، يقف عرابى ومن ورائه الجيش المصرى
والشعب ممثلا للاتجاه القومى التحررى ويقابله فى الاتجاه الآخر الإستبدادية ممثلة فى
الخديو والنفوذ الاجنبى (والقنصل الانجليزى و الموظفين والضباط الاوربيين)
تساندهم الرجعية المصرية .

ويصف لنا عرابى فى مذكراته تفاصيل تلك المقابلة بشئ من التفصيل فيقول
أنه عندما سئل عن أسباب حضوره قال : « جئنا يامولانا لتعرض عليك طلبات
الجيش والامة وكما طلبات عادلة . » فقال الخديو « وما هى هذه الطلبات ؟ »
فرد عرابى : « هى اسقاط الحكومة المستبدية وتشكيل مجلس نواب على النسق
الاوروبى » فقال الخديو : « كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها وأنا ورثت ملك
هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أتم إلا عبيد لإحساناتنا ، فقال عرابى :
« لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا ترأثا أو عقارا فوالله الذى لا إله إلا هو إننا
سوف لانورث ولانستعبد بعد اليوم . »

بلغ الحوار مداه وبلغ التحدى مداه ، فعرابى يسانده الجيش وتقف من
ورائه الامة يرفع الصوت عاليا بالمطالب العادلة ، وبأبى الخديو الذى يستند على
التأييد الاجنبى ممثلا فيمن حوله من الاجانب أن يستجيب لنداء العقل إلا
مضطرا . فخوفا من عواقب معارضته أحنى رأسه للعاصفة مكرها ووافق على
مطالب الامة والجيش .

المرحلة الرابعة

لم يكن توفيق مخلصا فيها أعلن ، فاستغل التباعد والنفور اللذين خيما علي العلاقة بين الحزب العسكري وحزب كبار الملاك الزراعيين ، في إذكاء الخلاف بينهما . فأسند إلى شريف (باشا) وهو من كبار أقطاب الحزب الوطني - تشكيل الوزارة . وعاق شريف قبوله هذه المهمة بانسحاب عرابي وعبد العال حلي بفرقتيها إلى مديرية الشرقية ليتيح للوزارة فرصة العمل بعيدا عن ضغط الجيش .

وكان هدف الخديو من ذلك إيقاع الفرقة بين الحزبين كي يضرب أحدهما بالآخر ، ويقضى بذلك على الحركة القومية .

ولكني يفوت عرابي على الخديو فرصة لإحداث هذا الصدع في العلاقات بين قادة الحركة الوطنية من الحزب قبل ترك القاهرة إلى رأس الوادي بمديرية الشرقية .

كان شريف حريصا في وزارته الثالثة على استرضاء ضباط الجيش عن طريق إدخال الإصلاحات العسكرية المطلوبة ، لتستقر أمورهم وليخلدوا إلى الهدوء والسكينة ، حتى يتيحون له فرصة التفرغ لإصلاح شئون البلاد في تلك الظروف الدقيقة . فتقدم إلى الخديو توفيق بتقرير القومسيون العسكري السابق تشكيله بمقتضى الأمر العالي الصادر بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٨١ لتنظيم القوانين العسكرية . ويتضمن التقرير المشروعات الآتية : (١)

(١) كشف السوء عن سر الأسرار من ٢٥٠ .

- أولاً : قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية .
ثانياً : د تسوية حالة الضباط المستودعين .
ثالثاً : د معاشات الجهادية البرية والبحرية .
رابعاً : د القواعد الأساسية الذي يليه قانون الترقى .
خامساً : د الضمان والامتيازات والاعانات العسكرية .

ووافق الخديو عليها في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ . كما أصدر مرسوماً آخر في ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨١ بتنظيم التعليم في المدارس الحربية ، ويشتمل على برامج التعليم فيها ، وشروط الإلتحاق بها ، وبيان التعليمات العسكرية فيها ، وما إلى ذلك .

بدأ شريف في إجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد وحاز الحزب الوطني بحكم سيطرته على الحكم أغلبية المقاعد في المجلس ، وبذلك سيطر على السلطتين التشريعية والتنفيذية . وافتتح المجلس الجديد في ديسمبر ١٨٨١ حيث عرض عليه شريف اللائحة الأساسية (الدستور) .

وأهم ما تضمنته تلك اللائحة من مبادئ أثارته جزءاً كبيراً من أعضاء المجلس هو عدم اعترافها بسلطة المجلس في نظر الميزانية . وكان شريف يستهدف من وراء ذلك تحاشي الاصطدام بالدول الأوروبية صاحبة المصالح وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا ، حتى لا يؤدي هذا الصدام إلى عودة العسكريين إلى مركز الزعامة

مرة أخرى ، وفقدان الحزب الوطنى سيطرته على مجريات الامور فى البلاد .
ونظرا لمعارضة عدد كبير من أعضاء المجلس لهذا المبدأ فقد حدث صدام بينهم
وبين شريف حول هذا الموضوع .

وعندما شعرت انجلترا وفرنسا بخرج مركز الوزارة وبالتالي خرج مركز
الخدوي أرسلتا المذكرة المشتركة الأولى فى ٧ يناير ١٨٨٢ تمربان فيها عن تأييدهما
التام لموقف الخديو فى معارضته للحركة الوطنية، كما أبديتا رغبتها الصريحة فى حل
مجلس النواب .

وإزاء توتر الموقف أسرع العسكريون إلى إمتلاك زمام المبادرة بعد أن أجبر
شريف على الاستقالة ، بأن تولى محمود سامى البارودى رئاسة الوزارة مع إسناد
نظارة الجهادية إلى احمد عرابى .

وعقب تولية عرابى نظارة الجهادية قام بحركة ترقيات واسعة فى صفوف
الجيش شملت الضباط والجنود ، ولاسيما الضباط الذين أبدوا حركته وناصروه .
وبذلك استطاع عرابى أن يدعم حركته بوضع المواليين له فى المناصب الرئيسية .
وفى هذا الصدد (١) يقول اسماعيل سرهنك ، « لايخفى ان الترقيات التى أجراها
عرابى فى الجيش كانت على غير قانون ولم يتبع فيها العدل لانه فضلا عن كونه
أحرم الضباط الجراكسة من الترقى فإنه أمر بالحاق الكثير منهم فى الآلاى
السودانى الذى تشكل لبقوية جيش السودان . وهذا القول يدل على ميل سرهنك
الى الضباط الجراكسة وكرهه المعرايين .

وما أن وليت تلك الوزارة الحكيم حتى أسرع بإصدار اللائحة الاساسية
التى نصت على مبدأ مسئولية الوزراء أمام مجلس النواب . وكذلك نصت على حق

(١) اسماعيل سرهنك . حقائق الاخبار ٢٠ ص ٣٨٦

هذا المجلس في مناقشة الميزانية وإقرارها . وفي ذلك الوقت بدأت أصابع الخديو تلعب في الخفاء وتحيك مؤامرة دبرها الضباط الشراكة للاطاحة بالوزارة الجديدة وقد أحبطت يقظة الوزارة تلك المؤامرة فساعدها ذلك على تطهير الجيش من الخونة . فكان ذلك تمهيداً ضرورياً اقتضته طبيعة المعركة القادمة .

رفض الخديو التصديق على الأحكام التي صدرت بإدانة ضباط المؤامرة بإيعاز من إنجلترا وفرنسا ، فأدى ذلك إلى توتر العلاقة بين الوزارة والخديو وبدأ العسكريون في ذلك الوقت يفكرون جدياً في عزل الخديو والتخلص نهائياً من حكم أسرة محمد علي . ولكن الحزب الوطني متعاوناً مع مجلس النواب رفض الأخذ بهذا الرأي . ومن ثم بدأ الانشقاق واضحاً بين معسكر الجيش ومعسكر الخديو بمن يلوذ به من أعضاء الحزب الوطني وأعضاء مجلس النواب .

وفي مواجهة هذا الموقف المضطرب الملىء بالاحتمالات أسرع بريطانيا وفرنسا بإرسال بعض قطع من أسطوليهما إلى مياه الإسكندرية . وكذلك إرسال المذكرة المشتركة الثانية في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تطالبان فيها بإقالة وزارة البارودي ونفي عرابي خارج البلاد وإبعاد زملائه عن مدينة القاهرة .

بدأ كل معسكر من المعسكرين يستجمع قواه لمعركة لا مفر منها ، وأخذ الفريقان يستقطبان فوقفت الأسبالية المصرية والتدخل الأجنبي وعلى رأسها الخديو في جانب ، والوزارة الوطنية ومن ورائها الشعب في جانب آخر .

رفضت الوزارة قبول المذكرة ، ولكن الخديو قبلها لإحراجاً لمركزها مما حد بالبارودي إلى تقديم إستقالته . ونظراً لأضطراب الموقف ولضغط الرأي العام المصري على الخديو قبل مسكها إسناد وزارة الحربية إلى عرابي للحفاظ على الأمن والنظام في البلاد .

وفي ذلك الوقت بدأ الخديو يتحرك لضرب الثورة فأصدر منشورا إلى مديري المديرية هذا نصه :

و بما أن هيئة النظار الحاضرة استمعت صار قبول استعفاها . فليكن معلوما ذلك لديكم لتصرفوا جهنكم واقتداركم في المحافظة التامة منكم ومن مأموري المديرية الموكلة لإدارتهم ، والدقة والإتباء لحسن سير الأشغال والمصالح المتعلقة بكم ، كما أنه من حيث أن المراكب الحربية الأجنبية التي حضرت إلى الاسكندرية لم يكن حضورها إلا بوجه سلمى فقط ، ولم يكن هناك شيء آخر خلاف ذلك ، فليس هناك لزوم لأرسال أحد من عساكر الإمدادية الذين صار طلبهم أخيرا بمعرفة الجمادية ، بل إن الموجود منهم تحت الحضور لهذا الطرف يصير إعادته لبلده ، والذي تحت الحضور من البنادق يتنبه بصرف النظر عن حضوره ، و اعلان المراكز والأقسام بالتنبيه على مشايخ وعمد البلاد بهذا المضمون للعلم بعدم الاقتضاء لجمع عساكر ، وأتتباه كل لأشغاله وزراعته بدون اشتغال في غير ذلك

ففي هذا المنشور تعرض الخديرك لمطتين جوهريتين : الأولى لإهمام المصريين بأن المراكب الإنجليزية والفرنسية الرأسية في ميناء الاسكندرية ليست لها نوايا عدوانية حتى لا يحتاط المصريون للاخطار المحدق بهم ، ولما في ذلك من تسهيل لمهمة الدولتين المعتديتين . والنقطة الثانية أن وزارة البشارودي - إدراكا منها لخطورة الموقف - طلبت من مديري المديرية جمع العساكر الرديف لتعزيز القوات المصرية . ولما كان في ذلك خطر على الخديو ، وعلى الدولتين المرسلتين للذكورة ، فقد حظر على المديرين جمع هؤلاء الجنود لتظل قوة مصر العسكرية محدودة .

والتي تثبت بريطانيا عجز عرابي عن حفظ الأمن ولتتيح لنفسها فرصة التدخل ، دبرت مذبحه الاسكندرية في ١١ يونيه عام ١٨٨٢ .

أصبح التدخل الاجنبي أمرا لا مفر منه بعد حدوث المذبحة ، دل على ذلك تدفق جموع المهاجرين الاجانب على الاسكندرية للنزوح عن البلاد ، وسفر الخديو الى الاسكندرية ليكون على مقربة من الاسطوابن الانجليزى والفرنسى ، وليفر من قبضة العرابيين فى القاهرة ، ومعاذرة السير ادوار مالت قنصل إنجلترا الجئرال بالاسكندرية ، وكذلك المستر كولسن القنصل الانجليزى .

وفى ٦ يوليو ١٨٨٢ أرسل الاميرال سيمور قائم الاسطول الإنجليزى بمياه الاسكندرية انذارا إلى طلبه عصمت قومندان موقع الاسكندرية بأمره بالكف عن إجراء ترميمات الحصون ، فرد عليه طلبه بأنه لم يتم أى عمل جديد فيها . ولم يكن هذا الانذار بطبيعة الحال سوى الوسيلة أو المبرر للتدخل العسكرى .

وفى ١٠ يوليو بعث الاميرال سيمور بأنذاره التهايم الى طلبه عصمت يطلب فيه تسليم البطاريات الموجودة بحصون شبه جزيرة رأس التين ، وكذلك الكائنة بميناء الاسكندرية الجنوبي ، وإلاضربت تلك الحصون فى صبيحة اليوم التالى . وقد عرض الانذار على مجلس النظار ، وبعد مناقشات طويلة أستقر رأى الاغلبية على رفض مطالب الاميرال .

وان تدخل فى تفاصيل المعارك التى دارت بين الطرفين ، ولكننا سنتعرض بشيء من الاجمال لقوة دفاع المدينة عند قصفها بمدافع الاسطول الانجليزى . كانت بسواحل المدينة سلسلة من الحصون ترجع إلى عهد محمد على ، وإن كان الخديو اسماعيل قد أجرى بها بعض الترميمات وزودها بقطع من المدفعية الحديثة طراز ارمسترنج ، إلا أنها كانت قليلة العدد فلم يتجاوز عددها ٩٤ مدفعا من

بمجموع المدافع البالغ عددها ٢٢٩ مدفعا معظمها من طراز قديم ، قصير المدى .
وهذه الطواحي أو الحصون تتناثر على الساحل من الغرب إلى الشرق ، تبدأ بطابية
العجمى البحرية ، فطابية الدخيلة ، فطابية المكس . ثم يليها البرج نمرة ١٥ ،
فطابية القمرية ، فطابية أم قبيبة ، فطابية صالح ، فطابية باب العرب ، فطابية
الفتار ، فطابية رأس التين ، فطابية الأظه ، فطابية الهلالية ، فطابية فابتباى ،
فطابية السلسلة .

وفي داخل المدينة توجد طابية كوم الناضورة ، وطابية كوم الدكة . أما عن
حامية تلك الحصون فكانت لاتزيد عن ٧٠٠ جندي كما ذكر عرابي (١) . أما
قوات البيادة (المشاة) فكانت تتكون من أربعة آليات يبلغ عددها ١٢٠٠٠
جندي ، وهي لم تشارك في القتال .

القوة المهاجمة

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر نجد قوة الاسطول البريطاني تتكون من
خمس عشرة سفينة : منها ثمانى مدرعات ، وخمس سفن مدفعية ، وسفينة للطوربيد
وأخرى كشافة .

أما عن مدفعية الاسطول فجميعها من طراز ارسترنج ويبلغ مجموعها ٧٧
مدفعا . ففى من هذه الناحية تفوق في قوتها ما يمتلكه الجانب المصرى .

وفي الساعة السابعة من صباح ١١ يوليو ١٨٨٢ بدأت البوارج الإنجليزية
تقصف المدينة وطوايها بوابل من قنابلها ، وأستمر الضرب عشر ساعات ونصف

الساعة على التوالي لإلّا من فترات انقطاع قليلة . ونظرا لبعده مدى المدفعية الإنجليزية وأحكام ضربها ، فقد نالت من الطوابق الساحلية أى منال . بينما كانت السفن الإنجليزية تقف بمأمن من مدفعية الطوابق التي كانت لاتصل إليها . ويصف لنا عرابي أحداث يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ بقوله : « لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخبرات ، فإن نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين . بالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢ ، ولم تجاوبها مدافع القلاع إلا من بعد إطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة . ثم استمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الإسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار ، ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص حتى تم تدميرها قبل الغروب ، وقد باغتنا الإنجليز بالعدوان على غير استعداد منا ، وكان ضرر شظايا الأحجار المتناثرة من تأثير مقذوفات العدو عظيما أكثر من تأثير المقذوفات نفسها ، ومن المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ، ولكن أكثرها مسلح بالأسلحة القديمة التي لاتصلح لمقاومة الدوارع الإنجليزية ، غير أن بعضها مدافع ارمسترنج وهي وحدها الأسلحة النارية التي تصلح لحرق دروع السفن الإنجليزية . . أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لاتصل إلى السفن الإنجليزية ، ومدافع ارمسترنج لم يكن لها من المساطر التي تضبط المسافات وتحكم الإصابة بواسطتها إلا مسطرة واحدة كانت فى ميدان الرماية والتعلم بالعباسية واستحضرت ليلا وتسلبها سيف النصر بك قومندان طابية الفنار ، فكان يطلق المدافع بنفسه ، وينقل من مكان إلى آخر ويحكم الإصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، قال ولو كانت مدافع ارمسترنج ذات مساطر لامكنتها تعطيل كافة الدوارع الإنجليزية بما تقذفه عليها من المقذوفات الصائبة . »

يبدو من وصف عرابي للمعركة أن استعداداتنا العسكرية كانت غير نامة ، بل

ناقصة إلى حد كبير . ولكن رغم عدم التكافؤ الواضح بين القوتين ، فقد بذل المصريون جهودا كبيرة للدفاع عن المدينة بكل ما أوتوا من قوة في حدود إمكانياتهم الضئيلة . ونستطيع أن ندلس بوضوح ما قدمه المصريون من تضحيات وما قاموا به من ضروب البطولة فيما كتبه جون نينه (عميد الجالية السويسرية في مصر وقتئذ) حيث يقول : « وقد أدى رماة مدافع ارمسترنج عملهم على خير مايرجى ، وذلك على الرغم من أن مدافعهم كانت أقل عيارا من مثيلاتها من المدافع الانجليزية ، وقد أصابوا سبع مدرعات لإصابات بعضها خطير ، وبعضها ضئيل ومع هذا فما كان أروع منظر الرماة المصريين الذين كانوا خلف مدافعهم المكومة كأنما هم في استعراض حربي لا يخافون الموت الذي يحيط بهم ، وكانت معظم الحصون بلا حواجز تقيها ولا متاريس ، ومع هذا فقد كنا نلح هؤلاء البواسل من أبناء النيل خلال الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا في حومة الموت قد بعثوا ليناضلوا العدو ويواجهوا نيران مدافعه . وكان القادة يزورون الحصون ويستحثون الرجال . ولقد أدى الجميع واجبهم رجالا ونساء كبارا وصغارا ، ولم تكن ثمة أوسمة أو مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم ، وإنما كانت تثير الحماسة في نفوسهم عاطفة الوطنية والثورة على ما استهدفوا له من فظائع وهم في مواقفهم البواسل المجهولون الذين لم يفكر أحد فيها تحملا من آلام . . »

وفي هذه المحنة جاد كل فرد في الأمة بما يملك لموازة الثورة ومواصلة القتال . وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده : « وهل يقدر أحد أن يشك في كون جهادنا وطنيا صرفا بعد أن آزره رجال من جميع الاجناس والاديان ، فكان يتألب المسلمون والاقباط لجدته بجاس غريب وبكل ما أوتوه من حول وقوة لإعتقادهم أنها حرب بين المصريين والانجليز . وقد تبرع الاحرار والاعيان

والعلماء ... حتى النساء بالخيل والحبوب والتقود والميرة اللازمة للجيش ، وأظهر المدبرون والموظفون على اختلاف مراتبهم والكتيبة غيرية وحماية في جمع الميرة المطلوبة وحشد المتطوعة للجيش وسائر الأشغال العسكرية .

وقد رأيت الناس من فلاحين وبدو ذاهبين إلى الحرب برضاهم واختيارهم متشوقين لمقاتلة الانجليز ، وقد شمل هذا الحماس الاقباط ، وكان يشجعهم على ذلك رؤسائهم . وكان شباب القاهرة يمرحون في المدينة ليلا يتغنون بمدح عرابي ، وفي أى اجتماع ذكرت فيه الحرب كان الناس يدعون الله طالبين النصر لجيوشنا .

استقر رأى عرابي على اخلاء الإسكندرية والانسحاب إلى كفر الدوار حيث قاموا بعمل استحكامات متينة لصد القوات الانجليزية ومنعها من التوغل داخل البلاد . واستطاعت هذه الاستحكامات أن تصمد أمام قوات العدو نحو خمسة أسابيع . وكان بها ٨٠٠٠ جندي من خيرة القوات المصرية ، ومن مجموع القوات المصرية البالغ عددها ١٩٠٠٠ جندي حسب إحصاء جون نينيه ، و ١٣٠٠٠ جندي كما يذكر المستر بلنت .

شجع احتلال الانجليز لمدينة الاسكندرية الحديوي توفيق على إصدار منشور في ٧ أغسطس سنة ١٨٨٢ يحذر فيه المصريين من الانضمام إلى عرابي الثائر الخارج عن طاعته ويتوعددهم بالويل والثبور وعظائم الامور ، ويجعل عرابي تبعه ما حدث بالاسكندرية .

وفي ذلك الوقت أحس عرابي بحاجة إلى مزيد من القوات العسكرية فأصدر منشورا إلى المدبرين في ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٢ يأمرهم بتجنيد ٢٥٠٠٠ من الحفراء ، على أن يتم ذلك في أسرع فترة ممكنة .

نجح الإنجليز في خداع العربيين وإيهامهم بأن الميدان الغربي سيكون نقطة ارتكاز لهجومهم ، ولذا ركن عرابي خيرة قواته الضاربة عند استحکامات كفر الدوار . وترك الميدان الشرقي في منطقة القناة دون أن يوليها من العناية ما يستحقه ، لإعتقاد منه أن إنجلترا لن تخترق حيدة القناة ، وتصديقا للوعد الذي قطعه دلسيس على نفسه بأن القناة لن تكون ميدانا للعمليات الحربية بأى حال من الأحوال . وذلك بالرغم من نصيح المهندس محمود فهمي وإلحاحه بضرورة ردم القناة ، ليحول بين الأسطول الانجليزي والتدخل داخل البلاد .

وفجأة تحول الانجليز ناحية القناة ، ودخلت قواتهم البحرية مياه بور سعيد ، ونزلت بالقناة متجهة صوب الإسكندرية ، لاتخاذها نقطة ارتكاز لعملياتها الحربية . وعندما وصلت تلك الأنباء إلى عرابي أسرع بنقل مركز قيادته إلى الجبهة الشرقية . وخصم عرابي معركتي القصاصين والتل الكبير في ظروف غاية في السوء . فبالإضافة إلى قوات إنجلترا التي تفوق قواته عددا وعدة ، واجه عدواً آخر أشد ضرواً وأعظم بأساً من الانجليز ، سلاحه الغدر والخيانة والرشوة .

وفي هذه الظروف العصيبة تجيء طعنة أخرى لعرابي من الخلف ، وبين لم يكن يتوقع أن تصدر منه ، من السلطان العثماني عبد الحميد الذي استطاعت إنجلترا أن تضغط عليه لتتزع منه تصريحاً بخروج عرابي عن طاعته ، وهو الذي كان مؤيداً للثورة بالأمس ، نظراً لأنها قامت متأثرة بحركة الجامعة الإسلامية ، وكان عبد الحميد من مؤيدي مبادئها ، وبين يتخذون من تعاليمها سنداً لمواجهة الغرب المسيحي ، وتكتيل العالم الإسلامي خلفه . إلا أن إنجلترا أوضحت له بأنه ليس من الحكمة مساندة عرابي في ثورته ، فعنى هذا تشجيع الثورات الأخرى التي قد تنشأ في ممتلكاته . ولذا يصدر السلطان عبد الحميد منشوراً رسمياً

يعلن فيه عصيان عرابي وخروجه عن طاعته ، وان الحركات التي تجاسر عرابي (باشا) على إجرائها ممة هي مغايرة بالكلية لرضا الدولة العلية .

. ورغم تكاتف عوامل الشر على عرابي من كل جانب، فقد ظل قوى الايمان لا تلين له قناة ، وخاضت قواه الحرب ببسالة وشجاعة ، ووقفت في فترات عديدة على قدم المساواة مع القرات الانجليزية المهاجمة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الامة بمختلف طوائفها قد وقفت خلف عرابي ، تؤيده بالمال والرجال ، فلم ترض على الثورة بشيء . وجاد كل فرد حسب قدرته فن الناس من تبرع بمعظم ما يملك ، ومن لا يملك نقودا ، تبرع بحبوب أو ماشية أو خيول أو سمن . ومن لا يملك شيئا جاد بجهده ، فتطوع بين صفوف الجيش للقيام بأى عمل يستند اليه . ومن لا يملك مالا ولا جهدا تطوع بالكلمة ، فكان يحث الشباب على الجهاد وعلى الموت دفاعا عن أرض الوطن .

وعندما هزم عرابي في موقعي القصاصين والتل الكبير ، أسرع بالعودة إلى القاهرة لجمع بقايا قواته وتكثيل الشعب الدفاع عن المدينة، ولكنه وجد أعراضا من قبل الأعيان ، فلم سلاحه بعد أن أدى ما عليه من واجب .

حاكمة زعماء الثورة العرابية

ما أن احتلت القوات الانجليزية العاصمة إلا وصدر الامر بالقبض على زعماء الثورة العرابية وكل من شأبهم أو حامات حوله الشبهات حتى غصت السجون بما يزيد عن ٢٩٠٠٠ نسمة. نذكر منهم الزعماء السبعة أحمد عرابي ، ومحمود سامي البارودي ، ومحمود فهمي ، ويعقوب سامي ، عبد العال حلي ، وعلى فهمي ، وطلبه عصمت .

وفي ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر الخديو أمرا بتشكيل قومييرن مخصوص

في القاهرة لمحاكمة كل من ارتكب خطأ في حق الخديو . وكذلك تأليف محكمة عسكرية من أنصار الخديو لمحاكمة العربيين .

كما شكلت لجان للتحقيق في الأقاليم وفي مدينتي الاسكندرية وطنطا على وجه الخصوص . قضت المحكمة العسكرية بالحكم باعدام عرابي وزملائه الستة ، وتعديله الى النفي المؤبد بتدخل من السلطات البريطانية .

وفي ١٤ ديسمبر أصدر الخديو أمرا بمصادرة أملاك زعماء الثورة السبعة وحرمانهم من أموالهم وممتلكاتهم ، على أن تباع ويخصص ثمنها لدفع تعويضات حوادث الثورة . على أن يصرف لهم معاش شهري ضئيل للصرف منه في منفاهم . ثم أعقب ذلك بقرار آخر بتجريدهم من جميع رتبهم وألقابهم وشطب أسماؤهم من سجلات الجيش المصري .

قضت عادة الانجليز اذن بنفي عرابي وزملائه مدى الحياة . وبعد أن تخالفت منهم قبضت على زمام الامور في البلاد بيد من حديد ، دون ما شفقة أو رحمة . وجاء ايفلان بيرنج (اللورد كرومر) الى مصر كحاكم بأمره ، وملك غير متوج لاراد لسكلمته ، وليس لسلطانه حدود . كان هدفه تنفيذ سياسة انجلترا بمختلف السبل ، ولم يعمل أى حساب للبصريين أو للخديو الذى قبل أن يكون فى حى الانجليز ، طالما كان فى ذلك الضمان لعرشه .

تصفية الثورة العربية

واذا أردنا أن نفسر الأسباب التي أدت الى سرعة تصفية الثورة العربية يمكن إجمالها فى النقاط الآتية :

اولا : أن الموقف الدولى فى ذلك الوقت لم يكن بأى حال فى صالح الحركات

الوطنية في العالم بأسره ، فتفوق الدول الاستعمارية الساحق وتساويةها الى تقسيم آسيا وأفريقيا الى مناطق نفوذ جعل امكانية بخارج الثورة العربية أو أية ثورة أخرى قامت وقتئذ مثل ثورة الهند و ثورة إيران أمرا مستحيلا، مها كانت تلك الثورات على درجة من التنظيم والكفاية .

ثانيا : انقسام الجبهة الوطنية الداخلية على نفسها ، فالخلاف بين أعضاء الحزب الوطنى الممثلين للرأسمالية المصرية والحزب العسكرى قد لعب دورا هاما في تفتيت الجبهة الوطنية استغلته بريطانيا على خير وجه . هـذا بالإضافة الى أن أعضاء الحزب الوطنى لم يكونوا على استعداد لأن يذهبوا في معارضتهم للخدو الى أكثر من المدى الذى يستطيعون فيه الحصول على نوع من المشاركة فى الحكم . كما أنهم لم يستهدفوا من تلك الحركة تغييرا أساسيا فى نظام المجتمع المصرى .

ثالثا : إن عرابى قد تلقى طعنة من الخلف عندما أصدر السلطان العثمانى لإعلانا بعصيانه فتحولت بذلك الحركة الدراية فى نظر البعض من ثورة وطنية الى مجرد تمرد عسكرى ، وربما عزا بعض الناس هذا الموقف من جانب السلطان الى غضبه على عرابى لتفكيره فى إقامة نظام جمهورى فى مصر .

رابعا : إن عرابى لم يقطن الى أهمية تعبئة القوى الشعبية وتسلحها لتكون قوة له ولجيشه فى مواجهة الاحتلال . فبالرغم من ارتفاع الروح المعنوية لدى المصريين وتقائهم فى مساعدة الجيش بالمؤن والمقاتلين والأموال بصورة لم تعرفها البلاد من قبل ، إلا أن اهمال استخدام هذه القوة الهائلة فى مسانده حنبا الى جنب مع قواته العسكرية تد أفقده الشيء الكثير . ولقد فطن الى هذا العمل من قبل الزعيم عمر مكرم حينما تعرضت مصر للغزو البريطانى فى ١٨٠٧ فأخذ يثير

حماية الأهالي كي يتطوعوا للقتال وإقامة المتاريس والاستحكامات حول القاهرة تحت إشرافه . كما استطاع الرئيس جمال عبد الناصر في أثناء العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ أن يستغل تلك الطاقة البشرية الهائلة فزودها بالأسلحة وتمهدها بالتنظيم والتدريب لتسكون القاعدة العسكرية للقوات المحاربة . وبذلك استطعنا أن نتجح فيما فشل فيه أحمد عرابي .

خامسا : إن عدم قيام عرابي بتطهير الجيش تطهيرا كاملا من عناصر الخيانة والضعف قد أتاح للحديدو والانجليز الاتصال ببعض ضعاف النفوس من الضباط المصريين لشراء ذمهم عن طريق الرشوة .

سادسا : إن عرابي لم يحاول استغلال التناقض بين الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا والإفادة منه . لاسيما وأن فرنسا بحكم ظروفها الداخلية كانت عازفة عن التدخل الحربي في مصر ، نظرا لرفض البرلمان الفرنسي ذلك . كما أنه اطمأن الى اعتقاده الخاطيء بأن فرنسا لن تسمح لبريطانيا بغزو مصر .

سابعا : لم يقدر عرابي قوة بريطانيا العسكرية حق قدرها ، وكان يظن بأنها دولة بحرية لا تقو على القتال في البر . ومما يمكن من شيء فلإن الاحتلال العسكري البريطاني لمصر لم يكن سوى نقطة النهاية لسلسلة متصلة الحلقات من الاشكال المتعددة للاستعمار الأوربي ، بدأت في أعقاب إنهيار امبراطورية محمد علي في صورة تدخل اقتصادي ، ثم تدخل مالي في عهد اسماعيل عن طريق فرض صندوق الدين والمراقبة الثابتية ، ثم تدخل سياسي عن طريق وزيرين أجنبية في الوزارة المصرية . واختتمتها بريطانيا بالاحتلال العسكري .

موازنة بين ثورتين

ولإذا أردنا أن نوجد شيئا من الموازنة أو المقارنة بين الثورة العرابية وثورة ٢٣

يوليو سنة ١٩٥٢ نجد أن بينها أكثر من نقطة التقاء ونقطة خلاف :

أما بالنسبة لتقط الالتقاء نجد .

أولاً أن كلا الثورتين قد قامتا لتحقيق نفس الأهداف من القضاء على التدخل الأجنبي والافتتاح وإقامة حياة ديمقراطية سليمة وتكوين جيش وطنى قوى .

ثانياً : تشابه الظروف التي قامت فيها الثورتان إلى حد كبير . فثلا نجد أن الثورة العراقية قد سبقتها قيام حرب بين مصر والحشة في سنة ١٨٧٥ اشترك فيها أحمد عرابى وبعض أصدقائه من زعماء الثورة . العراقية . وفى تلك الحرب وضحت نقاط الضعف فى الجيش المصرى وما عليه قيادته التركية والجرسية من تخاذل وانحلال أودى بحياة الآلاف من المصريين . وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لحرب فلسطين مع إختلاف فى التوقيت وفى ابطال القصة .

ثالثاً : فى خلال تلك الحرب الحيشية اجتمع عرابى ورفاقه وتشاوروا فيما بينهم فيما يجب عمله للتخلص من هذا الحكم الفاسد صيانة لمصالح البلاد ، وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لجمال عبد الناصر ورفاقه عندما اجتمعوا وهم فى القتال على أرض فلسطين للتشاور فى القضاء على الأوضاع الفاسدة فى مصر .

رابعاً : عقب عودة عرابى وزملائه إلى مصر اتفقوا فيما بينهم على تكوين حزب مصر الفاة بصفة سرية لتنظيم صفوف الوطنيين فى الجيش . وقد حدث نفس الشيء بعد عودة الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه من حرب فلسطين فبدأت تشكيلاتهم السياسية تزداد عددا وتنظيها .

خامسا : ضمن عرابى آراءه السياسية وتجاربه التي مرت به في كتاب (كشف الستار سر الأسرار) وهو يشابه إلى حد كبير ما دونه الرئيس جمال عبد الناصر في كتاب (فلسفة الثورة) .

سادسا : أن كلا الثورتين قد قامت على اكتاف زعيمين مصريين من عامة الشعب ومن لمسوا عيوب المجتمع في تلك الفترة . فن هذه الناحية تتفق الثورتان في أنها مصريتان صميمتان تعبران تعبيرا صادقا عن مطالب الطبقة الكادحة .

سابعا : أن كلا الثورتين قد قامت في بادئ الأمر للمطالبة باصلاحات خاصة تتعلق بالجيش، ثم تطورت تلك المطالب الى مطالب قومية عامة .

ثامنا : أن كلا الثورتين كانت لها الصفة العسكرية وإن كانا قد تمتعنا بتأييد شعبي كبير أضفى عليها شعبية أصيلة .

ثاسعا : أن كلا الثورتين قد قامت ولم يكن الجيش المصرى على درجة من القوة العسكرية تسمح له بخوض معارك كبيرة . ولكنها قد اعتمدتا إلى حد كبير على التأييد الشعبي الشامل في مواجهة قوى الاستعمار .

هاشما : أن كلا الزعيمين كانا يتصفا بالجرأة والشجاعة والاخلاص التام والتفانى في خدمة الوطن . وقد بذل كلا منهما ما فى طاقته وفى حدود امكانياته ليقوم بواجبه على الوجه الأكمل .

أما عن وجوه الاختلاف بين الثورتين ، فيمكن إجمالها فى النقاط التالية :

اولا : من حيث الظروف الدولية ، نلاحظ أن الثورة العراقية نشبت فى ظروف غير مواتية للثورات الوطنية - لا فى مصر فحسب - وإنما فى كل أجزاء

العالم . بينما نجد أن الوضع قد تغير بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ انقسم العالم الى معسكرين : المعسكر الشرقى المناهض لنفوذ الغربى الاستعمارى، والمعسكر الغربى المتداعى- فيها عدا الولايات المتحدة الامريكيه - الذى يحاول الاحتفاظ ما أمكن بما تحت يده من مستعمرات ومناطق نفوذ ، فى وقت اشتدت فيه الحركات الوطنية التحررية نتيجة نمو الوعى القومى لدى الشعوب المحكومة . كل تلك الاسباب قد هيأت الجو المناسب لنجاح ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

ثانيا : إن الثورة العراقية قامت لتواجه بريطانيا فى أوج قوتها ، وفى ظروف دولية ملائمة للتوسع الاستعمارى . بينما نشأت ثورة ٢٣ يوليو لتواجه بريطانيا بعد أن نالت الحريين العالميتين منها كل منال . وكانت قد توارت الى الصف الثانى ، تاركة للتوتين الجديدتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى مركز الصدارة .

ثالثا : لا يجب أن يغرب عن البال اختلاف الامكانيات البشرية والاقتصادية والثقافية فى مصر ، عند قيام كل من الثورتين ، مما كان له أبعاد الأثر فيها ترتب عليها من نتائج .

رابعا : من ناحية الزعامة والقيادة ، نلاحظ أن اختلاف ثقافة كل من الزعيمين كما وكيفا ، قد انعكس على فهمه للأمور وتقديره لحقائق الموقف . فأحد عراقي لم يزل قسما كافيا من التعليم المدنى والعسكرى . بينما حظى الرئيس جمال عبد الناصر بنصيب كبير من الثقافة المدنية والعسكرية ، وكان أحد أعضاء هيئة التدريس بالسلكية العسكرية . وكان لهذا أثره الواضح فى تصرفات كل من الزعيمين وفى تفكيرهما .

وخلاصة القول ، فالثورة العراقية تعتبر دون ريب مصدر إلهام لمن جاءوا بعدها من الثوار ، رغم ما بذله أعداؤها من جهود لتشويه الحقائق وقلب الأوضاع . وكانت ولا تزال ، تمثل الوجه الحقيقي لهذا الشعب الأبي الذي لا يقبل الضيم وإن طال الأمد .

وفي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر الخديو توفيق - وهو ما زال بالاسكندرية في كنف الاحتلال وقبل أن ينتقل الى القاهرة - مرسوما بإلغاء الجيش المصرى لانه وقف خلف عرابى وأيد ثورته . وبذلك تنطوى صفحة ناصعة من صفحات الجيش المصرى الحديث ، بعد أن ضرب جنوده أمثلة رائعة فى البطولة والقداء خلدت تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر .

خاتمة

لاشك أن تجربة إنشاء الجيش المصرى الحديث فى القرن التاسع عشر كانت تجربة ناجحة ، فالأول مرة منذ العصور القديمة تعتمد مصر فى حمايتها والدفاع عنها على جيش وطنى قوى ، وهو من أهم مقومات الدولة فى العصر الحديث . ولم يسكن تسكوين هذا الجيش بالأمر الهين فى أول الأمر ، بل لإعترضته عقبات جسيمة ، بذل من أجل تذليلها الجهد والمال .

ومع أن هذا الجيش كان يعتبر من الناحية الرسمية جزءا من الجيش العثمانى ، مشابهاً له فى ملابسه وأعلامه وعلاماته ورتبه ، ولسكن رغم ذلك كانت له شخصيته المميزة عن الجيش العثمانى . بل لقد سبقت مصر الدولة العثمانية فى إنشاء جيشها الحديث وفى التحرر من الجيش المملوكى الذى كان يمثل بقايا النظام الحربى فى العصور الوسطى .

قضى محمد على - فى سبيل توطيد مركزه فى مصر - على الوعامة الوطنية التى رفعتة إلى منصب الولاية ، وأخذ يدعم وجوده بإنشاء جيش وطنى قوى يحمى ملكه ويحقق أطماعه الواسعة . وما درى محمد على أنه بهذا العمل إنما كان يبنى الحركة القومية التى أراد لها الفناء دون قصد منه . فالجيش الوطنى القومى هو الأساس فى نشأة الدول القومية فى العصر الحديث . وما درى أيضا أن هذا الجيش الذى أقامه ليحمى ملكه ويثبت أسرته فى حكم مصر ، هو نفس الجيش الذى سينقضى على هذه الأسرة الدخيلة فى الثورة العرابية ، وفى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد أثر إنشاء هذا الجيش القومى فى مصر تأثيرا كبيرا من الناحيتين الداخلية والخارجية . فن الناحية الداخلية نجد أن نظام مصر الاقتصادى فى عهد محمد